

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هـ الموافق ١٩٢١ م
تشر في دمشق مرة في اشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٦ م
الحرم وصفر سنة ١٣٦٠ هـ

٥٤٥٥٥٥٥

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفعة مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ = =

مطبعة الترقى بدمشق

العودة

تعود مجلة المجمع العلمي العربي إلى الظهور بعد احتجائها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها . ويسرّها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقرائها على ما كانت خلال الخمس عشرة سنة التي طالعتهم فيها بأبحاثها .

يعود المجمع العلمي العربي إلى مزاولة أعماله وسط زعازع هذه الحرب الناشئة ، وكله أمل أن 'يظلّ' السلام العالم فيتصل بأعضائه في الغرب والشرق ، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى افادتنا من دراساتهم .

يحتاج العلم الى الهدوء والاستقرار فإذا متع حقدته بذرونها وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له . ألسنا قد قرأنا في صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم ، وبعضهم أنجز تأليفه والعدوات والدبابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهن ، ما ثنّاهم هول الوغى عن نفع قومهم بشعرات عقولهم ، ووجدوا في العمل سلوى ، وفي بث الفكر واجباً يوفونه . والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث في هذا العالم ، وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاء تاماً

ولقد اطرّد صدور مجلّتنا هذه خلال ثورة سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ والأخطار منا قاب قوسين أو أدنى فعجب رصيفنا العلامة ماكدونالد الأميركي لثباتنا في تلك الفتنة وقال إننا أحيينا سنة الجمعية الآسيوية الباريزية يوم كانت لتأثر على إصدار مجلّتها وباريز محصورة .

احتمل المجمع العلمي منذ نشأته ألوان الميخيطات ، ولقي أيضاً شيئاً كثيراً من المنشطات . فما وهى في الأولى ولازها في الثانية . ويغتبط اليوم أن يرجع إلى ربط ما انقطع من سند أحاديثه بفضل من مهدوا له السبيل للإتمام مقاصده ، شاكراً لهم مناصرتهن . والحق إذا خذله أعداؤه لا يعدم من أوليائه تأييداً ، والله الملمهم والمسدد .

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١	السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي	دمشق	٢٦	الفيكونت فيليب دي طرازي	بيروت
٢	الدكتور أسعد الحكيم	«	٢٧	الشيخ مصطفى الغلاييني	«
٣	الشيخ محمد بهجة البيطار	«	٢٨	الدكتور تقولا فياض	«
٤	السيد خليل مردم بك	«	٢٩	السيد عيسى اسكندر المملوف	زحلة
٥	« رشيد بقدونس	«	٣٠	الشيخ أحمد رضا	النبطية
٦	« سليم الجندي	«	٣١	الشيخ سليمان ظاهر	«
٧	« شفيق جبيري	«	٣٢	« سليمان أحمد	اللاذقية
٨	« عارف الزكدي	«	٣٣	السيد ادوارد مرقص	«
٩	الشيخ عبدالقادر المبارك	«	٣٤	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
١٠	« عبدالقادر المغربي	«	٣٥	السيد اسعاف النشابيني	القدس
١١	السيد عز الدين التوخي	«	٣٦	« عبدالله مخلص	«
١٢	« فارس الحوري	«	٣٧	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
١٣	الدكتور مرشد خاطر	«	٣٨	الأب انتانس الكرملي	«
١٤	السيد معروف الأرنؤوط	«	٣٩	السيد كاظم الدجيلي	«
١٥	الأمير مصطفى الشهابي	«	٤٠	« معروف الرصافي	«
١٦	الشيخ بدر الدين النعساني	حلب	٤١	« طه الزاوي	«
١٧	« راعب الطباخ	«	٤٢	الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق	مصر
١٨	« عبد الحميد الجابري	«	٤٣	« عبد العزيز البشري	«
١٩	« عبد الحميد الكيالي	«	٤٤	السيد خليل ثابت	«
٢٠	السيد سوريوس أفرام	حمص	٤٥	أحمد بك أمين	«
٢١	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت	٤٦	السيد أحمد حسن الزيات	«
٢٢	فؤاد باشا الخطيب	«	٤٧	« محمد لطفى جمعة	«
٢٣	السيد بولس الخولي	«	٤٨	الدكتور أحمد عيسى بك	«
٢٤	الشيخ عبدالرحمن سلام	«	٤٩	أحمد لطفى السيد باشا	«
٢٥	السيد عمر الفاخوري	«	٥٠	السيد خير الدين الزركلي	«

أعضاء المجمع العلمي العربي

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المفلوح	مصر	٧٠	السيد هيس	سويسرا
٥٢	السيد خليل مطران	"	٧١	« هوتما	هولاندة
٥٣	« عباس محمود المقاد	"	٧٢	« أراندونك	«
٥٤	الشيخ محمد الحضر حسين	"	٧٣	« كرينكو	انكلترا
٥٥	السيد حسن حسي عبد الوهاب	تونس	٧٤	« بروكلن	المانيا
٥٦	الشيخ عبد المحي الأكتاني	فاس	٧٥	« هارتان	«
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان	٧٦	« ميتنوخ	«
٥٨	السيد عبدالعزيز الميعني الراجكوتي	الهند	٧٧	« سترستين	السويد
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	ايران	٧٨	« اوستروب	الدانمارك
٦٠	السيد عباس اقبال	«	٧٩	« موجيك	فيينا
٦١	« مارسيه	تونس	٨٠	« ماهلر	بودابست
٦٢	« ماس	الجزائر	٨١	« كوفالسي	بولونيا
٦٣	« كي	فاس	٨٢	« كراتشكوفسكي	لينينغراد
٦٤	« دوسو	باريز	٨٣	« موزل	براغ
٦٥	« ماسينيون	"	٨٤	« ماكدونالد	اميركا
٦٦	« يونا	"	٨٥	« هرزفلد	«
٦٧	« كولان	رباط (مراكش)	٨٦	« كرسيكو	فتلاندا
٦٨	« آين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)	٨٧	« فيليب حتي	اميركا
٦٩	« لوبس	لشبونة (البرتغال)			

الاعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٨	السيد سليم عنجوري	دمشق
٢	« مسعود الكواكبي	«	٩	« عبد الله رعد	«
٣	السيد مانجو	«	١٠	السيد أمين الرجماني	بيروت
٤	الشيخ سليم البخاري	«	١١	السيد حسن يهم	«
٥	السيد الياس قنسي	«	١٢	الأب لويس شيخو	«
٦	« أنيس سلوم	«	١٣	الشيخ عبدالله البستاني	«
٧	« جميل العظم	«	١٤	السيد جبر ضومط	«

أعضاء المجمع العلمي العربي

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المفلوف	مصر	٧٠	السيد هيس	سويسرا
٥٢	السيد خليل مطران	"	٧١	« هوتما	هولاندة
٥٣	« عباس محمود المقاد	"	٧٢	« أراندونك	«
٥٤	الشيخ محمد الحضر حسين	"	٧٣	« كرينكو	انكلترا
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس	٧٤	« بروكلن	المانيا
٥٦	الشيخ عبد الحمي الكتاني	فاس	٧٥	« هارتان	«
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان	٧٦	« ميتنوخ	«
٥٨	السيد عبدالعزيز الميعني الراجكوتي	الهند	٧٧	« سترستين	السويد
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	ايران	٧٨	« اوستروب	الدانمارك
٦٠	السيد عباس اقبال	«	٧٩	« موجيك	فيينا
٦١	« مارسيه	تونس	٨٠	« ماهلر	بودابست
٦٢	« ماس	الجزائر	٨١	« كوفالسي	بولونيا
٦٣	« كي	فاس	٨٢	« كراتشكوفسكي	لينينغراد
٦٤	« دوسو	باريز	٨٣	« موزل	براغ
٦٥	« ماسينيون	"	٨٤	« ماكدونالد	اميركا
٦٦	« يونا	"	٨٥	« هرزفلد	«
٦٧	« كولان	رباط (مراكش)	٨٦	« كرسيكو	فتلاندا
٦٨	« آين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)	٨٧	« فيليب حتي	اميركا
٦٩	« لوبس	لببونة (البرقال)			

الاعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٨	السيد سليم عنجوري	دمشق
٢	« مسعود الكواكبي	«	٩	« عبد الله رعد	«
٣	السيد مانجو	«	١٠	السيد أمين الرجماني	بيروت
٤	الشيخ سليم البخاري	«	١١	السيد حسن يهم	«
٥	السيد الياس قنسي	«	١٢	الأب لويس شيخو	«
٦	« أنيس سلوم	«	١٣	الشيخ عبدالله البستاني	«
٧	« جميل العظم	«	١٤	السيد جبر ضومط	«

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

٦

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١٥	السيد عبد الباسط فتح الله	بيروت	٣٩	السيد اوجينيو غريفيني	مهر
١٦	السيد جرجي بني	طرابلس الشام	٤٠	رفيق العظم	«
١٧	الدكتور صالح قنباز	حمّاة	٤١	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
١٨	الأب جرجس شاحت	حلب	٤٢	السيد رينه باسه	«
١٩	السيد جرجس منش	«	٤٣	السيد ميشو بلير	طنجة
٢٠	السيد فسطاطي حصي	«	٤٤	السيد زكي مفايز	الاستانة
٢١	الشيخ كامل الغزي	«	٤٥	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٢٢	السيد ميخائيل الصقال	«	٤٦	السيد فران	باريز
٢٣	الشيخ خليل الخالدي	القدس	٤٧	كلميان هوار	«
٢٤	السيد نحلة زريق	«	٤٨	السيد جويدي	إيطاليا
٢٥	الشيخ سعيد الكرمي	طولكرم	٤٩	السيد نليتو	«
٢٦	الشيخ جميل صدقي الزهاوي	بدراد	٥٠	السيد هومل	المانيا
٢٧	الشيخ محمود شكري الآلوسي	«	٥١	السيد ساخاو	«
٢٨	الشيخ احمد الاسكندري	مصر	٥٢	السيد هوروفيتز	«
٢٩	احمد زكي باشا	«	٥٣	السيد مرتين هارتمان	«
٣٠	احمد شوقي بك	«	٥٤	السيد مونتة	سويسرا
٣١	السيد أسعد خليل داغر	«	٥٥	السيد سنوك هورغرنه	هولاندة
٣٢	حافظ ابراهيم بك	«	٥٦	السيد مرجليوث	انكترا
٣٣	الشيخ محمد رشيد رضا	«	٥٧	السيد بفن	«
٣٤	السيد مصطفى صادق الرافعي	«	٥٨	براون	«
٣٥	أحمد كمال باشا	«	٥٩	السيد بول	الدانمارك
٣٦	أحمد تيمور باشا	«	٦٠	السيد بدرسن	«
٣٧	السيد مصطفى اطفي المنفلوطي	«	٦١	السيد اغناطيوس غولدصهر	بودابست
٣٨	الدكتور يعقوب صروف	«	٦٢	الدكتور سميد أبو حمرة	البرازيل

خزائن الكتب العربية في الخافقين

هذا سفر عظيم عني الأستاذ الفيكت فيليب دي طرازي أحد أعضاء
المجمع العلمي العربي بتأليفه منذ أكثر من خمسين سنة فجاء في أزيد من ألف
وثلاثمائة صفحة كبيرة ، وهو يعمل فيه منذ عشر سنين ليعده للنشر ، وقد ضمنه
أبحاثاً مشبعة عن خزائن الكتب العربية قديمها وحديثها ، وذكر أخبار مؤسسيها
ومعززيها والعاملين فيها في أربعة أقطار المعمورة .

هذا كتاب فريد في بابهِ مبتكر في موضوعه لا أعلم أديباً من أدباء العرب
ومؤرخيهم سبق إلى تأليف مثله ، فصنف مؤلفاً مفصلاً عن خزائنا العربية وعن
مؤسسيها ومحتوياتها وعمما آل إليه أمرها . ويظهر لي من لأمته أنه منطوق على خزائن
وشوارد وعلى طرائف ولطائف ، ولقد طالع زهاء سبعمائة كتاب من مؤلفات الأوائل
والأواخر ، ففرلها وانتخلها حتى صنى منها ما صنى كما يشاهد حقيقة الأمر في
الموامش التي علقها على الكتاب من بدايته إلى خاتمه . وقد سدد به ثلثة
فوهاء ، في التاريخ والأدب معاً . وانا توخيت في هذه العجالة أن أطلع أبناء
الضاد على ما ملكوا في صالف الأحقاب وعلى ما يملكون اليوم من الكنوز العلمية
الغالية الأثمان .

* * *

دعا المؤلف كتابه : « خزائن الكتب العربية في الخافقين » . وضمنه ١٨ باباً .
قد يكون كل باب من أبوابه الواسعة كتاباً قائماً برأسه .
فالباب الأول انطوى على مقدمة وسبعة فصول ذكر المؤلف في الفصل الأول
خلاصة علوم العرب في الجاهلية وصدرا الإسلام ، فوصف وصفاً دقيقاً حفظهم
وتدوينهم وخطوطهم وأنديتهم ومجالسهم وأسواقهم الأدبية واستفحال دولتهم .
وتبسط في الفصل الثاني في وصف القرآن الكريم وتأثيره ، واجماع الملوك

والأقطاب على تكريمه وتعظيمه . وأورد خلاصة ما كتبه عنه علماء النصارى . وعدد المتاحف التي انطوت على أقدم الكتب القرآنية وأثمنها وأجملها وأغربها .
وتكلم في الفصل الثالث عن حالة البلاد الشرقية قبل الفتح العربي .

وخصص الفصل الرابع بثقافة شعوب البلاد التي فتحها العرب ولغاتهم ومدارسهم وكتبهم وخزائنهم وعدد في الفصل الخامس نقول العرب عن العلوم الدخيلة منذ عهد أمير المؤمنين عبد الله المأمون العباسي فصاعداً

وبحث في الفصل السادس مصادر العلوم الدخيلة ومشاهير نقلتها عن اللغات الهندية والفارسية واليونانية والسريانية والعبرية وغيرها . وانتقل إلى ذكر آل بختيشوع الذين كانت لهم مكانة عظيمة في بلاط الخلفاء العباسيين خلال ثلاثة قرون . ولم يغمض عن ذكر من جازاهم في هذا الميدان كأبي قررة وابن ماسويه والكندي وحنين بن اسحق وهلم جراً ، واتخذ خاتمة لهذا الفصل كلمة اثبتتها في كتابي « القديم والحديث » عنوانها « فضل نقلة علوم الأعاجم » .

وختم هذا الباب بفصل سابع وصف فيه عصر النهضة العربية الذهبي . فاسترسل في ذكر ثقافة العرب وترقي العلوم بين ظهرانيهم وتأسيسهم المدارس والمراعد والمستشفيات والمتاحف . ونوه بمبالغة الخلفاء في تكريم العلماء والأدباء وعدد مشاهير الكتبة في تلك الحقبة المباركة .

هذا هو الباب الأول ، وقد أفرغه المؤلف الفاضل في أسلوب لذيذ جذاب لا يكاد يطالع القارئ فصلاً من فصوله إلا ازداد رغبة في مطالعة بقيته ، ثم سرد المؤلف في الباب الثاني أخبار تكوين الخزائن العربية وانتشارها واندثارها ، وأشار إلى حرص العرب الأقدمين على تدوين آثارهم وأخبارهم ، وتسابقهم في اقتناء المخطوطات وجمعها ، وتنافس أدباثهم وخطاطيهم ومجلديهم في تعزيز الخزائن العامة والخاصة ، وأثبت أن المؤرخين لم يتصدوا لنشر كتاب خصوصي جامع يضمنونه أخبار الكتب العربية سابقاً وحاضراً .

وانتقل المؤلف الى الباب الثالث بعدد أخبار الخزائن الإسلامية العامة ، وقد بلغ عددها في كتابه ٢٩٥ خزانة خصص لها ٣٣ فصلاً ، فذكر خزائن بغداد والبصرة وكربلا والنجف والموصل واربيل وماردين وميافارقين وآمد وحلب وحمّاة والمعرّة وكفرطاب . ثم أحصى خزائن دمشق وطرابلس الشام وفلسطين وشرق الأردن . وانتقل الى البلاد العربية فوصف خزائن مكة المكرمة واليمن والحجاز والحويزة . ثم راح إلى بلاد فارس فكتب عن خزائن مرو ومراغة وشيراز وجنده وخراسان وفيروزاباد والري ونيسابور وطوس وازدشير وسمرقند واصبهان وخوازم وهمدان وهراة وبنجارة . ثم تكلم عن الخزائن العربية في الهند وغيرها . وتبسط المؤلف في ذكر دور كتب القاهرة والاسكندرية وسائر الأقاليم المصرية خزانة خزانة قديمةً وحديثةً . وانتقل الى شمال افريقية فسرد أخبار خزائن تونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس وسبته والرباط . ولم يفته وصف خزائن الأندلس والإلماع الي حضارتها العربية وسابق عزاها . وختم هذا الباب بذكر المخطوطات العربية في دور كتب الاستانة والرومي والاناضول الخ . ولم يغمض المؤلف في كل من هذه الفصول الممتعة عن ذكر ثروة تلك الخزائن العامة وذخائرها ومعارضها ومطبوعاتها ومديريها وخزنتها واعتناء الملوك والامراء والادباء بتمزيها .

وفي الباب الرابع وصف المؤلف الخزانة العربية الخاصة التي أسسها افراد المسلمين وأدباؤهم ومشايخهم وعلماؤهم في مختلف الأنحاء ، فتوسع في وصفها توسعه في وصف الخزانة الإسلامية العامة ومنها خزانة أنشئت في مدن غير المدن التي أحصاها المؤلف في سياق كلامه عن الخزائن العامة . نذكر منها خزائن بيروت وجبل لبنان وجبل عامل ودوما ونابلس وبافا وعكا وخليل الرحمان الخ . ثم عدد الخزائن الخاصة في المغرب الاقصى وصحارى افريقية ، فكان مجموع ما أحصاه

٣٥٩ خزانة اسلامية خصوصية وصف كلا منها وصفاً جيداً ، وذكر أخبار مؤسسها وأحصى عدد مجلداتها يوم عزها وما حل بها من الرزايا على كرور الازمنة .

وأخذ المؤلف بعد وصفه الخزائن الاسلامية عامة وخاصة يعدد في الباب الخامس أهم الخزائن النصرانية العربية في بلاد الشرق . فوصف مجموعات النساطرة واليعاقبة والملكيين والموارنة والاقباط ومجموعات السريان والكلدان والارمن والبرتستان ، وقد اناف عددها عى ٢٠٠ خزانة أنشئت في القصور والاديار والمدارس وبيوت الافراد في مدن سورية ولبنان وفلسطين وما بين النهرين والعراق ومصر وشمال افريقية .

فهنالك خزائن دمشق وصيدنايا وافاميا وانطاكية وجبل سمعان ، وخزائن بيروت وبتدين والشرفة وبكركي والبلمند ، فخزائن الكرمل والقبر المقدس ودير مارسابا ودير مار مرقس ودير مار يعقوب فخزائن الاقباط بالاسكندرية والقاهرة وأديار وادي الطرون وطورسيناء ، فخزائن الرها وآمد وملطية وماردن ودير الزعفران ودارا ونصيبين وطور عبيد وسعرت فخزائن المدائن ودير قني وبنغداد وأورمية وقود شائيس وتكريت والموصل ودير الشيخ متى ودير الريان هرمزند ، وخزائن تونس والجزائر والمغرب الاقصى وطرابلس الغرب الخ . وقد جرى المؤلف في وصف هذه الخزائن جمعا مجراه في وصف الخزائن العربية الاسلامية .

وتطرق المؤلف في الباب السادس لوصف خزائن بيروت العامة كخزائن الاتحاد والترقي والحرب العظمى والمجلس البلدي والقضاة وغرف القراءة ونقابة الصحافة ونقابة الحمامين وغيرها .

واسترسل في الباب السابع في وصف الخزائن العربية باوربا فذكر اهتمام البابوات والملوك بتعزيز اللغة العربية بمطابعهم ، وتعليمهم اياها في جامعاتهم ، وشراءهم المخطوطات العربية أحيانا بما يوازي ثقلها ذهباً . وتجهيزهم منها مجموعات نفيسة تستحق الاعتبار ، واعتناءهم بادخار الكتب العربية اعتناءً جزيلاً . وأيد بيناته بما أثبتته أنا في كتابي «خطط الشام» عن كيفية تسرب مخطوطات بلادنا الى

دول أوروبا على يد فريق ممن كان يرجع اليهم أمر المدارس والجموع ، فخانوا عهود الأمانة واستحلوا بيع ماتحت ايديهم بأجنس الأثمان .
ثم وصف المؤلف معارض المخطوطات العربية النفيسة في دور كتب أوروبا ونوه بالثروة العربية في خزائن عواصمها ولا سيما دار كتب الاسكوريال باسبانيا ودار كتب الامبروسيانية في ميلانو .

وأحصى كذلك احدى عشرة خزانة عربية أنشأها فريق من السوريين في أوروبا كجموعة رشيد الدحداح و خليل غانم وجان دي طرازي بباريس وعبد الله مراتش في مرسيليا وحيب زيات في نيس ، ولويس صابونجي ورزق الله حسون بلندن . وروفايل جروة بالبندقية الخ . وعدد كذلك عشرين خزانة أنشأها كبار المستشرقين في برلين وباريس ورومة وميلانو وبالرمو واسوج ولشبونة ومدريد ، وأحصى فهارس المؤلفات العربية في دور كتب أوروبا وذكر عدد مخطوطات كل منها .

وحصر المؤلف بحثه في الباب الثامن بذكر الخزائن العربية في أميركا ، فقال بأن الكتب العربية في خزانة نيويورك تعد أغنى دار للكتب العربية في العالم الجديد على الاطلاق لانصاهيها في الشرق خزانة سوى دار الكتب المصرية ودار الكتب الازهرية بالقاهرة وخزانة الآباء اليسوعيين ببيروت .

وخص الباب التاسع بالخزائن الاسرائيلية ، فكشف النقاب عن جهود اليهود في خدمة اللغة العربية على عهد الخلفاء العباسيين والفاطميين . وسرد أخبار مشاهير علماءهم في العراق ومصر وفارس والاندلس . ثم تطرق لذكر خزائهم سابقاً ولاحقاً خزانة خزانة . ووصف دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية في القدس فصرح باحتوائها على أكثر من ٣٥٠٠٠٠٠ مجلد بينها ٥٠٠٠٠٠ مجلد ونيف تنضمن الجائناً شرقية .

وبعد ما فرغ المؤلف من تعداد الخزائن العربية اسلامية ونصرانية واسرائيلية في مختلف الاقطار أخذ يدون في الباب العاشر أخبار غلاة الكتب وهوائها من

المسلمين . فذكر منهم ملوكاً وأمراء ووزراء وعلماء ووجهاء أربى عددهم على السبعين وكلمهم رفعوا أوية المعارف بما اكتنزه من الاسفار العربية ، فحرصوا عليها حرصهم على أغلى الدرر واتخذوها في قصورهم وأنديتهم ومنازلهم من أحسن الزينة وافخرها ، وأضاف المؤلف إلى ذلك تنقلاً من طرائفهم وغرائبهم ، وخلص تراجمهم واحداً فواحداً وفقاً للتسلسل التاريخي بدءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر للهجرة . وانتقل المؤلف إلى الباب الحادي عشر فسرده فيه تراجم غلاة الكتب وهواتها من المسيحيين قديماً وحديثاً . فعدد منهم زهاء العشرين ممن كلفوا بجمع المخطوطات منذ صدر الاسلام حتى زماننا الحاضر ، وأتى كذلك على طرفٍ من أخبارهم ونواديرهم .

ولما انتهى المؤلف الى الباب الثاني عشر اتسع في الكلام عن خزنة دور الكتب منذ عصر الارتقاء العربي فذكر مناقبهم وثقافتهم وخدمتهم للمعاهد الكتابية وحصر تراجمهم في عشرة فصول مبتدئاً بخزنة الكتب في سورية ولبنان فالعراق ففارس فمصر فشمال إفريقيا فالاندلس فاليمن فالحجاز حتى الهند . فكان مجموع اولئك المشاهير الذين قاموا على الخزائن في تلك الأمصار أكثر من سبعين خزاناً .

وأردف هذا الباب ببابٍ ثالثٍ عشر تحدث فيه عن مشاهير الخزنة الشرقيين في أوربا وأميركا ، فصرح بتفوقهم في المعارف ، وأشار الى تعزيزهم مقام الشرق في الغرب ، وقال انهم يرهنوا للعالم أجمع على أن الشرقي لا يقل عن الغربي جدارةً وكفاءةً . وقد أحصى من أولئك الجهابذة عشرة خزنة : ثلاثة في الخزنة الواثكانية وخازنين في الاسكوريال ومدريد باسبانيا ، وخازنين في المتحف البريطاني بلندن ، وخازنين في القسطنطينية ، وخازناً في مكتبة برينستون بأمركا الشمالية .

وبحث في الباب الرابع عشر عن المخطوطات العربية والعاملين فيها ، فأفرد لذلك ١٥ فصلاً وهي ١ : مزايا المخطوطات العربية ونفائسها ٢ : الوراقة والوراقين

٣ و٤ : نوابغ الخطاطين والخطاطات وخرائبهم ٥ : النساخة والطباعة وبواكير المطابع والمطبوعات العربية شرقاً وغرباً ٦ و ٧ : مشاهير النساخ المسلمين والنصارى قديماً وحديثاً ٨ : الضبط والإيقان في نساخة الكتب ٩ : التنافس في تأليف الكتب والاستكثار من نسخها تعميماً للمعارف ١٠ : صناعة تجليد الكتب وانتقالها الى أوروبا على يد العرب ١١ : أشهر أسواق الكتب في البلدان العربية ١٢ : تجار الكتب ودلالوهم وسمامرتها وكساد تجارتها ١٣ : عشاق المخطوطات وصرعى الكتب ١٤ : سخط أبحار النصارى على مرآقي مخطوطاتهم ١٥ : اعارة الكتب واستعارتها وأقوال الشعراء فيها . وضمن المؤلف هذه الفصول الخمسة عشر فروعاً شتى بلغت ٨٣ فرعاً ، وانطوت تلك الفروع على موضوعات نادرة لم يتعرض لها أحد قبله .

وخصص الباب الخامس عشر بالمخطوطات العربية المصورة فوصفها في ١٨ فصلاً افتتحها بنظرة اجمالية في فن التصوير عند المسلمين وفي نشأته عند العرب . ثم أورد أسماء المخطوطات العربية المصورة هكذا : مخطوطات الكيمياء المصورة . ثم مخطوطات الطب فالأدب فالتاريخ والرحلات فالعلوم الحربية والبحرية فالعلوم الصناعية والميكانيكية فالجغرافية فالدين الاسلامي فالدين المسيحي فالنجامة والعلوم السحرية فالهندسة فاللغة فالنبات فالفلك فالفروسية والصيد والبيطرة فالموسيقى وعلى هذا الاسلوب لم يترك المؤلف مخطوطاً عربياً مزداناً بالصورة إلا تحرى استقصاء البحث عنه في خزائن الشرق والغرب فوصفه وصفاً مشبعاً ، ونوه بمزاياه وأشار الى ما تفرّد به والى مكان وجوده .

واسترسل في الباب السادس عشر في تعداد الرزايا التي حلت بالكتب وخزائنها الشهيرة منذ العصور الخوالي حتى اليوم ، وخصص لها أربعين فصلاً سردتها حسب تواريخها على ما يلي ١ : اجهاز البرابرة والملوك القدماء على الكتب ٢ : حريق خزائن الاسكندرية ورومة والقسطنطينية ٣ : إحراق كتب الآراميين

والعبرانيين والوثنيين والمجوس ٤ : اتلاف الكتب النصرانية في العصور الغابرة
٥ : محو كتب الفرس واحراق مصاحف القرآن الكريم ٦ : احراق الفرق
الاسلامية كتب بعضها بعضاً ٧ و ٨ : ذكر من غسل كتبه أو دفنها ٩ : احراق
بعض المسلمين خزائنهم ١٠ : اغراق الخزائن خاصة ١١ : رزايا كتب بغداد
والبصرة ١٢ : اتيان الحاكم بأمر الله على كتب النصارى واليهود ١٣ : اتلاف
خزائن الفاطميين في القاهرة ١٤ : احراق خزانة سيف الدولة في حلب ١٥ : نكبات
الجامع الأموي ١٦ : اتلاف الافرنج عدة خزائن في غزواتهم الصليبية ١٧ : احراق
مصاحف وخزائن حجة في بلاد فارس ١٨ : انتقاض صاعقة على كتب المسجد الحرام
بمكة ١٩ : احراق اسمعيل شاه مصاحف أهل السنة وكتبهم ٢٠ : اجتراف السيول كتب
بغداد ومكة والموصل ٢١ : احراق ابن الابار البلسني واحراق كتبه معه ٢٢ : اكنساح
المغول خزائن ما بين النهرين والعراق والشام وتركستان والهند ٢٣ : بيع مخطوطات
الخزانة الفاضلية بارغفة خبز ٢٤ : احراق كتب ابن حزم الأندلسي ٢٥ : فواجع
خزائن الأندلس والاسكوريال ٢٦ : غارات تيمورلنك على خزائن بلاد الهند
وفارس والعرب ٢٧ : قضاء الاسبانيين على كتب الجامع الأعظم بتونس ٢٨ :
احراق مطران غوا البرتوغالي كتب النساطرة الملبارين ٢٩ : مصائب مكنتات
انككترا ٣٠ : اغراق مخطوطات حجة في الأنهار والبحار ٣١ : غارة الجزائر
على كتب جبل عامل ٣٢ : غائلة مخطوطات صيدنايا ٣٣ : احراق الفلاحين بمصر
مدارج قديمة ليشموا طيب رأتحتها ٣٤ : تبديد كتب جامع ازبك بن ططخ
بين الانتقاض ٣٥ : رزايا خزائن لبنان وسورية ٣٦ : جوائح خزائن طور عبيد
وما بين النهرين وسمرت واتخاذ رقوق مخطوطاتها أحذية ٣٧ : مصائب خزائن كرميون
وتورينو بايطاليا ٣٨ : فظائع الشيوعيين في خزائن اسبانيا ٣٩ : احتراق خزانة
مونتال بانككترا ٤٠ : الاجهاز على الكتب ودورها أثناء الحرب العظمى وبعدها
في النمسا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وتركيا وروسيا وبولونيا والبلقان وغيرها .

واشتملت هذه الفصول الأربعون على نحو ٢٥٠ فاجعة من الوف الفواجع التي امت بالكتب ، وقد وصفها المؤلف وصفاً مؤثراً وأحاط بتفاصيلها من جميع الأطراف ، ولم يشأ أن يتوسع أكثر من ذلك في سرد أمثال تلك الفواجع حباً بالاختصار .

ولم يغفل المؤلف أيضاً عن ذكر بعض الكوارث الأدبية التي حلت بالكتب ، وتكلم عنها بالتفصيل بما أوتيته من علم وطول نفس في البحث ، وبما تهيأ له من الخبرة الطويلة في إدارة دار الكتب اللبنانية مدة عشرين سنة . فأفرز الباب السابع عشر لسرد تلك الكوارث المؤلة فأجاد وأفاد . وقد حدثنا في الفصل الأول عن أعداء الكتب والخزائن ، وذكر في الفصل الثاني لصوص الكتب ، وأنهى باللائمة في الفصل الثالث على العابثين بالكتب المخطوطة . ودم في الفصل الرابع تصرف الرهبان في مجموعات الأديار . واستقبح في الفصل الخامس قلة الأمانة في حفظ الكتب . واستهجن في الفصل السادس احتيال بعضهم في حرفة الأدب . وأبدى في الفصل السابع عوامل تأسفه لما فقده عالم الأدب بسبب ذلك من الكنوز .

ولهذا الباب كسائر أبواب الكتاب فروع حمة فصل فيها المؤلف ما انتاب الكتب ودورها من الكوارث . فروی كثيراً من حوادث لصوص الخزائن وخونتها ، وقرع تقريباً ألباً من بحرف المخطوطات أو يعث فيها أو ينتحلها لنفسه . وعنف تعنيفاً مرأ من يتغاضى عن صيانة الكتب أو يتهاون في نظافتها . وقبح خصوصاً من يخلق المشاكل ويلفق الأكاذيب لتكيس رايات الأدب ومناهضة المجاهدين في تعزيرها .

وقد ألق المؤلف كتابه هذا المبكر بباب أخير هو الباب الثامن عشر فشرح فيه فصلاً فصلاً أحوال دار الكتب اللبنانية ببيروت . وأعرب عن

جهوده المتواصلة في تكوينها وتجهيزها وادارتها ، وتكلم عن تسجيله إياها باسم الحكومة اللبنانية ، ووصف رحلاته الى مختلف البلاد حياً برقيها واعلاء شأنها ، وذكر انشاءه فيها معرضاً فنياً للتحف والمخطوطات القديمة ، وألمع الى اهتمامه بتصوير ٦٠ صورة تمثل كبار حملة الأقلام وأرباب الفن من المسلمين والمسيحيين في بيروت ولبنان . ثم ذكر انشاءه في سبيلها كتاباً مبتكراً عنوانه « ارشاد الأعراب الى تنسيق الكتب في المكاتب » . وأضاف الى ذلك فصلاً فيمن تبرعوا لتلك الدار وفي كبار زوارها وفي كتابها الذهبي . وألمع باحصاءات شتى الى ادارتها وأشار الى بنائها الجديدة وافتتاحها رسمياً . واختتم الكتاب بفصل ذكر فيه اعتزاله منصب ادارة المكتبة وأقوال الجرائد في ذلك .

هذا هو الكتاب الفريد الذي جدَّ صديقي العالم طرّازي في جمعه ووضع . وأنفق الدنانير في انشاءه ، وقتل الليالي في تنسيقه وضبطه . وهو بلا ريب ثمرة ناضجة من ثمرات أبحاثه الدقيقة ومطالعاته المستمرة مدة تنيف على نصف قرن . ولم يتوخَّ المؤلف من تعب هذا كله الا أن يخدم العلم ويعرف أبناء الضاد ثروة الآباء والأجداد . جزاه الله عن عمله أفضل جزاء ومدَّ له في الحياة ليري كتابه وقد أخرج للناس يحنون فوائده .

محمد كرد علي

أسماء منتخبة لمسميات حديثة

(١) القنْعُ

قال في اللسان القنْع والقِنَاع^(١) الطبقُ من عسب النخل يوضع فيه الطعام والجمع أقنَاع وأقنعة وفي حديث الربيع بنت مَعُوذ قالت أتيت النبي (ص) بقنَاع من رطب واجري من زغب قال القنْع والقِنَاع الطبق الذي يؤكل عليه وقال غيره ويجعل فيه الفاكهة وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتى بقنَاع جرد . الجرد صغار القنَاء وقيل الرمان أيضاً ويجمع على أجري وفي النهاية أيضاً من حديث عائشة أنه كان ليهدى لنا القنَاع فيه كعب من اهالة فنفرح به

وحكى ابن برى عن ابن خالويه القنَاع طبق الفاكهة خاصة وقيل القنْع الطبق الذي يؤكل فيه الفاكهة وغيرها . فيصح اطلاق القنْع أو القنَاع على الطبق المنخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام وأكثر ما يكون من عسب النخل أو من قصب أو من خيزران

(٢) الخِفَاءُ

في اللسان . والخِفَاء رداء تلبسه العروس على ثوبها فنخفيه به وكل ماستر شيئاً فهو خِفَاء له والأخفِية الأكسية الواحد خِفَاء . وفي التاج وقال الليث هو رداء تلبسه المرأة فوق ثيابها وكل شيء غطيت به شيئاً من كساء ونحوه فهو خِفَاؤه يصح اطلاق الخِفَاء على الثوب الذي تلبسه المرأة فوق ثيابها وهو المسمى بالكبوت

(٣) المِيدَع

في اللسان . المِيدَع كل ثوب جعلته ميدعاً لثوب جديد تُودَع به أي
تصونه ويقال مِيدَاعَةٌ . وجمع المِيدَع موادع . واصله الواو لأنك ودَّعت به
ثوبك أي رفهته به . وقال الأصمعي المِيدَع الثوب الذي تبثله وتودَع به
ثياب الحقوق ليوم الحفل وإنما يتخذ المِيدَعُ لِيودَعَ به المصونُ وأصله من تودَع
فلان فلانا إذا ابتذله في حاجة وتودَع ثياب صونه إذا ابتذها
وفي النهاية التوديع ان تجعل ثوباً وقايةً لثوبٍ آخر أو تجعله أيضاً في
صوان يصونه به

يصح إطلاقه على برنس المسافر

يصون المسافر ثوبه من غبار السفر ودعكته بثوب آخر يلبسه فوقه ليقيه به
ويسمى البرنس وبرنس السفر وهو كثير الاستعمال في هذا العصر فيصح أن
يطلق عليه اسم المِيدَع بهذا الاعتبار

(٤) السَفَنُ

جاء في اللسان قال أبو حنيفة السَفَنُ قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد
سمكة يُسحجُ بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السَفَنُ جلد السمك
الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف
قال الأعشى

وفي كل عام له غزوة تحكُّ الدوايرَ حكَّ السَفَنِ

وقال الليث وقد يجعل من الحديد ما يُسَفَنُ به الخشب أي يحك حتى يلين

والظاهر ان اصل المعنى القشر

وقال الراغب السَفَنُ نحت ظاهر الشيء كسَفَنُ الجلد والعود

وفي الأساس سفن العود قشرة وبرى العود بالسفن وهي مبرة السهام قلت
التسكين للمصدر والتحرك للامم
يصح اطلاقه على الورق الخشن في أحد وجهيه بسبب ما يعلق عليه من
فتات الزجاج ونحوه ويستعمل لصقل وجه الخشب وما دهن وصبغ من ألواح ونحوه
لتماس وتزول خشونتها ويسمى ورق البرداخ وورق الزجاج وكما يقال في
الفعل بردخه ينبغي أن يقال سفنه

(٥) الحسك

جاء في التاج بعد أن قال أنه نبت «وعند ورقه شوك ملز صعب ذو ثلاثه
شعب ويعمل على مثال شوكه اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر
وربما اتخذ من خشب فنصب حوله . زاد الصاغاني . قتبث في مذاهب الخيل
لتنشب في حوافرها

يصح هذا لما يسمونه الأسلاك الشائكة وهي التي يستعملونها في الحرب وفي
السياج وهي كما ترى ينطبق عليها وصف الائمة للحسك إلا أنها كانت تلقى
منشورة في الحرب وهذه تنصب منظومة بأسلاكها للحرب وللسياج

(٦) الجناح

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته وسمي جانبا الشيء جناحه فليل جناحا
السفينة وجناحا العسكر وجناحا الوادي وجناحا الإنسان لجانبه
وفي التاج الجناح الكنف والناحية والجناح الطائفة من الشيء والروشن
يصح اطلاقها على الجزء المستقل من أجزاء طبقة البيت
وهذا الاستعمال شائع ذائع في عامة البلاد العربية فيما أحسب ولكني رأيت
مجمع اللغة العربية الملكي قد اختار للجزء المستقل من الطبقة في البيت اسم الشقة

لأنها متعارفة في مصر لهذا المعنى لكنها متعارفة باسم الجناح أيضاً كما رأيت في عامة بلاد العرب على ان اصل معنى الشق في اللغة الصدع والخَرْم الواقع في الشيء يقال شققته بنصفين ومن هنا اطلق الشق على النصف وفي اللسان الشق والشقّة بالكسر نصف الشيء اذا شق واصل معنى جنح مال الى جانب والقسم المستقل من اجزاء الطبقة ناحية او طائفة منها مالت في وضعها الى جانب من جوانب الطبقة فيكون اسم الجناح اولى به

(٧) الحيفة او الطريدة

قال في اللسان وتحيّفت الشيء مثل تحوّفته اذا تنقصته من حافظته . والحيفة الطريدة لأنها تحيّف ما يزيد فتقصه حكاها أبو حنيفة وقال في مادة (طرد) والطريدة قصبه فيها 'حزّه' توضع على المغازل والعود والقِداح فتنتح عليها وتبرى بها ، أبو الهيثم الطريدة السنّ وهي قصبه 'تجوّف' ثم 'يفغر' منها مواضع (وفي التاج ينقر) فيتبع فيها جذب السهم وقال ابو حنيفة الطريدة قطعة عود صغيرة في هيئة الميزاب كأنها نصف قصبه سعتها بقدر ما يلزم القوس والسهم . وفي التاج (و) الحيفة (خشبة) على (مثال نصف قصبه في ظهر قصبه تبرى بها السهام والقسي) وهي الطريدة سميت حيفة لأنها تحيّف ما يزيد فتقصه

وقال في مادة (طرد) نحو ما جاء في اللسان يصح ان تطلق الحيفة على الاداة التي تبرى فيها الأقلام الرصاصية بادارتها فيها فيخرج القلم وقد حيّفت جوانبه و'بري' 'بري' القِداح وأن تطلق الطريدة على ما يسمونه بالخرّاطة عند التجارين وهي التي 'برى' بها العود بادارته على حدّ شفرة حادة تأخذ من حافظته وهي معروفة في بلاد الشام كثيراً ورأيت جمع اللغة العربية الملكي وضع المبراة لاداة بري الأقلام المعروفة بالمطوه *Canif* والبرّاءة للاداة التي تبرى بها أقلام الرصاص المعروفة بالبرّاية

والوضعان المذكوران متقاربا اللفظين مع تقارب معنيهما .
ولكنني ارى أن الحيفة اخف لفظاً فلندع المبراة لما وضعها له مجمع مصر
ولنطلق الحيفة على المعنى الثاني ثقيلاً للاشتراك ودفماً للاشتباه

(٨) الدَسْكَرَة

قال في اللسان الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها
الشراب والملاهي قال الاخطل

في قباب عند دَسْكَرَة حولها الزيتون قد ينعا

(وقيل هذا البيت لأبي دهل وقيل ليزيد وقيل للأحوص) وكيف كان
فهو يذكر منزلاً في ضاحية دمشق بين الرياض والغياض وفي التاج « الدسكرة
بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم كذا في المغيث في غربت
الحديث لأبي موسى قال الليث يكون للملوك ومثله في جامع القزاز ج دساكر
وفي النهاية : الدَسْكَرَةُ بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم
وليس بعريية محضة .

ويصح أن تطلق على ما يسمونه بالقبلا . والدسكرة اذا صح انها غير

عريية فهي معربة في الزمن الاول

وقد كان اطلق مجمع اللغة العربية الملكي على القبلا الطزر بعد أن ذكر
ما جاء في اللسان في مادة طزر من انه البيت الصيني وفي مادة طرز انه بيت
الى الطول وانه البيت الصيني وانه معرب ترز

فكان لدينا اذاً بمعنى البيت الصيني كلمتان [طَزَر] بتقديم الزاي على الراء
وزان سبب [وِطْرَز] بتقديم الراء على الزاي وزان حمل فهل هما لغتان أو احدهما
معرفة من الاخرى ، قالت مجلة مجمع اللغة العربية الملكي في الجزء الثاني ص ٦٧

(وربما كانت الطَّرْز معرفة عن الطَّرَز لاننا اذا رجعنا الى عبارة التاج في تفسير الطَّرَز وعبارة المخصص في تفسير الطَّرَز رأينا تماثلا تاماً في التعبير مما يدل على نقل المتأخر عن المتقدم فصاحب التاج يقول الطَّرَز بالتحريك البيت الصيبي بلغة بعضهم وصاحب المخصص يقول الطرز البيت الصيبي بلغة بعضهم ثم بنى المجمع على ترجيح هذا القول ووضع الطَّرَز للبيت الصيبي وهو ما يعرف بالثيلا ولا يخفى أن صاحب التاج متأخر عن صاحب المخصص وصاحب التاج نقل عبارة الازهري انه معرب عن الطَّرَز وانه هو البيت الصيبي وانه يبت الى الطول كل ذلك في مادة طرز بتقديم الراء على الزاي فكيف بعد هذا صح لنا أن نجعل نقل المتأخر (صاحب التاج) انما كان بتقديم الزاي على الراء ونحكم على وقوع الغلط في عبارة صاحب المخصص [إذ المفهوم من كلام المجلة والمجمع انه نقلها مصححةً بالطَّرَز] ان ذلك أراه موضع نظر وبحت ، والعجب كيف صار المجمع المصري الى اختيار الطَّرَز بثقلها وما صحبها من التهجان كاد يكون عاماً فيما رأيت ولم يختار الطَّرَز وهو يؤدي نفس المعنى المراد وموافق للاصل الفارسي

احمد رضا

الراديو وأثره في نشر اللغة

استزاري يوماً احد مديري المدارس فرحب بي وعرفتني بالأفاضل من أساتذة مدرسته . وهناك جرى ذكر اللغة العربية ووجوب العناية بنشر الفصحى بين النش^ء وتعميم ملكتها في نفوسهم . وأدى بنا الحديث الى تعداد الوسائل التي يحصل بها ما ذكر . فكان مما اتفقنا عليه أن (الراديو) اصبح اليوم أعظم تلك الوسائل أثراً في نشر اللغة : فإن اصغاء الجمهور اليه . واهتمامهم بتفهم أخباره . وتداول تلك الاخبار بينهم يحكيها بعضهم الى بعض ويرويها بعضهم عن بعض . كل ذلك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه : فان سمعوا الكلمات صواباً حفظوها ورووها صواباً . وإلا وعوها وأدوها خطأ .

يسمعون من (الراديو) مثلاً قوله (بقيت جيوش اليونان وحدها تقاتل في تلك المنطقة) فإذا هو بلفظ كلمة (وحدها) مرفوعة على ظن أنها صفة للجيوش مع انها دائماً منصوبة على الحال بمنزلة قولنا (منفرداً) . ويسمعونه يقول (أغرقت الطائرات باخرة حمولتها خمسة آلاف طن) بفتح حاء (حمولتها) وهو خطأ صوابه ضمها : إذ أن المراد بها الأحمال التي تحملها البخرة . أما الحمولة بفتح الحاء فالدابة تحمل الأحمال .

وقد وافق مدير المدرسة الفاضل على ما كان يدور في المجلس من هذا الحديث ثم أيدته بملاحظاته الخاصة التي اعتاد أن يدونها عن تلامذته . وقال ان الكثيرين منهم اصبحوا يستعملون من فصيح الكلام وصحيح الاساليب مالم يكونوا يعرفونه لولا اصغائهم الى (الراديو) . كما أنهم احياناً يرتكبون اخطاءً في نطق كلمات تسربت اليهم من (الراديو) ذلك المخلوق العجيب الذي اصبحت له اليد الطولى في نشر اللغات . وتصوير مختلف اللهجات

ثم خفَّ المدير الى حيث الطلاب وأتى بواحد منهم وناوله من على المنضدة جريدة يومية وقال له أسمع الاستاذ .

فانبرى الطالب يقرأ علينا بصوتٍ جهير ونبرات متزنة . وكنا نراه إذا اخطأ في نطق كلمةٍ اعتذر بأنه هكذا سمعها من الراديو . وكان مما قرأه علينا من إذاعات الراديو هذه الجملة : (قصفت الطياراتُ المدينةَ بعنفٍ وبقيت النيران مستعرة فيها طيلةَ النهار الى المساء)

ففتح الطالب وهو يقرأ الجملة نون (نيران) وجعلها على وزن حيران . وكسر ميم (مساء) وجعلها بوزن نساء . وشدَّ الراء من (مستعرة) وجعلها بوزن (مستعرة) فصححنا له خطأه الذي التى تبعته على عائق الراديو . وقلنا له : النيران مكسورة النون جمع نار كما ان الجيران والفيران أولها مكسور وهما جمع جار وفار . وكذلك (مساء) ميمه مفتوح وكلمة (مستعرة) راؤها مخففة على وزن مفتقرة : لأنها اسم فاعل من استعرت النار اتقدت . فهو من (افتعل) ومشق من السعير . ولو كانت (مستعرة) مشددة الراء لكانت من باب (استفعل) وكانت مشنقةً من العرّ (بتشديد الراء) وهو الجرب . ولَفَظَ التلميذ كلمة (عَنف) بفتح العين كما سمعها من الفاضل مذيع بيروت . فنصح له بعض الحاضرين أن يلفظها بضم العين لا بفتحها فقلتُ له ان الضم هو المشهور بيننا ولكن الفتح جائز كما نصوا عليه .

* * *

ثم انتقل الجدل بين الحاضرين الى كلمتي (طيلة) و (قصف) هل هما فصيحتان فيما يستعملان فيه ؟ وسألوني رأبي في أمرهما فقلت :

عجباً لهذا الحظّ الذي رُزقته كلمة (طيلة) فان الناس أولعوا بها إلى ما وراء الغاية . فيقولون طيلةَ النهار . وطيلةَ الدهر . أي مدتها الطويلة . وهذا

الاستعمال خطأ أو هو على الأقل غير مطابق للاستعمال الفصيح : فان أهل اللسان
انما يعرفون (الطيلة) بمعنى العمر لا بمعنى طول المدة فاذا أرادوا طول المدة
قالوا مثلاً « لا اكلمك طول الدهر أو طوال الدهر » بفتح الطاء . ويقولون
(بتُّ سهران طول الليل أو طوال الليل) ولا يقولون (لا اكلمك طيلة الدهر)
ولا (سهرت طيلة الليل) واذا اراد البلغاء استعمال كلمة (الطيلة) قالوا هكذا :
(أطال الله طيلة فلان) أي أطال الله عمره . فالطيلة اذن انما تستعمل
بمعنى العمر .

وأراني جريئاً على القول بأن (الطيلة) لا يحسن استعمالها في غير المقام الذي
استعملها فيه البلغاء وهو مقام الدعاء . فيقول احدنا لأخيه (اطال الله عمرك
وفسح في طيلتك . أو أمد الله في طيلتك) ونحو ذلك ولا اظني سمعهم يستعملون
(الطيلة) في غير هذا التركيب أو ما ضرب على غمراه . فلنا أذن مندوحة عن
كلمة (طيلة) بكلمتي (طول) و (طوال)

بقي علينا فعل (قصفت الطيارات المدينة) وهذا الفعل وهو (القصف) بهذا
المعنى مما استحدثه أو ولده الراديو وفرضه علينا فرضاً . ولعلنا لم نسمعه الا في
هذه الحرب . وفي عهد المذبحين المفوهين . وكان المذبح الأول منهم أراد أن
يترجم لنا بالقصف كلمة (Bombarde) الا فرنسية فيكون التعبير العربي مشابهاً
للتعبير الا فرنجي في وحدة اللفظ بعد ان كانوا يقولون (اطلقت الطيارة القنابل)
و (ألقت القذائف) فاكثفوا بكلمة (قصفت) مكان الكلمتين . ثم ان معنى
القصف في اللغة الكسر : قصف فلان العود كسره وريح قاصف شديدة
تقصف الأشجار . فهو فعل يتعدى الى مفعول . ثم استعمل فعل القصف مجازاً في
جلجلة الرعد فيقولون رعد قاصف أي شديد الصوت مجلجل . وقصف الرعد اشتد
صوته . وقد لاحظ القارئ ان فعل (قصف) في استعماله المجازي اصبح لازماً بعد

ان كان متعديا . وربما سأل سائل : ماهي المناسبة بين المعنى الحقيقي وهو الكسر وبين المعنى المجازي وهو اشتداد صوت الرعد ؟؟ المناسبة هي أن المرء وهو يسمع جلجة الرعد يخيل اليه ان شيئاً يتكسر ويتقصف في عنان السماء ومن هذا المعنى المجازي اخذ رجال الإذاعة فعل (قصف) اللازم الدال على اشتداد صوت القنابل الملقاة من الطائرة . لكنهم حوّلوه من الزوم الى التعدية للمفعول فهم يقولون (قصفت الطائرة المدينة) بعد ان ضمنوا فعل (القصف) معنى القذف والرمي . فتأويل (قصف) الطائرة المدينة اشتد صوت الطائرة قاذفةً المدينة بقنابلها قذفاً له صوت يشبه قصف الرعد في شدته . والتضمين كثير الورود في كلام العرب . وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة عليه . فهذا الاستعمال الجديد لفعل (قصف) الذي استحدثه المذيعون قبله منهم ونشكرهم عليه . لكننا نحفظ لأنفسنا حق الرجاء لهم في التثبت من بعض الكلمات الأخرى والرجوع الى المعاجم في ضبطها وليس ذلك عليهم بالأمر العسير كما نلتمس من المذيع الأكبر مذيع لندن خاصةً ان يقتصر في قلقة الحروف الأخيرة من الكلمات على حروف (قطب جد) الخمسة : فلا يقلل الميم من كلمة (النظام) ولا اللام من كلمة (القتال) ولا النون من كلمة (الألمان) وذلك وفقاً لما نقرر في (علم التجويد) وتفادياً من مخالفة أصول الأداء العربي .

ونذكر بهذه المناسبة كلمة أو تعبيراً جديداً اصطلح عليه (الدبلوماسيون) المعاصرون وأملأه علينا في هذه الأيام المذيعون ولم نعهد اننا سمعناه قبل هذه الحرب القائمة :

ذلك أن من خاض غمرات الحرب بالفعل سموه (محارباً) وضده (الحيادي او المسالم) وهو الذي لا ناقة له في الحرب ولا جمل . ثم رأى هؤلاء الدبلوماسيون

انهم في حاجة الى اعتبار حالة نالته لا يصح ان يوصف صاحبها بالمحارب ولا بالمسلم الحيادي فاصطلحوا على تسميته (باللأ محارب) . وكانهم يريدون بتوصيفه بالحرب ثم نفى عنها بحرف النفي (لا) أن ظرفاً استثنائية او جغرافية جعلته على أهبة الحرب والاستعداد لها . او على وشك الدخول فيها عند اول فرصة . أو انه لا يتخلو من ميل في نفسه الى احد الفريقين المتحاربين

فالحالات اذن ثلاث (حيادي) (*neutre*) محارب (*en état de guerre*) لا محارب (*non belligérant*) ويظهر ان هذه الكلمات العربية الثلاث انما اصطلح عليها المذيع الاول او الدبلوماسي العربي الاول ترجمة للكلمات الافرنجية الثلاث وقد قام في وضع هذا الاصطلاح بوظيفة المجمع العلمي فالشكر له على كل حال .

* * *

ومن لطيف الانفاق ان يقع نظري على كلمتين في لغتنا العربية تصلحان للقيام مقام كلمتي (المحارب) و(اللأ محارب) . وهما كلمتا (عدي) بضم العين و(عدي) بكسرها : وقد فسروا ذات الضم بالأعداء الذين نقاتلهم . وفسروا الثانية ذات الكسر بالأعداء الذين لا نقاتلهم . فالعدي بالضم المحاربون بالفعل . والعدي بالكسر اللأ محاربون لكنهم مستعدون لما متهيؤون .

وقد رأيت هذه التفرقة بين كلمتي (عدي) و(عدي) في (محيط المحيط) للبستاني وواقفه عليها صاحب اقرب الموارد . لكنها لم يشيرا الى المصدر الذي اعتمدا عليه في حكاية هذه التفرقة المديحة التي نحن في حاجة اليها والى امثالها من الاوضاع الجديدة . ثم راجعت اللسان والتاج والصحاح والأساس والمصباح فلم اعثر على تلك التفرقة بين الكلمتين المذكورتين غير ان اللغويين قالوا كلاماً

في معنى (العدى) بالكسر أحسبه السبب الذي حمل صاحب المحيط على اعتبار هذه التفرقة :

فقد قال اللغويون ان (العدى) مكسورة العين تكون بمعنى الغرباء الأجانب عنك . وذكروا شاهداً عليه قول الشاعر :

(إذا كنتَ في قومٍ عِدِّي لستَ منهمو

فكل ما علفتَ من خبيثٍ وطيب)

فلعل صاحب المحيط استنتج من هذا التفسير لكلمة (عدى) المكسورة انها بمعنى الأعداء الذين نلابسهم على علائهم ولا تُثير عليهم حرباً ولا قتالاً . فبقى كلمة (العدى) بالضم لأولئك الذين نصارحهم العداوة ونناجزهم القتال بالفعل . والكلمتان نستعملان وصفين فيقال هؤلاء قومٌ عِدِي . وأولئك قوم عدى . واذا اريد المصدر جاز لنا ان نقول (عِدَوِيَّة) من عِدِي (بضم العين) اي (محاربة) ومن عِدِي المكسور نقول (عِدَوِيَّة) بكسر العين اي (لا محاربة)

على ان المجال مازال واسعاً امامنا للتثبت من هذه التفرقة بين الكلمتين ومن طريقة استعمالها وبعد ذلك يتسنى للجامع العلمية وضع قرار بقبول تينك الكلمتين اللغويتين واستعمالها في الاصطلاحين الجديدين او بعدم قبولها بالمرّة والاكتفاء باستعمال الكلمات التي شاعت على لسان الراديو اعني (المحارب) و (اللامحارب) و (السلام)

المفرد

ابناء علي بن نصير الدين الطوسي

اطلعت اتفاقاً على نسبٍ قديم الخط كتب في ورق صقيل يتضمن أسماء ابناء علي بن نصير الدين الطوسي الفيلسوف الرياضي الشهير المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م ولكن هذا النسب لا يحمل شارة رسمية او صفة علمية اذ لا توقيع عليه لأحد وانما يزعم حامله وهو الشيخ صالح بن قاسم ناصر الدين من قرية دالية الكرمل بالقرب من حيفا ان هذه نسبتهم وانهم ينتسبون الى نصير الدين الطوسي وان تحرف اليوم الى ناصر الدين

وهذه الأسرة من الأمر المعروفة بين آل معروف وقرية دالية الكرمل أنشئت منذ مائة وثمانين عاماً أنشأها مهاجرة الدرّوز الذين جاؤا إليها من الجبل الأعلى في أرجاء حلب كما يقولون واستوطنوها من ذلك التاريخ ومن أسرها المعروفة ايضاً حسون والحلي .

والى القارئ الكريم نصّ هذا النسب بحروفه وعلى علاّمته واغلاطه على ان نذيله ببعض آراء وملاحظات

« اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين صلاة دائمة الى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . وقد نقلت هذه النسبة المباركة عن خط الشرف علي بن مولانا الامام الولي نصير الدين الشريف علي بن محمد الطوسي وذكر انها نقلت عن خطه ابيه نسبة قديمة ذكر تاريخها في شهر رجب المرجب من شهور سنة خمس وخمسمائة ونقلت (١) الذي نقلت عن خط الشرف علي ولما نقلها الشرف علي عن خط ابيه نصير الدين المتقول عن النسبة القديمة المتصلة بالأنساب الشريفة العلوية فسار بها الى مدينة دمشق المحروسة خلد الله تعالى ملك

(١) خرم مقدار ست كلمات

مالكها لتكون في يده اثباتاً لشرفه واستخارة برحمة الله تعالى سكن دمشق المحروسة وطال^(١) له المكان لشرف علي ورزقه الله البنين والبنات من الذكور عنز الدين ولقبوه بعز الدولة وكاسب وشجاع الدين وعزائم وعبد الله وثقروا وتناسلوا وطاب لهم المكان وبقي في الشام وبلادها منهم فروع كبير^(٢) وكان لعز الدولة اولاد ذكور منهم فارس الدولة وكال الدولة وسلمان الدولة ومحمود الدولة وحاتم الدولة وعبد العزيز وكان لكاسب علي واسماعيل وبناً وخلف ومحمد ومزهر وسما^(٣) مزهر من جملة اولاده وكان مولد احمد بن مزهر في ساعة عكس فلقبوه بها ولما كبر سنه انتقل الى بلاد حلب وسكن بقرية بشتدلایا ثم عمر قرية تسما^(٤) تلتينها وصار له فروع كثير^(٥) الى يومنا هذا ولشجاع الدين ايضاً عبد العزيز وحاتم وعلي ومحمد ولعزائم الشرف علي وعنز الدين حسين وشهاب الدين احمد ومعن وحسن ونجم الدين ومحمد وشرف الدين علي ومنهم تفرعت الطوائف المشهورة الآن بنو كاسب وبني شجاع وبني عزائم وبني فوارس والمعنية والحصنية ومنهم في بلاد الشام كثير وفي بلاد حلب ولهم فروع كثيرة متفرقة في البلدان والقرى منهم في بلاد بيروت وبلاد صيدا وبلاد صفد وبلاد حوران وحماة وحمص والمعرة واعمال حلب ايضاً ومنهم الآن بيوت وطوائف مقررة في اماكن معلومة الى يومنا هذا وهم يعرفوا بأولاد البزيرية الى الآن في الأنساب والتواريخ المؤرخة في الكتب السابقة فقد ثبت وصح بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة جمال الدين مفتي المسلمين ثقة الملوك والسلاطين ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم صدر الدين ابي الربيع سليمان بن سومر البصراوي المالكي الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها ادام الله ملكها وذلك في نهار الاثنين الرابع والعشرين

(١) لها وطاب • (٢) لها كثيرة •

(٣) و(٤) يعني سمي وتسمي ولها أمثال كثيرة فيما يلي (٥) يريد كثيرة •

من شهر صفر الخير من شهور سنة عشر وسبعائة ثبوتاً شرعياً واعتباراً مرضياً بالبيئة العادلة المرضية التي بثلتها أيضاً ثبت بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة حاكم الحكام نجر الأنام صدر مصر والشام بقية السلف الكرام مؤيد الشريعة محمد الأريحي الخنفي الحاكم بمدينة دمشق المحروسة سنة احد عشر وسبعائة وانه قد ثبت ايضاً بين يدي مولانا وسيدنا الشيخ الامام العالم العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين ثقة ^(١) الملوك والسلطين خالصة مولانا امير المؤمنين سليمان بن الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة سنة ثمان وسبعائة هو انه قد ثبت عندهم وصحّ لديهم أحسن الله اليهم اتصال نسب الشرف علي المنقول عن النسبة القديمة المتصلة بالانساب الشريفية العلوية من اولاد كاسب الى بلاد حلب علي وخلف واسماعيل فتقرر اسماعيل بن كاسب في قرية من أعمال حلب تبع قضاء مرمين تسما بنش وخلف تقرر في قرية مرتحوان وعلي تقرر في بنايل وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا ومنهم فروع من توجه الى ناحية الشرق الى بلاد البارة من اعمال حلب ايضاً المحروسة وأما بنّا بن كاسب تقرر بقرية تسما دلغا من اعمال حلب وحلال الدولة ^(٢) تقرر بقرية تسما بشتندلنتة من اعمال حلب واما شجاع الدين وعبد العزيز ومحمد ويكنى حيقه ^(٣) وحاتم تقرر في مدينة الشام وكال الدولة ومحمود اولاد عن الدولة توجهوا الى بلاد حلب وتقرروا في قرية تسما تلتينا المذكورة ايضاً وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا . وكل من لقب بالدولة نسبة لعز الدولة وكان لسليمان بن فارس الدين ولدات الدين ^(٤) الواحد منهم سماه سعيد والآخر اسماعيل تقرر في قرية في اقليم دربل تسمى بقعسم واما علي فارس الدين والدولة ^(٥) انتقل

(١) في الأصل ثقة ثم تصححت إلى ما يشابه بركة (٢) لاله جلال الدولة

(٣) لاله حيقه (٤) لاله ولدان اتان (٥) لاله الدولة هنا زائدة

الى بلاد حلب وتقرّر في قرية من اعمال سرمين تسما بانثنا وصار له فروع كثيرة الى يومنا هذا .

واما شرف الدين علي وعزّ الدين الحسين ابنا عزائم سكنوا مدينة حماة وتقرروا بها مدة من الزمان وتناسلوا وطاب لهم المكان فخلف عزّ الدين الحسين ولدين نجم الدين محمد وشرف الدين علي فلحقوا بعمومتهم اولاد كاسب واقاموا بها يقرؤا القرآن ويكتبوا المصاحف الى يومنا هذا ولم يتقرروا في بلاد حلب في قرية واحدة كلهم . ثم ان شرف الدين علي عاد الى مدينة دمشق المحروسة ومات بها رحمه الله تعالى وخلف ايضاً ولدين وهما عز الدين الحسين وشرف الدين علي وعز الدين بن شرف الدين خلف اولاد ذكور وسماه نجم الدين وشرف الدين وثبت اتصال نسبهم في النسبة السابقة المنقولة عن خط الشرف علي ايضاً لدى مولانا العالم العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين علي بن سليمان بحلب المحروسة سنة خمس وثمانمائة ادام الله ايامه وختم بالصلاحات اعماله وعاد علينا من بركاته وانفذ امره واحكامه في مجلس حكمه وقضائه بحضرة السادة العدول ثبت الله اشهادهم ورحم الله آباءهم واجدادهم وغفر الله لنا ولهم ولكافة المسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله الطاهرين الطيبين وصحبه اجمعين .

نقلت هذه النسبة الشريفة العلوية عن النسبة المذكورة نهار الاربعاء في شهر رمضان المبارك من شهور سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة هجرية على مهاجرها افضل الصلاة والسلام وهذه الاشخاص المذكورة في هذه النسبة جميعاً من سلالة الشرف علي بن الشيخ محمد الطوسي من سلالة النبي نوح عليه السلام مسلسلين واحداً بعد واحد إلى آخر الأئمة الفاطميين رضي الله عنهم اجمعين تم وكمل .

آراء وملاحظات

- ١ : ان اهم ما بلفت النظر في هذه النسبة ان تكون منقولة عن نسخة قديمة مؤرخة في رجب سنة ٥٠٥ هـ ١١١١ م بينما هي لا تتضمن نسبة كاتبها نصير الدين الطوسي بل تتعلق بنسبة ابنه علي الذي يقول انه نقلها عن النسبة المكتوبة بخط ابيه .
- ٢ : وفي ترجمة النصير الطوسي المدونة في فوات الوفيات لابن شاکر الکتبي يذكر انه خلف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر احمد ويقول ان علياً ولي غالب مناصب ابيه ، فلما مات ولي بعده الأصيل حسن وقدم هذا الأخير الشام مع غازان وحکم في اوقافها تلك الأيام واخذ منها جملة ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد فأساء السيرة فعزل وصودر وأهين فمات غير حميد ، وأما الفخر احمد فقتله غازان لكونه اكل اوقاف الروم وظلم . وهذا ينفي قدوم علي الى الشام كما تزعم النسبة فمن اين جاء اولاد علي اليها واستوطنوها .
- قد يرد على الذهن ان يكون اولاد علي جاؤا الشام مع عمهم الأصيل حسن وظلوا فيها بعد قفوله عنها ، ولكن النسبة تجعل الوارد الى الشام صدر الدين علي وهو لم يأبها بل مات اما في مراغة لأنه كان يتولى الرصد فيها بعد وفاة والده ، واما في بغداد التي انتقل اليها والده وصحبه وتلامذته كما يقول ابن شاکر .
- ٤ : أردنا ان نستوثق من وجود القرى التي جاء ذكرها في النسبة فسألنا عنها زميلنا المفضل الشيخ محمد راغب الطباخ من مؤرخي حلب فقال ان شتدلایا وتلتینا (ويقال لها الآن تلتینا بتائین بينها یاء) من قرى جبل الزاوية التابع لبلدة ریحاء ، وان بنش قرية كبيرة تبعد عن ادلب فرسخاً یر بها المسافرون من حلب الى ادلب ، وان مرتحوان شمالي معرة مصرین وهي تتبعها وتبعد عنها فرسخاً . قال ويوجد بها وفي الجبل الأعلى الذي هو قريب منها دروز .
- ٥ : وسألنا الشيخ ايضاً عن قاضي القضاة بحلب علي بن سليمان المذكور اسمه في النسبة انه كان سنة ٨٠٥ هـ فقال ان الشيخ كامل الغزي صاحب نهر

الذهب في تاريخ حلب استقصى اخبار القضاة ، ولكنه لم يذكر بينهم ذلك القاضي وقال الطباخ نقلاً عن ابن خطيب الناصرية من كتاب مخطوط : ان علي بن سليمان البرواناه الرومي ولي نيابة دار العدل لجلس بها وبين يديه القضاة فحكم وامضى الأمور على السداد وتوفي سنة ٧٠٩ هـ قلنا والفرق بين التاريخين يزيد على مئة سنة ، وعبارة المؤلف تتم على ان دار العدل هذه كانت في القاهرة عاصمة الملك .
٦ : عندي ثبت فيه اسماء بعض قضاة دمشق من سنة ٥٨٧ الى سنة ٧٢٢ هـ

ولم اجد بينهم اسم سليمان بن سومر البصراوي المالك الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها وسليمان بن بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة ، وقد يكون الثبت لم يتناول جميع القضاة فلانستطيع الحكم على القاضيين المذكورين هل كانوا على قضاء دمشق في التاريخين المحررين في النسبة ؟

٧ : ولعلّ أغرب وأعجب ما في هذه النسبة هو ما جاء في خاتمتها من ان أبناء الطوسي من سلالة النبي نوح عليه السلام وانهم تسلسلوا واحداً بعد واحد الى آخر الأئمة الفاطميين .

لذلك نرى ان في نشر هذه النسبة التي تحتوي على أسماء كثير من القرى والاشخاص فائدة تاريخية اذا ايدتها بعض الحوادث والأخبار المطوية في بطون الكتب والاصفار .

عبد الله مخلص

الريال المزيف

ويج الفقير فما تراه بلاقي سدت عليه منافذ الارزاق
عصفت به وبسره ريج الشقا فتساقطوا كتساقط الاوراق
فاذا بصرت به عجبت لشعة كالزعفران تجول في الاسواق
علق المجاعة مص بعض دمائه وتعسف الحكام مص الباقي

اخذ الشقا يدها فسارت خلفه والليل ممدود على الآفاق
سارت ، فماس الخيزران بقدها ورنت ، فذاب السحر في الاحداق
وتلوح آثار النعم بخدها كالفجر قبل تكامل الاشراق

اخذ الشقا يدها فان هي فكرت بصيرها صعقت من الاشفاق
وهت عزيمتها فألقت نفسها فوق الثرى وشكت الى الخلاق
تشكو بدمعها وذل فوادها وبما تحس به من الاحراق
يارب ! قالت وهي جانية له ان شئت حل من الحياة وثاقي
قد عشت عمري ما عرفت بريبة وعبدت بعدك عفتي وخلاقي
والآن والأيام ملاءى بالأذى قد اصبحت وقرأ على الاعناق
زوجي يمارب في التخوم وطفلي فوق الفراش تزيد في ارهاقي
من امها تبغي الغذاء لجسمها من امها تبغي الدواء الواقي
وطرقت ابواب الكرام فأصدوا ابوابهم فرجعت بالاخفاق ! ٠٠٤

سام الفتى عرضي ! فيالك من فتى كاسي الغنى عار من الاخلاق
هب ان اختك والزمان اصابها مثلي اصابت سافل الاعراق
افكان مراك ان ترى احسانه ثمن العفاف لضمة وعناق
خفف على عنتي الضعيفة واتد اني رأيتك آخذاً بخناقى !

ان الريال غني ولكن عفتي فوق الغنى ونفائس الاعلاق

أصون عرضي؟ وابنتي؟ وحياتها؟
 وعلاجها يحتاج للانفاق
 انا ان اعف قتلتها فعلام لا
 تحي بماء تعفني المهرق
 لا! لا تموت فانها لبريئة
 حسناء ماشبت عن الاطواق
 اني مفارقة ابنتي او عفتي
 فعلى كلا الحالين مر فراق
 والذنب للايام في حدثانها
 والذنب للاخلاق غير رواق!

رياه حلمك فلمصاب حمة
 وانا بواحدة يضيق نطاقي
 لو شئت موتاً لابنتي لأخذتها
 وجعلت طهري قدوة لرفاعي
 لكن اردت بقاءها واردت لي
 فقري ، انظمني وانت الساقى!
 ستعيش بنتي وليكن ماشئته
 ستعيش . . . لكن من لى العشاق

ومشت لموعده بماء جفونها القرحى وجر فؤادها الخفاق!

لو صوروا اللؤم الذميم فمثلوا
 (ذاك الفتى) عدوا من الحذاق
 ترعى السفالة في مجاهل قلبه
 وتطل ان شبت من الآماق
 ومتى يحاول حجب مكنوناته
 يلبس محياه حجاب نفاق
 قنص الفتاة بفقرها وشقائها
 « وبما تكابد من امي وتلاقي ! »
 حتى اذا اختليا اثنتي بوصالها
 وقد اثنت برياله البراق

رجعت وفي يدها الريال ورأسها
 رجعت وفي يدها الريال ورأسها
 وكأنها خطرت لها ابنتها وما
 تلقاه من الم الطوي المقلق
 فأصابها مثل الجنون فتمتعت :
 بشراك اني عدت بالترياق

هوذا الريال فانه نعم الذي يهب الشفاء لنا ونعم الراقي
هوذا الريال وقد تألق ماحق دجن المموم وقد اردن محامي!
هوذا الريال ولم يكن لولا ابنتي لبسومي نكراً عن الاطلاق!

ومضت الى الطباخ تلجم ملها قالت - وأدته الريال - الاعطني
بعض الغذاء واردد علي الباقي من جوعها بنتي امر مذاق!

نقف الريال باصبعينه وجسه وانتهال بالارعاد والابراق
قبجاً لوجهك . . .

سيدي أنسبني عفواً وتحسبني من السراق؟
- لا فالريال مزيف . . .
- أمزيف! . . .

سقطت على قدم الشقا بكت لها عين العلي ومكارم الاخلاق
وبكى عفاف الآنسات عفافها خلل السجوف بمدمع مهراق
يا طير عفتها فديتك طائراً هلا حذرت حبال الفساق

طلعت عليها الشمس وهي سجيبة وقتاتها ضيف على الاسواق
اما الاثيم فلا تزال شباهه منصوبة لنواعس الاحداق
يسقى الرحيق بأكؤوس ولو احوظ والله يكلاً - «وهو نعم الواقي!»

بشارة الخوري

مخطوطات ومطبوعات

جملوة المذاكرة وجملوة المحاضرة

الصلاح الصفدي من المكثرين من التأليف والمجودين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية هذا الكتاب ، أوله : الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن قال وبعد فهذه اوراق أودعتها أزاها ما حضر ذاكرتي ، وأدرج ضمنها جواهر ما قذفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فاتخبت منه هذه الزبدة ، ورقمته في هذه البرود المحورة ، وأنته في ربها الزاهرة ، والتزمت ان أورد فيها مارق معناه وراق لفظه وشق الإتيان بمثله وشاق حفظه . وهذا الاسلوب حافظ عليه اهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه اهل الذوق السليم من الناظرين والناثرين ، فجلوا أبكاره المستكنة في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أقماره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا به أطرى في المسامع وأطرب ، وأمسى في القلوب وأمرب

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر والقابها قال ان الشعر إن أثنى به على حي فهو مدح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهبت من الأعمار ما لو حوبته هنت الدنيا بأنك خالد

قال ابو الفتح عثمان بن جني رحمه الله تعالى : لو لم يمدحه الا بهذا البيت وحده لكان قد أبقى له ما لا يخلقه الزمان . وقال الشيخ تاج الدين الكندي : ما أجل هذا البيت وأحسنه ! مدح في مدح ، تركب من وجهتين بلفظ جزل لطيف ، وذلك انه بنى البيت على ذكر انه استباحه من المادية ، ثم تلقاه في آخره بسرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه .

وإن أنثي به على ميت فهو رثاء وتأيين كقول التميمي في ابن زياد :
 ردت صنائعه عليه حياته فكأنه من نشرها منشور
 قال بعض الأفاضل ما مات من قيل فيه مثل هذا البيت .
 ولو ذكر فيه لوئم او جبن او بخل او ماهو ملحق بذلك فهو هجاء كقول
 بعض العرب (١) :

قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا الأهمهم بولي على النار
 زعم بعضهم انه لم يُسمع أشد هجواً من هذا البيت وذلك أنه وصفهم بالبخل
 من كون نارهم تطفأ لثلاثيهندي الأضياف الى طلب قواهم ، ثم انه بالغ في
 وصفهم بشدة البخل ، لأنهم يطفئون النار بيول أمهم ، حرصاً منهم على الماء .
 ثم انه وصفهم بالجبن والكسل ، لأنهم يتركون أمهم لتتولى خدمتهم ليلاً ، ولم
 بأنقوا من ذلك ، ثم انه وصفهم بالعقوق ، وقلة الأدب إذ يخاطبون والدتهم بمثل هذا
 الخطاب السفیه ، ثم انه وصفهم بالقلة والصلعكة بحيث ان نارهم في القلة الى غاية تطفأ بيولة
 المرأة ، وقد تكلف بعضهم واستنبط منهم أشياء أخر بعيدة التأويل اضربت عنها . ولو
 ذكر اخلاف وعد ومطل وقلة وفاء وامثال ذلك فهو عتاب . والكتاب كله على
 هذا النحو وهو في ٢٠٣ صفحات صغيرة .

محمد كرد علي

الذخيرة لأربع إسام

كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة جزيرة الأندلس من اشهر كتب الأدب في الغرب ، فهو ككتاب بئيمة الدهر للثعالبي في الشرق ، وضعه صاحبه ابو الحسن علي بن إسام الشنبريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وكان اماماً في الصناعتين صناعة النظم وصناعة النثر . والكتاب يحمل صفحات اطالت حجمه ، ولكنها ابانت عن اقتدار المؤلف وايتاره الاستقصاء ، وثبت بها ان اهل الاندلس ما كانوا يقولون عن اهل الشرق بأدبهم الذي تقرأ فيه طابعم .

وقد حمل هذا الجزء الأول ترجمة المستعين بالله سليمان بن الحكم والمستظهر بالله وابن دراج القسطلي وعلي بن حمود وابن برد الاكبر والوزير عيسى بن سعيد القطاع وعبد الوهاب بن حزم والفقير ابي محمد بن حزم ومنذر بن يحيى التجيبي وابن شهيد وابن الافليلي وابن زيدون وابن حناط الكفيف وغير ذلك من الحوادث السياسية . واستوفى تراجم الأمراء الفصحاء والشعراء والأدباء والعطاء .

ومن مطالعة هذا السفر يتجلى الأدب الأندلسي كل التجلي . ويعرف بما نقل المؤلف في كتابه عرضاً ان حملة الأقلام واعلام الشعراء كانوا يتأدبون بأداب الأقدمين والمحدثين من العرب ، وكانت معرفتهم ثاقبة بأدب كل من نبغ في عصرهم في الشرق . وقد تسقط لأدبائهم على آراء غريبة ، ولا عجب فطابع كل ادب مقتبس من بيئته ، ولهذا كان ادب الأندلس غير ادب بغداد ودمشق والقسطنطينية .

من ذلك ما رواه ابن إسام للوزير عامر بن شهيد : « واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين ، ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه في اصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها ، وأروق لسانها ، ومن كان جسمه مستولياً على

نفسه — من أصل تركيبه — والغالب على حسه ، كان ما يُطلع من تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الأولى في الكمال والتام وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتي منه في حسن النظام ، صور رائعة من الكلام ، تملأ القلوب ، وتشغف النفوس ، فإذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أسماً لم تعرفه ، وهذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير حسن (ص ١٩٧) .

وقال ابو عامر (٢٠٢) : « وكما أن لكل مقام مقالاً فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة . وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ، ولا تهش لسواه ، وكما أن الدنيا دولاً ، فكذلك للكلام نُقلٌ وتغاير في العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ، فالصنعة معهم أفسح باعاً ، وأشد ذراعاً ، وأنور شعاعاً ، لرجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دورانا ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم ، ففرقت الطباع ، وخف ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعتري اهله باللطائف صلف ، وبرقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابها . »

لا جرم ان حرص الاندلس على الأخذ من الشرق وأدبه ، ووقوفه بالمرصاد لمراقبة حركته العلمية كان من الخير للأدب ، مثال من ذلك صغير ، ولكنه يدل على أمر عظيم ، قال ابن بسام : (٣٦٥) وكان ابن جهور كسر دنان الخمر ، وكان مدحه أيضاً بومئذ يمثل ذلك عبد الرحمن بن سعيد المصغر بشعر أوله :
كسرت لجبر الدين أوعية الخمر فأحرزت خصل السبق في الكسر والجبر
عمدت الى الشر الذي جمعوا له ففرقت منه ، فاسترحنا من الشر

في أبيات غير هذه استبردتُ جملتها ، وإنما ذهب الى عكس قول من تقدم
من 'عبث الشعراء من ذم صبّ الشراب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة
الكوفي ، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

يا لقومي مما جنى السلطان لا يكن للذي أهان الهوانُ
سكبوا في التراب من حلب الكر م عقاراً كأنها الزعفرانُ
صحبها في مكان سوء ، لقد صا دف سعد السعود ذاك المكان
من كميت بيدي المزاج لها لو لوى نظم والفصل فيها 'جمان
فاذا ما اصطبحتها صغرت في القدر عندي من أمه الخيزران
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصبر عن بعض نفسه الانسان !

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات فقال للمنشد : « من حق الفتوة
أن أكتبها قائماً ، وما أقدر إلا ان تعمدني » لنقرس كان به . قال المحدث :
فعمدته وقام فكتبها . »

ومن ذلك قطعة ظفر بها ابن بسام لسليمان بن الحكم الأموي الذي يوبع
بالخلافة سنة اربعمائة « عارض بها هارون الرشيد » فتشعشت بها الكووس ، وتهادتها
الأنفاس والنفوس ، قال هارون الرشيد :

ملك الثلاث الآسات عناني وحلن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعن ، وهن في عصياني !
ماذاك إلا أن سلطان الهوى — وبه قوين — أعز من سلطاني
فقال سليمان المستعين :

عجياً يهاب الليث حد سناني وأهاب لحظ فواتر الأجضان
فأقارع الأهوال لا متهيّباً منها سوى الإعراض والمجران
وتملك نفسي ثلاث كالدمى زهره الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري من فوق أغصان على كئيبان

هذي الهلال ، وتلك بنت المشتري حسانا ، وهذي اخت غصن البان
 حاكت فيهن السلو الى الصبا فقضى بسطان على سلطاني
 فأبجن من قلبي الحمي وتركني في عزتي ملكي كالأسير العاني
 لا تعذرلوا ملكاً تذلل للهوى ذلُّ الهوى عزُّ وملك ثاني
 ما ضرَّ أني عبدُهن صبايةً وبنو الزمان وهن من عبداني
 إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلست من مروان . »

ومن فوائد هذا الجزء ما صدر عن المظفر بن ابي عامر بقلم ابن برد الأكبر
 من كتاب يدل على مبلغ حرص الاندلسيين على اللغة وجمال الخط والوضع قال
 في معنى استكتاب الجبهة (٨٧) (٠٠٠) فلم يبلغ ان يحكم الخط فيقيم حروفه ،
 وبراغي المداد فيجيد صنعته ، ويميز الرق فيحسن اختياره ، ويجزئه الحزم النافذ
 والحكم الصادع ، بان يكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والاعداد
 في رؤوس رسومها ، بخطوط أيدي القواد والعمال ، من كان منهم كاتباً فييده ،
 ومن لم يكتب فيخط كاتب له معروف ، وان تكون تسمية طبقات الأجناد
 فيها بينة الحروف قائمة الخطوط ٠٠٠ على أنه إن ورد لأحد من الخدمة بعد
 وصول ذلك العهد اليه كتاب اعتراض او عمل في رق ردي ، أو بمداد دني ،
 او خط خفي ، فيه لحن ، او كتاب على بشر في عدد ، او رأس رسم ما لم
 يخف او يقع في حشو الكتاب ويعتذر منه ، ليطلن سعي كاتبه فيما كتب ،
 وليعاجلن بقوبة العزل واغرام المال الثابت عدده في ذلك القنداق ٠٠٠ وان
 قوماً من خدمة الحضرة قد عادوا لما نهوا عنه فكتبوا الخط الدقيق في دني الرقيق
 دقةً من همهم ودناءة في اختيارهم ، وجهلاً بأن الخط جاه الكتاب وسلك
 الكلام ٠٠٠ وانا أعطي الله عهداً لئن ارتفع اليّ — بعد بلوغ عهدي هذا أقصى حدود
 المملكة وانتهائه أبعد أقطار الطاعة — كتاب على الصفات المذمومة ، والاحوال
 المسخوطة ، من رقّ او مداد او خط لأوفين لصاحبه بما قدم اليه من الوعيد . »

قسم المؤلف كتابه أربعة أقسام : قسم لاهل قرطبة وما صافها ، وآخر لاهل الجانب الغربي من مدن الأندلس ، وذكر اهل اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، والثالث اهل شرق الاندلس ، واستوعب القسم الرابع من طراً على جزيرة الاندلس من مشهوري الآفاق بمن نجم في عصره بافريقية والشام والعراق . واعتمد على ما كتبه ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم في الحوادث السياسية واقتصر على ما كان من شعر معاصريه ، ولم يعرض لمن كان قبله لأن من سبقه من المؤلفين وضعوا لذلك الكتب فلم يجب ان ينازعهم .

تصدى المستشرق الفرنسي ليفي پروفتنصال للبحث عن الكتاب واختر مصر لنشره ، فألف القسم العربي في كلية الآداب من جامعة فؤاد الاول لجنة من طلابها الناهيين تعد الكتاب للنشر ، ثم تعرض اعمالها على لجنة قوامها اصدقاؤنا الاساتذة الدكتور طه حسين بك واحمد امين بك والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والسيد عبد الحميد العبادي والدكتور عبد الوهاب عزام والسيد ليفي پروفتنصال ، فخدم الكتاب بذلك اجل خدمة ولم تقع فيه غير هنات قليلة لا يخلو منها كتاب قديم يراد احياؤه على الطرائق العلمية الحديثة .

وكان السيد پروفتنصال اطلعني على بعض تعاليق على هذا السفر وضعها بالفرنسية على عادة علماء المشرقيات منذ القديم ، وكانوا يضعون ملاحظاتهم على ما يجربون نشره من كتبنا بلغاتهم الغربية ، وأصبحوا منذ عهد قريب يجهلون بالعبيرية لغة الكتاب ، فطلبت اليه أن يكتب ملاحظاته بالعبيرية ، ولقت انظار لجنة نشر الكتاب الى ذلك فوافقوا على رأيي ، ولطالما لاحظت على بعض العلماء المستعربين من الغربيين في هذه المجلة ، كلما نشروا كتاباً لنا وجعلوا مقدمته وهوامشه بلغاتهم ، ذاكراً لهم ان الكتاب لا تتناوله أيدي المستشرقين فقط ، بل أيدي ابناء العرب ، ومنهم من لا يحسن اللغات الاوربية ، فكتابه التعليقات بغير لغة الكتاب الاصلية ضرب

من العنت يحرم بها قسم عظيم من الراغبين في الاستفادة من الكتاب ، وكان الاستاذان ريتو ونيدبرغ هما اللذان سنا هذه السنة الحسنة للمستشرقين فجعلنا ملاحظاتها ومقدماتها بالمرية على ما نشرنا من الامهات ، ومنها الوافي بالوفيات للصفدي ومقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين لابي الحسن الاشعري والانتصار للخياط . وقد وعد المقدم للكتاب الدكتور طه حسين ان يصدر الكتاب في مجلدات ثمانية لكل قسم من أقسامه مجلدان ثم تصدر اللجنة بعد تمامه مجلدين احدهما يشتمل على فهارس في موضوعات الكتاب وما فيه من الاعلام والثاني يشتمل على ملاحظات مفصلة تمس النص وتصل بالنسخ المختلفة والمراجع التي يرجع اليها المؤلف في تأليفه ورجع اليها المصححون في تصحيحهم وعلى معجم الالفاظ والاصطلاحات الاندلسية التي لا توجد او لا توجد الا قليلا في كتب الشرق ، فترجو لهم اتمام هذه الامنية ونشكر لجامعة فؤاد الأول عنايتها باحياء هذه المعلمة الاندلسية على نفقتها وللجنة التأليف والترجمة والنشر على طبعها لها في مطبعتها على المثال المتقن الذي عودتنا عليه من اصدار مطبوعاتها النافعة .

محمد كرد علي

ديوان طفيل بن عوف الغنوي

وربوان الطرماع بن مكيم الطائي

عهدت لجنة ذكرى «جيب» الى المستشرق الكبير الاستاذ ف . كرنكو المعروف بين قراء العربية بسالم الكرنكوي بتحقيق وتخرىج هذين الديوانين المجموعين في مجلد واحد محفوظ في المتحف البريطاني ورد في آخره انه كتب سنة ثلاثين واربعائة .

أما الديوان الأول فهو ديوان الطفيل رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعي . عدد قصائده عشر مع شرح موجز للسجستاني ، عدا ما استدركه الاستاذ كرنكو فجعله ملحقا للديوان وهو ما عثر عليه من شعر الطفيل مما لم يذكر في الديوان . والطفيل هذا شاعر جاهلي فارس ينسب الى قبيلة غني من قيس بن عيلان ، قاد قبيلته وأغار بها على طيء . وشعره يمثل حياة البادية في الجاهلية ويكاد يكون سجلا للاحداث الخطيرة التي شهدتها قبيلته ، يذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد واطراف الشام وحروبها مع طيء وموالاتها لبني الحارث بن كعب وبني جعفر وبني سعد بن عوف وبفخر بمساعيها ويرثي شيوخها .

واكثر ما يحتفل به من المعاني وصف الخيل والتفنن في نعتها والثناء عليها والافراط في حبها والاكتثار من ذكرها حتى سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وعد من اشهر من وصفها وجعله صاحب الأغاني اوصف العرب للخيل . قال عبد الملك بن مروان : «من أراد ركوب الخيل فليرو شعر طفيل» وله في وصف الابل ما هو دون ذلك .

وهو في اكثر شعره جاد ، مقتصد في غزله متصاون فيه قليل اللهولا يكاد يعبث ، يصف الغارات وبلاء قومه فيها ويتغنى بالشجاعة والكرم والعفة والمآثر

وبفخر بها ويحض عليها ولذلك أحبه رجال الجد والعمل كعابدة وعبد الملك ،
فقد روي عن معاوية انه قال : « دعوا لي طفيلاً وسائر الشعراء لكم » وروي
عن عبد الملك انه قال لولده واهله : « أي بيت ضربته العرب ووصفته اشرف
حواء واصلاً وبناء ؟ فقالوا فاكثرنا وتكلم من حضر فأطالوا ، فقال عبد الملك :
أكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقول فيه :

وبيت تهب الريح في حجراته بارض فضاء بابه لم يججب
سماوته أسمال برد محبر وصهوته من التجمي معصب
وأظنا به ارسان جرد كأنها صدور القنا من بادي ومعقب
نصبت على قوم تدر رماحهم عروق الاعادي من غير وأشيب

ويأتي بعد ديوان الطفيل ديوان الطرماح بن حكيم الطائي وعليه شرح موجز
ولكن لم يذكر فيه اسم جامعه ويظن الاستاذ كرنكو انه الطومني احد من جمع
شعر الطرماح ، وعدد قصائد الديوان ثمان ، ويليهما ذيل جمعه الاستاذ كرنكو وفيه
طائفة صالحة من شعر الطرماح مما خلا منه الديوان .

والطرماح ينتهي نسبه الى طي وهو من نخول الشعراء الاسلاميين ولد في
الشام حوالي منتصف القرن الأول ونشأ بها وانتقل من الشام الى الكوفة مع
جيش من جيوش اهل الشام ، وفي الكوفة مال الى مذهب الخوارج فاعتقده أشد
اعتقاد واصحه حتى مات عليه . وذهب من الكوفة الى بلاد فارس واقام بالري يشتغل
بالتعليم ، وعاد في آخر ايامه الى الكوفة وتوفي فيها بعد انقضاء القرن الأول بقليل .
كان الطرماح واسع الرواية تعلم النحو وطلب غريب اللغة وعلم الأدب . وشعره
وأخباره تدل على استقامة وجد وحزم وتقوى شأن اكثر الخوارج ، فلم يكن يميل
الى العبث واللغو بل يغلب عليه الجد والعفاف . وهو مع علو همته وانفته فخور تياه
يفخر بنفسه ونسبه ويتعصب للقطانية على العدنانية ويعتز بقبيلته واسلاميته وشاميته
واشعاره في ذلك غير قليلة .

وتغلب على شعره الجزالة حتى تنتهي في كثير منه الى الغريب والعويص ويظهر عليه أثر الاسلام واضحا جليا . نقرأ شعره فترى نفس شاعر فارس سمح جم المروءة حمي الأنف كبير النفس حسن الايمان لا يكاد يصرف شعره في سبيل الزلنى والتكسب بل يرسله معبراً عما يخرج في نفسه من بواعث الشعر فيصف ويتغزل ويفتخر ويهجو ويرسل المثل وينطق بالحكمة والموعظة . وتكاد تكون جميع قصائده الطويلة من هذا النوع لم يمدح بها أحداً ولم يرث بها أحداً بل قالها لوجه الشعر . وإلهام البادية في شعره أظهر - مع أنه حضري نشأ في الشام ودخل بلاد فارس - اذ ترى فيه لمع السراب وتشم منه عقب الشيخ والقيصوم وتسمع عذيف الجن ورضا الابل وهو يعد من أكثر الشعراء تبعاً لغريب اللغة وعويصها ولغته في قسم كبير من شعره أشبه بلغة الرجاز الذين كانوا يباهون بالغريب مثل العجاج وابنه رؤبة وابي النجم ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماح لا يتكلف الغريب في كل شعره بل في قسم منه .

ومن مختار شعر الطرماح قوله يفخر :

لقد زادني حباً لنفسي اني	بغيبض الى كل امري غير طائل
واني شقي باللثام ولا ترى	شقياً بهم الا كريم الشائل
اذا ما رأني قطع الطرف دونه	ودوني فعل العارف المتجاهل
ملاأت عليه الأرض حتى كآتها	من الضيق في عينيه كفة حابل
اكل امري النى اباه مقصرا	معاد لاهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطى	ولا يضطني من شتم اهل الفضائل
وما منعت دار ولا عزاً اهلبها	من الناس الا بالقنا والقنابل

ولقد ترجم الاستاذ كرنكو الديوانين المذكورين مع ما استدركه عليهما الى اللغة الانكليزية وجعل لها مقدمة ضافية وفهارس للقوائد والمقطوعات والاعلام والمظان ومعجماً لفردات الديوانين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتدقيق تم على علم وفضل وبراعة .

فهلين مردوم بك

ملحق على العربي

صفر سنة ١٣٦٠

شباط سنة ١٩٤١

الجزء الثاني

سخي ف عاداتنا (*)

تبدل العادات بتبدل الدول والمدنات ، وتفعل في تلوينها كثرة المهاجرات والرحلات ، ويندر ان تنفق عادات بلد مع بلد أو اقليم مع اقليم . ومن العادات في ديارنا ما هو جميل لا ضرر فيه ، ومنها ما هو قبيح يحمل أضراراً . وكلامنا هنا على هذا النوع الأخير الذي يتأذى منه أرباب الذوق وعشاق النظام . وبغير التعليم لا سبيل الى نبد العادات السخيفة ، فبالعليم تتحد المنازع ، وتقل الفوارق ، ويشيع بين المواطنين كل حسن نافع .

من عاداتنا في اللقاء أن يباغت الرجل صاحبه في بيته أو في محل عمله في الوقت الذي يناسب الزائر وقد لا يناسب المزور . ومن النادر ان يستأذن الطارق ، كأن يقرع الباب بلطف ، ويقف ريثا يسمح له بالدخول ، وقد نسيت عادة الاستئذان ، وكانت مستحكة عند أجدادنا في القرون الماضية ، فعدنا نقتبسها اليوم من الافرنج . ومن المؤسف ألا تكون لنا اوقات معينة للزيارات ، ولقاء الاخوان والمعارف ، وان تترك مثل هذه الأمور الجوهرية فوضى ، وقد جعل بعض السيدات في المدن يوماً خاصاً لاستقبال صويحباتهن وذوي قرباهن ، فنقدم في هذه الأثرة رجالهن . كان الرجل اذا دخل مجلساً يوسعون له فقط ، فيسلم ، ويسلمون على عادة العرب في الجزيرة الى اليوم ، وكان ينذر القيام للزائر الا اذا كان لعظيم مجمع على عظمته ،

(*) محاضرة الأستاذ محمد كردعلي في راديو الشرق (بيروت) مساء يوم ١ شباط ١٩٤١

يقومون له مرة واحدة ، وألقوا لعهدنا ان ينتصبوا قائمين لمن كان ذا حرمة في ذاته كلما دخل المجلس وخرج منه ، ولو تكرر ذلك عشر مرات ، يزعمون انهم يكرمون صاحبهم بذلك ، وقد يكون الرجل في بيته ، وجماعته يحاولون اكرامه ، واجلاسسه في المكان الذي يتخيّلون انه رفيع ، وما أرى وجهاً لا اكرام الرجل في داره ، وواجبه هو ان يحتفي بضيوفه وزواره .

وإذا دخل المجلس صاحب شأن في الدولة فالخفاوة به تزيد على الخفاوة بغيره ، وكلما كان الداخل رب جاه وغنى ، او ممن يخشى شره وان كان لا يرجى خيره ، يزيد الاحتفال به والاقبال عليه ، فيهب كل من فيه هبة رجل واحد ، وبأخذون يده ليجلسوه في المكان الممتاز بينهم ، او الذي يتوهمون انه ممتاز ، وقد تكون المقاعد كلها متشاكلة ، لا فرق بين ما كان منها عند الباب ، وما جعل في صدر المجلس ، فيقف الحضور على الأقدام دقائق حتى تتم هذه العملية ، وتسمع خلال ذلك الايمان والحلف بالمولى وبغيره ، ويفعلون مثل ذلك اذا انتروا الدخول الى مجلس او الخروج منه ، فاذا اجتمعوا يتعب أهل المجلس حتى يرضى الداخل ان يتخذ مقعده الذي يجري الاتفاق على ان يخصوا به زائرهم وجالسهم ، ويقتنعون بأنهم قاموا باجلال صاحبهم ، وفي الغالب انه لا يتم ذلك كله حتى يشدوا الداخل من يده أو يدفوعه في صدره ، اذا أبى مطاوعتهم على ما يخصونه به من الاكرام .

ولطالما ابتعدت عن الوقوع في حكم هذه العادات القبيحة التي تؤذي القادم على المجلس ، وتعطل وقته وأوقات من اجتمع فيه ، وقد لا انجو من هذا التكريم الذي لا معنى له الا بعد اسماع من يحاول شدي كلاماً قاسياً أذفعه به عني ، فأجلس حيث ينتهي بي المجلس ، على ما اهوى لا على ما يهون ، لا استجيز اخذ مقعد أحد بعده المسكين مكاناً مشرفاً له ، ولا اختار موضعاً يأتي بعد لحظة شخص أكبر مني ، أو شيخ معمم متزمت أو احد من في قبضتهم الرواتب والمناصب من الحكام ، فاضطر الى أن اتنازل عنه مرغماً .

وكانت لطبقة الاعيان في مجالسهم عادة من أقيح ما يسجل من انواع العادات ،
 مرت اليهم من الترك العثمانيين غالباً ، وذلك ان تبدأ عملية أخرى ، بعد العملية
 المقدمة التي كان فيها الدفع والجر والحلف ، لا تقل عن عملية اجلسه غرابية ،
 وهي انهم اذا جلسوا يسودهم السكوت بضع ثوان ، وناظورة المجلس ، ومن كان
 في طبقتهم ومقامهم يتغامزون ، ويسترحم الواحد من صاحبه ان يبدأهم بالسلام .
 فيصرف المتشاكلان في السن وقتاً حتى يتم السلام ، وبنال الكبير في نظرهم هذا
 التشریف ، ويفض هذا الاشكال . وبعد ذلك يحق لأهل المجلس أن يسلم بعضهم
 على بعض . وكادت هذه العادة تبطل وهي من أسخف ما ألف المتنتعون .

وتجبيء بعد ذلك مشكلة أخرى وهي تقديم القهوة للحاضرين ، وفيها ما يعث أيضاً
 بأداب المعاشرة ، ويضيع على الحضور وقتهم . فيأتي من يقدر الخادم او الخادمة انه
 كبير المجلس ، ويخصه اول الحاضرين بالفنجان الأول ، فلا يرضى اخذه فينشأ
 المناول ينتقل بما يحمل من ضيف الى ضيف ، فيأبى كل من يقدم اليه . . . فنجاناً ،
 ويشير بأن يخص بهذا الشرف من هو اكبر منه ، وتبدأ الأيمان والرجالات وقد
 يقوم بعضهم من مكانه ويحمل فناجياً الى آخر يراه لائقاً بالاكرام ، وعندئذ يستقر
 الرأي على أن يتناول المقدمون أقداحهم ويتمتع الباقون بأخذها ، وذلك بعد أن
 ينفد الصبر وتبرد القهوة والشاي وغيرهما . وفي الغرب يتناول المرء ما يعرض عليه ،
 وقد يؤثرون السيدات بالتقديم ثم يأخذ الرجال بدون تفريق بين كبير وصغير ،
 ويرجع ذلك الى تقدير الساقى ، وقد اقتبسنا عن شيوخنا عادة البداية بالميامن ،
 فيقدم الساقى القهوة او غيرها آخذاً من اليمين اي يمينه ، ولو كان المتناول الاول
 وليداً او وضعياً بالقياس الى من في صدر المجلس ، وهي عادة مستحسنة توفى على
 الناس أوقاتهم وحظهم وسخافاتهم ومشكلاتهم .

ومن منكر عاداتهم اذا اجتمعوا ان يخلطوا بين الأحاديث ، وقد يهمس الجار

وجاره ويخرجان عن ادب الجماعة ، هذا اذا لم يتكلموا كلهم معاً بحيث يضع النظام ، كما كانت تختلط اصوات النسوان في الحمام .

ومن أشنع ما ألفوا من العادات عادة لهم يطبقونها في الشارع ، وذلك أن احدهم اذا لقي أحد معارفه ، وقد يكون هذا مع صاحب له أو أكثر ، ووقته يحفره للاسراع ، فيستوقفه ويسأله أسئلة عرضت لخاطره في تلك الساعة ، ورفاقه ينتظرون الفرج لحل عقاله ليحل عقالمه معه ، وقد يكونون مثله ضيقاً وقتهم ، ويجاؤون الوصول الى عملهم مسرعين . وربما كان ايقافه هذا لسؤاله عن الحوادث التي تنشرها الجرائد كل يوم ، او لأخذ رأيه في مسألة سياسية تشغل بال الناس ، ويحتاج الجواب عليها الى بضع دقائق أو أكثر ، او للتوسط لمبطل او للسؤال عن عاقل الى غير ذلك من التافهات . وكثيراً ما كان يستوقفني بعضهم فأمتنع من الوقوف ، وهم يقسمون عليّ بكل مغلظة من الأيمان أن أجيبهم الى سؤالهم في دقيقة واحدة فلا اجيب ولا أف ، وجوابي وأنا مسرع الخطى ، ان الكلام في الموضوع لا يتأق في الشارع وان مثل هذه المسائل يبحث بها في خلوة ، وفي وقت فراغ .

كنت في وزارتي الأولى خارجاً من داري صباحاً قاصداً مكنتي على قدمي . وكان الشارع مكتظاً بالخلق ، والطريق يجري تعبيده ، والمعبدة (١) ذاهبة جائية ، وقضبان الحديد الطويلة محمولة على العجلات ، وعربات النقل تحمل الاحجار والاسمنت والحصى ، والفلاحون آتوت بمحاصلاتهم الى الاسواق على بهائمهم ، ومركبات الترام واقفة لا تستطيع ان تتقدم ولا أن تتأخر . في هذه الحال من الازدحام الخطر اقرب مني أحد معارفي من متقاعدتي ضباط الجيش العثماني ، وسألني حل قضية لأحد اقاربه ، فقلت له : تعال الي مكنتي نبحت في المسألة . فقال : أود أن تعطيني رأيك الأخير وتعاهدني على ان تسير بما يلتئم مع مصلحة نسبي . فأجبت ان المسألة تحتاج الى ان ارجع الى اضبارة القضية ، وأظني قلت ومراجعة القانون ، فقال : أنا اطلب منك ذلك لأمل فيك ، فقلت الآن يتعذر

(١) بالتشديد : آلة التعبيد

ذلك ، فأنت ترى أننا في خطر من هذا الزحام ، والفكر مصروف الى التوقي من الصدمات . فتأفف من كلامي ، وعندها قلت له متألماً من قلة ذوقه وتقديره للحال : أنت تخرجت من مدرسة نظامية ، وتوليت أموراً ادارية في الجيش فيما أحسب ، وتعرف أكثر من غيرك معنى الرجوع الى المعاملة الجارية ، فما هذا التحكم ؟ ويكثر مثل هذا المعجز ، وكانوا يلتمسون مني في الطريق أن اقضي لهم أشغالهم كما قد يطلبون الى الطبيب أن يعطيهم تذكرة يضعها لمدواوتهم ، ويقرظونني ويقولون إن مسألتهم مها كانت صعبة فييدي حلها ، أو ما أشبه ذلك من عبارات الاغراء . كأن الوزير جاء ليعمل لأرباب المصالح بدون التقيد بالقوانين ، وليرضي كل انسان بما يجب بالحق والباطل . ولذلك اضطرت في الوزارة الثانية الى استصحاب شرطي ، وبخاصة اذا كنت وحدي سائراً على قدمي ، والعوام قد يرهبون الشرطي أكثر من الوزير ، لأن الشرطي يدفع عن مخدومه من يقع في نفسه دفته ، وينجيه عنه بلطف أو بالعنف واذا اقتضى الحال يلطمه ويكتب فيه محضراً او ضبطاً ، أما الوزير المسكين فلا يستطيع عمل شيء من هذا ، وغاية ما يتطلب من حلم المراجعين ان يشخصوا اليه في مكتبه ، ومكتبه مفتوح الباب لهم ساعات طويلة من النهار ، وهو وديوانه مستعدان لحل المشاكل ، وقد تقدم لهم القهوة والشاي والمرطبات ولفائف التبغ وبلاطون ويوانسون .

ووقاك الله من سخافات القوم في دعواتهم ، وفيها تتجلى درجاتهم في المدينة ، وتقرأ نفسياتهم الغريبة . فقد يدعو الرجل أحباباً او معارف له من مختلف الطبقات لا رابطة تربطهم ، ولا سبق لهم ان تعارفوا ، ويتفق ان يكون في المدعويين بعض المتعادين المتخاصمين او المتنافسين المتباغضين ، فتحصل سكتة في الجلسة ، ويقطب ، بعضهم وتهيج أعصاب آخرين ، ولا يهناؤهم الطعام والشراب ، ولا يطيب سمرهم وحديثهم وقد يقذف بعضهم بعضاً بتعريض مؤلم ، ويسمعه الفاظاً جارحة ، فيتألم المقذوف ، وتتقبض صدور من لا غرض لهم من المدعويين لسماح أشياء هم في غنى عن سماعها

في مثل ذلك الوقت ، وهو وقت مرور وراحة ، وصاحب البيت يحار في ارضاء ضيوفه ، ويحاول التوفيق بين المتعادين .

وفي العادة ان يأتي المدعوون بعد الميعاد الذي ضربه لهم صاحب الدعوة ، و كثيراً ما يتخلف بعضهم الساعة والساعتين عن الوقت المقرر ، وصاحب المأدبة لا تسمح نفسه ان يقدم طعامه لمن اجتمع فيشدد بهم الجوع ، ولا يدرك الداعي انه باكره من حضر على انتظار من تخلف يجنفر من لبي الطلب في الوقت المعين ويضيع عليهم اوقاتهم ، وقد تكون لهم مواعيد أخرى ، ولا يأذن باطعام مدعويه الا اذا تم الحشد كله وربما حدثته نفسه أن يرسل ولده او خادمه يسأل عن المتخلف ويستحثه ، وفي الغالب ان المتخلف لا يعتذر شفاهاً ولا كتابة ، وعلى هذا يستلزم تناول وجبة من الطعام ان يصرف المدعوون بضع ساعات .

ومن المستحيل ضبط المواعيد بين كل الطبقات في هذا الشرق القريب ، لأن القوم ما عرفوا التوقيت ، وربما كان ضبط المواعيد مما يستغربونه ، وكما تقدموا اشواطاً في مضمار الحضارة يحسنون المحافظة على اوقاتهم وأوقات غيرهم . ومسألة المواعيد من المسائل التي شغلت جانباً من وقتي ، وكنت آلم من الاخلال بها ، وقد تغلبت عليها ، وغرستها في صدور بعض الناشئة بصعوبات كثيرة ، ومن المتعذر التنظيم وسط الفوضى . وقد لقت من أحاطوا بي ورأستهم ، وان شق عليهم عملي بادي بدءاً ، ان يراعوا المواعيد ابداً لما في فوضى الاوقات من الضرر لهم ولغيرهم ، حتى لا يثبتوا بالاخلال بالأوقات انهم شعب منحط .

وتراهم الى اليوم متى اجتمع المدعوون على الخوان يشد بعضهم بعضاً ، فيجلسون من يحاولون اجلاسه في مقام السكرمة ، ثم يجلسون الأمثل فالأمثل بحسب نظرهم او عرفهم . وعاداتهم في تناول الطعام قد دخلها تحسين كثير ، فتراهم لهدنا كالغربيين يجعلون امامهم اطباقاً لكل شخص ، ومعها كأسه ومنديله ، وسكينه وملعته وأدوات آكله ، يتناول كل انسان الكمية التي يبغيها ، يضعها في طبقه من الصحن

الكبير الذي يقدمه الخادم او غيره ، او يكون على متن المائدة مع سائر الصحون والاطباق ، وكان المدعون كلهم قبل ٠٠٠ سنة يتناولون المرق والحساء وجميع السوائل من اثناء واحد على نحو ما كانوا يتناولون المائعات ويشربون من اثناء واحد ، وكان والدي وانا طفل ينحس كل انسان من أمرته او ممن بدعوم باناء يجعل لنا فيه حصتنا من المرق والحساء ، وبعض المدعوين يستغرب ذلك منه . وكانت سكاكينهم اصابهم ، وملاعقهم حفناتهم ، والملاعق اذا وجدت فتكون من الخشب غالباً ، ولا يزال لها اثر في بيوت الفلاحين المعدمين ، واذا طعموا او شربوا سمعت لهم قرقرة على صورة مستنكرة تدل على جشع ونهم وسوء أدب وتهذيب

ومن عاداتهم اذا تناول احدهم كأس ماء أن يبادره الحضور كلهم بقولهم (هنيئاً) فاذا شرب على المائدة ثلاث مرات وكان مواكلوه عشرة أشخاص فقط يضطر الى أن يجيب كل واحد بمفرده (الله يهنيك)

ومن عادات الغرب الجيدة التي مرت الينا التآني في تناول الطعام واجادة المضغ والبلع ، وقلما يسمع من احدهم صوت ماضيه عند التهام اللقمة او عند تناول الماء او الشراب او الحساء او المرق . ومعيب ان ينفخ احد على الشاي او اللبن الساخن او القهوة او غيرها حتى تبرد ، وعليه ألا يتناول أشياء من الطبق العام الا بملعقة خاصة بالطبق نفسه ، ويدخر ملعته وشو كته لطبقه الخاص ، فيأخذ ما يأخذ جرعة جرعة بدون ان يسمع صوت لما يكرع ويشرئق ، ولا يمد يده زيادة عن اللزوم ولا يقف على قدميه لتناول ما بعد عنه من الاطباق والابازير والمشهيات والخبز والماء وغير ذلك مما يجعل على الخوان عادة ، وله أن يطلب ذلك بأدب وصوت خافت الى مجاوره ومواكله القريب وهذا يرى من واجبه ان يخدمه في ذلك ولو كان كبير المنزلة ، واذا تعدت حدود مقعدك فحاولت تناول شيء بعيد عنك يعد عمك احتقاراً له .

ومن أبعث ما يأتيه بعضهم التجشوء بصوت عال ، والتنخع بما يسمع صدها ،
وان بعيد المنتخع طيَّ المندبل الذين التي فيه نخامته ؛ اما البصاق على الارض
والتمخظ باليد كيف اتفق ، وادخال الأنامل في الأنف لاختراج النخامات او ادخال
اليد في الاذن لاستخراج اوساخها فمن أبعث العادات وأضرها ، فعلى ادارة الصحة
منعها ومعاقبة من يأتيها من العامة . وعلى المجالس البلدية أن تعاقب في المدن والقرى
كل من يخرج الى السوق بمنامته (ييجامته) فتوب النوم لا يجوز أن يظهر به في
الشارع إنسان يحترم نفسه .

وما يستنكر أن يضع الجالس يديه على المائدة ويضغط عليها بكليته وان يؤدي
جاره برجليه ويديه . ويستنكرون تشديد الداعي على احد مدعوويه لتناول لوف
لا تميل اليه نفسه ، والزيادة من لون تخطاه وما استطابه ، واكراهه على أخذ قطعة
من الحلوى يعتقد ان معدته لا تحملها وتضطره من الغد الى مراجعة الطبيب .
وكم تحلف أيمان وطلاقات في مثل هذه الاحوال حتى ينزل المدعو على ارادة
الراغب ويتناول بالاكره ما يجب له صاحب المائدة .

ومن عاداتهم في المآتم وخصوصاً في دمشق أن يجري العزاء ثلاث ليال على
الميت ، فيأتي الى داره أصحابه ومعارفه ويستقبلهم اولاده واخوته وأبناء عمه وأهله ،
ولا يجري حديث سوى السلام ثم تناول القهوة واللفائف ، على حين أن آل
الفقيد هم في حاجة ماسة الى من يسليهم ، وبحول مجاري أفكارهم ، ويهون عليهم
مصائبهم ، والرجال في هذا الباب كالنساء ، إلا أن النساء لا يتناولن القهوة ولا اللفائف
في وسط الجمع ، وهذا من أسخف ما يدون أيضاً كأن المعزين يقولون بلسان
الحال : ها قد جئناكم وعزبناكم . هذا ولو جلسوا دقيقة واحدة ، والغالب أن الجلوس
لا يتجاوز مقداره دقائق قليلة ، واذا كان المعزى به جليل القدر بين قومه ،
فالعززون به كثيرون ، والمكان مما اتسع لا يستوعب القادمين في ساعة واحدة .

هذا وصف قليل من عاداتنا وهو موضوع جدير بأن تكتب فيه الكتب والرسائل وتوضع في بيانه الخطب والمحاضرات ، ومن حسن الحظ أن عادات الافرنج التي تعبوا أحقاباً في اصلاحها حتى وصلت الى ما وصلت اليه من الكمال في الجملة أخذت تسري الينا من حيث لا نشعر ، وتدخل علينا من طرق مختلفة ، من طريق الاختلاط بالفريين او بالرحلة والسياحة او بالهجرة ، او من طريق التعليم في المدارس ومن الاختلاف الى الفنادق والمطاعم التي ينزلها الاجانب ، وقد تسوغنا بعضها وتمثلنا بعضها ، لما حوت من اليسر والنفع . فمن عاداتهم الحسنة التأنق في تناول الطعام على الموائد ، وairad أجمل الاحاديث عليها ، والتلطف بكل ما يؤكل بأداة ليلس من مس الابدي ما أمكن ، هكذا يتناولون الابازير والتوابل والسكر والحلويات ، ويحاط المتآكلون فلا يأتي أحدهم ما يؤذي جليسه وعلى العكس يخدمه ويتمهده ولا يرتكب ما يخالف به قواعد الصحة وآبين الذوق السليم .

لا جرم أن تأصيل هذه العادات يحتاج باديء بدء الى تعب حتى تتعلمها البيوت اولاً وينشأ عليها البنون والبنات ، وهي تتوقف على معدات وأدوات ، وعلى عقل يديرها وثرية تتمثلها . ولا يحصل الهناء في العيش بغير ترتيب ونظام . وهما صعب الأخذ بهذه المذاهب فهي محمودة العاقبة لمن يمارسها ، محببة الى نفس كل عاقل تسمو نفسه الى الكمال ، وترغب في مراعاة قواعد الصحة والذوق لتم له شروط الرفاهية والنعيم . ومن دواعي الاغتياب ان رأينا هذه العادات تسري في القرى التي كثر فيها العائدون من المهجر او الذين ألفوا الاختلاط بالعناصر الغربية كأهل الساحل وسكان الحواضر الكبرى . وقد شهدتها في بيوت ما كنت أظنهم اقتبسوها . في امثال الافرنج : قل لي من تعاشر أقل لك من أنت . ثم قاسوا عليه معنى آخر فقالوا : قل لي ما تأكل أقل لك من أنت ، ونحن نقول أرني كيف تعاشر أقل لك من أنت .

المغرب في ترتيب المعرب

هو كتاب لغوي كثير الفوائد تأليف الشيخ برهان الدين ناصر ابن ابي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي صاحب (المغرب) و (الاقناع في اللغة) و (الايضاح في شرح المقامات الحريرية) و (مختصر اصطلاح المنطق) و (المصباح) في النحو . ولد برهان الدين سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) بجزانية خوارزم وقرأ على أبيه عبد السيد ببلده ورحل في طلب العلم فدخل بغداد سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) وتفقّه على البقالي تلميذ الزمخشري فكان اماماً في الفقه والعزية واللغة وتوفي سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) .

وقفت على نسخة منه نفيسة في احدى المكاتب نسخها بقلمه بخط فارسي جميل بالخيرين الاسود والاحمر حسام النجاري سنة ٩٩٧ هـ (١٥٧١ م) وقابلها وصححها من نسخة مضبوطة كتبت سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) . وهي من مخطوطات الكونت رشيد الدحداح اللبناني نزيل باريس وناشر بعض الكتب فيها وهي بقطع الثمن الكبير في ٤٢٨ صفحة وعلى هوامشها تعاليق كثيرة لغوية ذات فوائد جديدة بالمطالعة ، وفي أولها وآخرها بحوث ذات شأن وللمغرب ذيل بعنوان (رسالة في النحو) من صفحة ٤٠٠ - الى آخر الكتاب وفيها ضوابط كثيرة في الصرف والنحو واللغة ، والالفاظ مرتبة على حروف الهجاء بحسب أوائلها لا بحسب اشتقاقها .

نخبة من الكتاب

في صدر الكتاب قبل المقدمة بحث في (الزنديق) نقله بحروفه وهو من (مجموعة شهاب الدين افندي المتقاعد في مصر) جاء فيه ما نصه :

زنديق

ليس من كلام العرب انما تقول العرب رجل زندق وزندي أي شديد البخل ،
 واذا أرادوا ما تقول له العامة (ملحد) قالوا (دهري) واذا أرادوا السن قالوا
 (دهري) بالضم للفرق بينهما ، والهاء في زنادقة وفرانقة عوض عن الياء عند سيبويه
 قال ابو حاتم : هو فارسي معرب (زنده كرد) اي عمل الحياة لأنه يقول
 ببقاء الدهر ودوامه

وقال الرياشي : هو مأخوذ من قولهم (رجل زنديقي) أي نظار في الامور
 وقال غيره : معرب (زنده) اي الحياة — وقيل : هو معرب أي متدين
 بكتاب يقال له : (زند) ادعى المجوس انه كتاب زرادشت ثم استعمل في
 العرف لمبطن الكفر

وقال الجوهري : الزنادقة الثنوية وتزندق الرجل والاسم الزندقة
 وفي القاموس : هو معرب زنديين — وقيل : هو وهم والصواب معرب (زنده)
 وفي المغرب : هو من لا يؤمن بالوحدانية والآخرة
 وعن ثعلب : هو الملحد الدهري — وعن ابن دريد : هو القائل بدوام الدهر
 معرب (زنده) كتاب لمزدك — وخطأ بعضهم من قال : انه معرب زندي لأن
 الياء لمطلق النسبة والهاء لنسبة مخصوصة مثل ينفجه وينفشه وليس بشيء ، ولعبد
 الوهاب البغدادي :

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفالييس دار الضنك والضيق

اصبحت فيها مضاعاً بين اظهرهم كأنني مصحف في بيت زنديق

— وفي المثل : (اظرف من زنديق) انتهت

وهذه نخبة من الألفاظ المشروحة في الكتاب :

الأُتون

مقصود مخفف على (فعول) موقد النار ، ويقال له بالفارسية (كُئُخُن) وهو للحمام ويستعار لما يطبخ فيه الآجر ، ويقال له بالفارسية (تُونُوق) و (راشون)^(١) والجمع (أُناتين) بناءً من باجماع العرب عن الفراء

الأزج

بيت بنى طولاً يقال له بالفارسية (أوستان) و (سَخ) و (كُرا)

الإزار

ضرب من اجود التمر . قولهم (انزر) عامي والصواب (إينزر) افتعل من الازار أصله (اننزر) بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء افتعل . و (تَأزير الحائط) أن يصلح أسفله فيجعل له ذلك كالأزار ومنه قوله: أزرَّ حيطان الدار الموقوفة مازورات

إطار

إطار الشفة ملتقى جلدها ولحمها مستعار من إطار المنخل أو الدفّ وذكر الأزهري: كان عمر بن عبد العزيز (رح) سئل عن السنة في قص الشارب - فقال: أن تقصه حتى يبدو الإطار - وأما (اللطار) كما وقع في بعض نسخ أحكام القرآن فتحريف ظاهر .

أوى

وابواء خشب الفحم أن تلقي عليه التراب وتستره به مأخوذ منه - وعليه قوله: يحسب بشمن الخطب وأجر الأيواء وأجر الموقد وأجر الاتون

البيوتات

جمع بيوت جمع بيت وتختص بالاشراف

(١) في الأصل (داشوذن) وصحح في الماشية بالراء

الحجالة

الحجالة من خطأ العامة والصواب الحجلة (او) الخجل

الزط

الزط جبل من الهند اليهم تنسب الثياب الزطية^(١)

زمله

في ثيابه ليعرق اي لفه

الشمراخ

هو في عدة السنة الشمسية ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وربع اليوم الا جزءاً من ثلاث مائة جزء من يوم

وفي القمرية ثلاث مائة واربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدسه وفضل ماينها عشرة أيام وثلاث وربع عشر يوم بالتقريب على رأي بطلميوس^(٢)

ضبب

اسنانه بالفضة اذا شدها بها

الطحانة

وفي كتب الشروط الطحانة ما تسيره الدابة والطاحونة ما يديره الماء • ودلوها ما يجعل فيه الحب

(١) الزط من أسماء الزور أو النجر وهم من قبيلة (جت) الهندية كانت كثيرة الثورات فطردت وتفرقت إلى بلاد فارس أولاً فسموها (الزط) ولها أسماء كثيرة في البلدان التي احتلتها في آسيا وأفريقية وأوروبا وأميركا •

(٢) هكذا وردت بتقديم الميم على الياء وهو الصواب •

العباية

كساء واسع مخطط والعباءة لغة فيها والجمع عباء

الفالج

في التهذيب: الفالج نصف الكركم الكبير . و (الفلج) المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالجا) . ومنه حديث عمر (رض) انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزية على أهله اي فرضاها وقسمها وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجهم كان طعاما

وقيل : (الفلج) القسمة عن شمر . يقال : فلجت المال بينهم أي قسمته . وفلجت الشيء فلجيت أي شققته نصفين .

ومنه (الفالج) في مصدر المفلوج لأنه ذهب النصف (عن أبي دريد) . و (الافلج) المتباعد ما بين الرجلين . واما (المفلج) الاسنان فلا يقال إلا أفلج الاسنان (ابن مسعود) . و (استفلجني) بامرئ أي فوزي بامرئ واستبدي به من الفلاح وهو الفوز بالمطلوب . ومدار التركيب على الشق والقطع . ومنه الحديث (بالحديد يفلج) . و (الافلج) المشقوق الشفة السفلى وبه سمي ابو القعيس او اخو ابي القعيس عم عائشة (رض) من الرضاعة ، وفي غير الحديث استفلجني بالجيم من الفلج وهو الظفر

فلع

تفلع رأسه أي تشقق وأما تفلعت اليد اذا تشققت فهو بالقاف (عن الغوري)

القثاء

معروف . و (القثد) الخيار (عن ابن الاعرابي) وتفسير القثاء بالخيار تسامح

القدح

(عن الليث): أكل يقع في الشجر والاسنان .
و (القادحة) الدودة التي تأكل الشجر والسن و (عن الغوري والجوهري):
القادح سواد يظهر في الاسنان وانشد بيت جميل:

رمى الله في عيني بئينة بالقذى وفي الغرّة من انيابها بالقوادح
رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضرّ ظواهر جلدي وهو في القلب جارحي

قمع

السرة ما يلتزق بها حول علاقتها، ومنه قمع الباذنجان وأصله من القمع وهو
ما يُصب فيه الدهن، ومنه: وبيل لاقماع القول وهم الذين يسمعون ولا يعون

القنب

قال الكرخي في القنب: انه لحاء خشب ويحب في حبه وهو (الشهدانج) -
قال الدينوري في (كتاب النبات): القنب فارسي وقد جرى في كلام العرب وهو
: ات تدق سوقه حتى ينتثر حثاه (أي تبته) ويخلص لحاؤه . ويقال حبال القنب
هو الذي يتخذ من الكتان واسم بزره بالفارسية (زغبرة)

قنّع

فم مقنّع الاضراس أي ممالها الى داخل

المأذيات

هي جمع المأذيان وهو أصفر من النهر وأعظم من الجدول فارسي معرّب . وقيل
ما يجتمع فيه ماء السيل ثم تسقى منه الارض .

مشت

المرأة مشاً أكثر أولادها . وناقة ماشية كثيرة الأولاد . ومنه الماشية والمواشي
على التفاؤل وهي الابل والبقر والغنم التي تكون للنسل والقنية

نمص

النمص نتف الشعر ومنه (المخاص) المنقاش

نام

إنامة الزراجين دفنها وتغطيتها بالتراب مجاز

الوغم

ما بقي من الطعام في الغم

(الوكادة) بمعنى التوكيد غير ثبت (وعلى الهامش) قوله : لم يكن منك
الوكادة أي التأكيد . ولا يوجد في كتب اللغة ولا في استعمال العرب .
الآن أن المصنف ثقة في اللغة يكفي استعماله ، فهو مصدر من وكد وكده أي قصد
قصده ، استعماله في التأكيد لما بينها من (التلبس) (من شرح الكشاف
لسعد الدين) .

هذه أمثلة قليلة من (كتاب المغرب) تظهر شيئاً من أسلوبه وأما كتاب الذيل
في آخره فهو (رسالة في النحو) ذات فوائد في تأنيث الأسماء وجمعها واختصاصها
تشمعل على فوائد كثيرة ونوادير وشوارد في الاشتقاق والاصول
وهذا الكتاب أشبه بكتاب (المرآة) للشيخ أبي منصور موهوب بن احمد بن
محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) وقد وقعت لي نسخة
كاملة منه بقطع النصف منقولة عن نسخ اقدمها نسخة بخط محمد بن صدقة بن علي بن
صدقة سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وعليها خطوط العلماء الذين نقلوها وقرأوها على المؤلف .

ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعربات والمصطلحات ، ولا سيما في خزائن مجامعنا العلمية لتساعد على الاوضاع الحديثة وتكشف القناع عن أسرار الاستعمالات قبلاً ، ومن أواخرها كتابا (غلطات العوام) و (التعريب) لابن كمال باشا وفي خزائني منها نسختان مضبوطتان ، وهناك مؤلفات كثيرة في هذا الباب لا محل الآن لتعدادها ووصفها .

ولقد كتب كثير من علمائنا المتأخرين والمعاصرين بحوثاً مفيدة في الوضع والتعريب في الجرائد والمجلات والكتب ، ولا سيما المجمع العلمية في الشام ومصر ومجلاتها واختلفت الآراء في كثير منها فلا ينشر الا ما كان موافقاً لذوق اللغة والعصر وقريباً للافهام ووافقاً بالفرض وبقي الآخر مهملًا . واللغات تحتاج الى التوسع بما يوافق اساليبها ولا يضرب باصولها من الأوضاع أو التعريب عن اللغات كما فعل أسلافنا في العصور الأولى وما بعدها والله الموفق الى سواء السبيل بئنه وكرمه .

المعلوف

— 300 —

عائشة الباعونية

تمهيد

حفرتني الى نشر ترجمة عائشة الباعونية الدمشقية في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية حوافز عدة أهمها هذه النهضة النسائية القائمة على ضفاف بردى والتي نرجو ان تنجب لنا أمثال عائشة وسميتها ومواطنيتها عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني ابن المنصور الدمشقية ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الصالحية الحنبلية ، بل مثل أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وزوج النبي الكريم التي علمتنا من أمور ديننا ما لم نعلم ، وروت لنا ما يربي على الألفين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، واشتركت في الوقائع والكوائن وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، راجحة العقل ، سريعة البديهة ، بل كان بيانها السحر الخلال .
ومن تلك الحوافز ان يعلم فتياتنا النواهض ان الله لا يضيع أجر عامل ، وان التاريخ يحفظ للمرأة حقها كما يحفظه لثقيفها الرجل ، والنساء كما قال الرسول الأعظم شقائق الرجال وان العلماء يقدرون المرأة الفضلى حق قدرها ، ويحلونها محل الأرفع من التجلة والحرمة الوافرة في حياتها ، كما أنهم يترجمون لها ويوفونها قسطها من الاجلال والاكبار بعد مماتها .

ومنها أن يتعلمن المرأة وركوب مراكز الاغتراب في طلب العلم ونيل الأمان من المترجم لها ، التي حملت الى القاهرة وهي في ميعة الشباب فنالت الحظ الأوفر من العلوم ، ثم دخلتها وولدها لقضاء مأرب له وهي كهلة ، وقارظت العلماء الشعر فقرظوها وأثنوا عليها بما هي أهله .

وان يقدننا بذلك الطموح الذي حملها على الذهاب الى حلب للمثول بين

يدي السلطان الغوري أحرص الملوك المصريين على كرامة امته واشدهم اندفاعاً في الدفاع عن بلاده في السنة التي جاست بها جيوش العثمانيين خلال ديار الشام ، ووطئت سنابك خيولهم ارضها في مرج دابق ، وقضت على سلطانه الواسع العريض فيها وفي مصر والحجاز مما نستدل معه على ان الباعونية كانت لا تبالي بالحوادث والكوارث وهو ما نتمناه لفتياتنا اليوم .

ومنها أن نعلم ان المترجم لها قد أنشأت المولد النبوي الشريف سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م ، وانها نظمت بديعتها وشرحها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م وان نقرأ كلامها العذب الذي اختتمتها به .

ومنها ان الذين ترجموا لها من المتأخرين مثل البستانين^(١) وزينب بنت علي فواز العاملة^(٢) وادوار قنديك^(٣) وجرجي زيدان^(٤) ومحمد كرد علي^(٥) وبوسف اليان سر كيس^(٦) كانوا عيالاً على من تقدمهم من المترجمين كما كان مثلهم محمد ذهني^(٧) وشمس الدين سامي^(٨) الأعجميين اللذين ترجموا لها ولم يلمعوا بجميع أحوالها . لذلك كله أردت أن انقل من كتابي ما كنت دوتته عن بديعية الباعونية واردفها بترجمة حياتها عن أقدم مترجميها فأقول :

نسخة مخطوطة من البديعية وشرحها . — كنت اطلعت في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس على نسخة مخطوطة من بديعية عائشة الباعونية وشرحها نقلت

(١) دائرة المعارف جزء ١١ صفحة ٢٦٩ .

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدود ص ٢٩٣ .

(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٣٦١ و ٣٩٣ .

(٤) تاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ٢٧٤ .

(٥) خطط الشام ج ٤ ص ٦٠ .

(٦) معجم المطبوعات العربية والمصرية ص ٥١٩ .

(٧) مشاهير النساء « أي شهيرات النساء » بالتركية ج ٢ ص ١٠ .

(٨) قاموس الأعلام ج ٤ ص ٣٠٥٦ .

عن نسخة المؤلفات التي نظمتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م ، وقد نقلها ناسخها في اليوم التاسع من شهر رمضان سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م وهي السنة التي توفاه الله فيها وذيلها بما كانت كتبه المؤلفات بآخرها اذ قالت :

كلمة المؤلفات الختامية . - « نجزت كتابتها بمنة الله تعالى على يدي أضعف اماء الله تعالى وأحوجين الى رحمته ، من أهلها الله تعالى لمده خير برهته وأشرف اهل الاصطفاء لرسائله ، عبده الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم بهذه القصيدة المذكورة والمنظومة التي أرجو من كرم الله تعالى أن تكون في الملاء الأعلى مشكورة خادمة المقام المحمدي المصطفوي سرّاً وعلناً ، والمغمورة منه بالحسنى وزيادة آلاء ومنناً ، عائشة العائشة بانصال مدده المتروية على يده بنت خادم شريعته يوسف ابن خادم شريعته أحمد بن ناصر الباعوني الشافعي لطف الله بها وبولدها وبالمسلمين والمسئول من الله تعالى أن يجدي عوائد مبراته وإحسانه ولطائفه وحنانه أبداً أبداً باقياً سرمداً . »

وكتب ناسخها بعد ذلك :

تعليق الناسخ . - علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده أقر عباد الله وأحوجهم الى مغفرته محمد بن احمد بن يحيى الانطاكي ستر الله عيوبهم وغفر ذنوبهم . «

تقريظ أحد ممتلكيها . - وكتب أحد من تملكوا تلك النسخة يقول

للمحرر السيد أبي بكر :

أنت ببديع لو رآه ابن حجة لأذعن ان الفضل حازته عائشة
فقد عشت في روض الجنان عزيزة كما كنت في روض البلاغة عائشة

كتب المترجم لها المطبوعة . - وبالرغم من شرح بديعيتها المسمى الفتح المبين في مدح الأئمة طبع أولاً في بولاق سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م وبهامشه رسائل

بديع الزمان الهمداني ، وثانياً في مصر بهامش خزانة الأدب لابن حجة الحموي سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م فاننا عرضنا له بهذه الكلمات التي استفدنا منها معرفة تاريخ نظم البديعية وشرحها .

وعلى ذكر البديعية نقول أن مؤلفها في «مولد النبي» عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم قد طبع أيضاً في دمشق سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م

مؤلفاتها المخطوطة الموجودة الآن . ولم يبق من مؤلفاتها الباقية الى الآن بدون طبع سوى ديوانها المسمى «فيض الفضل» منه نسختان احدهما كتبت سنة ١٠٣١ هـ ١٦٢٢ م ونسخة ثالثة كتبت أيضاً في السنة المذكورة في الخزانة التيمورية ، وفي تلك الخزانة الغنية أيضاً نسختان مخطوطتان من شرحها على بديعيتها الأولى كتبت سنة ١٠٢٦ هـ ١٦١٧ م ضمن مجموعة ، والثانية حديثة كتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م

كتاب بخط المؤلف . — ولعل من أجل ما تحويه الخزانة التيمورية هو المولد النبوي الذي أنشأته وأسمته «المورد الأهنى في المولد الأسنى» والنسخة بخط يدها كتبتها سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م وقد ذكر لي المرحوم صاحبها بكتابه أن خطها في غاية الحسن وانها صارت تلحق بآخر الفسخة تواريخ مواليدها وأولادها ، وكانت متزوجة من أحد الشرفاء لأنها كلما ذكرت ميلاد أحدهم قالت ولد لي السيد الشريف فلان في تاريخ كذا

ترجمتها . — أما ترجمتها فلخصناها عن كتاب الكواكب السائرة بتناقب أعيان المئة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين الغزي العامري الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ ١٦٥١ م وهو أقدم من ترجم لها قال (١) :

«عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الشبخة الأدبية العاملة العاملة أم

(١) نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة

عبد الوهاب الصوفية الدمشقية بنت الباعوني احدى أفراد الدهر ونوادير الزمان
فضلاً وعلماً وآداباً وشعراً وديانةً وصيانةً .

تنسكت على يد الشيخ السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي^(١) ثم على خليفة المحيوي
يحيى الأرموي ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظاً وافراً وأجيزت بالافتاء
والتدريس ، وألفت عدّة كتب منها الفتح الحنفي^(٢) يشتمل على كلمات لدنية ومعارف
سنية ، وكتاب الملامح الشريفة والآثار المنيفة ، يشتمل على انشادات صوفية ومعارف
ذوقية ، وكتاب درّ الغائص في بحر المعجزات والخصائص ، وهو قصيدة رائية .
وكتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية ، وهي أرجوزة اختصرت فيها منازل
السائرين للهروي ، وأرجوزة أخرى خلصت فيها القول البديع في الصلاة على الحبيب
الشفيع للسخاوي وبديعية وشرحها وغير ذلك ومن كلامها الخ .»

وبعد أن نقل عبارة لها وصفت فيها نشاطها الصوفية قال : « ولما دخلت القاهرة
ندبت لقضاء مأرب لها يتعلق بولد لها كان في صحبتها المقرّ ابو الثناء محمود بن أجا
الخلبي صاحب دواوين الانشاء بالديار المصرية فأكرمها وولدها وأترلها في حريمه
وكانت قد مدحته بقصيدة أوّلها :

روى البحر أسباب^(٣) العطاء عن نداكم ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم
فعرضها على شيخ الأدباء السيد الشريف عبد الرحيم العباسي القاهري^(٤)
فأعجب بها فبعث اليها بقصيدة من بديع نظمها فأجابت عنها بقصيدة مطلعها :
وافت تترجم عن حبرٍ هو البحرُ بديعة زانها مع حسنها الخفرُ
ثم أورد لها قصيدة لامية مطلعها

(١) في الدر المنثور في طبقات الحذور ص ٢٩٣ الخوارزمي
(٢) في الأصل الحنفي وما تخاله إلا من خطأ الناسخ (٣) في شذرات الذهب المخطوط أسباب
(٤) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن أحمد العبادي العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ ١٥٥٦ م وزوجته
في الشفاقي الثمانية في علماء الدولة الثمانية المطبوع بهامش وفيات الأعيان طبع بولاق ج ١ ص ٦٦٥
وكذلك في ربحانة الألبا ووزنة الحياة الدنيا للخطابي ص ٢٤١

قل لمن بالقريض بزّ الفحولا وانثى عن قصورهم مستطيلا
وقصيدة أخرى مطلعها :

ليهنك مجد طارف وتليد يخصك آباء به وجدود

وغير ذلك الى أن قال :

« وذكر ابن الحنبلي : أن صاحبة الترجمة دخلت حلب في سنة ٩٢٢ والسلطان الغوري بها لمصلحة لها كانت عنده فاجتمع بها من وراء حجاب البدر السيوفي وتلميذه الشمس السفيري وغيرهما، ثم عادت الى دمشق وتوفيت بها في هذه السنة ١٠٥١ هـ . »
وقد ترجم لها أيضاً عبد الحلي بن احمد بن محمد العسكري بن العاد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م في كتابه « شذرات الذهب في أخبار من ذهب »
وذلك بنقله ترجمة الغزي المتقدمة لها .

وتعرض صاحب شذرات الذهب لذكرها في ترجمة محمود بن أجبأ صاحب ديوان الانشاء بمصر المتوفى سنة ٩٢٥ هـ ١٥١٩ م^(١) فذكر تزولها بداره بالقاهرة ومدحها له وما كان من اكرامه لها .

مؤلفاتها الأخرى . — وما يؤسف له أن تفقد سائر مؤلفاتها التي أوردها

الغزي في ترجمتها .

بلاغة شعرها . — ولها بيتان من الشعر قالتها في جسر الشريعة لما بناه

الملك الظاهر برفوق هدماً كثيراً مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما :

بنى سلطاننا برفوق جسراً بأمر والأنام له مطيعة

مجازة في الحقيقة للبرايا وأمر بالمرور على الشريعة

ولها في الغزل باع طويل وخيال واسع ومن غزلها :

كأنما الخلال تحت القرط في عنقٍ بدا لنا من محيا جلّ من خالقا

(١) كان قاضي قضاة الحنفية مجلب ثم ولي كتابة السرمدة ست عشرة سنة وكان آخرهم في الديار

المصرية وكان نافذ الكلمة وافر الحرمة حشماً فاضلاً أصيلاً عريقاً .

نجم غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا
 اما بديعيتها التي تقدم الكلام عليها فمطلعها :
 في حسن مطلع أقدار بندي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم
 قرية باعون . — باعون التي تنتسب اليها عائشة — على ما حققها بطرس
 البستاني مؤلف دائرة المعارف المتوفى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م^(١) — هي قرية صغيرة
 من قرى مجملون عدد بيوتها في زمن المؤلف كان ١٣ بيتاً فقط .
 قلنا وهي من أعمال حكومة شرق الأردن اليوم وقد نبغ فيها جمال الدين
 الباعوني الذي قرر في أواخر سنة ٨٥٩ هـ ١٤٥٥ م في قضاء الشافعية بدمشق وشمس
 الدين محمد بن احمد بن محمد بن احمد الباعوني الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ ١٤٦٦ م
 وابن اخيه محمد بن يوسف بن احمد المتوفى سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٤ م .
 والراجح أن هذا الأخير هو أخو عائشة المترجم لها كما أن شمس الدين عمها
 ونبغ بعد هؤلاء القاضي صلاح الدين زين العابدين الذي أقام بصالحية
 دمشق وولي نيابتها مدة طويلة ثم توفي سنة ١٠٣٦ هـ ١٦٢٦ م رحمهم الله رحمة واسعة .
 عبد الله مخلص

(١) دائرة المعارف ج ٥ ص ١١٢

مخطوطات ومطبوعات

سيرة احمد بن طولون

تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حققها وعلق عليها محمد كرد علي

ونشرتها المكتبة العربية في دمشق وطبتها في مطبعة الترقى سنة ١٣٥٨ هـ في ٢٠٠ ص

ليس لدينا عن احمد ابن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام مادة ينتفع بها في تصور حقائقه وحقائق عصره ، وغاية ما أثر له شذرات مفرقة سيفي بطون التاريخ ومنها رسالة نشرها الاستاذ قولرس لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية اقتطعها من كتاب المغرب في حلى الغرب . ومن جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي من أهل القرن الرابع ألفه على ما يظهر حوالى نحو نصف قرن من وفاة ابن طولون ، وانتفع بما كتبه ابن الداية وغيره مما لم يصل إلينا برمته ، وقد أشبع البلوي الكلام في تاريخه وجوده ، وربما فات ابن الداية في التاريخ لابن طولون ، وان لم يخرج عن أسلوب المؤرخين في عصره من ايراد الحوادث والبعد عن التفلسف فيها وترك القاري بعمل فكره في مضامينها . وقد صان البلوي قلمه عن نقد ابن طولون وأشار اشارات خفيفة الى مساوئه ، أما المحاسن فقد أبلغ في بسطها واتى بأكثرها في قصص دمشق النفس تلاوتها واستعادتها لجمعها بين الكتابة العالية والفوائد الادارية والسياسية والتاريخية المهمة ، ومنها المتكر الذي يأخذ بمجامع النفس .

وقد وقفنا في هذا السفر على أمور تفرد بها ابن طولون في السياسة والادارة ومنها عنايته بوضع الأضابير والجزازات *Les dossiers et les fiches* فكان حيث انقلب يصحبه كاتب بدون كل ما يقوله وما يقال في حضرته ثم يخلو بكاتبه ويصلح

ما كتب ليحفظ مع الكلام الذي التقي على مسامعه ، ومنها أنه كان أول من استأثر بتأليف جيش محلي في الدولة العباسية وبذلك استطاع أن يعمل حراً في مصر . ومنها انه قعد للمظالم مرتين في الاسبوع على ما كان الخلفاء في بغداد ودمشق ينظر في المسائل الادارية التي كانت خارجة عن نطاق القضاء ، ومنها أنه أول من أسس ديوان الانشاء في مصر ، وكان هو نفسه منشئاً وخطيباً بالعربية وشاعراً بلغته التركية . ومنها انه يعنى عناية فائقة بأخذ الأخبار وقد وضع دواوين الجواسيس ينفق عليها نفقات طائلة لذلك كان يرهبه أصحاب الخلافة في بغداد وصاحب الروم في القسطنطينية ولو عاش لنزع يده من خلفاء بغداد واستوى ملكاً مستقلاً من كل وجه لأن المصانع التي أسسها والأوضاع التي وضعها في تأسيس مملكته ودار ملكه تشعر بذلك الى حد بعيد .

والى القاري ، نموذجاً من أسلوب المؤلف وكتابه وصورة صغيرة من ادارة ابن طولون ، نجتزي بها ونحيل من يهمة موضوعه أن يرجع إليه فيه فائدة كثيرة وتسلية عظيمة ، قال البلوي ومن ذلك ماحدث به سعد الفراغاني :

ركب أحمد بن طولون يوماً الى الجيزة ، وكان رسمه اذا قُرب من الجسر أخلي له ، فلما بلغ اليه أمر الناس بأن يسرعوا المحي عليه وأعجلوا ، فلم يبق عليه الا شيخ ضعيف على حمار هنزبل ومعه صبي له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة ، فلما أعجل الناس وهب ليحجل معهم لم يكن له نهضة ولا لحماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون ينظر اليه والى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنهم من ازعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حماره والحقي به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسأله في طريقك معه الي عن خبره ، وسبب دخوله الى مصر ؟ فان ذكر ظلامته فأسأله من يتظلم ؟

قال سعد : فوقفت عليه حتى عبر احمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ، وقد رددته معي ، فلخوفه انقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ،

على قدر سير حمارة ، وساءلته عن خبره وسبب دخوله الفسطاط ، فقال : ما ترك لي
و كليل ابن دشومة بذات^(١) الساحل شيئاً أرجع اليه ، و كنت مستوراً فهتكني ، و كنت
غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجداً مومراً .
فدخلت مستغيثاً الى الأمير أيده الله ، و كان ابن دشومة يومئذ أميناً علي أبي أيوب^(٢)
في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون و كنت بالشيخ ، و دخلت اليه في مضره ،
فعرفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر اليه ابن دشومة من
مصر الى الجزيرة ، و لم يصبر الى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأحضر
فقال له : ويمك إن الضباع تُشبه البستان ، و المزارعون شجرة ، فإن رفق بهم ،
و أحسن القيام بأمرهم ، و رعوا باصلاحهم ، طلعت الثمرة و تمت و زكت ، و ان لم يفعل
ذلك ، هلكت الشجرة و ذهب ثمرها ، فأحضر كاتبتك الساعة الساعة ، و مختار الناحية
الى هاهنا ، و لا تبرحها حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامنه ، و تبلغ له ما يحبه و تعرفني ،
فاني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره .

فطار عقل ابن دشومة ، و جعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ، و وجه بمن أحضر
صاحبه و المختار بالناحية ، و ابن دشومة كالمعتاد ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، و ذكر
ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، و أسقطوا عنه ما شكاه من القبن
عليه ، و بلغوا له فوق ما يحبه ، و أحمد بن طولون يطالعههم برسله من حيث لا يعلمون ،
حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، و أقبل في خلال ذلك ينفذ الى ابن دشومة
خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، و يكدهم في
الفراغ من أمره ، و يعرفهم أن مقامه بالجزيرة بسببه ، الى ان ينصف فيعود الى
الفسطاط ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل اليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ

(١) فهم مما ذكره ابن جاتي ان ذات الساحل كانت من عمل الجزيرة وهي إلى شمال الفسطاط

قرية من أم دينار (قاله الأستاذ فيب في تملقاته على خطط المقرزي) .

(٢) في ابن الداية : أبي ذؤيب .

له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف
 ظلم ، وما عملت في أمره ، فكان ابن دشومة يعيد عليه أمره ، وهو يُرعد خوفاً
 من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره ، فلما فرغ من
 شرح ذلك قال له : يا شيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم ايها الأمير ، جعل الله عليك
 واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة ، فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى
 وخرّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحببت ؟ قال : نعم
 ايها الأمير احسن الله اليك كما احسنت إليّ ، فقال : ما شاء فعل بك ، ذاك منه
 وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟ ^(١) قال : خمسون ديناراً قال له : فتطيقها ؟ قال : لا .
 قال : فكم تطيق ؟ قال : ثلاثين ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ،
 ووهب له خمسين فداناً يزرعها ما أحب وبعطى تقوية في كل سنة ولا تؤخذ منه التقوية
 ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا ان حط العمارة عنك
 يحط من منزلتك في بلدك لخططتها ، فدعاه ، فقال : ما فعله الأمير أيدى الله في
 امرى فهو أكثر من الخطيطة ، وجميعه صدقة عليّ وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله
 منا فيك صالح الدعاء ، فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه
 الدنانير فاشتر بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير
 عليك ، وضحك احمد بن طولون ، وانكب الشيخ ليقبل الأرض فتمعه من ذلك
 وقال له : احذر ثم احذر ان تفعل هذا بأحد من المخلوقين ، فانه لا يؤثره الاكل
 جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل ، فانصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما
 تمّ له من إزالة الظلم والمساحة في العمارة ، والافضال عليه ، وهبة الدنانير ، وممازحة
 احمد بن طولون في الحمار ، فرأبته في انصرافه يبكي فرحاً ، ويدعو لأحمد بن طولون
 بنية خالصة ، وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومحله ، ومنزلة وسطوة .

محمد كرد علي

(١) العمارة بالكسر : ما يعمر به المكان ، والعمارة ، بالنم : أجرها .

كتاب البديع لعبد الله بن المعتز

هذا كتاب قدّم عبد الله بن المعتز في ابوابه ما وجدته في القرآن واللغة والأحاديث وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون: البديع، وعنده ان ابواب البديع خمسة: الاسعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي؛ وقد ذكر بعد فروغه من هذه الأبواب طوائف من محاسن الكلام كالاتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والمهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الصفة وحسن التشبيه والابتدآت. أشار عبد الله بن المعتز في اثناء الكتاب الى انه ألفه سنة اربع وسبعين ومائتين ولم يسبقه إليه احد؛ وغرضه فيه تعريف الناس ان بشاراً ومسلماً وابا نواس ومن تقلبهم وسلك سبيلهم من المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع، ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم؛ ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف بالبديع حتى غلب عليه واكثر منه فأحسن في بعض واساء في بعض.

ليس في كتاب البديع شيء خطير من النقد وانما خصائص هذا الكتاب انه تضمن امثالا من البديع مأخوذة عن بعض شعراء المتقدمين فيه كامرئ القيس والنايفة وزهير وعن كتاب الله عز وجل وعن الأحاديث وكلام الصحابة وعن بعض شعراء بني أمية كالأخطل وجريز والفرزدق وعن بعض شعراء بني العباس مثل بشار وابي نواس والطائي والبحري وعن بعض الخلفاء كالمصور والرشيد وغيرهما. فاذا نظر القارئ الى هذه الأمثال وأعمل فيها يسيراً من الروية استطاع ان يدرك الأطوار التي تقلب فيها البديع من ايام الجاهلية الى ايام عبد الله بن المعتز، واذا كتب لرجال التاريخ الأدبي في هذا العصر ربط هذه الأطوار بعضها ببعض؛

حتى تتصل أواخرها بأوائلها وقياس بعضها الى بعض ؛ فيسر لنا ان نعرف كيف انتقل الخيال العربي من صورة الى صورة ؛ وكيف امتد من افق الى افق ؛ على قدم ما كان فيه من الآثار ؛ كآثار البداوة والحضارة وغيرهما ؛ وحينئذ يتكامل تاريخنا الأدبي فنشهد فيه تسلسل الخيال والحس والشعور في رجال العبقريّة على صورة مطردة .

اعتنى بنشر كتاب البدیع والتعليق عليه السيد أغناطيوس كرايشقوفيسكي عضو أكاديمية العلوم في لينينغراد والمجمع العلمي العربي في دمشق وطبع الكتاب في انكلترا سنة ١٩٣٥ وهو يشتمل على مقدمة باللغة الانكليزية فيها اربعة فصول بحث في بعضها عن تاريخ نشر الكتاب وعن محتوياته وعن المصادر وهي لا تخلو من آراء أدبية قد تنفع الاطلاع عليها .

شفيق جبري

الفنون الصناعية

خمس أجزاء كل جزء في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط هي سلسلة من الكتب الصناعية المدرسية ألفها المهندس الصناعي السيد عاطف أديب المالح احد اساتذة دار الصناعة بدمشق ، وقد صدر منها الى الآن كتاب في فن النجارة ، وآخر في الآلات اليدوية ، وثالث في علم الحيل اي الميكانيك ورابع في الآلات التي تصنع بها الآلات وهو جزءان ، وذكر المؤلف انه سيطلع عما قريب كتاباً في الحدادة اليدوية والآلية ، وثانياً في سكب المعادن وثالثاً في صناعة السيارات .

والمؤلف احد الشبان الذين درسوا في فرنسا وعادوا للتدريس في مدارس سورية ، وعدد هؤلاء الشبان كبير ، ولكن معظمهم وبالأأسف لم يجشموا أنفسهم ، بعد عودتهم الى وطنهم ، متاعب التأليف بالعربية ، فأشبهوا بذلك الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في اسطنبول ايام الدولة العثمانية ، والذين انما كان قصارى معظمهم الحصول على وظائف حكومية ، حتى اذا حصلوا عليها ، ناموا مطمئنين هادئين ، دون ان تستفيد اللغة الضادية منهم أي فائدة .

وليس السيد عاطف المالح من هذا النفر ، فهو قد جد وسعى ، وتحرى المصطلحات الصناعية على قدر طاقته ، ورسم اشكلاً عديدة ضمنها تضاعف كتبه وحفر رواشما يديه ، وطبعها طبعاً منقناً ، فسدت هذه الكتب فراغاً في الناحية الصناعية المدرسية . ولا شك ان الكتب المذكورة لم تخل من أغلاط لغوية لا يتسع المجال للتنبيه اليها ، ولكن هذه الأغلاط لا تقدرح بمؤلفات فنية صناعية فلما يتقن المرء مصطلحاتها الا بشق الأنفس ، وأمام المؤلف منسع من الوقت لاقتان لغة كتبه في المستقبل ، مادام هوى التأليف بالعربية دافعاً له على العمل .

ومقدمة هذه السلسلة من الكتب المدرسية الثمينة مكتوبة بقلم المهندس الكهربائي السيد اميل غنيوبه مفتش التعليم الفني في سورية .

مؤرخ العراق ابن الفوطي

ظفر الاستاذ السيد محمد رضا الشبيبي بدار الكتب الظاهرية بدمشق بنسخة نادرة من الجزء الرابع من أجزاء المعجم الذي ألفه مؤرخ العراق ابن الفوطي وسماه : مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ، ووضع كتاباً يشتغل على تأريخ العراق في عصر ابن الفوطي لخص عنه محاضرةً وجيزة حاضر بها سنة ١٩٤٠ جمهوراً من أهل العلم والادب في بغداد ونشرت محاضرته في السنة نفسها .

تكلم في محاضرته على كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الفوطي الشيباني البغدادي الذي ولد في بغداد سنة ٦٤٢ هـ ، أي بعد مضي سنتين على مبايعة المستعصم آخر خلفائها ، وتوفي سنة ٧٢٣ واستند في كلامه عليه الى تأريخه نفسه اي الى الجزء الرابع من مجمع الآداب .

شهد ابن الفوطي غارة المغول على بغداد فقد حاصرها التتار ثم فتحوها فأسروا خلقاً في جملتهم ابن الفوطي فتيسر له أن يشاهد أعظم ملوكهم واقطاب دولتهم وأن يزور أشهر حواضرهم ويتصل بحكامها وأعيانها وعلماؤها ويدرس حالة عصره حتى استطاع أن يصل الى مقاصر الأميرات المغوليات .

إلا أن أمره لم يظل فقد سعى في فكك الفيلسوف نصير الدين الطوسي وصرفه الى دراسة الرياضيات والفلسفة وعهد اليه ان يشرف على خزانة كتب دار الرصد في مراغة حاضرة المغول فسلخ فيها ثلاث عشرة سنة ملازماً في خلالها لنصير الدين وغيره من كبار العلماء والاساتيد ، وقد أتقن اللغة الفارسية وربما ألم باللغة المغولية .

وفي سنة ٦٧٨ تمكن بفضل علاء الدين الجويني من الرجوع الى بغداد وعلاء الدين هذا أشهر من حكم العراق أيام هولاكو وابنه اباقا ، ولم يكتف باعادته الى مدينة السلام ، وإنما عهد اليه ان يشرف على خزانة كتب المستنصرية فشغلته

فيها قراءة الفقه والحديث ثم تخلى عن عمله في المستنصرية سنة ٧٠٤ فرحل الى تبريز وأقام فيها ست سنين ثم عاد الى بغداد ثم رجع الى تبريز وقد كثر ترده إليها .
لابن الفوطي آثار كثيرة ولكن لم يظهر من هذه الآثار إلا الحوادث الجامعة ؛ والجزء الرابع من معجمه في التراجم ويرى الاستاذ الشبيبي ان ابن الفوطي انفرد بأسلوبه في النقد الصريح . فكتبه من أصح المستندات العربية التي يعول عليها في تاريخ العصرين الاول والثاني من عصور المغول في بغداد .

شفيق جبزي

الطرفة في مخطوطات دير الشرفة

تأليف

الخور فسقفوس اسحق ارملة السرياني

جونية - مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين ١٩٣٦ (صفحاته ٥٢٦)

هذا الكتاب فهرست مفصل لمخطوطات دير الشرفة الذي انشأه في كسروان عام ١٢٨٦ بطريك السريان الانطاكي ميخائيل الثالث ، وجمع في خزائنه ما كان قد اشتراه في حياته او نسخه ، وجعل تلك الخزانة الغنية بمخطوطاتها السريانية تؤلف الجزء الاكبر من كتب الدير ، فقد شغل وضعها ٢٨٥ صفحة من الطرفة ، والمخطوطات العربية يتألف وضعها من ١٩٧ صفحة ، وجلب كتب الدير في الصلوات والأبحاث الدينية ؛ على ان المخطوطات السريانية تشتمل من كتب العلم والأدب على ٢٧ صفحة ، والمخطوطات العلمية العربية تشتمل على ٦٤ صفحة فهي أسعد حظاً من السريانية . لقد انتشرت الثقافة العربية في الأندلس انتشاراً هزيم اللغة اللاتينية ولغة البلاد الاصلية مما جأر له بالشكوى كاهن قرطبة ، وحمله أخيراً مع القسيسين على نقل كتب الدين الى العربية ليفهمها ابناء الملة ، وهو ما حدث في بلاد العرب

كالعراق والشام ومصر وغيرها؛ أما تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام، وزمن نقل الأناجيل وكتب الصلوات والطقوس، وزمن اشتغال السريان بتأليف كتب الصرف والنحو، فيستدل بكتاب الطرفة عليه، وفيه كثير من الطوائف التاريخية، منها ما يفيد العرب معرفته كالعلم بالعصر الذي تم فيه اسلام بني تغلب، فقد جاء في الصحيفة ٣٢٦ من كتاب المرشد للشيخ السرياني يعقوبي يحيى بن جرير التكريتي مانصه: «وقد كان في العرب نصارى كبنى تغلب وقوم من اليمن وغيرهم، ومعهم اسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم، وينقل المذبح اعني الدفة المقدسة (طبلية) من موضع إلى موضع الى سنة ثلاثمائة للعرب، وصل الى تكريت قوم من العرب النصارى، وابتاعوا لهم ميرة ليحتاروا بها، وكان منهم رجل ديناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية، وكان يقدس لهم باللفظ العربي، وكان يقدس لهم على الانجيل ٠٠٠» والعلامة افرام بطريرك السريان في حمص عضو المجمع العلمي العربي كان يبائع في الثناء على المارجرجي الأسقف العربي الفيلسوف، وقد ذكر له في الطرفة بعض المؤلفات ونقطة تاريخ الفلسفة في عصرنا هذا عن اللغات الأوروبية لا يعلمون ان هذا الفيلسوف العظيم هو عربي صميم.

وما يدل على تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام ما جاء في الصفحة ٦٢ من الطرفة: ملاحظة كتبها السيد اغناطيوس بطرس جروة (١٨٢٠ - ١٨٥١) البطريرك الأنطاكي وهي بنصها: «ترجمنا فصول الأناجيل الى العربي ٠٠٠ ويلزم الكهنة في الآحاد والأعياد مع الشماسة ٠٠٠ أن يقرأوا الرسائل والانجيل عربياً، وكذلك النافورات المترجمة من السرياني ٠٠٠» وفي الصفحة ١٢٣ وتحت اسم (الحسايات او السذوات) ويراد بها صلوات استغفارية خشوعية يتروم بها الكاهن السرياني والماروني، جاء مانصه: «وقد نقلها الأئمة على تراخي الاحتباب الى العربية ليقف على مضامينها جمهور المؤمنين، فلم يبق منها في أصلها السرياني بين مخطوطات الشرفة الا التزر ٠» وفي الصفحة ١٣٦ جاء خلال الكلام على نسخة

(الرسامات الكهنوتية) : ان البطريك اغناطيوس (ميخائيل الثالث) هو الذي نقل الصلوات والحسابات الى العربية .

أما اول من الف كتب النحو العربية من السريان فقد جاء ص ٤٣٦ اسم كتاب (شرح الاجرومية للملة النصرانية) وجاء في الكلام عليه ما نصه : « ويستنتج من ذلك ان السيد غريغوريوس نعمة قديمي صنف كتابه هذا في قلعة ادنه عام ١٧٠١ - ١٧٠٤ اذ كان بعد قسباً ، وانه هو أول من طرق هذا الباب من أئمة المسيحيين ؛ على ان السيد جرمانوس فرحات لم يؤلف كتابه (بحث المطالب) الا بعد ست سنوات من تأليف السيد نعمة قديمي ، وقد انتشر كتاب السيد نعمة هذا في اوائل القرن الثامن عشر انتشاراً عظيماً كما يتضح من النسخ العديدة المصونة الى اليوم في دور الكتب .

ومن حكماء اليعاقبة الذين ذكروهم كتاب الطرفة ابو زكريا يحيى بن عدي التكريتي المنطقي الذي نشره رئيس مجمعنا كتاب (تهذيب الأخلاق) ، ولا متاعه نشره أيضاً في شيكاغو سنة ١٩٢٨ السيد سويزيوس افرام برصوم وصدده بمقدمة مستملحة في احدى عشرة صفحة ، وصف فيها اصل يحيى وفضله وتأليفه البالغة ٧٠ تأليفاً ، ومنها مقاله في التوحيد نشرت في مجلة المشرق ، وردّه على يعقوب ابن اسحق الكندي نشر في مجلة المشرق المسيحي سنة ١٩٢٠ ، وكتاب ما بعد الطبيعة نقله من السرياني الى العربي على ما ذكره ابن العبري في تاريخ الدول العربي ص ٦٣ ، ومنها كتاب ثاوفرسطس نقله كذلك من السرياني الى العربي على ما ذكره العلامة السمعاني .

وبتضح بما تقدم مافي البحث العلمي عن فهارس دور الكتب من الفوائد ، ويستحق المؤلف الفاضل كل ثناء لعنابته بمخطوطات خزانة الدير السريانية والعربية على السواء ، ونشكر له اتخافه بهذه التحفة التي اصاب في تسميتها بالطرفة

التنويحي

كتاب الكليات

لابن رشد

لأبي الوليد محمد بن رشد فيلسوف العرب الأشهر كتاب طبي موجز عرف بكليات ابن رشد، يحتوي على سبعة أبحاث، كل منها يسمى كتاباً في اصطلاح تلك الأيام. وهذه الكتب أو الأبحاث هي: كتاب تشریح الأعضاء وكتاب الصحة وكتاب المرض وكتاب العلامات وكتاب الأدوية والأغذية وكتاب حفظ الصحة وكتاب شفاء الأمراض.

ونسخ كتاب الكليات نادرة، وأقدمها نسخة مخطوطة وجدت في دير الجبل المقدس بأعلى غرناطة، وهي كاملة مضبوطة. وقد عمد معهد الجزائر فرنكو للأبحاث العربية الاسبانية في طنجة الى هذه النسخة فنقلها بالتصوير الشمسي على ورق جيد، بعد ان قدم لها السيد ألفريد البستاني (استاذ الآداب العربية في معهد الدراسات المغربية في تطوان) بمقدمة حسنة ذكر فيها نشأة ابن رشد، وأشار الى مؤلفاته، وخلص آراءه الفلسفية، وبين انه كان اعظم شارح لفلسفة أرسطو المعلم الأول. وترجمت هذه المقدمة الى الاسبانية وطبعت في الجهة اليسرى من الكتاب.

ووضع في آخر كتاب الكليات فهرس لموضوعات أبحاثه، وفهرس ثمان لبعض النباتات والحيوانات والمعادن التي ذكرت فيه، مع بيان اسمائها العلمية واسماؤها الاسبانية، وبيان شيء موجز عن كل منها.

ويقول ناشرو كتاب الكليات ان معهد الجزائر فرنكو يعد الكتاب المذكور باكورة لمخطوطات عربية أخرى منتشرها لجنة الأبحاث العربية الاسبانية في المعهد المشار اليه، وهو عمل يشكرون عليه. وما دام الأمر كذلك فمن المفيد ان تنبه المعهد الى نواقص وهنات وردت في الكتاب لعل القائمين على هذا العمل الجليل يتقون أمثالها في منشوراتهم التالية.

أولاً : من المعلوم أن المخطوطات التي تكون منسوخة في القرن السادس من الهجرة بخط مغربي قلما تكون قراءتها سهلة ، ولا سيما اذا كان القراء من العرب المشاركة ، ومن العيب أن يضيع هؤلاء القراء معظم وقت القراءة في تهجي حروف الكتاب بدلاً من تفهم معاني جملة . ولهذا من الضروري ان تطبع المخطوطات التالية طبعاً ، وان لا يكتبي بنقل صورها الشمسية .

ثانياً : تراث اجدادنا الأقدمين انواع ، فالأهيات من كتب الادب تصلح لكل زمان ومكان ، والأهيات من كتب اللغة لا غنى عنها الى ان نضع ما هو اصح منها لزماننا هذا الذي اتسعت فيه المعارف البشرية اتساعاً ضاقت عنه المعجمات القديمة كل الضيق . اما الكتب الفلسفية التي خلفها الاجداد ففي قراءة كثير منها فوائد حمة ككتاب التهافت للغزالي و كتاب تهافت التهافت لابن رشد واشباهها . واما الابحاث العلمية التي خلفوها فبعضها لا يغير الزمان حقائقه كلقواعد والنظريات الرياضية ؛ وبعضها لم يعد صالحاً لأيماننا هذه ككتب الطب والزراعة والطبيعة ، لأن هذه العلوم قد تقدمت وتوسعت كثيراً وتبدلت اليوم تبديلاً كلياً عما كانت عليه في القرون الوسطى او في أيام المدينة اليونانية .

ويتضح من ذلك انه لا فائدة علمية تذكر في طبع مثل كتاب الكلبيات ، لكن في طبعه فائدة تاريخية كبيرة من حيث أنه حلقة من حلقات تاريخ العلوم الطبية ، وله أيضاً فائدة أخرى وهي اشتغاله على مصطلحات يجدر بعلمائنا المعاصرين اقتباسها .

ثالثاً : عندما يُعمد إلى وضع الأسماء العلمية التي تنظر إلى الكلم العربية يجب ان يناط هذا العمل بعالم اختصاصي ، فالسيد الفريد البستاني لم يوفق في فهرس النباتات والحيوانات كما وفق في المقدمة التي وضعها عن ابن رشد . ولهذا جاء في هذا الفهرس أغلاط كثيرة يجتريء بذكر بعضها :

(١) وضع إزاء لفظة « أشنة » اللفظة العلمية *Juniperus oxycedrus*

- على حين ان هذه اللفظة تدل على شجر العرعر . وأين الأشنه من العرعر .
- (٢) جعل أمام لفظه « الجران » التي يستعملها المغاربة للدلالة على الضفدع لفظه *Ranunculus* على حين ان هذه اللفظة العلمية تدل على نبات الحوذان . وفي هذا الجنس من النبات أنواع كثيرة يعرفها المشتغلون بالنباتات الزراعية كحوذان الزهارين والحوذان الافريقي (عود الصليب) والحوذان الزاحف والحوذان الحرفيف (زر الذهب) الخ . .
- (٣) جعل لفظه الجلبان تنظر إلى الكلمة *Ervum ervilia* والحقيقة ان الاسم العلمي للجلبان هو *Latirus sativus* أما الكرسة فهي *Vicia ervilia* .
- (٤) وضع أمام لفظه الدلب لفظي *Chaisnus, casnus* و جنس الدلب في اللسان العلمي *Platanus* وفيه أنواع .
- (٥) جعل الصفصاف ينظر إلى *Populus* في حين أن هذه اللفظة تدل على الحور . أما الصفصاف فهو جنس *Salix* وفيه أنواع عديدة .
- (٦) جاء أمام لفظه الثوم *Pallium* والحقيقة *Allium Sativum* .
- (٧) وضع أمام لفظه البصل *Unio* على حين ان اسم البصل العلمي *Allium Cépa* .
- (٨) وضع للبطيخ اسماً غير اسمه العلمي المعروف وهو *Citrullus Vulgaris* .
- (٩) لم يذكر الأسماء العلمية لعدد من النباتات المعروفة كالبنندق والتين والجوز والعبء ، وهذه الأسماء موجودة في كتاب « الأشجار والأنجم المثمرة » من تأليني وفي غيره من الكتب الزراعية .
- (١٠) جاء في عدد كبير من الأسماء العلمية اغلاط مطبعية شوهت هذه الأسماء تشويهاً شنيعاً ، ومن هذه الأسماء المشوهة تلك التي تنظر الى النباتات الآتية : الباذنجان والحلبة والحناء والسرو والعناب والقرطم والكرفس واللفاح واللوبياء والياسمين وغيرها .

هذا بعض ما رأيت ان ألفت النظر اليه من الهنات . والحقيقة انه مامن لفظة وردت في هذا الفهرس إلا وفيها غلطة او اغلاط سواء من حيث عدم الاهتداء الى الأسماء العلمية الصحيحة ام من حيث عدم الانتباه للأغلاط المطبعية ام من حيث عدم التدقيق في قليل الايضاحات التي ذكرت لكل نبات .

ونحن لا نذكر هذه الأمور تضييلاً لعزائم رجال معهد الجنرال فرنكو بل شحذاً لهممهم وتشجيعاً لهم على السير في عملهم المفيد حتى تجيء الكتب التي وعدوا بنشرها خالية من امثال هذه الهنات . ولا شك ان المجمع العلمي العربي بدمشق هو اول من يقتبط بنشر كنوز الأندلس الدفينة وإلباسها أثواباً قشبية كالحلة الجميلة التي كسي بها كتاب الكليات .

مصطفى الشهابي



النبوغ المغربي في الأدب العربي

جرآن بالقطع الصغير في نحو ٢٠٠ صفحة طبع في المطبعة الهدية بتطوان

تأليف عبد الله الكونوني

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ الفاضل المؤرخ سيدي ابو محمد عبد الله الكونوني الحسيني من أسرة كتون المشهورة بالعلم والصلاح في المغرب الأقصى ، ذكر ما يريد من الأدب العربي في مقدمة كتابه فقال :

(هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة ورمينا بذلك الى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب) فدلّ بذلك عي انه لم يقصر كتابه على تراجم الأدياء وما أثر عنهم من منظوم ومنتشر كما هو مفهوم الأدب قديماً وانما هو يتمشى مع روح العصر في معنى الأدب

أما الحامل له على وضع كتابه فقد أبانه بقوله :

(نربط حلقات البحث الموصل الى اكتناه حقيقة ماضينا الأدبي ليشاهده من كان يجادل فيه) ولكن من يكون هذا الذي يجادل في ماضي المغرب الادبي ؟ يظهر ان المؤلف اراد بهم اهل المشرق بل قد صرح بذلك فقال :

(وقد كثر عتب الأدياء في المغرب على اخوانهم في الشرق لتجاهلهم ايام وانكار كثير منهم لكثير من مزاياهم) وكان على المؤلف ان يكشف عن مراده بالمغرب الذي تتجاهله : أهو المغرب القديم او المغرب الحديث ؟ فاننا معشر المشاركة نؤمن بالمغرب القديم إيماناً قد يكون اقوى من ايمان اهله به : نؤمن بان خلدون ومقدمته ، والقاضي عياض وشفائه ، وياين مالك والفيته ، وياين رشد وفلسفته ، وياين سيده ومخصه ، وياين عربي وفتوحاته (مع شيء من التوقي والحذر) وياين جبير ورحلته ، وبالشاطبي وموافقاته ، وبالشاطبي الآخر وشاطبيته (في علم القراءات) وياين زيدون ورسالته (الى ابن عبدون) والمقري ونفح طيبه وياين حزم وفضله ، وياين

الطفيل وحى بن يقظانه ، وابن حجلة وديوان صابته ، وابن عبد ربه وعقده ، والشريف الادريسي ونزهة مشتاقه (في الجغرافية) ، كل أولئك نعجب بنبوغهم ونراهم حجة للمسلمين على غيرهم ؛ اما المغرب الحديث فاننا لسنا ضعيفي الثقة بنبوغ ابنائه وانما نحن قليلو المعرفة بهم وبآثارهم . وقد أخذت هذه المعرفة تنمى بيننا وتزيد : من يوم ان جعلت مطابع المغرب نتحفنا من وقت الى آخر بآثار السادة (ابن زيدان) و (الكتاني) و (الحجوي) وأخيراً (الكنوني) ومن يوم ان قام الفضلاء امثال سيدي (ابو عياد) وسيدي (محمد داود) بترددون بين المشرق والمغرب : يأخذون من افواهنا ويلقون على مسامعنا ما يسرُّ تارةً ويؤلم أخرى ، ولكنه في الجملة مؤيد الى شدة الأواصر وتنوير البصائر .

نرجع الى كتاب (النبوغ المغربي) فأول ما يثير عجبنا منه انه لم يكن على نغز أمثاله من مطبوعات المغرب التي اعتدنا ان نلس فيها جودة الورق وحسن الحرف واثقان الطبع ، بلى ضرب على غرارها في كثرة الأغلط ، وقلة العناية بالتصحيح وترك التعليق على ما يحتاج الى إيضاح ولا سيما بالنسبة اليها معشر المشاركة الذين ألف الكتاب باسمنا وعلى نية إفادتنا .

والكتاب بجملته منقسم الى جزئين (الجزء الأول) تضمن احوال عصور المغرب (او انقلاباته) وجعلها المؤلف خمساً

وقد ذكر في كل عصر سياسة الدولة أولاً ثم يعقبها بذكر (الحركة العلمية) فيترجم لعملاء ذلك العصر ثم (الحياة الأدبية) فيذكر ما للملوك من التأثير فيها ثم يترجم للأدباء ويستطرد الى ذكر ماله علاقة بذلك

خذ مثلاً (عصر العلويين) التي قامت فيه (الدولة الشريفة) منذ أوائل القرن الحادي عشر الى اليوم : فقد ذكر المؤلف موجزاً من قيام هذه الدولة ونشاطها في قمع المخالفين ثم علاقتها السياسية مع مجاورها من ملوك اوروبا ثم المقارنة بين ملوك

هذه الدولة: أيهم أساء وأيهم أحسن: من ذلك ثناء المؤلف على أحدهم (محمد بن عبد الله) الذي سعى في التقرب من الدولة العثمانية وشدّ أزرها حتى انه طرد سفير الروسية من طنجة لحين نشوب الحرب بين الروس والعثمانيين ، ثم ختم المؤلف هذا العصر بذكر مآثر مولاي الحسن الذي توفي سنة ١٣١١ هـ وانتقل الى (الحركة العلمية) فذكر ضعفها حيناً ونشاطها حيناً آخر والأسباب التي أدت الى كلال الأمرين وما ذكره في أخبار هذا العصر ان مولاي محمد بن عبد الله اصدر منشوراً علياً خاطب فيه علماء بلاده مشيراً عليهم كيف يجب ان يكون سلوكهم في التحصيل وفي اختيار كتب العلم وقد سرد عليهم اسماء ما يعول عليه منها وما ينبغي اطراحها ، ثم ذكر المؤلف علماء هذا العصر تحت عنوان (الهيئة العلمية) يريد جماعة العلماء) كما يقول في بلادنا (هيئة المحكمة) بل كما يقول المصريون (هيئة كبار العلماء) فترجم لبعة عشر منهم واكتفى عن ذكر بقيتهم بسرد ما تركوه من المؤلفات فاستوعبت خمس عشرة صفحة فقط . وفي احصائها على هذه الصورة فائدة لعشاق الكتب ولجان النشر وارباب المطابع . ثم انتقل المؤلف الى (الحياة الأدبية) فذكر عناية ملوك هذه الدولة بالأدب والادباء وتقريبهم اياهم واجزال الصلات لهم حتى ان (مولاي رشيد) أجاز شاعراً بألفين وخمسمائة دينار على بيتين قالهما فيه وهما :

فاض بحر النوال في كل قطر من ندى راحتك عذباً فرانا

غرق الناس فيه فالتمس الفة رُ خلاصاً فلم يجده فانا

ثم ترجم لطائفة من أدباء ذلك العصر وختمه بترجمة العلامة المؤرخ المسمى (اكنسوس) وذكر الاكنسوس هذا شاعراً لكنه لم يفسر لنا كلمة (اكنسوس) ولماذا سمي هذا العالم بهذا الاسم وكانت وفاته سنة ١٢٩٤ هـ .
أما (الجزء الثاني) من الكتاب فقد ضمنه ما أثر عن علماء المغرب وأدبائه (الذين ترجم لهم في الجزء الاول) من منظوم (حماسة ونغر وغزل ومدح وهج الخ) ومنثور (خطب ومحاضرات ومناظرات ومقالات ومقامات الخ) .

وكنا نتصفح الكتاب ونمرّ بصرفنا على مضامينه فنفيد علماء ، وتذوق من نبوغ أدباء المغرب ما طاب وقعا ولذّ طعاما ، غير أننا كنا أحيانا نلح خلال فوائده الجمّة أشياء كان يحسن السكوت عنها او الاقتصار على نبذة منها من ذلك قصيدة العلامة ابن ناصر (وفاته ١٠٨٩ هـ) وقد ختم بها الكتاب فكانت (مسك الختام ولينة التمام) كما وصفها المؤلف وهي سبعون بيتا كنت أقرأ منها البيت بعد البيت وانا أعجب من طولها وضعف نظمها ومنها قوله :

يارب يارب أنلنا الأمانا	إذا ارتحلنا	وإذا أقنا
يارب واحفظ زرعنا وضرعنا	واحفظ تجارنا	ووفر جمعنا
واجعل بلادنا بلاد الدين	وراحة المحتاج	والمسكين
واجعل لها بين البلاد صولة	وحومة	ومنعة ودولة
واجعل من السرّ المصون عزها	واجعل من السرّ الجميل	حرزها
واجعل بقافٍ وبصاٍ وبنون	الف حجاب	من ورائها يكون

لا جرم ان مثل هذه القصيدة يحتاج الى تعليق يبين اتصالها بموضوع (النبوغ المغربي) ويصف لنا على الأقل مبلغ تأثير استغاثتها الحارة في صيانة بلاد المغرب مما منيت به وانسأقت اليه او لعل المؤلف ترك التعليق للقارئ الفطن فهو الذي يركب ويحلل ، ويستنتج ويعمل .

المغربي

آراء وانباء

منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربية

في ١٣ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٢ م اصدر جلالة ملك مصر فؤاد الأول عليه رحمة الله مرسوماً بإنشاء معهد باسم «مجمع اللغة العربية الملكي» يكون تابعاً لوزارة المعارف ، وأغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وان ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ، وان يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة .

وفي ٦ من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٣٣ اصدر المرسوم الملكي بتعيين الاعضاء العاملين للمجمع ؛ وعدتهم عشرون عضواً : عشرة من المقيمين بمصر ؛ وخمسة من الشرقيين ؛ وخمسة من المستشرقين . وهم : الدكتور محمد توفيق رفعت باشا (الرئيس) . حاتم نحوم أفندي . الشيخ حسين والي (توفي) . الدكتور فارس نمر باشا . الدكتور منصور فهمي بك . الشيخ ابراهيم حمروش . الشيخ محمد الخضر حسين . أحمد العوامري بك . علي الجارم بك . الشيخ احمد علي الإسكندري (توفي) . ١٠٥٠ ر . جب . الدكتور ا . فيشر . ١٠٠ نلينو . (توفي) . م . ماسينيون . ١٠٠ ج . فسنك (عين بدلا منه الاستاذ ليمان) . محمد كرد علي بك . الشيخ عبد القادر المغربي . الأب أنستاس ماري الكرملّي . عيسى اسكندر المعلوف أفندي . السيد حسن حسني عبد الوهاب .

وفي صباح ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ عقد المجمع الجلسة الأولى للدورة الأولى ؛ ثم والى بين اربع وثلاثين جلسة تمت بها هذه الدورة . وتابع المجمع عقد دوراته في مفتتح الشتاء من كل عام ، حتى أتم ست دورات ، كل دورة منها خمس وثلاثون جلسة ماعدا الأخيرة ؛ فقد كانت ستاً وثلاثين جلسة .

وكان فيما بين كل دورتين من دورات الانعقاد تجتمع اللجان التي ألفها المجمع ؛
 وقسم بينها جبهة العلوم والفنون ، وعهد إليها بدراسة المصطلحات ، وإعدادها
 للعرض على المجمع في موسم السنوي . وهذه اللجان تجتمع مرة في كل اسبوع
 في خلال الفترة بين كل دورتين ما خلا أشهر الصيف ، وفي اثناء دور الانعقاد في
 بعض الأحيان ؛ وتستعين كل لجنة بجبير فني في العلم او الفن الذي تدرس مصطلحاته .
 وقد وضع المجمع نصب عينيه أولاً اخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون
 من العلوم والفنون . ولما كانت المصطلحات الواردة في كتب التعليم في مصر ، إما
 مذكورة بألفاظها الأجنبية ، وإما مترجمة في الغالب ترجمة غير دقيقة ، عمد المجمع
 الى استظهار الفاظ فصيحة وصيغ دقيقة تؤدبها على جهة الضبط والصحة ، وذلك
 اما باستخراجها من قديم العربية ومكنوزها ، واما بوضعها وضعاً جديداً . ووجه
 جلّ همّه أولاً الى المصطلحات التي تدخل في التعليم الثانوي ، فاستخرج آلافاً
 منها في علوم الأحياء ، والرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسي ، والقانون ، وتاريخ
 القرون الوسطى ، والموسيقى ، والرسم ، والعمارة . وأقرّ من هذا طوائف كبيرة هي
 الآن معدّة مشروحة في متناول المؤلفين والمعلمين .

وقد وافقت ادارة المجمع ووزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح
 من التي مرّت أكثر من عام على تقريرها ، على ان تطبع وتوزع على المؤلفين والمفتشين
 والأساتذة ، لإدخالها في كتب التعليم وفي التدريس . كذلك أحس المجمع حاجة
 الجمهور الى أسماء عربية تؤدّي المسميات الحديثة في الشؤون العامة كأدوات المنازل
 وانائها ، وما تتناقله الألسن والاقلام في الاسواق والأندية والصحف ، فبحث في
 كثير من هذه المسميات ، وأقرّ طائفة جلييلة من اسمائها ، وهي الآت مشروحة
 مقرونة بمقابلها الافرنجي .

ومن اهم ما عني به المجمع انه رأى ان في التزام بعض قواعد معينة من القواعد

التي دُرِّج عليها في العربية ، تضييقاً في افق اللغة ، وحرَجاً في التعبير عن كثير من مستحدثات المعاني ، وعلى الخصوص ما يتعلق بالترجمة عن مصطلحات العلوم والفنون ، مما كان له ابلغ الأثر في قعود اللغة العربية عن مجاراة العصر الحديث ومواناة حاجاته لذلك بحث المجمع بحثاً وافياً في اصول اللغة ، وترسم مذاهبها المختلفة ، وتنبع ما مضت اليه آراء الأفاضل والجماعات من متقدّمي العلماء في قواعدها التي لتصل بهذا الباب ، وتخبر منها كل ما يسرها ، ويوسع اقبستها ، ويلينها للترجمة عن مستحدثات المعاني في غير عسر ولا حرج . وافر المجمع من هذه القواعد أكثر من اربعين قاعدة بعد درس وخص ، وهي الآن صالحة جليلة النفع ، وقد استفاد المجمع منها اكبر استفادة في وضع الألفاظ الجديدة . وهذه القواعد ستعين المشتغلين باللغة العربية على انماؤها .

ومما اتجه اليه جهد المجمع انه وضع نظماً ثابتة لتعريب الأعلام الأجنبية للممالك والبلدان ، وذلك لما راه من الاضطراب الشديد ، سواء في كتابتها او النطق بها . فعمد الى تحقيق تلك الأعلام ، توسلا الى كتابتها والنطق بها على جهة الصحة ، واستحدث رقوماً وعلامات تلحق بالحروف العربية ، بحيث اذا كتب بها العلم الأجنبي احتفظ بصورته الصحيحة ، وامكن النطق به كما ينطق به اهله . ورفعاً لعب التطبيق عن المترجمين ، قرّر المجمع ان يوزع على اعضائه اعلام الممالك والبقاع في انحاء الدنيا ، لكتابتها طوعاً لتلك النظم المرسومة ، على ان يخرج بها معجماً جغرافياً وافياً يسد حاجة المشتغلين بالترجمة ومؤلفي الكتب الجغرافية ، وذلك بأيسر جهد .

هذا وقد أراد المجمع ان يسعف رجال التعليم بإرشادات سريعة في ترجمة اعلام البلاد ، فأصدر كشوفاً بالأغلاط القائمة في المصورات الجغرافية المستعملة في المدارس ، وكذلك اصدر قائمة بأعلام بلاد السودان المصري ، والحبشة ، والصومال ، وشمال إفريقيا ، وغرب آسيا على الوجه الصحيح .

كذلك عني المجمع بوضع المعجمات التي تدعو إليها حاجة الطلاب والمترجمين ،
فقرّر وضع معجمين للتعليم الثانوي : (الأول) معجم علمي صغير للتعليم الثانوي
في الأقطار العربية ، (والثاني) معجم لغوي ثبت فيه طوائف من المواد والألفاظ
والصيغ التي تلائم جمهرة المثقفين ، على أن يكون على أحدث نمط عصري ، بحيث
يفني الطالب الثانوي والمثقف الوسيط عن غيره من المعجمات ، مع التيسير في
الكشف والمراجعة . وتقوم الآن بوضع هذا المعجم لجنة مؤلفة من خمسة من
حضرات أعضاء المجمع واستاذين في كلية الآداب .

وفوق هذا ، عمدت ادارة المجمع الى بعض المعجمات الخاصة بالعلوم والفنون ،
فأفرغت مصطلحاتها العلمية في جزايات ، وذلك تمهيداً لترجمتها بما يؤدّيها من صحيح
العربية ، وقد تم العمل حتى الآن في ثلاثة معجمات : (أحدها) في الاقتصاد السياسي .
(والثاني) في الكهرباء واللاسلكي . (والثالث) في فن العمارة والبناء . ويجري العمل
الآن في معجمين : (أحدهما) في مصطلحات الكيمياء . (والثاني) في مصطلحات
الطب . وستكون هذه المعجمات وغيرها ، بعد ترجمتها ترجمة علمية صحيحة ، مادة
ميسرة ، سواء للمعجمات العربية الجديدة ، او الكتب العلمية .

وينشر المجمع قراراته اللغوية في القواعد والمصطلحات في مجلته السنوية . وقد
اصدر حتى الآن منها اجزاء اربعة في نحو الف وخمسة صفحة ، حاوية للقواعد
مع الاحتجاج لها ، والمصطلحات مع شروحيها . وفيها الى جانب ذلك دراسات
لغوية مستقلة لأعضاء المجمع وغيرهم من الباحثين . وأجزاء المجلة تهدي الى كثير من
المعاهد العلمية في العالم الشرقي والغربي ، وكبار المشتغلين باللغة العربية في جميع الاقطار .
وأصدر المجمع فوق ذلك مجموعة المحاضر لأربع دورات ، وهي في نحو التي صفحة ،
مشملة على ما دار في الجلسات من المناقشات العلمية ، ومما أخذ المجمع به نفسه ان
قراراته في الاسباب اللغوية لا يصبح شي منها نهائياً الا بعد نشره بين يدي الجمهور

بعام كامل ، وذلك ليتيحاً له مراجعة ما عسى ان يواجه عليه من فنون النقد .
 واخيراً عنتت وزارة المعارف بوضع مشروع مرسوم يخول زيادة عدد الاعضاء
 الى ثلاثين ، وينظم من الأعضاء المقيمين بمصر مجلساً يعمل طوال العام ، على ان
 تكون القرارات الخاصة بمادة اللغة العربية من مؤتمر المجمع الذي يتعقد اربعة
 أسابيع متوالية في العام .

وفي ٢٨ من ايار (مايو) سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بهذا التعديل .
 وفي ٢٥ من تشرين الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بتعيين عشرة
 من اقطاب اهل العلم والفضل والأدب اعضاء في المجمع ، وهم : الدكتور محمد حسين هيكل
 باشا . الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . الدكتور علي ابراهيم باشا . الأستاذ الشيخ محمد
 مصطفى المراغي . عبد العزيز فهد باشا . احمد لطفي السيد باشا . عبدالقادر حمزة باشا .
 الاستاذ عباس محمود العقاد . الدكتور طه حسين بك . الأستاذ احمد امين بك .
 انتهى ملخصاً من منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربية الصادر هذه السنة)

•••••

البدء بالنارخ

ارجو ان تلتفتوا نظر الحكومة لاستعمال الأعداد حسب القواعد العربية بالبدء
 من اليمين والعدول عن التراكيب التركيبية فمثل سنة ١٣٥٩ يجب أن تكون
 تسعة وخمسين وثلثمائة والف لا كما هو المتعارف الف وثلث مائة وتسعة وخمسون
 بالترجمة التركيبية بيك او جيزو اللي طقوز .

لعل هذه تكون خطوة أولى باصلاح الأخطاء العربية المستعملة بتعميم من
 رئاسة الحكومة بوجب اتباع القواعد العربية في مسائل الأعداد فان الله يزرع

بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن

محمد سعيد الدرعي

مجلة مجمع العلمي العربي

العدد: ١٣٣٩: هو الموافق سنة ١٩٢١ م
تشر في دمشق مرة في الشهر

آذار ونيسان سنة ١٩٤١ م
ربيع الأول وربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفء مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ = =

مطبعة الرزقي بدمشق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ابن عَنِين

شاعر القرن السابع

هو محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عَنِين الأنصاري ، وعَنِين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، كنيته ابو المحاسن ولقبه شرف الدين . أصله من الكوفة وولد في دمشق ومات فيها (٥٤٩ - ٥٦٣٠ هـ) تأدب ابن عَنِين بأدب عصره واخذ عن مشايخ بلده ما تيسر له أخذه . اشغفل في دمشق بالفقه على القطب النيسابوري والكمال الشهرزوري ، وقرأ الأدب على أبي الثناء محمود بن رسلان وسمع ببغداد من منوچهر بن تركانشاه راوي مقامات الحريري ، وعني كثيراً باللغة حتى عدّ من علمائها في عصره ، وكان يستحضر كتاب الجهرة لابن دريد وقد اختصره ، وكتب في النثر تاريخ العريزي ، وقد فقد كلا التأليفين . وجاء من ابن عَنِين شاعر مطبوع يجول في أكثر اغراض الشعر وجوّد في جولاته وموضوعاته فعدّ من اعظم شعراء زمانه ، وشعره في الوصف والشعر العاطفي آية ، واشتهر بين الناس بهجوياته . واذ لم يكن له غرض في جمع شعره لم تسمُ همته الى تدوينه ، فهو يوجد مقاطيع في ايدي الناس . وقد جمع له بعض اهل دمشق قديماً ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم الرائع ، وقيل ان فيه اشياء ليست له .

طار صيت ابن عَنِين بهجوياته ، وما كان ينبجو من هجوه كبير ولا صغير . وشعره في الهجو خال من الاقذاع في الجملة ، وربما ضحك المهجو منه وساعه بما قال واقترى . وله في باب الاهاجي قصيدة بداعب فيها جماعة من الدمشقيين ، وهي القصيدة المعروفة بمقراض الأعراض افنتحها بقوله :

أضالع تنطوي على كرب ومقلة مستهله الغرب
شوقاً الى ساكني دمشق فلا عدت رباها مواطر السحب
منازل ما دعا تذكراها الا ولي على النوى لبي
وقد ذكر فيها جماعة بأشبع الأوصاف وختمها بقوله :

وحين أبصرت دولة الأعداء دب أربت على علا الشهب
فقلت للمفلسين ويحكم تحادبوا فهي دولة الخدب

هيا ابن عنين العلية من قومه ومنهم المؤيد بن القلانسي والجمال بن المهدي الكاتب والقاضي ابن عصرون والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين وكاتبه . وكان وقوعه على ما يظهر في القاضي الفاضل سبباً اعظم في غضب صلاح الدين عليه ، فأمر بتسييره من دمشق بسبب وقوعه في الناس ونفاه الى اليمن فمدح صاحبها طفتكين من اخوة صلاح الدين . طاف شرف الدين البلاد من الشام والعراق والجزيرة واذريجان وخراسان وغزنة وخواززم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند ورجع من طريق الحجاز الى الديار المصرية ، وقد مات صلاح الدين وتملكها اخوه الملك العادل ابو بكر بن ايوب ، فسار متوجهاً الى دمشق وكتب اليه قصيدته الرائية يستأذنه في دخول الفيحاء ويعدد ما قاساه في الغربة ، قال في الوفيات : وقد احسن فيها كل الاحسان ، واستعطفه ابلغ استعطاف ، وأولها :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو ساءحوني في الكرى

وصف في أوائلها دمشق وبساتينها وانهارها ومواضع متزهاتها ومما قال :

فسقى دمشق وواديها والحي متواصل الارهام منفصل العرى

حتى نرى وجه الرياض بعارض أحوى وفود الدوح ابيض ازهرا

تلك المنازل لا ملاعب عاج ورمال كاظمة ولا وادي القرى

أرض اذا مرت بها ريح الصبا حملت على الأغصان مسكاً أذفرا

ثم عاد مشيراً الى النبي منها :

فارقتها لا عن رضا ، وهجرتها لا عن قلى ، ورحلت لا متخيراً
 أسعى لرزق في البلاد مشتت ومن العجائب ان يكون مقترا
 وأصون وجه مدائحي منقنماً وأكف ذبل مطامعي مستترا
 ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها :
 أشكو اليك نوى تهادى عمرها حتى حسبت اليوم منها أشهراً
 لا عيشني تصفو ، ولا رسم الهوى يعفو ، ولا جفني يصالحه الكرى
 أنحى عن الأحوى المربع محولاً وأبيت عن ورد النعير منفراً
 ومن العجائب أن يقبل بظلمكم كل الورى ونبذت وحدي بالعرأ
 قال ابن خلكان وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندى أنها هي خير من
 قصيدة ابي بكر بن عمار الأندلسي التي أولها : « أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى » ،
 ولما نفي من دمشق قال :

فعلام أبعدتم أبا ثقة لم يجترم جرمًا ولا سرقا

أنفوا المؤذن من دياركم ان كان ينقى كل من صدقا

ولما عاد اليها وتقدم بها عند المعظم قال :

هجوت الأكاير في جلق ورعت الوضيع بهجو الرفيع

وأخرجت منها ولكنني رجعت على رغم أنف الجميع

ووصل به الحال ان هجا بعض الملوك الأيوبيين ، فانه لما ورد من اليمن

الى مصر وطلبوا منه موجب ما ورد معه ، قال بهجو الملك العزيز صاحبها :

ما كل من يتسمى بالعزيز لها أهل ولا كل يرق بحبه غدقه

بين العزيزين بؤن في فعلهما هذالك يعطي وهذا يأخذ صدقه

وقال في العادل سيف الدين بن ايوب :

ان سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الإئناق
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق
وهذا هجو خفيف على القلب غير ثقیل على السمع ، لا بداءة فيه ويحمل نكتة
لطيفة . وهنا يعرض على الخاطر لماذا شق على الشاعر ان يطلع عمال المكوس على
ما في متاعه ، وقد آب من سفرته هذه أيجر الحقائب ، وجمع من جوائز صاحب
اليمن وجوائز غيره اموالاً أتجر بها فقدروا ما تمولّه بثلاثين الف دينار ، ومن كان
يملك هذا وهو في عقل ابن عنين ومعرفته ، لا يشق عليه ان يدفع حق الدولة ،
هذا ان لم يكن من اعتادوا الأخذ ولا يعرفون العطاء ، ولا يرون ابدأ غير
الزيادة في وفرهم .

قال من ترجوا لابن عنين : انه كان من اطرف الناس واخفهم روحاً واحسنهم
مجوناً ، وكان وافر الحرمة عند الملوك ، ولما عاد الى دمشق تولي الوزارة بدمشق
في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ، وانفصل منها لما ملكها
الملك الأشرف ، قال الصفدي في الوافي : انه لما ولي كان محمود الولاية ، كثير
النصفة ، مكتوف اليد عن اموال الناس ، مع عظم الهيبة . فمن يحطبه الملوك لتولي
أمور الدولة ، فيه ولا شك شيء من أخلاق العطاء ، وليس هو بالشاعر الذي يجوز
لنفسه ان يمد كل حين يده لمن يفضل عليه بشيء ، وأخلاق الشعراء غير
أخلاق الأمراء .

لا جرم ان ابن عنين آلم بهجوه بعض المشهورين ، وما استطاعوا ان يصحوه
الا بما جرت العادة ان يصم به الخصم خصمه ، واهم ما وصموه به تكفيره وتبديعه
وتفسيقه ، فقالوا انه كان يخلُّ بالصلاة ، ويصل ابنة العنقود ، واشتد بعضهم داوغل
فرماه بالزندقة ، وكل اولئك تهات سهلته النطق على الناقلين والموتورين ، ولو كان
كما زعموا زنديقاً ما عمر مسجداً بأرض المزة منزلة كلب واوصى أن يدفن فيه ،

ولو كان متحلاً من العقيدة ما اختاره ملكان عظيمان للوزارة والملك من أخوف الناس من الرأي العام واعدائه وابتاؤهم واحفادهم يحصون عليه انفاسه .
ولا نعتقد نفرة بعضهم منه الا بسبب هجائه لهم ، وهجوه ينبعث على الأغلّب من نكتة اذا جاءته ارسلها . ولو كانت في عظيم لا يستحقها وتؤذيه فيحتمق عليه بها .
ولو كانت يحسب لكل ما يبتده من شعره حساباً لما هجا القاضي الفاضل ، وهو اعظم رجال عصره في السياسة والادب ، ومن أشرف رجال الدولة على التحقيق .
نعم أخذ كما قال ياقوت ، في الهجو بنفس طويل ، وتفنن بأساليب السب والثلب ، فأورد مالا يحسن ايراده حتى لقد هجا أباه ايضاً بقوله

وجنبني أن أفعل الخير والد ضئيل اذا ما عد اهل المناسب

بيد من الحسنى قريب من الخنا وضع مساعي الخير جمّ المعاييب

اذا رمت ان اسمو صعوداً الى العلى غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

ونحن نشك كثيراً في نسبة هذا الهجو له ، ولعل هذه الايات مما نجله اياه واعدائه وخصماؤه . ومن هجاء ، والغالب انه كان يتبرم بعشرته ، ابن المهدي في جواب رقعة طويلة ارسلها اليه :

وردت منك رقعة أسأمتني وثنت صبري الجميل كلولا

كتمار المصيف حراً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولا

كان لشرف الدين دقة احساس الشاعر ، وكان جهبذاً نقادة ، وربما كان قومه يريدون منه ان يقرّم على مساوئهم ، فما رأى غير ادائه الشعرية يصوبها اليهم كل حين يشفي بها صدره من انحطاطهم والتواء أخلاقهم ، فمن ذلك قوله في الرشيد النابلسي ، وقد صفع ، يداعبه بل يثلبه :

تعجب قوم لصفع الرشيد وذلك ما زال من دابه

رحمت انكسار قلوب النعسا ل وقد دنسوها بأثوابه

فوالله ما صفوه بها ولكنهم صفوها به
 وقال بهجوه وابن شيث ويضيف نفسه اليها :
 انا وابن شيث والرشيذ ثلاثة لا يوتجى منا خلق فائده
 من كل من قصرت يدها عن الندي يوم الجدا وتطول عند المائده
 فكأنتا واو بعمرو ألقت أو اصبع بين الاصابع زائده
 وقال بهجو الموفق ابن مطران :

وقالوا اسعد بن الياس اضحى رئيساً لا حوته يد السعود
 ولا اهجو الوجود وقد حواه لأن وجوده هجو الوجود
 وقال بهجو ابن عساكر المعروف بخبز بدبس :

يا خليطاً بالبدبس قصر عن الشمر فقد قيل راجح الشر خامر
 وترفق بالجند فالجند آبا ؤك ان صح انك ابن عساكر

إذا صح الحكم عليه بهذه الأهاجي ، وما رأينا له في الموضوع الواحد غير
 البيتين والثلاثة ، ومعظمها مرتجلة على ما يظهر يوردها في مجلسه أو مع اصحابه ،
 وأكثرها مما يتعمده للنكتة ، فلنا أن نقول انها تنقلت بين القوم لسلاستها
 وخفتها على النفس ، ولطالما تنوقل الردي المختصر وزهد في الجيد المطول ، والا
 فان لابن عنين قصائد ومقاطع قالها في احوال كارثة كانت هي اولى بأن تشهره
 بين الناس ، وان يتناقلوا ويتدارسوها ، خصوصاً ما صدر عنه في غربته ، وقد طالت
 على ما يظهر ، وما كان يحمله رسائله الى اصحابه وغيرهم من هذا القبيل فقد قال
 من جملة قصيدة يذكر فيها اسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق :

أشقق قلب الشرق حتى كأني . أفتش في سودائه عن منا الفجر
 وقوله لأحد اصحابه بدر الدين مودود الشحنة كان بدمشق (مدير الشرطة) :

بذكرني البرق الشامي ان خبا زمانى بكم يا حبيذا ذلك الزمن

وياحبذا الهضب الايل و«عزتنا» اذا ما بدا والنالج قد عم القنن
 أحبابنا لا أسأل الطيف زورة وهيمات اين «الديلميات» من «عدن»
 وقد ذكر «عزتنا» غير مرة في شعره والغالب انها كانت مصطافه ولعلها كانت
 قرب الفيحة على ما يفهم من اماكن اخرى ، والديلميات من ضواحي دمشق ،
 وعدن بلد معروف في اقصى بلاد العرب . وكما هجا شاعرنا الرجال هجا البلدان
 أيضاً ومما قال في الهند :

واذا سقى الله البلاد فلا سقى بلد الهند سوى الصواعق والدماء
 وقال في حلب صاحبه الله :

قوم عهدو رجالهم محلولة ابداً وعهد نساءهم لم يحلل
 من كل مائة الثياب رشيقة رُود الشباب كريمة في هيكل

وقال في جامع دمشق لما سلسلت ابوابه وفيه نكتة بديعة .

سلوه اذا اجابكم سلوه سلوه نحن حتى سلسلوه
 ولولا انكم بقر حمير لما منعوكم ان تدخلوه

وقال في المعنى :

لما رأى الجامع أمواله منهوية ما بين نوابه
 نحن فمن خوف عليه غداً مسلسللاً في كل ابوابه
 وكيف لا تعتاده خيفة وقد رأى المسخ لاربابه
 القرد في شياكه حاكم والتيس في قبلة محرابه

مدح ابن عنين الملك المعظم في عدة قصائد وكان يذكره بيوم دمياط مع

الصليبيين ومما قال :

وأذكرته أيام دمياط بيننا وبين العدى والموت تهوي عقابه

وقال من أخرى :

غداة لقينا دون دمياط جحفا
من الروم لا تحفى يقيناً ولاظنا
قد انفقوا رأياً وعزماً وهمة
ودبنا وان كانوا قد اختلفوا لُنا
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلت
جموع كأن الموج كان لهم سفنا
وقال في رثائه :

لولا دفاعك بالصوارم والقنا
عن حوزة الاسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته
عن نصرها لتمكنت منها العدا
ولأمت البيض الحرائر كلها
فيها صبايا والموالي اعبدا
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرة
تجتاب ما بين البقيع الى كدا
وبشر دمياط فكم من بيعة
عبد الصليب بها وكانت مسجدا
انقذتها من خطة الخسف التي
كانت احلتها الحضيض الاوهدا

ومدح نغر الدين الرازي وسيرها اليه من نيسابور الى هراة ، ولما كان بخوارزم
حضر يوماً درس هذا الامام العظيم ، وكان يوماً بارداً سقط فيه الثلج ، فبينما الشيخ
يلقي الدرس اذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها ، فلما
صارت بين الناس خاف الجارح وطار ، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من
الخوف والبرد ، فرق لها الامام نغر الدين وأخذها بيده وحنى عليها فأنشده ابن
عنين مرتجلاً :

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا
في يوم مسغبة وثلج خاشف
العاصمين اذا النفوس تطايرت
بين الصوارم والوشيج الرافع
من نبأ الورقاء ان محلكم
حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حنفيها
فقبولها ببقائها المستأنف
ولو انها تحبى بمال لانشت
من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها
والموت يطلع من جناحي خاطف

فلم يطاردها فلما استأمنت بجناحه ولى بقلب واجف
فطرب لها نحر الدين واستدناه واجلسه قريباً منه وبعث اليه لما قام من مجلسه
خلة ودنانير كثيرة وبقي دائماً محسناً اليه .

ومن نكاته الشعرية انه شهد في بغداد مسألة عرضت على القاضي فما اخلى
حكاه فيها من لاذع تنكيته ، وذلك انه كان بمدينة السلام رجل له زوجة ويتردد
الى الزوجة شاب تزعم انه اخوها ، فجاء الزوج بعض الايام فراه معها فمنعه من
العبور الى بيته وتحاكيا على دعوى الزعم فلم يمنع المذكور من الدخول اليها ، وكان
اسم العاشق غياث واعم الزوج عمرو . ولم يستطع الزوج طلاقها لجه لها فقال
ابن عنين :

غياث فاسمعوا قولي وعمرو لم عندي احاديث ظريفه
فزاني ما عليه من جناح وقواد بتوقيع الخليفة
وقال فيها أيضاً :

غياث وعمرو فاسمعوا ما علمته لشيخين عندي من شنارهما شان
غياث نفى عن نفسه الحد في الزنا وعمرو بتوقيع الخليفة قرنان
حركت الغربية في شرف الدين اشرف عواطفه ، واهاج البعاد دقيق احاسيسه ،
وتجلت صورة نفسه يوم اقصوه عن أرضه وأهله ، كأن السلطان ما نفاه عن بلده
الا ليتغنى به ويتغزل بطبيعته الفتانة ، ويعرف الناس تفوق بلاده على غيرها في كل
ما تحبوه به الطبيعة الاصقاع والبقاع . كان ذلك هجيراً في كل مكان نزله ، وفي
كل قصيد قصده ، والفضل في كل ذلك لمن نفاه فنقمه ونفع الأدب به ، قال من
قصيدة يمدح بها صاحب اليمن السلطان طفتكين :

فأقبلت اجتاب البلاد كأنني قذى حال دون النوم في اعين رُمد
فلم يبق حزن ما توقلت حزنه ولم يبق سهل ما جررت به بردي

أبكو وبكدي الدهر في كل مطلب فيابوس دهرى كم أكد وكم بكدي
 طريد زمان لم يجد لصروفه بغير ذرى الباب العزيزي من ورد
 فلما استقلت في ذراه بي النوى وألقت عصاها بين مزدحم الورد
 تنصل دهرى واستراحت من الوجى قلوصي ونامت مقلتي وعلا وجدي

قال في مطلع قصيدة يمدح بها السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن ابي بكر
 ابن ايوب :

إذا جبل الربان لاحت قبابه لعيني وبانت من سنير هضابه
 وهبت لنا ريح أتنا من الحمى تحدث عما حملتها قبابه
 وقامت جبال الثلج زهراً كأنها بقية شيب قد تلاشى خضابه
 ولاحت قصور الغوطتين كأنها سفائن في بحر يعب عبابه
 لثمت الثرى مستشفياً بترابه ومن لي بأن يشفي غليلي ترابه
 وقال بتغزل وبتشوق الى دمشق :

الاخبروني عن حمى «تل راهط» بلذ به سمعي وان فاتني النظر
 وقصوا أحاديث «المصلى» وأهلها عليّ فما لي في سوى ذلك من وطر
 لقد طال عهدي بالمصلى وليتني رأيت المصلى او سمعت له خبر
 وقال من قصيدة يمدح طفتكين :

ومحال قولي لنفسى عزاء سرعة السير شيمة الأثمار
 لو تحلى القطا لنام ولو خطا بيت لم أريم عن وِجاري وِجاري
 ولو اني خيرت في هذه الداء يا لما اخترت غير قومي وداري
 وقال مغزلاً بتشوق الى دمشق :

يا يرقُ حي اذا مررت بعزتا أهلي وان زادوا جفا وتعنتا
 أببلغهم عني السلام قل لهم أحببنا هذا الصدود الى متى ؟

طال انتظاري للتلاقي فاجعلوا صدودكم أجلاً بكون موثقاً
وكتب من بلاد الهند الى اخيه بدمشق هذين البيتين والثاني منها لأبي العلاء
العرابي استعمله مضمناً فكان احق به وهما :

سأحت كتبك في القطيعة عالماً أن الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحل
وعلى الجملة فان ابن عنين شاعر عظيم بل هو كما قال ابن خلكان خاتمة الشعراء
لم يأت بعده مثله ولا كان في اواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع
جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفنن فيه ، وكان غزير الأدب من الأدب ،
ومطعماً على معظم أشعار العرب ، وكان له في عمل الألفاظ وحلها اليد الطولى ، فمتى
كتب اليه شيء حله في وقته ، وكتب الجواب أحسن من السؤال نظماً . رحمه الله .

محمد كرد علي

الترب والمدافن الخاصة في الاسلام

اعتنى الانسان منذ آلاف السنين بالقبور والمدافن والبناء عليها ، خصوصاً مدافن الملوك والعطاء ، فأهرام مصر ومدافن الحثيين والآراميين والانباط والرومانيين لا تزال حتى اليوم ماثلة امامنا ، وما تزال الحفريات العلمية تكشف لنا بين آونة واخرى عن قبور ومدافن قديمة كانت مجهولة لدينا
جاء الاسلام فلم يعتن بالقبور والمدافن والبناء عليها ، وكان رأيه فيها « خير القبور الدوارس »

وامتزج الاسلام بعد ذلك بكثير من الشعوب ، ودخل كثير من ابناء هذه الشعوب في الاسلام ، فكان ان اصبحت قبور عظماء المسلمين من ملوك وامراء وعلماء واعيان مصانع شاهقة ذات قباب فنية رائعة عرفت بعد ذلك باسم التراب « جمع تربة » والذي يترجم لدي ان هذا الطراز من البناء اخذ عن اصل فارسي ، فقد كان بظاهر الكوفة قريباً من قبر الامام علي بن ابي طالب قبتان جميلتان تحت كل قبة قبر نسج المؤرخون حولها قصة ^(١) فقالوا ان الذي بناهما هو المنذر بن امري القيس بناهما على قبري ندييه اللذين امر بقتلها وهو سكران ، فلما أصبح وأخبر بالذي أمضاه ندم على قتلها وبنى عليها طربالين ، وجعل لها في السنة يوم بؤس ، ويوم نعيم حزناً عليها ، وكان هذان الطربالان يبلطخان بدم من يقتل يوم البؤس فلذلك لقباً بالعربين ^(٢) ايضاً لما يبلطخ بها من دماء

ومها يكن من امر بناء هاتين القبتين فهما من العصر والطراز الفارسي ، وقد بقيتا الى العصر العباسي في النجف قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلما مر الخليفة العباسي هارون الرشيد من ذلك الموضع وأخبر ان هناك قبر الامام

(١) معجم البلدان لياقوت طبع مصر ج ٣ ص ١٨٣ و ١٨٤ وفيه أساطير طويلة تدور حول هاتين القبتين . (٢) التريان تنية النري وهو المظلي بالفراء ، ولعل القبتين كانتا مطليتين بمادة تشبه الفراء أو نحوه فلما نسجت حولها هذه القصة زُعمَ ان هذا الطلاء هو دم من يقتل يوم البؤس .

علي امر ببناء قبة على قبره وكان ذلك بعد سنة (١٧٠) هجرية . ويقول الحسن ابن محمد الديلمي : امر هارون الرشيد ان يبني عليه قبة بأربعة ابواب فبنيت ، وذكر ابن طحال ان الرشيد امر ان تبني عليه قبة فبنيت من لبن احمر وطرح على رأسها جرة خضراء وهي في الخزانة اليوم ^(١) .

لا ريب ان قبة قبر الامام علي هي اول قبة من نوعها في الاسلام مادام لا يوجد لدينا نص يدل على ما هو اقدم منها ، ووجود الطربالين او الغربين قريباً منها يجعلنا نحكم بأن قبة الامام تأثرت بهما الى حد ما .

والظاهر ان مثل هذه القبة وضعت بعد فترة من الزمن على باقي قبور الأئمة من اهل البيت النبوي ، ثم شاع استعمالها في أنحاء البلاد الاسلامية ، وتردد ذكرها كثيراً في كتب الطبقات والتراجم باسم التربة .

وقد عقد المقرئ في خططه بحثاً خاصاً بترب مصر ^(٢) كما فعل مثل ذلك النعمي والملموي ^(٣) والبقاعي في ترب دمشق ^(٤) ، ومحمد بن طولون في ترب صالحة دمشق ^(٥) .

معنى التربة والطربال

واذا طلبنا معنى التربة في كتب اللغة نجد صاحب المصباح يفسر التربة بالمقبرة مع ان التربة التي ترد في كتب التاريخ والتراجم والخطط لا يراد بها المقبرة او القبر وان كان في التربة شيء من معناهما ولكن يراد بها تلك القبب الفخمة التي تكون على قبور العظماء من ملوك وامراء وعلماء واعيان

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٨٧ (٢) ج ٦ ص ٣٤٨ و ٤٩ طبعة الميحي .

(٣) النعمي هو عبد القادر النعمي الشافعي ذكره في كتابه تلبية الطالب وارشاد الدارس (مخطوط) ومنه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وبالخزانة التيمورية بمر في دار الكتب المصرية ، والعلموي هو عبد الباسط بن موسى العلموي اختصر كتاب تلبية الطالب وزاد عليه في بعض

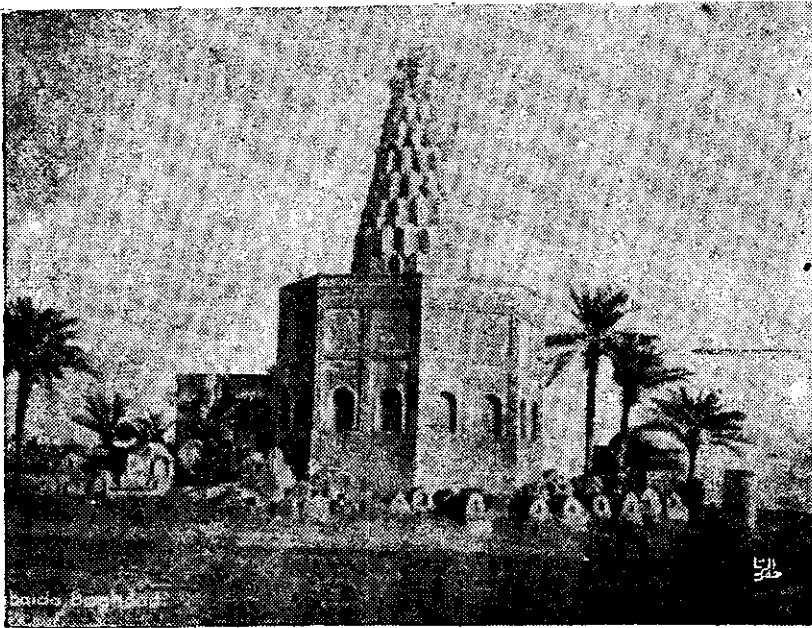
المواضع (مخطوط) ومنه نسخة عندي وبالمجمع العلمي العربي بدمشق وبالتيمورية بمر .
(٤) البقاعي هو احمد بن احمد بن علي البقاعي الحنفي اختصر كتاب التنية أيضاً ومنه نسخة عند

السيد احمد عبيد بدمشق . (٥) له كتاب أسماء القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحة .

ومنه نسخة فوطرافية في المجمع العلمي بدمشق وبالتيمورية بمر .

والذي يترجح لدي ان لفظ التربة مأخوذ من الطربال الذي خفف بجذف آخره فصار طربالاً، وتداولته الالسن فظن بعد ذلك تربة للشبه القريب بين طربالاً وتربه في اللفظ والمعنى واذ رجعنا الى معنى الطربال في كتب اللغة وجدناه هو المراد لما يقصده المؤرخون واصحاب الخطط من معنى التربة . ففي نهاية ابن الأثير : الطربال هو البناء المرتفع كالصومعة . وفي معجم البلدان لياقوت : الطربالان هما بنائان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه . وحينما نرجع الى كتب اللغة نجدها اوضحت معنى الصومعة ايضاحاً كافياً . ففي القاموس : الصومعة بيت للنصارى لدقة في رأسه ، وفي اساس البلاغة : من المجاز قولهم للتريدة اذا رفع وسطها وحدد رأسه ودقق « الصومعة » . وفي المختار ثريدة مصععة اذا دقت وحدد رأسها ، وصومعة النصارى من هذا لأنها دقيقة الرأس

وفي مقبرة بغداد قبة من رائع الفن العراقي ينطبق وصف الطربال عليها تمام الانطباق وهذه صورتها



ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري اخذت التربة ترتدي ثوباً علمياً وتنطبع بطابع ثقافي فكان يضاف الى التربة مدرسة علم ، او مكتبة مطالعة ، او مكتب لتعليم الأيتام والاطفال ، او مسجد للصلاة يكون فيه درس علم او قراءة قرآن ، ففي سنة (٤٥٩) بنى شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمي قبة^(١) على قبر الامام ابي حنيفة والى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية ولما تم بناؤها دعا اليها الفقهاء والعلماء والاعيان وأنشد الشريف البياضي الشاعر

الم تر ان العلم كان مبدداً فجمعه هذا الموسد في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة فانشرها فعل العميد ابي سعد

والظاهر ان هذه المدرسة هي الأولى من نوعها حيث يقوم معهد علمي الى جانب قبر رجل عظيم تسمى المدرسة باسمه .

ومنذ هذا الوقت اخذت المعاهد العلمية تشاد الى جانب قبور العظام ، وهذا ما دعا اصحاب كتب الخطط ومؤرخي مدارس العلم لجعل فصل خاص بالترب لما لها من ناحية ثقافية .
جاء في ترجمة علي بن علي بن روزبهار بن باكير الكاتب البغدادى انه وقف كتبه بمشهد^(٢)

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٨ و ١٩٩ المطبعة الأميرية ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥
(٢) المشهد اسم مكان من الشهادة ، والشهد هو من قتل في سبيل الله فكان دمه المغلول يشهد له بجهاده ، والذي يظهر لي ان هذه اللفظة استعملت أولاً للنباتات التي شيدت على قبور أهل البيت ، وان أول ما أطلق منها على مشهد الحسين رضي الله عنه حيث دفن بالمكان الذي استشهد فيه ثم على قبر أبيه الامام علي رضي الله عنه ثم على بقية قبور الأئمة حيث أن أكثرهم مات قتلاً أو سماً ، ثم اتصل ذلك إلى أهل السنة فنوا على قبور أئمتهم ومشاهيرهم مصانع دعت بالمشاهد أيضاً كمشهد أبي حنيفة في بغداد ، ومشهد الرفاعي في أم عبيدة ، وتوسع رجال الشيعة وأهل السنة في هذا فكانوا يبنون مشاهد على غير قبور وينسبونها لاسم أحد المشاهير المتحقق دفنه ووفاته في بلدة أخرى ، فاذا سئلوا عنها أجابوا بأنهم شاهدوا صاحب هذا الاسم بالنام في هذا المكان وانه طلب ذلك منهم . ونشأ في العهد الفاطمي نوع آخر من المشاهد له صبغته السياسية ، فكان الفاطميون إذا استولوا على الشام اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوا إلى أهل البيت ، وإذا استولى العباسيون أو السلجوقيون اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوا إلى بعض الصحابة ، ولذلك فكثير من قبور ومشاهد كلا الفريقين في الشام ومصر مشكوك فيها .

موسي بن جعفر^(١) وشرط ان لا تمار^(٢)

وفي ترجمة الوزير مجد الدين البهنسي المتوفى سنة (٦٢٨) انه جعل كتبه وقفاً
بترته بسفح قاسيون واجرى عليها اوقافاً جيدة^(٣)

وانتشر في العصر الايوبي بناء المدارس الى جانب الترب انتشاراً عظيماً ففي سنة
(٥٢٧) بنى صلاح الدين الايوبي تربة الامام الشافعي وانشأ المدرسة الصلاحية بجانبها ،
وبنى مدرسة مجاورة للشهد المنسوب للحسين بن علي^(٤)

ولما توفي صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٩) دفن في قلعة دمشق حتى جاء ولده
العزیز عثمان الى دمشق فبنى له تربة والى جانبها مدرسة هي من اعظم مدارس دمشق
وقف لها وقفاً مليحاً ونقل اباه صلاح الدين اليها^(٥)

ولما توفي الملك العادل اخو صلاح الدين سنة (٦١٥) دفن في قلعة دمشق
أيضاً ، فبنى له ابنه الملك المعظم تربة ومدرسة دعيت باسمه ونقل اباه اليها^(٦) ، والمدرسة
المذكورة هي مقر الجمع العلمي العربي بدمشق .

هذه صورة مجملة عن تاريخ الترب الاسلامية وهي تختلف كل الاختلاف عن
ترب ومدافن الامم القديمة الخاصة التي لم يقصد منها التحليل الذكر والفخار لأصحابها
بخلاف المدافن الاسلامية الخاصة التي قصد منها خدمة العلم والثقافة مضافاً الى ذلك
تحليل اسماء المشاهير من عظماء المسلمين .

محمد أحمد دهمان

دمشق :

(١) هو الشهير بموسى الكاظم بن جعفر الصادق ويعد موسى ثامن الأئمة الاثنا عشرية توفى في
بنداد سنة (١٨٣) قيل إنه توفى مسموماً .

(٢) الوافي بالوفيات في المكتبة الأحمدية بالاستانة رقم المخطوط (٢٩٢٠) عن السيد يوسف
العش . وعلي بن علي بن دزوهار ترجمة في الجزء التاسع من عنوان التواريخ لابن الساعي . نشره
مصطفى جواد في بنداد طام ١٣٥٣ .

(٣) تنبيه الطالب ، ومختصره للعلمي والبقاعي .

(٤) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٥٣٣ المطبعة الأميرية والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٤ و ٥٥
والتعليقات عليها . (٥) تنبيه الطالب ، ومختصره للعلمي والبقاعي . (٦) المصدر نفسه .

هل عرف العرب البلهارزية

١ : توطئة

ليس كاتب هذه الكلمة طبيباً ، انما درس الطب في شبابه مدة سنتين ، ثم عدل عنه الى تحصيل الفلسفة وعلم اللاهوت في مونبليه *Montpellier* ، في فرنسا للترهب فأكب عليها سبع سنوات ، ثم ترهب .
فما تقرأ هنا ، لا يعتمد عليه الاً من باب الاطلاع والفضول والوقوف على ما يكتب ، لا من باب العلم الذي لا يرتاب في حقيقته ، ولا من باب التأكيد الذي لا ريب فيه .

ان البلهارزية لم تخلق في هذا العصر ، ولا قبل عصور عدة ، انما وُجدت مع وجود العالم ، وهي « دودة مستطيلة : الى البياض ماهي ، طولها ثلاثة خطوط ، واغلب ما تكون في الاوردة الصغيرة ، في الغشاء المخاطي المبطن للمسالك البولية ، وتسبب البول الدموي في اهالي ديار النيل » (عن لتره في معجمه الطبي)
وبلهارزية ، كلمة منسوبة الى الطبيب الالماني الذي اكتشفها في مصر واسمها *Bilharz* فالعرب كانوا في وادي النيل وعاشوا فيه ، وابتاؤهم لا يزالون في تلك الديار ، وهم يصابون بالبول الدموي الى عهدنا هذا ، فلا بد من ان اجدادهم عرفوا هذا الداء والدودة التي تسببه ، فما كانوا يسمونها ؟

٢ : البلهارزية هي قملة النسر .

قرأت في القانون لابن سينا ما هذا نصه الذي اتقله بحروفه عن نسختي الخطية (ظهر ص ٧٢٣ وتقع في المجلد ٢ : ١٤٨ من طبعة رومة) :
« فصل في قملة النسر المسماة (دَدَه) بالفارسية ، و (صملوكي) باليونانية ، و (طفانوس) بالهندية .

. « وهذه هامة كلقملة ، او كأصفر الديدان ، قال جالينوس : هي صغيرة لا يتوقى منها ، وتكاد لا تبصر لسعتها ، وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافاً ، ومن المقعدة ، ومن المعدة ، والتي ، ومن الصدر والرئة ، ومن اصول الاسنان . وربما عظم الخطب فيها ، فلم تقبل الدواء » انتهى

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ٥ : ١٢٠ : « وكذلك يقال ان البعوضة لو الخقت بمقدار جرم الجرارة^(١) ، فانها اصغر العقارب . ثم زادت من تضاعف ما معها من السم على حسب ذلك ، لكانت شرّاً من الدويبة ، التي تسمى بالفارسية دده^(٢) وهي اصغر من القملة^(٣) شيئاً . وتكون بمهرجان قذق^(٤) ، فانها مع صغر جسمها ، تفسخ الانسان في اسرع من الاشارة باليد ، وهي تعض وتلسع ، وهي من ذوات الافواه ، وهي التي يزعمهم يقال انها قملة استحالت هذه الدابة الخبيثة » انتهى .

٣ : سبب تسميتها بقملة النسر

يظن بعضهم ان قملة النسر سميت بهذا الاسم لأنها تكون فيه ، لا تخرج منه ، فتهجم على الناس . هذا في رأي الأقدمين ، وليس من العلماء المحدثين من يرى هذا الرأي ، فهي لا توجد فيه ، وان وجدت ، فكيف تصل الى الانسان وكيف تهجم عليه ، ولا سيما في المواطن التي لا نسر فيها ، ولا أثر له فيها ؟ ثم كيف تصل الى مسالك البولية ؟

والذي عندنا انها سميت بذلك للاشارة الى انها تفتك بالانسان ، فتك النسر بعصيده ، او من باب اضافة الحقير الصغير الى الجليل الكبير ، تعظيماً له ولأمره ولنفعه . فقد قال الأقدمون منا : أسد الله ، وسيف الله ، وقوس الله ، ورمح الله ،

(١) الجرّار : ضرب من القرب صغير خيث يعرف بهذا الاسم في بندا ، واحده جرّارة . وفي الأصل المطبوع الجرادة وهو خطأ .

(٢) وفي الأصل المطبوع ذروة وهو خطأ بين .

(٣) وفي الأصل المطبوع : أكبر من القملة شيئاً ، وهو وهم آخر .

(٤) وفي الأصل المطبوع : بمهرجان فوق ، وهذه كلمة أخرى .

وكلب الله ، الى نظائرهما من التعابير ، ونحن نعلم ان ليس لله أسد ولا سيف ولا قوس ولا رمح ولا كلب ، بل كل ذلك من باب التعظيم والاجلال .
٤ : مترادفات قملة النسر

قال ياقوت الحموي في معجم الادباء في ترجمة علي بن منصور الحلبي (طبعة مرجليوث ٥ : ٤٣٧) (١) : « واتفق ان الطيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها ، وكان نصرانياً » اه .
وذكر التراقي ابن الاثير في كامله . قال (في المجلد ١٠ : ٣٧٤ من طبعة الافرنج) : « في هذه السنة (٥١٢) . سادس عشر شهر ربيع الآخر ، توفي المستظهر بالله ، ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله ، وكان مرضه التراقي (٢)
وعندنا ان التراقي من اصل فارسي هو (تراك) كسحاب وكتاب . ومعناها الشق والفلع والفلق وسمي كذلك لأن هذه البودة تحدث فلماً دقيقاً في المكان الذي تقيم فيه ، وعربت بقاف في الآخر وزيادة الياء ، كأنهم أرادوا ان يقولوا : ذات الصدع او الصادعة .

على أن لها تأويلاً في اللغة الضادبة وهو : ان التراقي جمع ترقية مصدر رقي .

(١) نحن لا نستشهد بطبعة الدكتور احمد فريد وفاعلي بك فانها لكثيرة الغلط والتصحيح وأوهام الطبع ، فان هذه الترجمة وقمت في المجلد ١٥ ص ٨٣ وما يليها . فقد جاء مثلاً في الآيات المذكورة في ص ٨٧ ما هذا نصه : « ان الزمان قد نضّر » وفي مرجليوث : قد نصر — وفيها : قد عدا على النصر . وفي مرجليوث : قد غدا — وفيها : من غره — وفي مرجليوث : من غرة . ونحن لا نشكر ان لرواية الدكتور أوجهاً أصبح من أوجه مرجليوث لكن يحسن به أن يذكر الروايتين ليبين الفرق بينهما وينتهي الفارسي ما يشاء أو ما يستصوبه .

(٢) لاحظ ابن الاثير ان المقتني لأمير الله بن المستظهر بالله مات بالعة التي توفي بها والده ، وهذه عبارته : « في هذه السنة (٥٥٥) ثاني ربيع الأول توفي أمير المؤمنين المقتني لأمير الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس احمد بن المقتدي بامر الله رضي الله عنه بيلة التراقي . . . ووافق أباه المستظهر بالله في علة التراقي ، وماتا جميعاً في ربيع الأول » اه .
ولا شك ان الابن تلقى مرضه من والده ، وإن لم يكن هذا المرض معدياً في حد نفسه . هذا الذي يتبين من الظواهر ، ولعل هناك سبباً آخر يدلنا عليه احباً ونا المهرة الحذاق .

وسبب تسميتها بذلك انها اذا دخلت الجسم ارتقت فيه شيئاً فشيئاً حتى تبلغ مسلك البول ، فتجد فيه بيئة صالحة تعيش فيه وتنمو نمواً يزيد بها توالداً وتكاثراً ، فهي ذات تراقٍ .

وأما اسمها (الشقفة) فإنه مشتق من الإِرمية من فعل (شقفن) ومعناها الرضة والشدخة والصدعة اي بمعنى اختها (التراقي) ، ان سلنا انها من الفارسية ، وهو الرأي الاشبه . ويجب ان تضبط (الشقفة) وزان (الغرفة) بخلاف ما ضبطها الدكتور احمد فريد رفاعي بك اذ جاء البيت الآتي مضبوطاً هكذا :

بِشَقْفَةٍ بَيْنَ مِنْكَبَيْهِ رِشَاؤُهَا فِي قَلْبِ قَلْبِهِ
وهنا غلط آخر وهو ضبط المنكب ، ككثير والصواب كتنزل .

وقد شرحنا سبب تسمية هذه الدودة بقملة النسر فلا نعود الى ذكره ثانية .
وان قال قائل : ليست قملة النسر بالبلهارزية فنسأله : اذن ماهي ؟

هـ : دودة اخرى : خرز الطين

وذكر القانون بعد قملة النسر هامة أخرى سماها « خرز الطين » ووصفها هكذا ، فقال :

« فصل في الطبوع وخرز الطين ، وهي دابة كثيرة الأرجل ، حادة السم ، هي في أحكام قملة النسر » ا هـ .

قلنا : اذن هي مؤذبة اذى قملة النسر ، أفلا يوافق هذا الوصف ما قيل في الهامة التي يسميها العلماء : *Trichodectes* ، فانها كثيرة الأهداب او الارجل وتعيش في المستنقعات ، غريبة الشكل ، تكاد تشبه الخرز في ظاهرها ، وتنتشب بالكلاب فيقال لها *Trichodectes canis* ، وبالبعري فيقال لها : *T. climax* ، وبالبقر فتدعى

T. scalaris وبالخرقان فتسمى *T. spheroce phalus*

فأنا اطرح هاتين الكلمتين على مائدة النقد والتحقيق والتدقيق في النظر ، لتنجلي

الحقيقة الفاصلة في هذا الموضوع الغريب :

ومن العجب ان معاجم اللغة لم تذكر اسماً من الأسماء الثلاثة ، ولا خرز الطين . وقد جاءت هذه الأخيرة مصحفة تصحيفاتٍ غريبة في نسخ القانون ، من مطبوعة ومخطوطة ، وانا اذكر هنا ما وقع طائر بصري عليها وهي : خزر الطين ، بتقديم الزاي على الراء . — وخرز الطين ، بزايين . وحرز الطين ، بجاء مهمله وراء وزاي — وجرز الطين ، بجيم وراء وزاي . وعسى ان يقوم من دكاوتنا المعنيين في الطب واللغة ، من يزيل الابهام عن هذه الالفاظ فيكسب شكر جميع الناطقين بالضاد .

الأب انستاس ماري الكرملي

بغداد :



مفردات القرآن

ولانقول غريب القرآن ، لأن مدارسة القرآن على ألسن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد ، أخذت على الغرابة مجامع السبل ، فلم تجد اليه سبيلا ، فلا تجد لفظة من ألفاظه غير مألوفا الاستعمال ، ومعروفة المعنى ، واضحة المعنى . وهل الغرابة في الألفاظ الا كونها غير اليفة ، فيحتاج في معرفتها الى التنقيب عنها في مطاوي المعاجم المبسوطه . وقديماً عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة ، فأئى لنا أن نلصقها ببعض ألفاظ القرآن ، وقد اجمع الأولون والآخرون على انه أفصح كلام عرفته اللغة العربية ، منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة على لغة العرب ، لأن هذا من أوائل البدييات ، فلقد كان القرآن ولا يزال ، المعين الفياض لعلماء اللسان . يردونه ظاء ، ويصدرون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته ، وتحرير لغاته ، واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكناباته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لأن الناحية اللسانية هي أول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن . ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفماً لكشف ، فأسفر هذا التآزر عن احسن النتائج وأعظم الفوائد . وبدبهي ان مفردات القرآن أكثرا كيبه هي لب لباب كلام العرب ، وصفوة الصفوة منه ، وانها معتصم المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين ، بل مثابة أمراء القول من المنقدمين والمتأخرين . والله شيخ المعرفة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الغفران « اجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن الحججة ومقتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد ص كتاب بهر بالايجاز . ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال . . . وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في أفصح كلم بقدر عليه الخلقون ،

فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق « .
 ولا مربية في أن القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في مخاطباتهم
 وخطاباتهم ، وتفاهمهم في أفرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون أكثر ما يرمي
 اليه من المعاني ، وما يرمي اليه من المغازي ، واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى
 الرسول الكريم ، فينير لهم السبيل .

وأكثر ما يكون تسالم عن الكلمات التي تصرف القرآن في أوضاعها ، وحولها
 عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلاً . مثل :
 القرآن . والايان . والكفر . والصلاة . والزكاة . بمعانيها الشرعية . وقد غير الناس
 على هذا حياته ص . ثم مدة حياة أصحابه من بعده ، الى ان فتح على العرب بمالك
 الأعاجم ، واختلطوا بجمرائها ، وصفرائها ، ويضائها ، وسودائها . ومن هناك أخذ
 الناس يدخلون في دين الله أفواجا من بين فارسي ، ورومي . ونبطي ، وحبشي ،
 وغيرهم من مختلف الألوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالمساكنة
 والمجاورة ، والمخاتنة والمصاهرة ، والمصاحبة والمتاجرة . وبذلك تداخلت اللغات ،
 ونشأت ناشئة من صميم العرب في أحضان هذا التبليل ، فجاءت مختلفة السلائق ،
 مضطربة الألسنة ، كما نبنت نابتة من أبناء الأعاجم ثقت من العربية ما يسد حاجتها
 في المخاطبات والمحاورات . ومن هنا ذر قرن لغة أمشاج ، لاهي بالعربية الصافية .
 ولا العجمية الصرفة ، ولم تفتأ هذه اللغة ان ملكت الهجين من السنة الدهماء ،
 واحتلت مكانة ضيقت فيها على العربية أنفاسها . وما كاد ينطوي بساط المئة الأولى
 للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .
 ومن هنا شعرت جمهرة القوم بمسيس الحاجة الى الاستفسار عن كثير من الفاظ
 القرآن الكريم ، واستيلاء معانيها التي كان أسلافهم يدركون مرامها بحكم
 سلائقهم ، لأنها من نوع ما كانوا به يتفاهمون ، وعلى نمط ما به ينثرون وينظمون .
 ولما رأى عقلاء الأمة وأهل العلم استرسال أمر الاختلال ، وتفانم الاضطراب

والاختيال - استفزتهم الحمية وأهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب هذا الصدع ، وسد هذا الثغر

وأول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا أنه الف في هذا كتاباً اسماه (المجاز في غريب القرآن) وآخر اسماه (معاني القرآن) . والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته . وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين . وحيث رأيت في كتب علوم القرآن : قال أهل المعاني فالمراد بهم مصنفو الكتب في مفردات القرآن . وتجدد في فهرس كتب الأصمعي كتاباً اسمه : غريب القرآن . والأصمعي من معاصري أبي عبيدة وتأخر عنه قليلاً .

ثم أقبل أهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع نظرك على فهرس من فهارس أئمة اللغة الا وتجد صدره متخلياً باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ، ومحمد بن القاسم الانباري ، وابو عمر الزاهد ، ومحمد بن عبد الواحد . وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب ابي عبيد القاسم ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣) وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع من العلم عاربة من الترتيب غفلاً من التيوب ، وكانت بالجاميع اللغوية أشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب . واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى سنة ٢٣٠) فألف كتابه المشهور (بنزهة القلوب) ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه ، فبدأ بالهززة المفتوحة ، وثنى بالمضمومة ، وثالث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور . وهذا الكتاب على صغر حجمه من أنقن ما ألف من نوعه . وقد قيل انه أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يجرده هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ، وكان يتعهده بالتصحيح والتجويد بين حين وآخر . ولم تزل التأليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية ، والاجادة

من حيث الكيفية ، الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١)
وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غربي القرآن والحديث ، ورتبه على
حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى التفسير والتوضيح . واثبتها
في حروفها وذكر معانيها . فاذا اراد الانسان كلمة وجدها في حرفها . فجمع كتابه
هذا بين دقة التحقيق ، وجودة الترتيب والتبويب . ولذلك اعتمد عليه الناس من
بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات ، الى ان جاء الحافظ
ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع فيه مافات الهروي
من الغريبين ، وسلك في وضعه وترتيبه مسلك الهروي ، فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة ،
وغير الناس يعتمدون في هذا الأمر على هذين الكتابين الجليلين وما سبقهما
من الكتب المهمة الى ان جاء أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الاصفهاني
(المتوفى سنة ٤٠٢) فألف كتابه مفردات الفاظ القرآن ، مرتباً على حروف الهجاء ،
مقدماً ما أول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات
التي بين الالفاظ المستعارة والمشتقة . فجاء كتابه هذا من أحسن ما ألف في باب من
حيث غزارة المادة ، وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد النظر ، فهو - في
نظرنا - أفيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الألفاظ القرآنية ، وعليه
اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الألفاظ وأصول اشتقاقها . ولم
نعرف من بعده كتاباً يفضله في موضوعه هذا ، ومن الواضح أن المؤلفين في هذا
الفرع يستقون حاجتهم في المعين الذي تستقي منه اللغة العربية على العموم ، زيادة
على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالمتقول عن ابن عباس وأصحابه
الآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد تجدد
ذلك منشوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة . وقد أحصى منها جلال الدين السيوطي
في (الاثقان) ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الایجاز .

بفردا :

طه الراوي

خريطة العالم العربي

من سنة ١١٥٤ ميلادية

حصر الغرب اللغات العلمية المدنية باللغتين اللاتينية واليونانية . وأرى انه كان للغة العربية في القرون الوسطى أثر في المدينة الغربية ، فهي فضلاً عن أنها أم المدينة الاسلامية ، تستحق أن تعد ثلاثة اللغات المدنية الغربية . وبرهاناً على هذه الحقيقة التاريخية (التي ظلها الغرب في انتها الشرعية) أقدم لكم شاهداً عدلاً وهو : ان أول خريطة عالمية بالمعنى العصري ، كانت تحتوي على تفاصيل جغرافية اوربا وافريقية وآسيا ، نشرت في أوربا سنة ١١٥٤ ميلادية ، وكان نشرها باللغة العربية .

وقعت قبل هذه الخريطة بالف سنة محاولة وضع خريطة عمومية باللغة اليونانية للأراضي المعروفة في تلك العصور وقد رسمها بطلميوس بمصر . الا أن خريطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية . لأنه ذكر في خريطته نحو ثمانية آلاف من أسامي الأماكن . والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر في خريطته . أما هذه الخريطة العربية فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأماكن ترد اليوم في خرائطنا العصرية ومعلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعتبر هذه الخريطة خريطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم من هذا اللفظ .

رسمت هذه الخريطة بمدينة بالرمه *Palermo* في جزيرة صقلية . رسمها ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الادريسي . يقال أنه ولد في أسيوط سنة الف ومئة ميلادية . وتوفي سنة ١١٦٣ ميلادية وكان يشتغل بالعلوم في قرطبة ، وقد ساح الأقطار وألقى عصا التسيار في جزيرة صقلية عند ملكها روجار الثاني ملك جزيرة صقلية وايطاليا الجنوبية وقسم من شبه جزيرة البلقان من سنة ١١٣٩ — الى سنة ١١٥٤ . وعاصمته مدينة بالرمه

وكان هذا الملك يُعنى بالجغرافيا ، كان يجمع المعلومات الجغرافية من أقطار العالم كافة ، ثم عزم على هذا العالم العربي الادريسي أن ينشر هذه المعلومات ويرسم عليها خريطة جغرافية لأوروبا وافريقية وآسيا . فقام الادريسي بهذا الأمر المهم حق القيام ، ونشر كل ما جمعه الملك من المعلومات ، وزاد عليها وكلها بما حصله هو نفسه باجتهاده طول عمره .

فوضع أول مصوّر عالمي باللغة العربية وقد حفره ونقشه على لوح فضي بشكل خوان ، يقوم على قوائم ، طوله متر ونصف وعرضه ثلاثة أمتار .

سرف الادريسي في سبيل تحقيق المعلومات التي كان جمعها الملك روجار ، وفي ترتيبها ، وفي جمع المعلومات الجديدة ، وكتابتها وحفرها زيادة على خمس عشرة سنة كاملة . وفي السنة (١١٥٣ - ١١٥٤) وهي السنة الأخيرة من هذه الأعمال الكبيرة أصاب الملك مرض ، والغالب ان الادريسي عجل في اتمام عمله وخريطته حتى يراها الملك العظيم قبل موته ، وقد وفق الى اتمام عمله الكبير في ربيع سنة ١١٥٤ ميلادية حتى تمكن الملك الكريم من رؤية نتيجة مساعيه الجليلة ، فتوفاه الله بعد قليل من الزمن .

وقد كان لهذه الخريطة في عهدها أثر عظيم فانتبه لذلك الشرق والغرب . يشهد بذلك كثرة النسخ المحفوظة في الخزائن الغربية ، ومن الأسف أن تلك النسخ كلها متجزئة . فما كان الناسخ يستنسخ الا ما كان له علاقة بوطنه . ولم يعد من استنسخ الخريطة باجمعها . أما خوان النضي الذي خرطت عليه هذه الخريطة البديعة فقد صار فريسة حروب ، فضاعت الخريطة بيد طامع طمع في ففتها فأذاها .

وجاء العالم الألماني كونراد ميللر *Konrad miller* فبعث هذه الخريطة البديعة بجميع أجزائها المشتتة من قبورها المتفرقة ، فاشتغل هذا العالم سنين عديدة جامعاً كل الاجزاء وكساها شكلاً يشبه هيئتها الأصلية وطبعها سنة ١٩٣٧ ، وكتب الأسماء العربية كلها بالحروف اللاتينية . وصارت كل الحروف منكوسة رؤوسها

- الى اسفل ، على نظام الخرائط العربية القديمة ، لأن الجنوب فيها فوق الصحيفة .
- ثم طبعت الخريطة سنة ١٩٣١ طبعة ثانية . وقد أرسلت اليكم بنسخة منها فوتوغرافية .
- ومن يرغب في اقتنائها فليراجع ناشرها في لبيسيك .



ولنتظر نظرة اجمالية اول خريطة للعالم المتمدن القديم ، ولا يتعجبنا الناظر اذا رأى قلة الاتقان في تخطيط حدود البحار والأراضي لأن أسباب الاتقان لم تكن متوفرة عندهم في تلك الأزمان ، حتى لم تكن عندهم الابرة = البوصلة *Bussola* ولم يكن عندهم ما به يسحون المسافات البعيدة . وما كانوا يسمون الا على صور ذهنية كانت تحفظ في حافظاتهم بالمشاهدة الذاتية او من حكايات أهل السياحة .

ويظهر لنا من خريطة الشريف الادريسي انه كان يعرف الغرب والشرق معرفة جيدة ، وان لم يكن يجيد الرسم . ومركز المعمورة في زمنه على حسب عقيدته كان الشام بمدنها : دمشق ، وحمص ، وبيروت وغيرها ، وفي شرق الشام : العراق وايران والتركيستان ، وفي جنوب الشام : جزيرة العرب . ولا يستغرب اذا كان الادريسي لا يعرف آسيا الشرقية والشمالية معرفة جيدة فالقليل الذي كان يعرفه منها له قيمة كبيرة عندنا اليوم . والادريسي وان لم يكن يجيد معرفة اوربا

الشمالية الا انه كان يعرف أوروبا الغربية وافريقية معرفة تامة . وكان يعرف ان النيل ينبع من الحياض الكبيرة في أواسط افريقية - وكان يعرف أكثر مما كان يعرفه الغرب قبل اليوم بمئة سنة لأن الغرب لم يكتشف منابع النيل الا في العصر الماضي ، ومن هذه الينابيع يجري النهر الآخر العظيم الى الغرب ، وكان يعرفه العالم العربي الادريسي قبل أوروبا بسبعمائة سنة .

وظهرت اليوم مسألة مهمة بالنسبة للعلم الحديث وهي اثبات ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات الجغرافية في خرائطنا العصرية للعالم المتمدن القديم . وذلك بأن ترسم خريطة تاريخية للعالم القديم على حسب ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات اي بتقدير المسافات وتعيين حدود الأراضي والسواحل والبحار والجبال والأنهار على غاية الاتقان . ويتأتى حينئذ لكل راغب أن يرى رأي العين اكمل خريطة تاريخية للعالم القديم على النحو الذي كان يعرفها العالم العربي في عصره .

ولبيان ان حل مثل هذه المسألة ممكن سهل ، آتى بشاهد من وطننا فنلاند في أقاصي الشمال البعيدة ، وان ضفت خريطة الادريسي الكرم بمعرفة شيء عن بلادنا . وذلك ان الأخوين المعروفين من بيت العلم الشهير: احدهما تال غرين - توليو والثاني آ. م. تال غرين قد تمكنا من تعيين مكان واهمية كل ما أتى به الادريسي في خريطته من المعلومات القليلة ، ورسمها في خريطة فنلاند العصرية بغاية الاتقان . ثم نشرت رسالة صغيرة ذات أربع وخمسين ومئة صفحة في البحث العلمي المهم باسم *Studia Orientalia III. Idrisi: La Finlande et les autres pays Baltiques orientaux* ولها لواحق عديدة ذات مكانة جديدة .

أما الأقطار التي كان يعرفها الادريسي معرفة جيدة فان أهل العلم الحديث اتوا فيها بمخدمات علمية جلييلة ونشروها وما زالوا يفشرونها . وهي ، على ما نظن ، معلومة لديكم .

مخطوطات ومطبوعات

انباء الغمر بأبناء العمر

من نفائس مخطوطات المدرسة العثمانية بجلب (انباء الغمر بأبناء العمر) للحافظ الامام الشيخ احمد بن علي بن حجر العسقلاني . وهو في مجلدين ضخمين الأول في ٤٤٤ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدىء من سنة ٧٧٣ وهي تاريخ ولادة الحافظ ابن حجر وينتهي في سنة ٨١١

والمجلد الثاني في ٤٠٤ اربع واربعائة صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدىء فيه من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٥٢ الى السنة التي توفي فيها المؤلف . والنسخة مقروءة مع شيء من الصعوبة وعلى حواشيتها هوامش كثيرة منقولة من تاريخ البدر العيني الا ان كاتب الحواشي هو غير كاتب الأصل ، وكتب على ظاهر المجلد الثاني مانصه :
هذه النسخة بخط سبط المؤلف

والمؤلف يذكر حوادث كل سنة في مصر وغيرها ويعقب ذلك بذكر من توفي فيها من الاعيان ، الا ان معظم الحوادث التي فيه هي مما كان في مصر . وآخر ترجمة فيه ترجمة ابراهيم بن رضوان الشيخ برهان الدين الحلبي . وبعدها مانصه : هذا آخر ما وجد من تاريخ الشيخ الامام الحافظ القاضي شهاب الدين ابي الفضل احمد ابن حجر الشافعي .

قال في كشف الظنون : اول هذا الكتاب الحمد لله الباقي وكل شيء يفنى الخ ذكر فيه انه جمع الحوادث التي ادر كها منذ ولد سنة ٧٧٣ وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوفياً لرواة الحديث . وغالب ما نقله من تاريخ ناصر الدين ابن الفرات وصارم الدين بن دقاق والمقرئزي والقي القاسمي والصلاح خليل الأقفهسي والبدر العيني واورد ما شاهده ايضاً . قال وهذا الكتاب يحسن من حيث

الحوادث ان يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير^(١) فانه انتهى في ذيل تاريخه الى هذه السنة ومن حيث الوفيات ان يكون ذيلاً على وفيات نبي الدين بن رافع وانتهى فيه الى سنة ٨٥٠

واذكر اني رأيت مسودة المؤلف في المكتبة الظاهرية بدمشق وفيها تشطيب وحواش وتكاد لا تقرأ لرداءة خط المؤلف رحمه الله تعالى ويوجد من هذا التاريخ نسختان في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الآستانة الأولى في مجلدين رقمها ١٠٠٥ - ١٠٠٦ والثانية في مجلدين أيضاً رقمها ١٠٠٧ - ١٠٠٨ ولا ريب ان الكتاب جدير بالطبع لأن به تتصل سلسلة الحوادث التي وقعت في هذه السنين وتقف على من توفي فيها بصورة متسلسلة . ولا ريب ان بالبحث يوجد منه نسخ غير التي ذكرناها وانا نرجو ممن يقف على نسخ منه ان يكتب لمجلة المجمع لعل ذلك يكون سبباً لنشر هذا السفر النفيس فتم الاستفادة منه عشاق الأدب والتاريخ والعلم

حلب:

محمد راغب الطباخ

« الإجازة ، لا يزال ما استدر كته عائشة على الصحابة »

(تأليف الامام بدر الدين الزركشي)

عني بتحقيقه ، ووضع مقدمته ، وتعاليقه وفهارسه سعيد الأفغاني .

طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ سنة ١٩٣٩ م .

أحسن الاستاذ الأفغاني كل الإحسان باستخراجه هذه الرسالة النفيسة من كنوز المكتبة الظاهرية ، وحياتها بالطبع والنشر ، فان ام المؤمنين عائشة (رض)

(١) هذا التاريخ طبع في مصر ومنه نسخة خطية في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب في عشر مجلدات وقد نقل منها بواسطتنا لناشره خمس مجلدات ويظهر أنه وجد بعد ذلك نسخة أخرى في مصر فاستغنى عن استنساخ الباقي

هي احدى المعجزات الخالدة في بيان مشكلات التفسير والحديث والفتاوى والأحكام .
ومسندها في (ج ٦) من مسند احمد بن محمد بن حنبل يقع في (٢٥٣) صفحة .
وعلى علمها وفهمها المعول فيما كان يقع فيه التنازع بين كبار الصحابة (رض) في
النوازل والأحكام ، لا سيما في معرفة ما كان يفعله الرسول (ص) في بيته .
و « الاجابة » توقف المطالع على سرّ عظمة هذه السيدة ، وعلو مكانتها ، وهي في
الأصل مائة صفحة الا قليلا ؛ ولكن الاستاذ الناشر بما قدم لها ، وعلق عليها ، ووضع
من فهارس في آخرها ، أبلغها الى (٢٣٠) صفحة بالقطع المتوسط .

وقد رتب الإمام الزركشي كتابه على مقدمة وثلاثة أبواب (الباب الأول)
في ترجمة عائشة وفيه فصلان (١) في ذكر شي من حالها و (٢) في خصائصها ومزاياها ،
وقد عدت منها (٤٢) واحدة (الباب الثاني) في استدراكاتها على أعلام الصحابة ، وفيه
استدراكات على (٢٤) صحابياً وصحابة في مسائل كثيرة من التفسير والحديث
والعبادات والمعاملات (الباب الثالث) في الاستدراكات العامة ، وفيه (١١) استدراكاً
وفي ذيله أربعة آخر .

وأما الاستاذ الأفغاني فقد صدر الكتاب بمقدمة في نحو ثلاثين صفحة ، تضمنت
وصف « الاجابة » وسعة علم عائشة ، وترجمة المؤلف ، وعدد تأليفه ، وشيئاً عنها ،
ووصف النسخة الظاهرية الفريدة التي ظفر بها ، وما لقي في سبيل تصحيحها واخراجها ،
وعرض نماذج منها مأخوذة بالتصوير الشمسي . وقد علق على هذا الكتاب تعليقات
دلت على بذل جهد ، واستنفاد طاقة ووسع ، فقد راجع لأجله عشرات المظان من
دواوين السنة وشروحها ، ومعاجم الحديث الخطية كمعجم الطبراني الكبير ، وكتب
الرجال والطبقات ، فجاءت تعليقاته وافية بالتصديق ، ثم ختم الكتاب بفهارس خمسة
مفصلة (١) للأعلام (٢) للجماعات (٣) للأماكن (٤) للكتب (٥) للموضوعات وفي
الصفحة الأخيرة تصحيح للأغلط ، ونحن نشير الى الاغلط القليلة التي لم نرها
مصححة ، وقل أن يتلو من مثلها كتاب :

ص ٥ س ٧ : وعروة وابن الزبير ، والصواب : عروة بن الزبير وفي ص ٥ في التعليق : انظر مسند احمد ج ٦ ص ٩ : ليس في هذه الصفحة ما أشار اليه ، ولكن في غيرها ما يدل عليه .

الصواب	الخطأ
إلى الأمهات	فما زلت ارجع إلا الأمهات
عنها	وروي عيها
ابن ماجه ، بالهاء الساكنة وصلها	ابن ماجه
ووفقاً ، فراجع في فهرس الأعلام	
وتصحح ، والغلط من قلم الناسخ ،	
لا الناشر .	
١٣ ادخل البيت الذي دفن معها عمر :	٧٢
من اسفلها :	٧٣
بعضها فوق بعض :	١٨ فوق بعضها
رسول الله .	١٠ عن وتر رسول
داود : بواو واحدة ، وتراجع في	١٨ من مسند أبي داوود
١٢٠	

فهرس الأعلام للتصحيح

ولما وصف الأستاذ الأفغاني مؤلفات الزركشي قال عن (لقطة العجلان) منها : وقد طبع في دمشق مؤخراً» (أي سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م) والصواب أن هذا الكتاب - الباحث في أصول الفقه والحكمة والمنطق والتوحيد - قد طبع أولاً في مصر بمطبعة والده عباس (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٨ م بشرح الإمام جمال الدين القاسمي ، ومن غرائب اتفاق القدر أنا قرأناه بشرح أستاذنا القاسمي عليه عام وفاته (سنة ١٣٣٢) فكانت عمر المؤلف والشارح واحداً ، وهو تسعة واربعون عاماً ، رحمها الله تعالى . وقد طبع شرح القاضي زكريا على لقطة العجلان ايضاً ، وطبع

شرح الزركشي على جمع الجوامع في (اصول الفقه) للسبكي بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .
وبعد فقد وجه الاستاذ الأفغاني في مقدمته أنظار نساء العصر الى علم عائشة
(رض) فقال في (ص ٦) : ولتعلم بعد هذا سيداتنا أن امرأة منهن في صدر الإسلام
تتخذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم وفقه وقارى وراوي ، وعنها
وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرک »

واقول : ان الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية ، ومنهن
من نالت الشهادة العالية في العلوم أو الأدب أو الحقوق أو الطب ، أو شهادة التخصص
(الدكتوراه) بالفلسفة والتربية ، ولكننا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية فتاة
تحمل شهادة ابتدائية في الدين ، دع المتوسطة والعالية ! فان قيل : وأين تخصص
الفتاة الحاملة لشهادة (البكالوريا) أو الحقوق مثلاً في العلوم الدينية ؟ فالجواب من وجهين :
(١) يجب أن نطالب الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت
انشاءه وجعله فرعاً للجامعة السورية ، ونفقاته قليلة ، وفوائده جزيلة .

(٢) ان الأزهر الشريف قد افتتح كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء
المسلمين عامة ، لا للمصريين خاصة ، فن السهل على بناتنا من حاملات البكالوريا ،
ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصبحن بعض ذوي المحارم ، وينهن من معين الشريعة
الصافي ، ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح .

محمد بهجة البيطار

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر

مطبعة الفنون المصورة [٨٦ من القسم العربي مع الذيل والفهارس و ٥٧ من الترجمة الاسبانية
يوسكا . انرايش (المغرب) ١٩٤٠

ما تزال نكبة الأندلس ونزوح العرب عنها النزوح المعروف أمره درساً ماثلاً
في نفس كل عربي بشير فيها العبرة والدعوة معاً .

ولعل اغرب ما في هذا الدرس تلك الفوارق العظمى بين معاملة العرب للاسبان
حين دخلوا بلادهم فاتحين ومعاملة الاسبان للعرب حين جلوا عنها نازحين .

وهذا كتاب لمؤلف مجهول حضر الوقائع الأخيرة بين العرب والاسبان
وشاهد عن كتب ما صب على رؤوس المسلمين من البلاء من تقتيل وتعذيب ونهب
اموال وسبي نساء وذراري ، واجلاء عن الاوطان واستباحة الحرمات المعابد
والأديان ، ثم تفنن في استئصال البقية الباقية من شيوخ لا حول لهم على مشاق السفر
وأطفال وأرامل أقدمهم الضعف^(١) ، فكل يوم احالات بالمئات على محاكم التفتيش
وكل يوم احراق وصلب وتعذيب في الساحات العامة حتى سئم الاسبان أنفسهم
هذه المجازر البشرية التي راجت سوقها والتي أحرزت بها حكومة الاسبان حينئذ
قصب السبق في الوحشية والقسوة والظلم .

واليك كلمة المؤلف نفسه عن موضوع كتابه وخطته فيه قال : « اما بعد فهذا
كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن علي بن
نصر ٠٠٠ ابن الملوك النصرين ، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضاً رحمهما الله ،
وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة . وعولت في ذلك
على الاختصار وتركت التطويل والاكثرار »^(٢)

تجد في هذا الكتاب تفصيل حصار مدينة الحمة وموقعة لوشة وانتصار المسلمين وفرار ابني الأمير وتآلب أهل وادي آس وغرناطة معها وموقعة بلش وموقعة اللسانة واستيلاء النصارى على حصن قرطمة ودكوين والزنده وموقعة المكين ، واستيلاء النصارى على حصن قنبيل ولوشة وإلبيرة - وحصار مدينة مالقة والبسطة وحصن الشوابانية ثم حصار غرناطة وتسليمها .

وفي خلال ذلك تشاهد من ضروب البطولة التي أبدهاها العرب على قتلهم ما ميزهم من جميع الأمم ولكن أمرهم كان الى إديبار . وأشد ما يفتجك هو خروج الخارجين على الأمراء وانقسام هؤلاء العرب القليلين بعضهم على بعض ، واستعانتهم بعدوهم على قومهم وأهل ملتهم حتى اذا انتهت الى آخر الكتاب لم تملك دمعك حين ترى آخر ملوك غرناطة يستعين بملك قشتالة على عمه وحين تشعر بجث ملك قشتالة وروغانه وضربه أحدهما بالآخر حتى أضعف الأميرين معاً وذهبت القتلى من حزيهما بالآلاف فكان ذلك اكبر العون في سقوط غرناطة آخر بلدة مسلمة في يد الإسبان .

وفي آخر الكتاب فصل قيم الفائدة في (نزوح مسلمي الأندلس الى المغرب) وبيان المواطن التي حلها أهل كل بلد من الأندلس في المغرب . وتحس في عدة مواضع من الكتاب أن مؤلفه كتبه وهو يتحرق من الألم والتفجع وتجزم حين تقرأه أن قلبه يكاد يتفطر من لوعته وأن عبرته ما ترقأ ، اسمعه وقد صور لنا غدر ملك قشتالة بعد ان عاهد المسلمين المستضعفين وسلم لهم بكل شروطهم كيف « اخذ في نقض الشروط شرطاً شرطاً وبجملها فصلاً فصلاً الى أن نقض جميعها وزالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدركهم الهوان والنذلة . . . ثم دعاهم الى التنصر واكرههم عليه فدخلوا في دينه كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول فيها : (لا إله الا الله محمد رسول الله) جهراً . . . وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصليبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن !

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعلمين لم يقدرُوا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين ! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان وبأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ٠٠٠ فيالها من فجعة ما أمرها ومصيبة ما اعظمها واضرها وطامة ما اكبرها ٠٠٠ وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطقاً من الاندلس نور الإسلام والايان ، فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون فإنا لله وإنا اليه راجعون: ^(١)

نشر هذا الكتاب الأستاذ الفريد البستاني من عدة مخطوطات وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه وهو من منشورات مؤسسة الجزائر فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بطنجة (المغرب) وتقرأ في مقدمة النشر كيف حصل على هذه المخطوطة التي اعتمدها والتي كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة .

هذا ولست أقر الناشر في حكمه على بيان المؤلف بقوله : «أما من حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي» ^(٢) ففي هذا الحكم مبالغة شديدة لأنّ المفوات اللغوية من استعماله ضمير العقلاء لغيرهم كقوله (وهدمهم [يعني الأبراج] ص ٣٤) وحذفه نون الأفعال الخمسة من غير أن تسبق بناصب او جازم كما سنشير اليه، هذه المفوات قليلة ولعلها من تحريف النساخ .

ومن الواجب علينا ان نعترف بأن الفهارس التي نشرها الاستاذ البستاني في آخر الكتاب قليلة الجدوى لأنها غير مرتبة على الحروف بل وضعت هكذا اعتباطاً على غير قاعدة واذا لم يراع في الفهارس ترتيب ما فمنا ندرى ماوجه إثباتها . وهناك حاشية معادة (ص ٢٣٦) وخطأ في قراءة المخطوطة كما سيأتي . وفي الكتاب أغلاط كثيرة كان على الناشر الفاضل أن يعرضه على أخبر منه في العربية ليتداركها له ونحن مشيرون الى اهمها :

فمنها ما يعود الى الرسم كهذه الكلمات :

تحيي وصوابها تحيا - دعي وصوابها دعا - الاستاذان وصوابها الاستئذان
فتفتقنا وصوابها فاتفقنا مؤرخي : مؤرخي - ا المبدئي : المبدئي - المنشي : المنشي
٢ علي ابن سعد : علي بن سعد - ٦ عن من : عمن - ٣٥ أولئك : أولئك ٤٤ سبي
نساءهم : سبي نساءهم - ٥٩ بنوا عبيد : بنو عبيد بنو مندبل : بنو مندبل
ومنها ما يعود الى ضعف في عربية الناشر وخطئه في قراءة المخطوطة وعدم
اهتمامه الى تحريف النساخ والاشارة الى الصواب فيه :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٢ حدوث	حروب	٢٩ مدافاً	مدافعاً
٥ انبثها	اثبتها	٣٦ فارتحل	ارتحل
الانتفاض	الاتفاض	٤٠ المسلمون	المسلمين
٧ بأصراهم	بأصرائهم	٤٤ والمعدومين	والمعدمين
بل والدنو	بل الدنو	٤٦ زمامتهم	ذمامتهم
٨ يعلموم	يعلمونهم	٤٧ ان يعينونه	أن يعينوه
٢٤ نفذ	نفذ	٤٧ ثلاثة سنين	ثلاث سنين

٢٦ وُقُتل منه خلقاً : وقتل معه خلق ٧٧ ليعاقبونهم ليعاقبواهم

وهناك نقص وابهام في بعض الجمل فقوله ص ٨ (نعمل الحيلة في الدخول
عليهم والتقصير والتفريط) فيه نقص لم ينتبه اليه الناشر وقوله ص ٢٧ (ولم يتركوا
شيئاً الا سقف المدينة خاصة) و ص ٤١ (اضمروا عليه الا عفوم من حينهم) مما
لا يفهم في الجملتين تشويه كان على الناشر أن يجتهد في ازالته ليتضح معنى المؤلف .
وهذه المأخذ كثيرة في هذه الرسالة الصغيرة التي لا تتجاوز ٤٨ صفحة .

وهذا بعض ما رأينا في مقدمته هو من اغلاط عدا التي مرت في اغلاط

الرسم بالرقم الفرنجي :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
3 فهمهم جلال المكان	فهابوا جلال المكان	الأمثين التي	13 الامثين اللتين
8 الخضيل	الخضل	عدا عن الأغلاط	17 عدا الأغلاط
11 سوريا	سورية	لوحده العصمة	19 له وحده العصمة
12 يغيرون	يفارون		

وقوله ص 11 : (بينما كان العراق يتفرس وسوريا تترك ومصر تتطور بآثيرهم وتتاثر بتطورهم) غير صحيح ولو قال كاد بدل كان لكان لذلك وجه .
ولا تخلو لغته من ركافة ككتابع الإيضافات في قوله ص 7 « من تاريخ مراحل آخر ايام مجدك » وكقوله ص 11 : « بدرجات سلم المقاييس الأدبية المرهونة بجماعة مزاج أعصاب الفاتحين »

ومع أملنا الوطيد في أن الاستاذ البستاني سيأخذ نصيحتنا المخلصة أخذ الغيور على لغته ليس يسعنا الا أن نثني على عاطفته العربية الحارة التي أشعرنا بها في أول الكتاب وان نتمنى على الله أن يوفقه في نشر تحفنا الضائعة وأن نعود فنشكره في هذه المحلة ثانية وثالثة ان شاء الله^(١)

سعيد الأفغاني

(١) في آخر القسم العربي من الكتاب رسالة بث بها عبد الله محمد بن نصير سلطان غرناطة إلى الدون خوان اثناني سلطان قشتاله وليون بتاريخ • من ذي القعدة عام ٨٢٦ هـ مع صورتها الفتوغرافية وهي بأسلوب غريب .

تاريخ حمص - القسم الأول - للخوري عيسى اسعد

عدد صفحاته ٢٩٢ ويحتوي على ٣٢ صورة ، طبع في حمص

١٩٣٩ م

شاء المؤلف ان يضيف الى سلسلة تاريخ سورية حلقة جديدة جمع فيها أخبار حمص منذ نشأتها الأولى حتى الفتح الاسلامي ، ومن يطالع هذا الكتاب يدرك الجهود التي بذلها المؤلف حتى جمع أخبارها ووفق لاستنتاج حوادثها لا سيما في اقدم عصورها . يستدل من عنوان الكتاب بأن المؤلف قد اقتصر على تاريخ حمص والحقيقة قد تعداه الى بعض أخبار الديار الشامية ومن بسط سلطانه عليها من الأمم المجاورة وذلك تعمياً للفائدة وتنويراً للحقيقة .

يتجلى في ابحاث هذا الكتاب عطف المؤلف على مدينته حمص وعصبيته لها فأحب أن يبرها ويجعل لها تاريخاً عربياً بالقدم يتفق مع ما يريه لها من المكانة التاريخية فقدمها على سواها من امهات المدن مثل قدش وقطنا وتونانات وغيرها من البلدان التي رددتها الوثائق التاريخية وقد اختار لها اسم (صوبا) الوارد ذكرها بالتوراة مع ان هذا اسم مقاطعة لا اسم بلدة واليهما نسبت (حماة صوبا) و (ارام صوبا) كما نقول اليوم دمشق الشام وطرابلس الشام . واما استدلاله عن نشأتها الأولى بموقعها الجغرافي وازدهارها الزراعي فحجته فيه ضعيفة . وكل ما يمكن قوله اليوم - ان سلحنا بقدم حمص - انها كانت قرية نكرة لا حول لها ولا قوة والالما اغفل اسمها واعطى حقها في العصور المتقدمة . وما نعلمه ان حمص بدأت شهرتها في العهد السلوقي حينما ازدهرت في ظل اسرة سمسيفرام العربية فتبوات حينئذ مكانتها في تاريخ سورية .

انساب الأشراف للبلاذري

أخذت الجامعة العربية في القدس تنشر كتاب انساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان المتوفى سنة ٢٧٩ وذلك عن النسخة الوحيدة المحفوظة في إحدى دور كتب الاستانة . « وانساب الأشراف هذا يشتمل على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الأول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه أنساب قبائل العرب . فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بحزبه ونكته المستجادة وما قيل فيه من الشعر او بطائفة من شعره ان كان شاعراً واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بمجاءث وقته » .

وقد تولى تصحيح الجزء الرابع من الكتاب الاستاذ غويتاين فجاء الأصل في ٣٧٩ صفحة عدا الفهارس والتعليق التي جعلت بالعربية والعبرية والانكليزية وتولى تصحيح القسم الثاني من الجزء الرابع الاستاذ شلوسنجر فجاء في ١٧٠ صفحة عدا الفهارس والتعليق وهي أيضاً بالعربية والعبرية والانكليزية . وقد بذل الناشران عناية فائقة في تصحيح المتن فاستحقت ثناء العلماء على عملهما المشكور واستحقت الجامعة الشكر الجزيل على احيائها هذا الكتاب الأثمن من كتب التاريخ بهذا الاتقان والطبع والوضع .

وقد وقعت للأستاذين الناشرين بعض هنات نرى أن نلفت نظرهما الى بعضها ومنها في الجزء الخامس صفحة ٩٧ خ 'مَرَجَتْ أماناتهم - ص مَرَجَتْ أماناتهم ص ١٧٤ . اهل المعادن - اهل المعاون ٢٠٦ : وذرية الرماح - ودرية الرماح . وأشياء من هذا القبيل وأكثرها مما يغتفر . اما في القسم الثاني من الجزء الرابع فقد وقع فيه هنات في الاملاء والرسم قليلة وأشياء مثل ص ٨٦ : آكولا : أكولا .

١٢١: وناديتهم أهل بلدكم — ناوأم ١٣٦٠: سخياً لسيناً — لسناً ص ٣ بالقصر قذونة:
 بالخذقدونة ويقال خلقدونة وهو الثغر الذي منه المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة
 ويقال لها الخذقدونة أيضاً كما في معجم البلدان لياقوت

وهذان البيتان اللذان نسباً زوراً لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وفيها ورد اسم
 الخذقدونة مما وضعه عليه المنحرفون عن بني أمية: والبيتان

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقدونة من حمى ومن موم
 اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي ام كلثوم

وقد وردا في البلاذري مقلوبين اي الأول ثانياً والثاني أولاً

وكذلك يقال فيما أورده له البلاذري في الصفحة الأولى من أبيات ادعى
 الراون أن يزيد قالها لامراته أم خالد ما إخالها تصدر عن أعظم الخلعاء فكيف
 عن خليفة أعداؤه أكثر من أوليائه والعهد بالدين قريب والصحابة والتابعون
 بالمرصاد يرجعون الى الدين كل من ضل عن الجادة . وقد وقعت للبلاذري
 أشياء نقلها عن رواة غير ثقات يقصد بها التهريج وارضاء بني العباس وبني علي ولو
 صح واحد من عشرة مما اتهم به يزيد بن معاوية لسارع أهله قبل كل الناس الى
 قتله . والبلاذري منحرف عن بني أمية مثل الواقدي وأبي مخنف سامحهم الله .

محمد كرد علي

ليالي الملاح التائه

للاستاذ علي محمود طه : شركة فن الطباعة بمصر ، صفحاته ١٤٩

ديوان شعر لطيف الحجم صقيل الورق وجميل الطبع والتصوير ، يدل على تقدم فن الطباعة بمصر وهو يشتمل على سبع وعشرين قصيدة ، قوية الشعور ، معلقة الخيال مع سبك عربي الاسلوب ونزعة الى الثفنن والتجديد

عبقر

للاستاذ شفيق الماغوط ، صفحاته ١١٢

ويدل هذا الديوان أيضاً على تقدم فن الطباعة العربية تقدماً لا تحسد معه الطباعة الغربية على أبداعها ، وشعر الاستاذ شفيق رقيق التعبير ، يشبه الموشحات بافتانه ، وتزينه صور فنية للمصور الايطالي فرنكو شيني ، فالديوان على ذلك من طرف الفن بتعبيره وتصويره .



آراء وانباء

دار الكتب الوطنية في حلب

حدث خلال توقف مجلة المجمع العلمي العربي عن الصدور ، حادث يرتاح لذكره
 جمهرة المثقفين في الديار الشامية . وهو انه ما كاد الامير مصطفى الشهابي أحد اعضاء
 مجعنا ينقلد في اوائل السنة ١٩٣٧ منصب محافظ مقاطعة حلب ، حتى جعل في مقدمة
 اعماله تشييد بناء عظيم يتخذ داراً للكتب وغرفاً للمطالعة وردهة للمحاضرات .
 ومن المعروف ان مدينة الشهباء كانت حتى ذلك اليوم خالية من بناء يحاكي المدرسة
 العادلية او الظاهرية او مدرج الجامعة السورية في دمشق ، وان فرع المجمع
 العلمي في حلب لم يكن له بناء للاجتماع والمحاضرة وحفظ الكتب والمطالعة .
 وعندما راجع الأمير الشهابي مجلس الوزراء في هذا الصدد ، وجد أن تدارك
 المال من ميزانية الدولة ، لتشيد البناء المذكور ، يكاد يكون من مستحيلات
 الأمور . فعمد عندئذ الى خطة لا ينازعه في تنفيذها منازع . وهي انه لما كانت
 بلدية مدينة حلب وبلديات الأفضية والنواحي في تلك المقاطعة تابعة جميعاً للمحافظ ،
 أصدر قراراً بأن تخصص كل بلدية تابعة لمحافظة حلب عشر وارداتها لتنفق على
 إقامة دار الكتب في مدة سنتين . وقد أصاب بلدية مدينة الشهباء نصف النفقات .
 وكان النصف الثاني من نصيب بلديات الأفضية والنواحي . وهكذا أمكن جمع
 خمسين الف ليرة سورية (بسعر تلك الأيام) وهو المبلغ الذي اجمع المهندسون على
 انه كاف لاقامة البناء .

وبعد ان سهل المال وجب الحصول على أرض تصلح للغرض المطلوب . وهنا
 تذكر الامير الشهابي انه عندما كان مديراً لأملاك الدولة السورية خصص لمديرية
 البريد والبرق العامة أرضاً واسعة ثينة تقع في اهم بقعة من المدينة اي في ساحة

باب الفرج ، لكي تبني المديرية المذكورة عليها بناء لدائرة البريد والبرق في حلب .
وتذكر انه مرّ على هذا التخصيص بضع سنوات دون ان يشاد البناء المطلوب على
تلك الأرض ، وانه ربما مرت سنوات عديدة أخرى والأرض باقية على حالها .
ولذلك سعى في مجلس الوزراء حتى ابطال ذلك التخصيص وحوله على اسم وزارة المعارف
لتبني دار الكتب الوطنية على الارض المذكورة .

فأصبح هذا المشروع المفيد مشتركاً بين بلديات محافظة حلب صاحبة المال المنفق على
البناء ، ووزارة المعارف (او المجمع العلمي) التي تتصرف بأرض البناء العائدة لبيت المال .
ولهذا عقد الأمير بين الفريقين اتفاقاً يقضي بأنه عند ما يتم البناء يسجل في
السجلات العقارية على اسم بلديات محافظة حلب ، ويخصص لفرع المجمع العلمي في
مدينة الشهباء ، فينقل اليه خزانه كتبه ، ويشرف على شؤونه ، ويمارس أعماله فيه
كما هي الحال في العادلية والظاهرية بدمشق .

وبعد ان مهد صاحب المشروع جميع العقبات ، حمل دائرة الاشغال العامة في
حلب على مباشرة هذا العمل الجليل ترجيحاً على سائر اعمال تلك الدائرة . وقضى
سنتين وبضعة أشهر وهو يشرف شخصياً على صنع الخرائط والتصميمات وعلى أعمال
البناء . ولم يغادر منصبه في السنة ١٩٣٩ حتى كان البناء قد تم ، ولم يبق سوى
الأعمال التكميلية فأتمت بعدئذ على حسب الخرائط والخطط المقررة .

وعلى هذا اصحبت الشهباء تشتمل اليوم في أجل مواقعها على بناء عربي نغم شيد
بالحجار كبيرة لا يقل طول واحدتها عن ٤٥ سنتيمتراً . وكثير من هذه الأحجار
حمر رخامية من التي تسمى « سماقية » في حلب و « مزية » في دمشق . ويقول العارفون
ان دارالكتب الوطنية في حلب هي اليوم أجمل المصانع الحديثة في مدينة الشهباء بلاسراء .
وقد جعلت الطبقة الأرضية من البناء مدرجاً للمحاضرات يتسع لخمسة
مستمع ، كما جعلت الطبقة العليا غرفاً تتسع لأربعين الف مجلد ولمائة مطالع ،
عدا غرف الإدارة .

ذكرى المولد النبوي

يحتفل المسلمون كل عام بذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام احتفالاً رائعاً ، وأي ذكرى أحق من هذه العناية وليست هذه العناية بالمولد قديمة .
ولم يرو عن الصحابة والتابعين ، وأول ما نقل اليها أن الخيزران والدة هارون الرشيد اصلحت البيت الذي ولد فيه رسول الله . أما الاحتفال بذكرى المولد نفسها فلم يظهر الا في عصر الفاطميين الذين عدوا يوم الذكرى عيداً لدولتهم تقام فيه الزينة وتلقى الخطب والمواظ .

ولم يجعل أهل السنة لهذا اليوم شأنًا خاصًا الا منذ عام أربع وستائة فقد بالغوا في هذا العام لأول مرة بالاحتفال بهذا اليوم وزينت إربل عاصمة الملك مظفر الدين كولاكبري صهر صلاح الدين يوسف بن أيوب وانقدت الأنوار الساطعة ، وقرعت الطبول والموسيقى وأنشد المنشدوت وظهر الملك المظفر صباح يوم الذكرى على برج مشيد من خشب وانتصب واعظ على منبر بجانبه يعظ الناس .

وظفق المسلمون من أهل السنة من ذلك اليوم يتخذون يوم المولد عيداً دينياً شعبياً . ولما ظهر الاحتفال بهذا المظهر ، أجمع الفقهاء على القول بأن الاحتفال وان كان بدعة فانما هو بدعة حسنة لاتصاله بشخصية الرسول المعظم . ثم ما عثم أن مرت الى يوم الذكرى ضروب من المرامم أثارت نائر بعض الائمة كابن تيمية في المتقدمين والامام محمد عبده في المتأخرين فشنوا الغارة على صورة الاحتفال ووجدوا في الأناشيد التي ترتل نزعاً من النزعات الصوفية لا يقرها الا سلام الصحيح ووجدوا في النصوص التي تقرأ عن مولد الرسول ابتعاداً عما يجب أن يقال من سيرته الشريفة مما ورد في الأثر واصفرت حملتهم عن توجيه علماء المسلمين الى الاحتفال بالذكرى وجهة حسنة لاتخرج عن هدى الدين وذلك بقراءة شيء من السيرة النبوية المنقولة في الكتب الموثوق بها وبالقاء الخطب يذكر فيها شأن الاسلام وأثر الدعوة الحمديّة ويحض الناس فيها على التحلي بالأخلاق النبوية . وكان الاحتفال بهذا يوماً يبعث في نفوس المسلمين بهجة بعيد يذكرون فيه المثل العليا التي حض عليها رسول الله . وحسنت ذكرى مولد رسول الهدى .

مجلد علمی عربی

الجزء الرابع نيسان سنة ١٩٤١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠

تأليف ابن العديم

كان أجداد ابن العديم قضاةً تسلسل فيهم العلم اجيالاً ، وكان من وراء نعمة عظيمة تجمعت لأهله بطول الزمن . جاء أهله في القرن الثاني من البصرة ونزلوا حلب تجاراً ، وبعد حين اشتغل بعضهم بالعلم فانتقلت تجارتهم ، وبان الأدب والذكاء على كثير من ابنائهم ، حتى اذا كان القرن السابع نبغ آخرهم صاحب المكانة الكبرى في عالم العلم والأدب ، فهو وارث مجد أسرته اعانه الغنى على الظهور بالعلم ففاق الاقران وخلد اسمه في سجل الزمان .

غرست الفطرة في ابن العديم صفات نادرة كانت عوناً له على ما أخذ نفسه به من الدرس ، وعلى تجلي عبقريته وانبعاث قريحته ، هذا مع كثرة العلماء في بلده على عهده . وكان هو مفتناً فناناً ، مفتناً بالعلم الذي تلقاه عن علماء عصره وبه اعد نفسه لتولي منصب قاضي القضاة في مدينة عظيمة ، فبرز في الفقه والحديث والادب والانشاء والشعر والتاريخ وكل ما تكمل به أدوات القاضي والمفتي . وكان فناناً لأنه رزق الاجادة في الخط حتى كان رأساً في الخط المنسوب ولا سيما النسخ والحواشي ، وكان يقرأ الخط المعقد كأنه يقرأ من حفظه ، وقالوا انه اكتب من كل من تقدمه بهد ابن البواب ، وله كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه واقلامه وطروسه . عاش كأغنياء العلماء واخذ العلم عن علماء حلب ودمشق ، ورحل الى الحجاز ومصر

والعراق ، وكان اذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ويكتب . هذا هو كمال الدين عمر العقيلي الحلبي رئيس الشام (٦٦٦ هـ) وكان يطلق على امرته اسم بني جرادة ثم غلب على بيتهم اسم «العديم» ، وكان جميع أهل هذا البيت منذ كان الاسلام يحفظون الكتاب العزيز . وقد تولى خمسة منهم على التوالي منصب قاضي القضاة بحلب ، وكان كمال الدين واسطة عقدهم اشتغل بالسياسة والعلم فتولى الوزارة مرتين : الأولى للملك العزيز والثانية للناصر آخر بني ايوب ، وذهب بالسفارة عنها الى بغداد والقاهرة . ولا يتولى الوزارات في الغالب إلا الاكفاء ، ولا يتوب عن صاحبه في السفارات الا ارباب الكفاءات المعترف بها .

ألف كمال الدين وصنف وكتب بخطه الجيد أوفياً من الصفحات ومن جملة ما كتب بخطه البديع ثلاث خزائن من الكتب : واحدة لنفسه وخزانتان لابنيه لكل منها خزانة فاذا فرضنا أن كل خزانة تضم مئة مجلد وهو أقل تعديل فيكون مجموع ما كتب ثلاثمائة مجلد عدا تأليفه الممتعة التي نمت على تحقيقه وبحثه ولم نعرف منها سوى ثلاثة .

الأول من كتبه (ومنه نسخة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق) رفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري أو الانصاف والتجري ، ذكر فيه كل ماله اتصال بأصل المعري ومنشئه وأدبه وعلمه وتصانيفه ورحلته الى بغداد في طلب العلم وما وقع له طول حياته من الحوادث ومن كان يعطف عليه من أهله وكلهم معروفون بالأدب والشعر ومن كان يستملي منه . تصانيفه ومن يكتب له ليل نهار وكان أربعة في جرابته وجارية ، وذكر من أخذ عنه . والمقصد من كل هذا الكتاب تبرئة المعري من التعطيل وكان أعداؤه ينحلونه آياتاً او يحرفون آياتاً من شعره ليصححوا دعواهم عليه بانحلال العقيدة . واهم جزء من الكتاب (وهو دفع دعوى الإلحاد عن أبي العلاء) ناقص من النسخ التي عرفت من الكتاب على أن ذلك لا يمنع من نشره بالطبع لما فيه من الفوائد التي أثرت عن شيخ المعرة وحكيمة وأديبها .

والثاني تذكرة ابن العديم وجد منها مجلد ، في بضعة أجزاء أولها الجزء الخامس
وأخرها الجزء السادس عشر وفيها فوائد أدبية وتاريخية كثيرة وهي جديرة بالطبع
أيضاً ، ومما جاء في أولها لعلي بن ابراهيم بن عبد المحسن بن قرناص الخزاعي الحموي :

جفني بجفئك قد جفاه مجموعه والقلب واصله عليك ولوعه
وسقام جسمي فيك عن ذهابه والنوم عن علي الجفون رجوعه

ومما جاء فيها : انشدني منجب الدين ابن الامان المذكور قال انشدني القاضي
وجيه الدين ملهف ابن الصنديد الشيزري قال انشدني للأمير شرف الدولة ابن منقذ
نفسه وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة
على أخيه وأولاده وزوجته الخاتون اخت شمس الملوك فسلك دونهم ونبشت من الردم
فجاء نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وأسلمها وطلب من زوجة أخيه أن تعلمه
بالمال وتهدها فقالت له : ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت سالمة دونهم ولا تعلم
بشيء وان كان لهم شيء فهو تحت الردم . وكان شرف الدولة غائباً فلما حضر ورأى
شيزر وما حل بها وعابن زوجة أخيه بعد العز في ذلك الذل عمل :

ليس الصباح من المساء بأمثل فأقول لليل الطويل ألا انجلي
كشلت بد الأيام ان قسيتها ما أرسلت سهماً فأخطأ مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة يهمني لها جفني وقلبي يصطلي
ياتاج دولة هاشم بل يا أبا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لوعابنت عينك قلعة شيزر والستر دون نساءها لم يسدل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل

ومنها يشير الى زوجة أخيه المذكورة

نزلت على رغم الزمان ولو حوت بيناك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوضت من عزها بتذلل

وقال في أخيه :

ودُفنت بين ثلاثة ضاجعتهم كالليث ضاجعه ثلاثة أشبل

وكان هذا الزلزال من أشد ما منيت به بلاد الشام في القرون الوسطى هلك فيه كما قال ابن الأثير ما لا يحصى كثرة وخرب منها بالمرّة حماة وشيزر وكفر طاب والمرة وأفامية ومحص وحصن الأكراد وعرفة واللاذقية وطرابلس وانطاكية .
وأما كثرة القتلى فيمكنني أن معلماً كان في حماة ذكر عنه أنه فارق المكتب لهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فخرت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب . أما حصن شيزر وهو على نصف نهار من حماة فكان لآل .منقذ الكنتانيين فلم ينج منهم أحد ، وسبب هلاكهم أجمعين أن صاحبها كان قد ختم ولداً له وعمل دعوة للناس ، واحضر جميع بني منقذ عنده في داره ، وكان له فرس يجبه ولا يكاد يفارقه ، وإذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه ، وكان المهري في ذلك اليوم على باب الدار ، فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلاً كان أولهم فنقله ، وامتنع الناس من الخروج ، فسقطت الدار عليهم كلهم وخرت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ، ولم ينج منها الا الشريد .

وكان بنو منقذ اصحاب قلعة شيزر (واليوم يقال لها سيجر) سلسلة جميلة في الشعر والأدب كما كان بنو العديم في حلب سلسلة متصلة الاسانيد بالقضاء . خربت قلعة شيزر والى اليوم لا تزال خراباً بياباً ، وأدب بني منقذ ما زال محفوظاً في الدواوين يتناقله المتأدبون وبعبج به الشادون والمحققون . وكان آخرهم أسامة (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ) من أئمة الأدب عرفناه من الكتب التي أهدت الأيام عليها ، ومنها كتاب الاعتبار ذكر فيه آكل بيته وشجاعتهم وبطولتهم وما كان لهم على عهد الصليبيين في الشام من مقامرات ومن كتبه (كتاب العصا) ومنها (لباب الآداب) وكلها مطبوعة تشهد لأصامة بالعلم والنبوغ .

ومما نأثره من مذكرة ابن العديم ما نقله للسابق ابي اليمن محمد بن الخضر المعري في حلب:

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسمي ثم الولي
موطني بعد موطني فكأنني لغرامي بجيها البحري

الى ان قال :

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتباه الشرعي والفلسفي
غير أني أرى الاطياب شزراً وحليف الانفلاس عنها قصي

وما اقتبسه آيات لسان صاحب الدعوة الاسماعيلية وهي

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق أصبح ظاهراً عما تقول وأنت شبه النائم
ترجم لسان الملقب براشد الدين صاحب الوفيات فقال انه صاحب قلاع الدعوة
ومقدم الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية (او النزارية) وهو الذي هدد
صلاح الدين يوسف بقوله

ياذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده واستيقظت لأسود البر أضعه
اضحي يسد فم الأفعى بإضعه بكفيه ماقد تلاقى منه أضعه
وكتب مرة أخرى :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثنت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدتها

أما الكتاب الثالث الباقي من تأليف ابن العديم فتاريخ زبدة الحلب في تاريخ
حلب (منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية نقلت عن مخطوطة الاستانة) فالظاهر
انه أحسن كتبه ولم يبيضه وفيه كلام على جغرافية بلاد حلب وبجاراتها وجبالها
وتربتها وهوائها ومائها وخراجها وعادياتها ، وذكر فيه مدناً تعد اليوم من كيليكيا
والجزيرة مثل اذنة والكنيسة السوداء وطرسوس وميسس والحدث الحمراء وملاطية

وسميساط ورعبان ودلوك الى غير ذلك من الحصون والبلاد . وتكلم على جيجان نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة والعاصي نهر انطاكية وحماة والبردان نهر طرسوس . وبذلك عرفنا أن عمل حلب في عهده كان واسعاً جداً اكبر من مملكة من الممالك الصغرى لهدنا . وفيه فصل من اجمل فصول الكتاب فيمن نزل من قبائل العرب باعمال حلب ومن كان قبلهم . ونقل شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل قنسرين وهو ثمانية وأربعون درهماً على الغني وأربعة وعشرون على الوسط واثناعشر على المدقع ، وما اشترطه عليهم للنازل بينهم من المسلمين والا يحدثوا كنيسة الا ما كان في أيديهم ولا يضربوا بالناقوس الا في جوف بيعة ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة ولا يرفعوا صليباً الا في كنيسة وأن يؤخذ منهم القبلي من الكنائس للمساجد ، وان يقرأوا ضيوف المسلمين ثلاثاً ، وألا يكون الخنازير بين ظهرائي المسلمين ، وان ينامحوا المسلمين ولا يفسحوا ، ولا يمالئوا عليهم عدواً ، وان يحملوا راجل المسلمين من رستاق الى رستاق ، وألا يلبسوا السلاح ولا يحملوه الى العدو ، ولا يدلوا على عورات المسلمين ، فمن وفى وفى المسلمون له ، ومنعوه مما يتنعون به نساءهم وابنائهم ، ومن انتهك شيئاً من ذلك حلّ دمه وماله وسبأ أهله وبرئت النمة منه ، وكتب بذلك كتاباً .

واستفدنا من هذا التاريخ أن حلب كانت من أكثر المدائن شجراً فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة بن حمدان وبين الإخشيد أبي بكر محمد بن طفج ، فان الإخشيد كان ينزل على حلب ويحاصرها ويقطع شجرها فاذا أخذها وصعد الى مصر جاء سيف الدولة وفعل بها مثل ذلك . وتكرر ذلك منها حتى فني ما بها من شجر ، وانفق نزول الروم على حلب سنة ٣٥١ ففنى شجر الشربين لذلك .

ورأينا له في هذا الكتاب تحقيقات تدل على تأنيه وبعد غوره منها أن ابن الفارح ذكر في رسالته حكاية نسبها الى أبي الطيب قال وهذا عجيب فإن أبا الطيب ولد سنة ٣٠١ فكيف تصح هذه الحكاية . قال ابن العديم ولعله غير أبي الطيب ثم بعد حين كتب انه تبين ان الأمر كذلك ، وهذا المتنبي الذي ذكره المؤرخ هو أحمد بن عبد الكريم الأصفهاني .

ويقول ابن الشحنة في تاريخ حلب : أن كمال الدين بن العديم انقن في تاريخه واجاد
 واطال ولم يبيض منه الا اليسير واطال فيه من ذكر الروايات والطرف فحاء بمعنى
 قليل في لفظ كثير ولم يسبقه أحد بتاريخ لها على الخصوص وسماه « بغية الطلب في
 تاريخ حلب » رتبته على حروف المعجم كما أخبرني بذلك الأمير النقيب بدر الدين
 الحسيني نقيب السادة الأشراف بالملكة الحلبية رحمه الله ان مسودته كانت تبلغ
 نحو اربعين جزءاً كباراً والمبيضة تحجياً كذلك لكن اختتمته المنية قبل اكمال
 الأمتية وتفرقت اجزائه قبل الفتنة التيمورية فلا تجد الآت منها الا نزرًا ولم
 أقف منها الا على جزء واحد بخطه فيه بعض حرف الميم ٠٠٠

محمد كرد علي

بعث قصيدتين

من مرقد هما لعدي بن الرقاع العاملي

كان صديقنا الاستاذ خليل مردم بك قد نشر في مجلتنا هذه شعر عدي بن الرقاع العاملي مع ترجمة له حسنة (*) ، وباطلاع الاستاذ المستعرب سالم الكرنكوي عليها كتب اليه كتاباً يذكر فيه انه كان قد جمع في الماضي ما تيسر له تحصيله من شعر عدي ، وانه أرسله مع ترجمته المنقولة من تاريخ دمشق الى الاستاذ غويدي لعزم أحد تلاميذه على وضع اطروحة له في عدي وشعره ، لينتقد بها الى جامعة رومة في سبيل الحصول على درجة الحكمة (الدكتورية) في الأدب .

ثم ظفر الاستاذ الكرنكوي بنسخة غير جيدة من كتاب الخليل لأبي عبيدة معمر بن المثنى منقولة عن نسخة قديمة في المدينة المنورة كتبت سنة ٣٥٢ للهجرة ، وهو اليوم مكب على تصحيحه لينشره للناس ، وفي آخره عدة أشعار لقدماء شعرائنا بينها شعران في وصف الخليل لعدي بن الرقاع ، وكان عدي كطفيل الغنوي مشهوراً بعرفة الخليل واجادة نعمتها ، وقد بعث الملامة الكرنكوي بهاتين القصيدتين الفقيديتين لتنشر في مجلة المجمع العلمي العربي فله جزيل الثناء ، وقد شرحتها شرحاً كافياً للإفادة القراء ، والقصيدتان هما :

قال ابن الرقاع العاملي ، نخلط فيها بقول أبي دواد :

١ ولقد أعتدي بأجرد تهدي لآحه بعد صنعه المضار

٢ أيد القصر بين ما قيد يوماً فيعنى بصرعه يبطار

- (*) راجع المجلد الخامس عشر من هذه المجلة تجد (مختارات من شعره) في الصفحة ٢٥٠ .
(١) الصنع فتح الصاد مصدر صنع القوس يصنع صنماً وصنعة اذا أحسن القيام عليه .
(٢) القصر يان : ضلعان تليان الترفوتين ، او اللتان تليان الشاكلة بين الجنب والبطن كما في التهذيب ، والصرع الطرح على الارض .

- ٣ حوشب الخلق أفرعت كنفاهُ عن محاني ضلوعه إيجفارهُ
 ٤ واذا اهتزَّ مقبلاً زانَ منه أتلعُّ ما يُنال منه العذارُ
 ٥ ويرىُ مجفراً إذا هو وليّ في حمايه شدةُ وانبتار
 ٦ ونسورهُ لها حوافر منه لا يرى في أرساغهن انتشارُ
 ٧ كالجلاميد بالمسيل تملاً هن في الماء خضرةُ واصفرارُ
 ٨ مشقّ اللحم عن حمايه مشقاً فتعالى واشتدت الأوتارُ
 ٩ وعلى الزور منبض القلب منه بجيازيم بينها أسيارُ
 ١٠ فهو طافٍ أقبّ كالمسد الأما من عاري الشوى ممرُّ مغارُ
 ١١ شاخص الحرتين بنفخ منه قطعَ الربو منخرهُ تنارُ

(٣) الحوشب: العظيم البطن ، الافراع : الارتفاع والانحدار ، والاجفار الاستكراش وانتفاخ الجبين ويستقيم المعنى اذا اعتبرت (عن) مصحفةً عن (في) . (٥) المجفر : اسم ، فعول من الاجفار وهو العظيم الجبين ، والممانان : اللحمتان في عرض الساق ترابان كالعصبتين من ظاهر وباطن والجلم سخوات ، والانبثار : الانتطاع . (٦) النسور : الشواخص اللواتي في باطن الحافر . والانتشار : الانتفاخ في العصب للاعصاب . (٨) المشق : جذب الشيء ليتمتد وبطول ، ومن الفرس المشيق اي الطويل الضامر والأتار هنا أربطة المضلات . (٩) الزور : بفتح الزاي الصدر . (١٠) (طافٍ) : اسم فاعل من طفا يطفو يقال : طفا الثور الوحشي على الاكرومال اذا علاها ، ويقال سرّ الطفي يطفو اذا خب واشتد عدوه ، والمعنيان يجوز وصف الجواد بهما (الأقبّ) ذو القب وهو دقة الحصر وضور البطن ، و (المسد) الجبل من الليف يسد أي يمرّ فله ، وفي الكتاب : في جيدها جبل من مسد . والشوى الاطراف ، والجواد تكون قوائمه طارية من الشر ، و (ممرّ ومغار) اسما مفعول من أسرّ الجبل اذا شد فله ، يقال : جبل مغار القتل وفرس مغار شديد الفاصل .

(١١) الحرمان : الأذنان ، قال زهير :

قنواء في حرّيتها للبصير بها عنق مبين وفي الخدين تسهيل

و (قطع الربو) يقال أصاب الفرس قطع يضم القاف وسكون الطاء مع ضمها أي ضيق نفس من العذو ، والربو البهر وانقطاع النفس ، وكأتمأ أراد الشاعر ان سمة منخره المحمودة في الجبل تعني عند ضيق النفس اذا عدا .

١٢ وهو شاحٍ كأن لحينه خوفاً قتب لاح منها التجارُ
وقال أيضاً :

- | | | |
|---|-----------------------|-------------------------|
| ١ | على كلِّ سلبية لاحها | طرادُ المسالخِ أو سلبِ |
| ٢ | أشقى شخيص كئيب الفلا | قريستنٌ أو جوذَر الحلبِ |
| ٣ | إذا ما تصعلك من خشوقه | فأصبح كالفرد الأشعبِ |
| ٤ | أمِرت حوامل اوصاله | كما تسترُّ قوس القنبِ |
| ٥ | وأشرف حاركه والقطا | طُ منه على طاقة المركبِ |
| ٦ | على أن مجتمع القصرية | نِ لبس بغوطٍ ولا أحدبِ |
| ٧ | كبت كأن على متنه | سبائك من قطع المذهبِ |

التوضيح

(١٢) اسم فاعل من شحافاه يشعوه إذا فتحه ، والحوِّ والحوِّ الوادي والناط من الارض . ولا معنى له هنا مضافاً الى القتب ، وهو اكاف البعير ، فله مصحف عن (جيباً قتب) ، ومثله قول الشاعر :

كأن فاهما واللجام شاحيه جيباً غميظٍ سلسٍ نواحيه
(لاح) يقال كما مر : للاحه البطش لوحاً ولوحه غيره وأضره ، وكذلك السفر والبرد والسقم والحزن كما في اللسان ، فالمنى واضح أي أضر التجار جبي القتب وقد شبه بهما اللحين كما مر .
(١٠) السلب : من الخيل الطويل وقوله (لاحها طراد المسالخ) أي غيرها أو ضرها والمسالخ جمع مسلحة وهي الرقب يكون فيه قوم ذوو سلاح يرقبون الدوِّ ، والمنى واضح .
(٢) الأشقى : من الخيل الطويل ، و (بستان) ينشط والاستنان النشاط ومنه المثل المذكور : استنت الفصال حق القرعى) ، أي إن فرسه نشيط كئيب الفلاة وجوذَر الحلب ، وهو نبات ترطاه الظباء والشاة تدمن عليه فيشتد مرحها ، ومثله قول النابغة يصف فرساً :

بباري التواضع صلت الجيبين بستان كالتيس ذي الحلب

(٣) تصعلك : الفرس طار ويره ، والحشوة السمن ، والفرد الأشعب : الثور ذو القرنين المتباعدين
(٥) لعل الصواب : القطة ، وهي ما بين الوركين ، وقيل مقعد الردف من الدابة خلف الفارس ، والمبارك أعلى الكاهل وقيل فرعه ، وطأة المركب ووطأته سهولته . (٦) النوط : في الناط أي المظمن . (٧) المذهب : أي الدوِّ بالذهب ، ويقال كبت مذهب لذي تلو حمرته صفرة .

الغوطة (١)

جزئيات المحاضرة

- (١) الغوطة وحدودها (٢) بسايتها وقراها (٣) الأبنية الأثرية فيها (٤) مزارها
- (٥) سكانها ولسانهم واديانهم (٦) آثارها وزروعها (٧) أنهارها وريها
- (٨) مدينتها (٩) صناعاتها الزراعية (١٠) منزهاتها (١١) أديها

سبق لي مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي (١٩٤١) أن حدثت المستمعين الى مذياع (راديو) الشرق في بيروت ببعض ما عرفت عن غوطة دمشق ، والآآن أريد أن أتوسع في هذا الموضوع اللذيذ المفيد بأطول مما كنت تحدثت ، وأتوخى أن آتيكم بما عرفته من طريق الدرس والتجارب الشخصية .

الغوطة وحدودها

اشتق اسم الغوطة من الغائط ، والغائط المطمئن من الأرض ، والجمع غيطان وأغواط ، وقال ابن الأعرابي : الغوطة مجمع النبات . وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث قال ابو المطاع بن حمدان :

سقى الله أرض الغوطين وأهلها
فلي يجنوب الغوطين شجوت
وماذقت طعم الماء الا استخفني
الى بردى والنيربين حنين

والنيربان واحدهما النيرب ، وهي قرية كانت على نصف فرسخ من دمشق قال ياقوت : إنها أنزه موضع رآه . وفي مراصد الاطلاع : (إن النيرب قد جاء في الشعر مثنى) فلعل ياقوت فهم منه أن هناك موضعاً آخر وليس كذلك . فان الشاعر قد ثنى الغوطين وليس إلا غوطة ، كما ثنوا الفيضتين قال ابن منير :

سقاها وروى من النيربين الى الفيضتين وسمورية

(١) محاضرة القاها الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في السادس والثالث عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ « ٢ و ٩ ايار سنة ١٩٤١ » في ردهة المحاضرات .

الى بيت لها الى برزة دلاح^(١) مكفكة الأوعية
وللترب اليوم يقال أرض الترب وهي في جوار قرية المزة . والغوطنان
على ما يظهر هما الغوطة الغربية والغوطة الشرقية . وقال بعضهم الغوطنان الغوطة
الشمالية والغوطة الجنوبية أو القبليّة .

وقيل انه كان يطلق على الغوطة امم (البريص) وقد ورد في شعر حسان بن
ثابت يمدح بني غسان بقوله :

لله در عصابة نادمهم يوماً يجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المغم المخول
يسقون من ورد البريص عليهم بزدي يصفق بالرحيق السلسل

قال ياقوت : وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب
الأخبار الى البريص ، وقال يسقون ماء بردى ، وهو نهر دمشق ، من ورد
البريص . ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح وخالده بن
الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالمقسلاط وهو موضع النحاسين وهو البريص الذي
ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول : يسقون من ورد البريص عليهم . البيت -
لا تعطي العبارة أن البريص هو بردى بل يفهم منها أنه مكان آخر .

لم يحدد القدماء الغوطة ، ولم يعرفوها التعريف المطلوب . فقال المقدسي : إن
مساحتها مرحلة في مثلها . وقال القزويني : إن طولها مرحلتان في عرض مرحلة .
وقال ياقوت : إن استدارتها ثمانية عشر ميلاً . وقال شيخ الربوة : إنها من حيز
دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً^(٢) . وقال ابن

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء : ج دلاح (٢) المرحلة مسيرة يوم على الراكب بالسبر المعتدل
والليل مئة الف اصبع إلا اربعة آلاف اصبع ، او ثلاثة او أربعة آلاف ذراع ، بحسب اختلافهم في
الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء ، او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين . وعرفوا
الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر الف ذراع أو عشرة آلاف . والذراع أيضاً يختلف
باختلاف الأقطار والأعصار .

طولون الصالحي في كتابه (ضرب الحوطة على جميع الغوطة) إن قرية زبدین آخر حدودها ، وهو صحيح ، ولم يذكر حدها من الشرق والغرب . وزعم أن (حران العواميد) من الغوطة وهي من قرى المريج ، وبينها وبين الغوطة أربع ساعات على الراكب ، وهكذا عدّها ياقوت وهو غير صواب . وذكر البكري في (معجم ما استعجم) أن قرية دمر من الغوطة وعدّها الدوم من الغوطة وقال إنها تلقاء البضيع^(١) .

والظاهر أن القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رآها كل واحد في عصره ، وكانت تتسع وتنقبض تبعاً للكائنات الأرضية والسماوية . وقد قال صديقنا العلامة الأثري دوسو^(٢) إن الغوطة تطلق على الصقع الذي يروى حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بجيرة المريج وبجيرة الهيجانة) حيث تنصب فضلات الأنهار ، وأن الغوطة الآن إذا أطلقت يراد بها الكورة التي فيها الحدائق والبساتين أي أن المريج غير داخل في الغوطة . وقال بعض القدماء إن الشام الثالثة الغوطة ، ومدینتها العظمى دمشق . وقال مرتين إن النور الشرقي يكون سهل دمشق الذي يمتد من أقبال^(٣) الجبل الشرقي إلى بادية الشام أو بادية تدمر ، فعند تخوم هذه البادية غوطة أريضة من أجل ما أحدثت يد الطبيعة تشقها الأنهار

(١) كذا البضيع مصغراً ويروى بالفتح في شعر حسان بن ثابت .

أسأت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

والبضيع بالصاد المهملة وقال إنه جبل بالشام أسود . وجبل البضيع يعني جبل الكسوة المشرف على الغوطة . هذا ما قاله ياقوت . وروى في التاج عن الأزهري أنه رأى جبل البضيع وقال إنه جبل قصير أسود بأرض البليئة فيما بين نيسل وذات الصنمين بالشام من كورة دمشق . وفي وسط الكسوة جبل يناوح جبل المانم اسمه البضيع (بالميم والضاد والياء المشددة) ولله هو الأقرب إلى الصواب . والبضيع أو البضيع هو ذاك الجبل الذي يقع في أول حوران

(٢) في كتابه طوبوغرافية تاريخية لسورية في الأدوار القديمة وفي القرون الوسطى .

Dussaud : *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale* .

(٣) الأقبال جمع قبل والقبل للتر من الأرض أو رأس كل أكمة وجبل .

الكثيرة ، وتكسوها الخضرة ، وبغشيتها النبات الغض الوفور ، عرضها نحو ستين كيلومتراً ، وليس لهذا النجد البهيج من العلو الا ٧٣٠ متراً عن مساواة البحر . وقوله ان عرضها ستون كيلومتراً فيه نظر ، ولعله يريد طولها ولا يمكن أن يكون طولها كذلك إلا إذا تجاوزنا وأدخلنا فيها المرج .

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات ومصطلح القوم لهدنا أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الأرض المطمئنة التي تروى من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة ، وعلى هذا فخذ الغوطة يبدأ غرباً من 'فوهة وادي الربوة فاليزة فداريا وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وسبينات وحوش الريحانية . ومن الشرق بالريجات والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشائية وبيت نايم ، وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير ، وسنير هو جبل قلمون ، ويسمونه لهذا العهد أيضاً جبل الحلو ، وهو فرع من فروع لبنان الشرقي *Anti-Liban* ويشرف الجبل الأسود على الغوطة من الجنوب ، ومن الشرق أرض المرج ، وهو إقليم منسح تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الغوطة وهو أيضاً في نجد منخفض من الأرض ، وأشجاره قليلة ، وهو خاص بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف .

ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلومتراً و عرضها يختلف بين ١٥١٠ و ١٥١٠ كيلومتراً تقريباً . وقد تمت مساحتها في العهد الأخير فبلغت (٤٠٦٠٠) هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان ، والفدان ستة دونمات وكسرة ، والدونم مبذر مد من الحنطة ، والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . وتدخل مدينة دمشق في هذه المساحة .

بساتين الغوطة وقراها

يقول ابن شداد: إن الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة

وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً . وقال شيخ الربوة من أهل القرن الثامن إن بساتين دمشق مائة واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد . وقال كاتب چلي من أهل القرن الحادي عشر في كتابه « جهانما » : ان في الغوطة مائة وثلاثين ألف بستان . وقال ابن إياس إنها بساتين كلها . وهذا الوصف الأخير أقرب الى الحقيقة ويصدق عليها في العهد الأخير خاصة ، وذلك بعد أن عرف الغوطيون فائدة الأشجار ، وأخذت ثمراتها تصدر الى القاصية والدانية من البلاد . وفي كل سنة تزيد بساتين دمشق مئات ، ولا يستبعد أن تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة .

حدث أحد الشيوخ أنه كان في طفولته اذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أبي ، على مقربة من سور البلد في الجنوب ، يرى قريتي جرمانا والمنيحة من بعيد ، وذلك لأن هذه الحدائق التي تراها اليوم تحجب النظر ان يسرح مئة متر ، كانت خالية من الشجر ، وقد غدت اليوم غابات غيباء ، وأدرك الجيل الذي قبلنا أن قريتي الحديثة وبالأكثر كقرى المرج ، تزرعان الحبوب والخيار والقنب فقط وأشجارهما قليلة جداً وربما عدتا من المرج وهما اليوم من أكثر قرى الغوطة شجراً مختلفاً أنواعه .

ويقول الظاهري في زبدة كشف الممالك ، وهو من أهل القرن العاشر : وقيل إن في إقليم الغوطة ثلاثمائة قرية ونيقاً وبها مدن صفار وبلدان تشابه المدن . وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جداً على عهد المالك وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين ، ولا سيما في القرنين الأخيرين من حكمهم ، فخرّب معظم قراها ، وانضمت أرضها الى القرى المجاورة ، وقلّ سكانها ، واضمحلت عمرانها ، وما يشاهد من الدّم والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك ، وما كان السبب الأول في خرابها غير توالي الأوبئة والطواعين والزلازل والمجاعات ونتابع غارات البادية على المعمور ، واعتداءات جيش الدولة على المستضعفين . على أن قول الظاهري : انه

كان في الغوطة أكثر من ثلاثمائة قرية لا يخلو من مبالغة ولو ضمنا الى الغوطة
المرجين ما بلغت قراها هذا المقدار .

وذكر ابن طولون الصالح في القرن العاشر أن بالغوطة سبعين قرية وبعضها
الآن دارس . وقرى الغوطة اليوم ثنتان وأربعون قرية ، وأهمها من حيث وفرة
السكان (دومة) حاضرة الغوطة الشمالية و (داريا) حاضرة الغوطة الجنوبية . ويزيد
سكان دومة على ثمانية عشر ألفاً وسكان داريا على اثني عشر ألفاً ، وكل من قريبي
(عربيل) و (جوبر) لا يقل عن ثمانية آلاف ، وكل من (حرسنا) و (كفرسوسية)
و (المزة) لا يقل عن ستة آلاف . أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضع عشرات
من الألف كالحديشة وبالالاقتريس الى بضع مئات ، ومنها ما يبلغ الألف
والألفين أو الثلاثة أو الأربعة كعمورية و كفرنطنا وجسرين والمنيحة (المليحة) وجرمانا
وصحنايا وسقبا وزملكا .

واليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها : دومة ، داريا ، عربيل (عربين) جوبر ،
حرسنا ، كفرسوسية ، المزة ، مسرابا ، مديرة ، بيت سوا ، المحمدية ، عمورية ،
كفرنطنا ، جسرين ، الاقتريس ، حزة ، زملكا ، عين ثرماء (عين ترما) ،
القابون ، برزة ، الحديشة (حديشة الجرش) المنيحة (المليحة) بالا (القديمة والجديدة)
زبدين ، البلاط ، الخيارة (خيارة نوفل) ، عقربا ، جرمانا ، دير بجدل ، قبر الست ،
سبينة ، سبينات ، حوش الریحانية ، حجرة ، بيت سحم ، ببيلا ، بلدا ، القدم ، الأشرفية
صحنايا ، البويضة ، بلاس . واذا جمعت أيضاً هذه البساتين المحيطة بدمشق مثل
بساتين الصالحية والريوة والمزة وباب السريجة والقنوت والميدان والشاغور والعنابة
تألف منها بضع قرى .

ومن القرى التي كانت على أبواب دمشق فدخلت فيها عندما توسعت الى ماوراء
السور : الصالحية والعقبة وميدان الحما والصفوانية ، وتحرف اسم هذه اليوم فيقال
لها الصفوانية ، ذكر ياقوت أن الصفوانية من نواحي دمشق خارج باب توما من

أقليم حرلان ، وان توماء اسم قرية ، واليهما ينسب باب توماء ، بالهمزة في آخرها
ومنه اسم توماء لا توما . وذكر أيضاً قينية وقال إنها كانت مقابل الباب الصغير
وقال (الحميريون) محلة بظاهر دمشق على القنوت وكانت على طريق كفرسوسية
ومثلها اللؤلؤة محلة كانت خارج باب الحايمة ، و (طَرَمَيْس) من قرى دمشق
و (الأوزاع) موضع مشهور بربضها سكنه في صدر الاسلام بقايا من قبائل شتى ،
واليهم ينسب الامام الأوزاعي دفين بيروت . ومن القرى الدائرة في الغوطة المصبغة
كانت شرقي بيت لهما ، وعالية وعويلية عند القطائع ذكرهما ابن جبير في رحلته
بالعين المعجمة (بالغين) وهما موضعان قرب مسجد الأقدام على ميلين من
مدينة دمشق . وذكر ابن طولون الصالحى قرية (برنابا) وقال إنها خراب فوق
سقبا . وقال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق إن أراضي (فذايا) و (حلقبنا)
و (الخامسين) مصاقبة للبلد وهذه الثلاث دثرت وكذلك «راوية» وكان بها قبر
أم كثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي . وفذايا في جنوبي مقبرة اليهود .
وقد وردت أسماء بعض قرى الغوطة في شعر حسان بن ثابت قبل الاسلام عندهما
مدح آل جفنة قال :

لمن الدار أفقرت بمعان بين شاطي البرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدار يا فسكاء فالقصور الدواني
فنقا (جاسم) فأودية (الصفاء) ر مغنى قبائل وهجان
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر ر وحقاً تعاقب الأزمان
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم يوم حلوا بجارث الجولان

وبلاس وداريا من قرى الغوطة وسكاء بينها وبين دمشق كما يقول ياقوت
أربعة أميال في الغوطة ، والصحيح أنها ليست منها وهي موجودة اليوم . وقد أضاف
صاحب معجم البلدان الى الغوطة قرى ليست منها مثل دير أبان قال انها قرب قرحتنا
وهذه قرية معروفة تعد مرزجبة ، ومثلها عذراء ، والنمرانية ناحية الوادي وذكر

حمران وتلفيانا وسام والقوبنصة والقصرين ، عاداً لها من الغوطة وكل ذلك دائر لعهدنا . ومن قراها (جَدَيَا) كانوا يسمونها على عهد ياقوت جدنيا ولا يعرف أين مكانها . ومن القرى ما كانت صغيرة منذ قرون فعظم واتسع مثل جسرين كانت بلدة كبيرة فأصبحت اليوم متوسطة ، ومنها ما كان كبيراً فصغر مثل البويضة وزملكا وبلاس وعقربا .

وكانت في بعض قرى الغوطة أسماء تبدأ بكفر والكفر القرية بالسريانية ، ولم يبق منها الآن سوى كفرسوسية وكفربطنا . وأسماء بعض القرى سريانية محضة مثل برزة - بيت الأرز . جرمانا - عظمي . جسرين - جسور . حجيرة - عُرج . حرجلة - جراد . حرستا - خشنة . حزة - مُحفر . داريا - دُور . زملكا - رواق الملك ومصيفه . سبينة - مبتاعون . سقبا - شيخ . شفونية - أرض للزرع . عربيل - غربال . قابون - عمود . كفربطنا - قرية الجنين . مديرة - طبقات البناء . مسرابا - مشرب . بلدا - ولد . ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل المنيحة ، المحمدية ، القدم ، عين ثرماء ، الحديثة ، الأشرافية ، البويضة ، الخيارة ، البلاط . ومن قراها ما كانت يبدأ بفندق أو قصر أو طيرة أو بيت ، مثل فندق بني عبد المطلب ، وفندق الراهب ، وقصر اللبان ، وقصر بيت لهيا ، وقصر بني عمر ، وقصر حجاج ظاهر باب الجابية . قال زين الأمانة ابن عباد : بدمشق عدة قرى يقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان ، والنسبة اليها طيري . ومثل بيت الآبار كانت كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى في رواية ياقوت . وكانت هي وداعية والحارثية معروفة الى القرن التاسع . وذكر ياقوت أيضاً في الغوطة بيت أرائس وبيت البلاط وبيت سابا وبيت قوفا وبيت لهيا ، وتعدُّ زملكا من اقليم بيت لهيا . وكانت بيت لهيا في عهد القرماني من أهل القرن الحادي عشر خراباً ليس فيها دار ولا آثار ، وداعية كانت قرية بين حمورية وبيت سوا ، وكانت كفربطنا من اقليم داعية ، واليهما ينسب نهر الداعياتي .

وفي الغوطة اليوم أنهر تنسب لإحدى القرى ، دثرت القرية وبقي اسم نهرها ، مثل قناة دير بشر المارة بجوش بلاس ، تنسب الى بشر بن مروان الأموي ، ومثل قناة بيت أرناس ، وكان في بيت أرناس قبر مرثد دثار بن الحصين من الصحابة والقناة تمر بأرض الشاغور ولا أثر لبيت أرناس ، ومنها نهر حردان ، ونهر حردان نسبة لقرية كانت فوق قرية سقبا بقي اسم نهرها الى اليوم فقط ، هكذا يلفظونه . والحرفان كما وصفها علماء تقويم البلدان ناحية بالغوطة فيها عدة قرى وبها قوم من أشرف بني أمية ولعلها حردان بعينها .

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ أن حي الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والشويكة والقنوت وسوق صاروجا والعقبة والعمارة وغيرها من الأحياء الخارجة عن السور كانت في القرن السادس منازع ومصايف وحدائق ومنتزهات وهي اليوم من أحياء العاصمة . وروى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا الى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل . وحكى عن شيوخه أنهم قالوا إن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتنا (وقرحتنا على ساعتين من دمشق) . وقال محمد بن أبي العلاء إنه كان على نهر يزيد رواشن مشرفة عليه ، وكان أكثرها ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وأسس متقاربة ، فحرب ذلك في الفتن والحروب والحصارات ، وتمادى عليها الخراب الى عهده . وذكر من منازلها القبيلة فندق بني عبد المطلب عند سوق الدواب والراهب قبلي المصلي عن يسار المار قبلي المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السفليين عند المسجد الجديد والثمامسة عند المسجد القديم وعويلة قبلي مسجد القدم ، والقطائع يقال لها ريج حوران قبلي الشاغور وغير ذلك ، واما ما كان شمالي البلد فسطرا والفراديس والأوزاع والصدف ومقرا وشعبان وخرج الأشعرين وغير ذلك . ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقينية وصنعاء والحيرين ومنازل بني رعين وغير ذلك سوى ما كان في شرقي البلد من

غربي الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره . قال وما من موضع يحفر فيه الا وجد فيه أثر العارة من سائر نواحي البلد من قبله وشرقيه وشأمه وغربيه ، والله يحرس ما بقي منها ويحميه بئنه ولطفه اه

ومن أما كتبها الدائرة الدراجية وهو برج الدراجية على باب توما ، كان لعبد الرحمن ويقال لعبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكتبه على الرسائل في خلافته . ومنها طرميس والسقي وسام وأرزونا قرية قرب عرييل ، وبيت الأبيات كانت محل طاحون الشنان ، وبيت الأبيات كما في تحقيقات السيد دوسوهي في الغرب تدخل فيها قرية النيرب ، وبيت الآبار قرب جرمانا ومنها بيت سابا . ومن قراها الدائرة يعقوبا قرية صغيرة كانت غربي حزة

بعض عاديات الغوطة وآثارها

أهم عاديات الغوطة أديارها وفي كتب الفتوح أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صالح أهلها على خمس عشرة كنيسة كانت في دمشق فنزلوا له عن نصف كنيسة القديس يوحنا أي الجامع الأموي كان المسلمون أخذوا نصفه يوم دخلوا دمشق . وكان في الغوطة دير بونا « يوحنا » و « دير محمد » كان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة ، واليه تنسب المحمديات فوق الأرزة ودير محمد كان عند المنيحة من اقيم بيت الآبار ، و « دير الحنابلة » كان بسفح قاسيون و « دير هند » كان في مقاطعة بيت الآبار و « دير بشر » كان عند حجرية ينسب الى بشر بن مروان ، و « دير العالية » نزله مروان بن محمد . ومن الأديار الدائرة « دير حنين » و « دير الماطرون » و « دير قيس » و « دير سمعان » قال القرماني إنه كان في الغوطة و « دير خالد » ويعرف « بدير صليبا » و « دير زكي » . و مر بهذا الدير عبد الله بن طاهر من اعظم وزراء المأمون ومعه اخ له فشربا فيه وخرجا الى

مصر فمات أخوه بها ، وعاد عبد الله فنزل في ذلك الموضع فذكر أخاه فقال :
 أيا سروتي بستان زكي سلمتما وغال ابن أمي نائب الحدثنان
 أيا سروتي بستان زكي سلمتما ومن لكما أن تسلمنا بضمان

ومن الأديار « دير البخت » على فرسخين من دمشق ويسمى « دير ميخائيل »
 كان عبد الملك بن مروان قد ارتبط عنده ببختاً وهي جمال الترك فغلب امم البخت
 عليها . ومن أديارها المشهورة « دير مران » في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق
 من الغرب ، كان يشرف على مزارع الزعفران من أرض اللوان . وبقي هذا الدير
 عامراً الى القرن السابع للهجرة ، ولطالما قصده الخلفاء والأمرء والشعراء وقيلت
 فيه القصائد والمقطوعات . ولأبي الفرج عبد الواحد الببغا من شعراء اليتيمة قصيدة
 قالها فيه لما قصده للتنزه . قال إنه فتح مناظر ذلك البيت الى فضاء ادى اليه
 محاسن الغوطة ، وحباه بذخائر رياضها من المنظر الجنائي ، والنسيم العطري ومما قال :

ويومٍ كأن الدهر ساعني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
 جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر
 بحيث هواء الغوطين معطر الـ نسيم بأنفاس الرياحين والزهر
 فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
 وفي الهيكل المعمور منه انتزعتها وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
 ونزهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

وفي معجم ما استعجم : أن عقبة مران مشرفة على غوطة دمشق تنبت شجراً
 باسماً تتخذ منه القنا والرماح وهو المران . ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة .
 وكان في الغوطة (دير بولس) و (دير بطرس) او فطرس كانا في ظاهر دمشق
 في نواحي بني حنيفة ، لا يبعد احدهما عن الآخر كثيراً ، وإياهما عنى جرير بقوله :
 لما تذكرت بالديرين أرتقي صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقلت للركب اذ جد الرحيل بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس
ويبرين موضع في الأحساء من جزيرة العرب ، وباب الفراديس هو الذي نطلق
عليه اليوم باب العمارة احد ابواب دمشق .

قال ابن بطوطة وفي شرقي البلد (دمشق) قرية تعرف ببيت الالهية^(١) (لهيا)
وكانت فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة
المنظمة بأعجب نظام . ولم تبق لهدنا قرية تبدأ باسم دير سوى «دير مجدل» وكانت
هذه الأديار في الاسلام منازل المسافرين ، ومشوى المتزهين والمرتاحين ، يقصدها
الناس فيجدون فيها صدوراً رحبة ؛ وتزولاً طيباً ، وشراباً لذيقاً (راجع مسالك
الأبصار لابن فضل الله العمري وكتاب الديارات للشابثي ومعجم البلدان لياقوت) .
والغالب ان القرى التي يبدأ اولها بدير كانت اولاً ديراً فقط . ثم توفرت بجانبه
الأرض المغروسة والمزروعة ، وكثر القائمون على حراستها وزرعها ، فأصبح الدير على
توالي الأيام قرية برأسها . كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد
الغرب خلال العصور الوسطى ، استحلال الدير بلداً مع مرور الأيام .

ميزات الغوطة

اجمع من وصفوا الغوطة على توالي القرون انها شجراء ، وان فيها قرى كالمدين ،
وان اهلها كأهل الحاضرة بعاداتهم وازيائهم . ولولا الغوطة ما كانت دمشق من
اجل مدن العالم ، ولولا دمشق ما كانت الغوطة إلا صحراء خالية تعيش البادية في
ربوعها . وعيث البادية في المعمور من بلاد الشام قديم جداً على ما يظهر ، لنزول
العرب بلاداً مجدبة من الجزيرة تقحط أكثر السنين فيضطر أهلها الى الاتجاع ،
فلا يرون أمامهم غير بلاد حوران المتاخمة للغوطة ، وإذا لم يجدوا مراعي لمواشيهم
في الجولان والجيدور والبثنية والصفاء واللجاة يعرجون على الغوطة بالضرورة ،
ولذلك أقام الرومان مخافر عظيمة على سيف البادية لا تزال الى اليوم بعض آثارها

(١) بيت الالهة كانت حاره في دمشق

مائلة ، وولوا عليها رجالاً من بني غسان من متنصرة العرب ليجموها من غارات
اهل البادية ، فكان أمراء الغساسنة حماة الغوطة وما اليها من المعمور ، والوسطاء
بين قومهم العرب وأصحاب البلاد من الرومان .

ولما جعل بنو أمية من دمشق عاصمة ملكهم العظيم ، كان للغوطة حظ جزيل
من عنايتهم ، فنزلها رجال منهم وعمروا فيها القصور ، وأنشأوا المزارع ، وشقوا
الجداول ، وعنوا باستئثارها وامتناباتها . ولولاها ما حازت الغوطة هذه الشهرة ،
ولولاها ما كانت دمشق على هذه العظمة ، وما دمشق كما قال العلامة لامنس إلا
حسنة من حسنات بني أمية . نعم دمشق مدينة للأموهين لاختيارها عاصمة لهم ،
وهم أحسنوا ولا جرم الاختيار ، فهي وغوطتها سواء .

ولابن أبي العجائز كتاب فيمن سكن الغوطة من بني أمية نقل عنه المؤرخون
والجغرافيون . قال ابن قيس الرقياتي :

أجارك الله والخليفة بالغوطة داراً بها بنو الحكم
المانعو الجار أن يضم قما جار دعا فيهم بمهضم

وقال أيضاً :

أقفرت منهم الفراديس فالغوطة ذات القرى وذات الظلال

قالوا لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رأى الغوطة ونظر إلى
المدينة والقصور والبساتين فتلا قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قومًا آخرين) . ثم أنشد
قول النابغة .

هما فتيا دهر بكر عليها نهار وليل بلحقان التواليا

إذا ما هما سراحي بغبطة اناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

قال ابن كثير هذا يقتضي بادي الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك فانه

لم يقل أحد انه دخلها .

ويروى ان امير المؤمنين المأمون العباسي اقسم يوماً وقد نظر إلى اشجار

الغوطة ونباتها انها خير مغنى علي وجه الأرض وقال : عجبت لمن يسكن غيرها
كيف بنعم مع هذا المنظر الأنيق الذي لم يخلق مثله .

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزوالوا يخفون إلى دمشق طلباً
للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين
في سفح جبلها الي معسكره بدير مران وبني القبة التي في اعلى الجبل وصيرها
مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره ، فاذا جن عليه الليل
كان ضوءها إلى ثنية العقاب وإلى جبل الثلج .

ومن اعظم ميزات الغوطة كون ارضها مقسمة بين اهلها تقسيماً طبيعياً في الجملة ،
فلا ترى فيها زراعات كبيرة إلا نادراً ، وهذه معها بلخ من سعتها تدار بمثل
العناية التي تدار بها الزراعات الصميرة . هكذا كانت في معظم ادوار التاريخ
الاسلامي ، حتى ان سيف الدولة بن حمدان لما طمع ان يضم الغوطة إلى
الاملاك السلطانية كاتب اهل دمشق ملك مصر فجاء في جيشه وطرده سيف الدولة
عن الغوطة وعاصمتها ، وحرّم ابن حمدان ملك دمشق لأنه حاول ان يجعل من
الغوطة مزرعة واحدة ملكاً له . وكيف يرضى الغواطة عن ذلك وهم يعتزون بها
وينعمون ويسعدون ويقولون في امثالهم « شبر بإلية الخروف ولا ذراع بذنب الثور »
ويقولون « قلّ بقلّ » أي قليل من الأرض الجيدة تحسن تعهدا أعود عليك
من ارض واسعة باثرة . ومن يملك في الغوطة فدانين أو ثلاثة فهو سعيد
مرفه ، ومن مزايها ان اهلها يجزئهم ما تنتبه لهم ارضهم من المواد الاولية ، ولو
كان عندهم الحديد والفحم الحجري لما احتاجوا الى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم .
ومن مزايها أنها لكثرة أنواع محاصيلها من شجرها وأرضها وبساتينها وحقولها اذا
اصابتها آفة سماوية في بعض السنين تستعيز من الأصناف الباقية ما تعيش به سنتها .

سكان الغوطة ولسانهم وأديانهم

دخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الاسلام بقرون ، لتزول بني غسان

العرب فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ عرف التاريخ .
ولما جاء خالد بن الوليد مدداً لجيش الشام من العراق عن طريق البادية غزا بني
غسان في الغوطة يوم فصحهم ، وركز العقاب راية الرسول عليه الصلاة والسلام
في الثنية المطلة على الغوطة ، وهي هذا الجبل الهرمي البادي من الشمال للأنتظار
فسميت الثنية ثنية العقاب .

قال يعقوبي إن أهل كورة الغوطة غسان وبطون من قبس وبها قوم من
ريعة ، وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب : ومن كلب بارض الغوطة عامر
ابن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلي . فبعض سكان الغوطة إذاً من أصول
عربية ، وأكثر من نزلها اول الفتح كانوا من العرب دع من كان فيها من
الساسنة وغيرهم قبل الاسلام . ولذلك كان سكان الغوطة يشتركون في معظم
الاحداث التي تحدث في دمشق سياسية كانت أو غير سياسية ، على ما عرف في
العرب من النجدة والاريجية ، ويصهر بعض الدمشقيين الى الغوطيين ، ويتزوج
بعض الغوطيات من أهل دمشق .

اصبح سكان الغوطة على توالي القرون مسلمين من اهل السنة ، وليس بها
لعهدهنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية ،
وفيها مئات من المسلمين الدرروز في جرمانا وصحنايا والأشرفية ، وكان جميع أهل
قرية جوهر يهوداً إلى ما بعد القرون الوسطى ، فانتقلوا الى دمشق في زمن لم نعرفه ،
ولم يبق لهم فيها إلا كنيس مقدس عندهم يزورونه ويقومون فيه صلواتهم . ويقول
دوسوا إنه في عهد الشفاليه دارفيو *Le chevalier d'Arvieux* من اهل القرن الثامن
عشر كانت جوهر يسكنها اليهود . وقد استغرب ابن طولون الصالح ان اهل
جرمانا تيامنة ، قال : وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فان اهلها جميعهم من
اهل السنة .

ليس للغوطة احصاء يركن اليه ولا يقل اهلها عن مئة الف انسان على اقل تقدير . وقد نموا في العهد الاخير نمواً هائلاً لقلة الأوبئة ، وانقطاع الحروب منذ زهاء خمس وعشرين سنة ، وما اظنها كانت قبل خمسين عاماً أكثر من عشرين الفاً ، وكان اهلها الى اواخر القرن الماضي يتناعون العبيد ليعملوا معهم في الارض وذلك لقلة اليد العاملة في ذلك العهد .

ويقل جداً من هاجر إلى اميركا وغيرها من اهل الغوطة ، على نحو ما يكون من سكان الجبال المجاورة الذين غادروا مساقط رؤوسهم بالالوف . وندر من يرتحل عن أرضه من الغوطة ، مهاضقت به سبل العيش ، اللهم إلا للتجارة مؤقتاً . وما عهد أن مات أحد جوعاً في الغوطة . ويروى أن عيسى بن مريم عليها السلام قال وقد أشرف على الغوطة : يا غوطة إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً ، لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً .

قلت مرة في وصف الغوطة وأهلها : سلام على سكوتك في الليالي الظلماء والقمرء ، ربيعاً كان أو صيفاً أو خريفاً أو شتاء ، وهينئاً لمن يستمتعون بالنظر إليك من الصباح الى المساء ، وينعهدونك بالحرث والكرث والتبقيّة والزرع والارواء ، سواء عندهم حمارة القيظ وصبارة القر ، وظلمة الليل وشمس النهار ، سلام عليهم إنهم مثال النشاط في المزارعين ، لا يرضون على أرضهم باوقاتهم وأعمالهم ، وهي تجودهم ضروب الخيرات كلما جودوا زراعتها ، وتزيدهم بركات على بركات كلما رعوها فأحسنوا رعايتها ، وهم مها صهرت جسمهم حرارتها ، وصفرت سخنتهم رطوبتها ، بيض الوجوه شم الأنوف ، لأن رزقهم مناط أيديهم العاملة ، لا يعتمدون في تحصيل قوتهم على غير قوتهم ، ولا يستكون على غير من ينزل الغيث وينعي الزرع ويدبر الضرع . في هذا الريف العجيب تقرأ سور العدل الإلهي في تقسيم الأرزاق ، فلا فقر مدقع ، ولا غنى مفرط . بل هناك تتمثل اشتراكية الاسلام والفقرة ، يعيش القائمون على تعهده عيشاً متشابهاً ،

وبغيتي افراد منهم بذكائهم واقتصادهم ، فلا ترى في فقرائهم سلاطة الجياع ارباب
النهم ، ولا في اغنيائهم قسوة قلوب اهل الرفاهية والنعم .

ثمارها وزروعها

يجود في كورة الغوطة معظم الثار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم
المعتدلة ، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال ، ولا النخيل والموز للجليد الذي يحدث
فيها بعض ايام الشتاء . فتنزل درجة الحرارة إلى خمس واحياتاً إلى عشر درجات
واكثر تحت الصفر ، وقد اشتهرت داريا بعنبيها الزيني وبقل نظيره في انواع العنب
الجيد ولطالما نقلت جفنتات كرومها وزرعت في كروم بعيدة فما اتى عنبيها كالعنب
الذي يكون من كروم داريا واشتهرت به ، وعرفت دومة بعنبيها الاحمر ، ويجود
الزيتون على انواعه اجمالاً في القرى التي تكثرت في ارضها الحصباء ، وليست ذات
تربة طينية لزجة ، كبرزة والقابون وحرستا ودومة والمزة وكفرسوسية وبلدا
وببيلا وحوش الریحانية وغيرها .

وفي الغوطة الوسطى يجود القنب ، ولا مثيل له فيما يزرع منه في بعض قرى
حلب وغيرها . يجود في أرض الحمديّة وحمورية والاقتريس وجسرین وسقبا
وكفربطنا وزبدین والبلاط والحديثة والمنيحة وجرمانا وعقربا ، اي في القرى التي
تسقى من نهري المنجى والداعيانى اللذين يحملان أوساخ دمشق ، كما أنه يجود
في بعض الحدائق كأرض الشاغور والبساتين الواقعة حفاي في هذين النهرين ،
ومحصول القنب في القرى التي تتوفر على زراعته يزيد على نصف محصولها السنوي
من سائر أصناف الحبوب والثار ، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة .
وتستأثر سقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده واليافه .
ولكل قرية او بضع قرى في الغوطة خاصة لا يشاركها فيها سواها .
فقد اشتهرت بساتين الضاحية وقربتا كفرسوسية والقابون بالبقول والخضراوات

لا يجارها بحار في هذه السبيل من جميع القرى ، يساعدها على هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة ، واشتهرت جسرين ببذر الفصة وبزر الخيار ، وعرفت حرسنا وما إليها بالبيقية والابنسون والسَّمسم ، وعربيل بلوزها ، وزمكا بكثرتها ، ودومة ببطيخها الاصفر ، ويلدا وبييلا والقدم يقشدتها .

واكثر ما في الغوطة من الأشجار المغلة المشمش على أنواعه ، وبكاد يكون شمش الغوطة منقطع النظير وبفوق بمائته ونكته مشمس كلفورنيا المشهور كما روى العارفون . واستخراج عصير المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي — من الفارسية كل آبي ، ومعناه ماء الورد — فن عظيم يحسنه أهله التمرنون عليه . أما المشمش البلدي والحوي وغيرهما من الأنواع ذي البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه إلا فاكهة الجنة .

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكهثرى « الانجاص » والخواخ والجازرك والآس والصابار والدراق والتوت الشامي والتين والسفرجل والزعرور وغيرها من الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونكتهما وحجمها ، وكان يكثر في الغوطة الزعفران والكراز والوشنة والكستانة (الشاه بلوط) والبنديق والمشمولة والقراصيا والاجلجق (قزلق) فبطل غرس الكستانة والبنديق وقل القزلق والوشنة والمشمولة وفقد الزعفران بالمرّة كما نسبت زراعة القطن وزراعة التوت لتربية دود القز . وكان لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس إليها في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه .

ومن أعظم موارد الغوطة الحور (الرومي والفارسي) والصفصاف ومن محاسنها الحيلان يشبه الصفصاف تصبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضبان المرجان وبلحق به شجر الأذردخت (الزنزلخت) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادات ، وكان يكثر فيها شجر السردو ولا تخلو دمشق وأرباضها من

أشجاره وكثرته إلى اليوم في أرض الصالحية ، وكان إلى القرن الماضي وافرأ في أرض الغوطة وما كان يخلو كل بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه . ومن الأشجار الحديثة فيها الاوكالينوس او الكينا والسنت (الاكاسيا) والمشمش الهندي وبعض أصناف صارت بالتفنن بالتطعيم مثل المشمش الحلو ، ومنها الكراز . ومن البقول البطاطا والبندورة . ويحاول بعض الغوطين أن يربوا شجر الشوح وما أظنه يجود في اقليمنا ، كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود ، ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان .

أنهارها وريها

تبدلت معالم الغوطة كما قلنا غير مرة كأن الأرض الخصبه تحتاج أبدأ إلى من يثيرها ويمجدها ويسمدها ، فإذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع المتينة تجمد أرضها وتضيع مزيبتها ، لذلك كانت أرض الغوطة أبدأ في تجدد ، ومعها تجدد المرافق والمعالم والأوضاع . وليس في صحيفه هذا الوجود ما يثبت على الدهر ، ولم يتبدل في الغوطة ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها . فالغوطة تسقى من سبعة أنهار أو جداول كبيرة مشتقة من نهر بردى ، ولكم أن تقولوا ان الغوطة هبة بردى كما أن مصر هبة النيل . ويردى هذا يشق منه الداراني والمزي والقنوات وبانياس وثورا ونهر يزيد ، وهذا النهر حفره أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية فنسب إليه ، وقيل حفره يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية . وما يدخل مدينة دمشق من هذه الأنهار يحمل فاذوراتها فتكون سماداً يوزع في أرضها كلما اراد الغوطي ارواءها . وهذا من جملة العوامل في خصب الغوطة وامراعها ، يضاف إلى تربتها الغنية وجوؤها المعتدل . وقد تحفر في بعض الاماكن اربعة او خمسة امتار ، ولا تصل إلى طبقة الحصاء والحجر ، لكثافة الطمي او المادة الصالحة للزرع .

هذا أهم ما يسقي الغوطة من الأنهار ، ومن أرضها تتبع عدة قنى تسقي مزارعها وأراضيها وما وراؤها من أرض المرج مثل عيون فاسريا تتبع من سفح الجبل شمالي دومة وتكون حارة ثم تبرد . وهذه العيون تسقي قرية عذراء في المرج ، وكذلك عيون قلايا في أرض المحمدية تسقي ما انخفض من الأرضين هناك وربما كان اسم قلايا وفاسريا اسم القريتين اللتين يجريان إليهما . ومثل نهري الزابون والملك ينبعان من بردى أو من عين قريبة من مجراه ويسقيان بعض أراضي جسرين والمحمدية والاقتريس ومثل نهري الشيلاني (الشيداني) والبيلائي (البالائي) يسقيان الحديثة وزبدین وبالا وهما مما ينبع من قرارة بردى ويتجمع من مصاصات المياه المجاورة . ومن القرى ما لا تصل إليه مياه بردى ك بعض أرض داريا وأرض صمنايا والأشرفية وحوش الريمانية وبلاس وسبينة وسينات وحجيرة والبويضة وقبر الست وبرزة فإنها كلها تسقى من قنى خاصة بها ، أو من جدول قريب كبرزة تسقى من نهر معربا أول جبل قلمون أو سنير ، أو من عيون هي في حقيقتها رشح من ماء بردى كعين حروش في أرض زبدین . ومياه هذه العيون كمياه الأنهار منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقا وتوزع على أرباب الحقوق توزيعاً عادلاً ، ولم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى أن يفهموها بسرعة . وليس في حقول الغوطة ما تعيش زراعاته الصيفية عذياً أي من المطر كزراعات الجبال . وأكثر أهل الغوطة تمتعاً بالمياه أرباب البساتين المحيطة بالعاصمة ، يسقون عندما يريدون من مواصمهم ، وتكاليفهم من الجباية أقل من تكاليف أهل القرى .

يتبع

نظرة في الكلام المجازي

عندنا وعند الأفرنج

مما هو ثابت بالحس والمشاهدة فلا يحتاج الى جدال وبرهان اننا في نهضتنا العلمية الحاضرة ينبغي لنا ان نضيف الى ما عندنا والى ما ورثناه عن سلفنا الصالح كنوز نقائس وفوائد نتمتع بها الامم الافرنجية في عصرهم الذهبي الحالي ، ولا غبن عليهم ولا عار علينا ان يعيرونا جانباً واسعاً من ذلك كما أعارهم اجدادنا قناطر مقلّطة خلال عصورهم الذهبية التي لا تقل عن سبعة او ثمانية قرون ابتداءً بوجه التقريب في المئة الثالثة للهجرة . ومن ثمّ وجب علينا ان نعتى عناية خاصة بن التعريب الى حسن النقل عن اللغات الاعجمية بحيث لا نضيع شيئاً من معاني الاصل المنقول عنه . ولا نشوه شيئاً من محاسن الفرع اي محاسن اللسان العربي المنقول اليه بل نحفظ له قوالبه المعهودة له ونصون طابعه الاجمالي في كل قطعة وكل بحث ولا ندخل عليه من مفردات ومركبات الاعاجم الا قدراً يسيراً يقارب ما عهدناه في لساننا ، اولا نراه بعيداً عنه في القياس فلا يتأذى صميم لغتنا ولا يتنكر وجه ادبنا بهذا القدر اليسير . وهذه شروط لا نجد الا فئة صغيرة من فحول كتابنا وادبائنا يلبثون اليها ويعملون بمقتضاها . واما سائر حملة الاقلام بيننا فهم في هذه السبيل إما قاصرون ، وإما مقصرون ، وإما مقصرون عنه توانياً وكسلاً حتى دب ديب الخلل والفساد الى الانشاء العربي الناصع من حيث شعر ولا نثر ، والى ناحية كبيرة من نواحي كرامتنا القومية وواجباتنا الوطنية . وهنا هنا موضع الخزي والخذلان ، والضرر والخطر .

وقد وضعت لهذا المطلب السامي الشأن كتاباً منذ بضع سنوات سمّيته « كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسية » والاحكام والفروق التي تنطبق على لغة الفرنسيين

عند التعريب عنها ، يتناول أكثرها غيرها من لغات غربي أوروبا كالايطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والرومانية ، فجميعها اخوات او بنات اعمام متحدرات من اصول لاتينية او يونانية قديمة . واما مقال الحاضر فأريد ان التفت فيه لفتة خاصة الى الكلام المجازي عندنا وعند الافرنج ، فان نقل الكلام المجازي الاجنبي الى لساننا عقبة كؤود يجب ان نتصافر الازهان والاقلام على تذليلها وتمهيد طريقها ، فاذا وفقنا لذلك وانفقت عليه كلمتنا زالت من امامنا اعظم مصاعب التعريب وعوائقه . والذي ذكرته من هذا القبيل في كتابي « فن التعريب » هو جل ما وصل اليه فهمي واجتهادي وانطبق على ذوقي ، ولعله لا يخلو من فائدة ومعونة ، ولكنه غير كاف لأنه لا يشتمل على حكم جامع مانع . فهذا الحكم الخطير ليس من الحق ان يصدره كاتب واحد ولا من الصواب ان يطالب به كاتب واحد ، وانما يتعاون عليه ويتشارك فيه جماعة من خدام اللغة العربية والادب العربي . وها انا جئت افتح الباب في وجه هؤلاء الاخوان فعسام بعد ذلك ان يدلوا ابناء الامة على غرف الدار ومسالكها ومستشرفاتها ومرافقها .

متى يجوز لنا ان ننقل الى لساننا الكلام المجازي الافرنجي حسب ظاهر لفظه واسلوبه ؟ ومتى يجب علينا ان نضرب صفحاً عن لفظه واسلوبه ونقتصر على تأدية معناه حسب قوالب لفتنا ؟

اما الذي اتبينه أنا من هذين الشقين فهو كما يأتي :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى العربية حسب ظاهر لفظه واسلوبه في هذه الحالة :

اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : « عقد حديثاً *Lier. une conversation* » — ضرب العدو معقلاً . *Battre une place* اي اطلق عليه نيران المدافع . — « راية منصوره *Un drapeau victorieux* » اي

اصحابها منصورون - «عقل ناضح *Un esprit mûr*» اي كامل بالتجارب - «صقل
عبارة *Polir une expression*» اي هذبها - «صارع الشقاء *Lutter*
«*contre la misère*» اي قاومه - «ابناء الظلمات *les enfants des ténèbres*
اي ابناء الضلالة - «ثقل الصولجان *le poids du sceptre*» اي مصاعب الملك -
«ميناء النجاة *le port du salut*» اي المنجى - «عقل مخصب *Un esprit fécond*
اي عقل متسع قادر .

ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع ، تشبيهاً كان
او استعارة او كنايةً فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص
اللغات الافريقية كوصف بعض شعراء الافرنج الشعر المسدول بالتقوج وتشبيههم
الغدير الصافي بالمرآة ، ولحاظ الحسان بالاشعة . وكقول احد ادبائهم مشيراً الى
مساويء طور الشباب وقلة خبره : «ليس ما يدعونه ايام الصبي الا وميض برق في
ليل عاصف» وكقوله في وصف معيشة قروي : «وكان بين امرأته واولاده
كاشجرة الناضرة كللها ثمرها الناضج» وفي كرور الايام المستمر : «الزمان بحر
دائم الجريان لا ساحل له والمرء فوقه يتخبط على غير هدى ولا يصيب مرفأ
يرمي فيه» وفي ذكر ام تتأمل صغيرها : «كانت تنظر بمنو الى طفلها وما هو الا
وعاء ستملاءً حادثات الليالي» وفي شقاء الرعية لرفاهية ملوكها : «لم ينسج ارجوان
الملوك الا من دماء رجالهم» .

ولكنني لا استحسن مثلاً ان نقول في التعبير المجازي كما بقول الافرنج «دموع
مرة» عوض «دموع حارة» ولا «احترام عميق» عوض «احترام عظيم» وغابات
نائمة» عوض «غابات هادئة او ساكنة» ولا «جبهة هادئة متكبرة» عوض «عليها
سمات الهدوء» ولا «مداً اليه بدأ مستحجة» عوض «مد اليه يد الحياء . او - مد
اليه يده بحياء . او . مداً اليه يده مستحياً» ولا «طلب يد فلانة» اي خطبها
الى اهلها» ولا «الزمان الذي يتبخر» اي الزمان المشرف على الزوال .

فهل يمكن وضع حدود ورسوم لهذا المرفوض وذاك المقبول من المجاز الافرنجي .
وكيفما افضى بنا البحث والاستقراء فلا شك انه يجب رفض الصورة المجازية الافرنجية
اذا كانت من خصائص انشائهم وهي غير معهودة في انشائنا . واذا كانت عندهم
دالة على اصطلاح خصوصي او عادة في معايشهم او فيها تلميح الى حديث او
حادث في تاريخهم . وبكثير ذلك في الامثال والكلمات المأثورة القريبة من مجرى
المثل . فلا بد لنا حينئذ من كشف المراد عنها وقد يتفق ان يكون لمؤداها
صورة مجازية اخرى عندنا فنذكر المجاز العربي ونترك المجاز الافرنجي وان افضيا
الى معنى واحد . فعوض ان نقول مثلاً « ألقى آخر ورقة لعب من يده » او « اطلق
آخر خرطوشة من بندقيته » يجدر بنا ان نقول : « رمى بأخر سهم من كنانته »
وعوض ان نقول « عمل ملفوفة بيضاء » يجب ان نقول : فاته غرضه او خاب مسماه
او طاش سهمه او خبا زنده

ومن هذا الشق المرفوض استعمال بعض الأدوات عندهم لمعان وحالات لا تنطبق
على ما يراد منها في لغتنا . فللفظة *Comme* ومعناها « مثل » تأتي عندهم بهذا
المعنى وبمعنى « بما ان » وقد يستعملونها في مواضع نرى وجوب حذفها منها في العربية
نحو قولهم *je le considérais comme innocent* وهذا تعريبها الصحيح :
« كنت اعده . او . كنت اعتبره بريئاً » لا « مثل بري » . او نظير بري » حسب
النص الفرنسي ، وترد *Comme* في الفرنسية للتعجب نحو *Comme il est beau !*
اي « ما احمله » .

« *Rien qu' à* » : يرادفها في العربية « بمجرد » في مثال قولنا : « *Rien qu' à*
le voir, on le soupçonne » اي : بمجرد النظر اليه تقع التهمة عليه
« *une fois que..* » نحو : « *Cela, doit être vrai une fois que vous me le dites* »
اي « بما انك قلت لي ذلك ينبغي ان يكون صحيحاً »

(*c'est*): لا يجوز أن نقلها بحرفها الي لغتنا فنقول « هذا » او « هذا هو » فهذه الأداة عندهم يستعملونها لاداء معنى الحصر والتوكيد . فيجب ان تقيم مقامها ما عرفناه من وسائل الحصر والتوكيد مثل استعمال « ما والا » او ما يرادفها في النفي والاستثناء . او استعمال « انما » او تقديم اللفظ المراد حصره . او استعمال شيء من اللفظ المؤكد . فاذا قالوا مثلاً *C'est une bonne intention qui lui a dicté cette démarche* لا يجوز لنا ان نقلها حرفياً ونقول : « هذه هي نية صالحة املت عليه هذا المسعى » فهذا التركيب في منتهى الركابة والخطأ بل يجب ان نقول « ما املى عليه هذا المسعى الا نيته الصالحة » او « انما دعاه الى مسعاه صفاء النية او حسن القصد » او « حسن القصد وحده دفعه الى مسعاه » او نحو ذلك

(*trop*) هذه الاداة عندهم تدل على تجاوز الحد في الأمر فاذا قالوا : *Il est trop sage pour commettre cette faute* « فن المضحك ان نقل اللفظ بنصه الى لساننا ونقول : « انه عاقل كثيرا لارتكاب هذه الغلطة » بل ينبغي ان نقول « انه اعقل من ان يرتكب هذا الخطأ » .

ان الاداتين الفرنسييتين *si* و *autant* يرادفها في العربية « بهذا المقدار » ولكن في كثير من استعمالها نرى ترجمتها بهذا اللفظ سمجاً ركيكاً . مثال ذلك قولهم : *Il est si (tant ou autant) vertueux qu'il aime ses ennemis* « فلا تنقلها بحرفها الى العربية ونقل : انه بهذا المقدار فاضل حتى يجب اعداءه » بل قل : « قد بلغ من فضله - او فضيلته - انه يجب اعداءه » او « ان فضيلته تقضي عليه حتى بمحبة اعدائه » او نحو ذلك .

ومن هذا القبيل « *pour* » فلا يرادفها في العربية دائماً لام التعليل او « لكي » او « لاجل » . بل ذلك غالب في استعمالها لا مطرد اذ تقع في بعض استعمالاتها الفرنسيية موقع « عوضاً عن » او « عن » بمعنى عوض . او « بدلاً من » . نحو :

« *embrassez pour moi vos enfants* » فلا نقل في تعريبها « قبل لأجلي أولادك » بل قل « قبل عني أولادك » أو - عوضاً عني - أو - بدلاً مني - أو - نب عني بتقبيلهم . ثم ان هذه الاداة الفرنسية نفسها *pour* يجب حذفها عند التعريب في بعض استعمالها . مثال ذلك : *je compte ces fatigues pour rien* فيجب تعريبها هكذا : « لا أعد هذه الاعباب شيئاً » أو - شيئاً مذكوراً - أو : شيئاً يستحق الذكر

ولهم أفعال تخالف في بعض مواقعها عندهم ما عرفناه من مواقع مرادفاتنا عندنا . اکتفي هنا على سبيل التمثيل بإيراد اربعة منها « *faire. avoir. venir. aller* » « *faire* » هذا الفعل الذي يرادفه بالعربية في اكثر استعماله « فعل أو عمل - اوصنع » قد يرد بالفرنسوية في تعابير لا يليق بنا عند تعريبها استعمال المرادف المذكور مثال ذلك ان يقال في الفرنسية « *il a fait des efforts* » فلا تنقله حرفياً ونقل « عمل مجهودات » بل قل « بذل جهداً » . وان يقال *il a fait ses devoirs* فلا نقل في تعريبه « عمل واجباته » بل « قضى واجباته - او - اداها - او - قام بها - او قام بما عليه . الخ »

ويقولون « *il a fait malade* » ونحن نقول : « اظهر المرض - او ادعاه - او تمارض »

« *avoir* » هو فعل الحصول عند الفرنسيين فاذا ألحق به حرف الجر الى هكذا : « *avoir à* » وبعد حرف الجر فعل آخر وجب ان يحل محله في العربية الفصحى اللام او على ملحقين بالضمير او الاسم الظاهر الذي يريد المتكلم . وربما اقتضى اتساق الانشاء العربي ان يتقدم على ذلك فعل كان او وجب او ترتب نحو « *vous aurez à faire un long trajet* » وتعريبه هكذا : « سيكون عليك - او سترتب عليك او سيوجب عليك - قطع مسافة طويلة . ونحو : *Vous* »

« *n, aurez qu à lui attirer son attention* » وهذا تعريبه : « ليس لك إلا أن توجه انتباهه — أو أن تنبيهه » .

« *aller; venir* » يستعمل فعل الحبيء في الفرنسية أحياناً للدلالة على الماضي القريب . وفعل الذهاب للدلالة على المستقبل القريب . فإذا قالوا : يجيء من فعل كذا : « *il vient de faire* » أرادوا أنه فعله منذ هنية . وإذا قالوا « يذهب لفعل كذا » *il va faire telle chose* أرادوا أنه سيفعله عما قريب . أو أنه على أهبة القيام به . كما اشتهر أنهم يستعملون فعل الذهاب للسؤال عن الاحوال فيقولون : « كيف أنت ذاهب » أي كيف احوالك . ويقولون « كيف ذاهبة الأشغال » أي كيف هي .

وكثيراً ما يستعملون صيغة الحاضر في تصريف الافعال عوض صيغة الماضي عند تحجيرهم بالحوادث لأنهم يرون هذا الاستعمال ادعي الى حسن تصوير الأمر للقارئ وترسيخه في ذهنه . مثال ذلك قولهم : « *L'orateur se lève, attire l'attention et captive les esprits* » أي « ينهض الخطيب فيسترعى انتباه القوم ويختلب عقولهم » يأتيون بمثل هذا التعبير والحكاية فيه عن امر واقع . وأما الكاتب العربي فلا يجوز له إلا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقول : « نهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم » .

ومما يجدر بنا ذكره مناسبة لما نحن فيه ان البلاغة العربية يدخل في ابوابها وطرق انشائها عكس ما ذكرناه هنا من مصطلحات الانشاء الفرنسي . فالبلغ العربي لا يعرف اقامة المضارع مقام الماضي ولكنه يعرف اقامة الماضي مقام المضارع حين يريد الاشارة الى ان وقوعه امر محتم لا ريب فيه . وشاهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم عند ذكر ساعة الدينونة : « وفتحت السماء فكانت ابواباً » والمراد : « وستفتح السماء فتكون ابواباً » وإنما اختار صيغة الماضي لاشعار السامع ان ذلك الحادث المستقبل منتظر لا مجال للشك فيه كما لا يشك في امر وقع واتصل بنا خبر

وقوعه . وهذا الاستعمال عندنا داخل في باب مخالفة مقتضى الظاهر من فن المعاني . وهو نهج معروف في العربية العامية أيضاً . مثال ذلك ان جاركم يقول لك « انت ولدي من تلاميذ الصف الاول في مدرسته وعلاماته في الدروس وحسن السلوك من اول السنة الى اليوم احسن من علامات رفاقه كلهم وهو هذه الأيام قد ضاعف انتباهه واجتهاده ومراجعاته استعداداً لامتحان آخر السنة » فتجيبه « اذن ابنك نجح واخذ جائزة الشرف الاولى من مدرسته » وانت تريد ان تقول له « انت ابنك سينجح وشياًخذ جائزة الشرف الأولى من مدرسته » . لأنه في ساعة تحادثك انت وجارك لم يكن امتحان آخر السنة قد حان ووزعت جوائزها على مستحقيها . وما يجب علينا الانتباه اليه وحسن تدبيره كيفية نقل المجاز الافرنجي في طريق الاساطير الخرافية المأخوذة عن قدماء اليونان والرومان ولا سيما عند ذكر الارباب الوثنيين ورباتهم وانصاف آلهتهم وابطالهم ولكل منها دلالة على اعلى قمة من الصفات المختلفة كالحكمة وقوة البأس والدهاء والذكاء والجمال والفرام والحقد والانتقام وغير ذلك .

واما الخصائص في بعض المفردات والمركبات فهي عندهم كثيرة جداً يخطئها العد والاحصاء ولكن لا بد لنا من ايراد اليسير منها على سبيل التمثيل ووجوب الانتباه اليها واتخاذ الحيلة لها :

معناه الأصلي : وضع ساعتين . والفصيح أن *Il a mis deux heures* يقال : قضى ساعتين . او استغرق ساعتين

معناه الأصلي درس . ويأتي بمعنى بحث . بحيث مباحثة . *Etude*

الفرنسي يقول : درس فلان المسألة . والعربي يقول : *Etudier une question* فحصها وتفحصها نظر فيها او امعن فيها نظره او انعم نظره دقق فيها واعمل فيها فكره

معناه حرفياً : دم بارد . ويجب تعريبه بقولنا رباطة *sang froid*

- الجأش اوثبات القلب او ثبات الجنان . او حضور الذهن
 معناه حرفياً : انقذ الظواهر او خلصها : و ترجمته *Il a sauvé les apparences*
 داری ظاهر الأمر او رعى حق الظواهر . او صان
 حرمتها
 خلق . و كثيراً ما يجب تعريبه بفعل اختلق او ابتكر
Créer
 او ابتدع او انشأ
 ترجمته الفصيحة ، كانت التهمة موجهة اليه كل التوجيه
 او اشد التوجيه . أو كانت الشبهة العظمى واقعة عليه
Il était étroitement compromis
 يحسن الوصف . يصف بدقة . او مهارة او
Il décrit avec bonheur
 لباقة . انه موفق في دقة وصفه كذا
 الترجمة الحرفية
 ذلك التأثير كان سبباً لتردده . نشأ او نجم ترده
Cette influence explique son indécision
 عن ذلك التأثير
 وهذا القدر اراه الآن كافياً لأجل فتح الباب لغيري والتطلع الى ما وراءه
 من زوايا وخبايا
 اللاذقية

ادوار مرقص

مخطوطات ومطبوعات

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب

من جملة مخطوطات المكتبة الأحمديّة بجلب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) للعلامة ابن خطيب الناصريّة في مجلدين ضخمين الثاني منها مخروم الآخر . كان هذا الكتاب معاراً من مدة طويلة ومنذ نحو ثمان سنين استحصل على الجزء الاول ومنذ شهرين استحصل على الثاني ، ولما وصل هذا الى دائرة الاوقاف ارسلته إليّ لارتبه لأنه قد اختلط بفضه ببعض ولا ارقام على صفحاته ، فرتبته ووضعت له أرقاماً وحصرت نقصه من نصفه الى الآخر فبلغ عشر ورقات ، وقد أحببت ان اكتب كلمة عن هذا السفر النفيس معرفاً به لعل ذلك يؤدي الى اخراجه الى عالم المطبوعات لتعم الفائدة منه .

هذا التاريخ كما قال مؤلفه القاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصريّة في خطبته هو ذيل على تاريخ الكمال عمر بن أحمد ابن العديم المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي نككت عليه وعلى الاجزاء الموجودة منه في مكاتب العالم وعلى ترجمة صاحبه في مجلة الجامعة الاسلاميّة الحليّة في تسعة اعداد وذلك من عهد قريب .

وتاريخ الكمال ابن العديم ينتهي الى سنة ٦٥٨ الى السنة التي استولى فيها هولاء كوك على حلب وخرّبها ، فجاء ابن الخطيب فذيله من سنة ٦٥٨ الى سنة وفاته التي كانت سنة ٨٤٣ قال :

احببت أن اذيل عليه ذيلاً مختصراً وقبل الخوض في ذكر الاسماء اصدره بفصول:

الفصل الأول في حلب وأسمائها ومن بناها والقابها

= الثاني في ذكر حدودها وأعمالها

الفصل الثالث في عظم فضلها وخصائصها

≈ الرابع في فتحها

≈ الخامس في نهرها وقتاتها ومساجدها ومعابدها

وقد ذكر ذلك صاحب كمال الدين عمر بن العديم في ذيله مستوفى ، الا ان تاريخه تفرق شذر مذر ولا يوجد الا القليل منه ، و كنت وقفت على بعض اجزاء منه من المبيضة قبل الفتنة التيمرية ثم اذكر منها او من بلادها ومن اجتاز بها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء ، ومن كان بها من الصالحين والعباد ومن نزها او اجتاز بها او بمعاملاتها من أهل الشعر والانشاء ومن دخلها أو ملكها من السلاطين او وليها من الامراء والنواب والقضاة ومن وفد اليها والى معاملاتها من فضلاء غيرها من البلاد ، ومن كان له بها مباشرة من الأعيان أو وقعة اشتهرت عنه فعدته من الفرسان ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستائة ، وهي السنة التي اخذ بها هولاء كوكب وخرها ، ثم انشئت عمارتها من ذلك الحين وهلم جرا الى زماني ، ورتبتهم على حروف المعجم في الاسم واسم الأب والجد وان علامها أمكن وكذلك في حروف الاسم واسم الأب وان علا ليكون اسهل للكشف ، ولم ادع الاستيعاب بل ما وقفت عليه او علمت او غلب على ظني انه دخل حلب او معاملتها او كان من اهله او ولد بها ، وكذلك النوازل والنوادر اذكرها في ترجمة من توفي في السنة التي اتفقت فيها .

والمؤلف قد وفي ما التزم به كما تبين لي ذلك من تتبعه ، فعلى هذا لا يكون هذا التاريخ خاصاً بحلب بل هو تاريخ عام للبلاد السورية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية ، فيجد فيه من تراجم اعيان هذه البلاد كلها من توفي سنة ٦٥٨ الى سنة ٨٤٣ التي هي سنة وفاته ما لا تحده في غيره ، وترى فيه تراجم السلاطين والامراء الذين تولوا البلاد المصرية والسورية بصورة مبسطة بحيث يصلح ان يجمع منها كتاب واسع في اخبار هؤلاء في هذه المدة وتنقلاتهم في هذه

البلاد من امارة صغيرة في مصر إلى نيابة حماة فحمص فطرابلس فحلب فدمشق إلى امارة كبيرة في مصر ، فهو على هذا تاريخ لهذه البلاد كلها ، وهو مشحون بآثارهم في هذه البلاد ، وبالمقارنة مع التاريخين الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المطبوع في الهند والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي المطبوع في مصر تبين لي أن الكثير من التراجم جاءت فيها وجيزة وهنا مطولة ، كما أنه في بعض الاحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذينك التاريخين ، وهي عند ابن الخطيب مختصرة فلا يستغنى اذا بهذين التاريخين عن هذا . وقد تكلمت على هذا التاريخ في مقدمة تاريخي (اعلام النبلاء (ص ٢١) ، ومما فاتته نقلاً عن الرضي الحنبلي مؤلف در الحجب في تاريخ حلب انه لما وصل الى حلب حافظ العصر الشهاب ابن حجر العسقلاني المصري سنة ست وثلاثين وثمانمائة طالع هذا التاريخ من الميضة ثم من المسودة والحق فيه أشياء كثيرة كما تعرض لهذا في ديباجة تاريخه المشهور بانباء الغمر بانباء العمر واثني على صاحبه وأفاد أن كلاً منها سمع من صاحبه .

ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ

(١) نسخة حلب في المكتبة الأحمدية

(٢) = في برلين رقمها ٩٧٩١

(٣) = في مدينة غوطا ٩٧٩٢

(٤) = في لوندرة ٤٣٦

(٥) الجزء الثالث منه في مكتبة الأمة بباريس رقمها ٢١٣٩ هذا الجزء من

نسخة في أربعة أجزاء ابتدء فيه بترجمة عبد الكريم بن أحمد المصري واختتم

بترجمة محمد بن تمام الحميدي وهو في ١٥٠ ورقة .

(٦) نسخة في مكتبة لالهلي في استانبول في مجلدين رقمها ٢٠٣٦ و٢٠٣٧ .

(٧) نسخة في مكتبة خالص بك مستشار الخاصة في الآستانة وهي مكتبة خصوصية .

هذا ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ في مكاتب العالم .
ومنذ سنتين زار حلب المستشرق الفاضل رايخ فاخبر أن العلامة المستشرق بروكلن الالماني مؤلف آداب اللغة العربية وقف على ٢٢ نسخة من هذا التاريخ . واستبعد ان تكون هذه الثنتان والعشرون نسخة هي الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية ، ويغلب على ظني أن بعض هذه النسخ هي الدر المنتخب الصغير المنسوب لابن الشحنة وهو على التحقيق للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمللا الحلبي وقد تخلله زيادات من الشيخ إلى اليمن البتروني . وهذا طبع في المطبعة اليسوعية في بيروت سنة ١٩٠٩ ، والفرق بينهما أن ذلك في مجلدين ضخمين وبعض النسخ في أربعة أجزاء ، وهذا في جزء صغير تكلم فيه على حلب خاصة في ٢٥ باباً .

ونحن ندع تحقيق هذه الناحية الى العلامة بروكلن الموما إليه .
والجزءان الموجودان في مكتبة الأحمديّة الأولى منها تام وهو ٦٧١ صفحة بخط مقروء ، لكن فيه تحريف كثير ، وذلك يفيد أن الناسخ من العوام وكل صفحة ٢٥ سطرًا ولا تاريخ في آخره .

والثاني أحسن خطأ وضبطاً ؛ لكن فيه النقص الذي قدمناه وبعض أسطر من بعض الصفحات ممحوة وهو في ٤٦٠ صفحة كل صفحة ٢٩ سطرًا ولا تاريخ في آخره بل سقط من آخره ثلاث أو اربع اوراق ، وذلك عدا عما سقط منه قبل ذلك بما يكمل عشر اوراق ، وهو أقدم خطأ من ذلك وحاله يدل انه قد كتب في القرن العاشر الهجري :

محمد راغب الطباخ

شرح الشمقمقية

للسيد عبد الله كنون الحسيني (صفحة ١٢١)

مطبعة مصطفى محمد بمصر

والشمقمقية هذه اسم ارجوزة قافية لابي العباس احمد بن محمد بن الوزان الحميري ، وعدة آياتها ٢٧٥ بيتاً في النسيب والحماسة ، والحسود والحكم والامثال ومدح الشعر والسلطان ، وقد اعجب بهذه الارجوزة ادباء المغرب كثيراً فعارضها ابو عمرو الرباطي من ادباء القرن الثالث عشر ، وشرحها كثيرون منهم ابو عبد الله الجريري وصاحب الاستقصاء ، وهذا الشرح المطبوع بمصر ، وكانت هذه الارجوزة قد طبعت على الحجر ضمن مجموعة من المتون العلمية في مدينة فاس ١٣١٥ هـ .

والشمقمقية نسبة الى ابي الشمقمق الاصغر الذي لقب به ناظم هذه الارجوزة ، اما الاكبر فهو ذلك الشاعر الكوفي الماجن الذي نقرأ اخباره الظريفة في الاغانى والكامل والعقد الفريد ، وكان ناظم الشمقمقية نديماً لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله فكناه بابي الشمقمق لظرفه وُلمحه . ومطلع هذه الارجوزة :

مهلاً على رسلك حادي الايتق ولا تكلفها بما لم تطق

ويقول في خاتمتها :

اليكها ارجوزة حسانة مثلها ذو ادب لم يسبق

ما لجرير وجميل مثلها في غزل وفي نسيب موق

فلو رآها الاصمعي خطها كي يستفيد بسواد الحدق

وقد سما الناظم في بعض آيات ارجوزته الى درجة المطبوعين ، وأسف احياناً الى دركة المتكلمين ، واكثر فيها من الغريب في وصف اليد والقفار والحيوان والاطيار والأشجار ، كما اكثر من اسماء الاعلام والوقائع التاريخية محتدياً في ارجوزته حذو ابن دريد في مقصورته ، وقد اوضح الشارح لغة الارجوزة واخبارها ايضاحاً كافياً صحيحاً ، ولولا ما فيها من اغلاط الطبع والسهو لكملت فائدتها ، والضبط في مطابع الشرق ما زال معوزاً .

التنويحي

الادباء العشر

للاستاذين اسعد طلس و ابراهيم الكيلاني

من منشورات المكتبة السوية بدمشق ، صفحاته ٢٩٦

يسأل طالب الشهادة التجهيزية (البكالورية) في خاتمة كل سنة مدرسية عن عشرة ادباء تختارهم لدراسته وزارة المعارف ؛ وهؤلاء العشرة عرضة للتبديل من سنة الى اخرى ، وقد اعتمد مدرسو الأدب في التجهيزات ، ان يساعدوا طلابهم تأليف رسائل عن كل من هؤلاء العشرة ، كما فعل الاستاذان السيد خليل مردم بك والسيد سليم الجندي من اعضاء المجمع العلمي ، فقد وضع الأول رسائله (أئمة الادب) في الفرزدق والجاحظ وابن المقفع وابن العميد وابن عباد ، وانشأ الثاني رسائله في امرئ القيس وابن المقفع والامام علي .

وغير هذين المؤلفين قد نحا سنجي آخر بتأليف كتاب يجمع الادباء العشرة كما فعل الاستاذ ممدوح حقي في كتابه (ادباء البكوريا) والاستاذ خلدون الكناني والاستاذ حنا نمر في كتابيهما والاستاذان اسعد طلس و ابراهيم الكيلاني في (الادباء العشر) الذي كتبنا عنه هذه الكلمة ؛ غير ان مثل هذا السنجي لا يتسع لاقام البحث عن العشرة ، ويضطر معه المؤلف الى جمع المتفرق او الايجاز المحلّ أحياناً ، فيجيبه كتابه بعيداً عن البحث الذاتي المستقل ، مما لا يكشف حقيقة او ينير غامضاً ، ولا يهتدي به الطالب الى مواقع الحسن او القبح من التعبير ، والى مواطن الصحة او الخطأ من التفكير ، فلا يتبين لذلك حقيقة الشاعر او الناثر لتلك الأحكام التي ننتطبق على كثير من الادباء ولا نزيه منه الا صورة مبهمه سريعة الانطاس والدثور ، لا حياة فيها ولا نور .

وقد حاول المؤلفان لكتاب (الادباء العشر) ان يفيدا في هذه السنة طلاب الشهادة التجهيزية ، وان ينجحنا في زمن قصير عن العشرة الادباء ، فكانا يكتبان الابحاث ليلاً ، وبقدمانها للطبعة بهاراً لنتمكننا من انجاز كتابهما قبل انتهاء السنة

المدرسية ، فوقع فيه لهذه العجلة الاضطرابية اغلاط في النصوص وفي العروض والرسم ، وبعض آراء لم ينضجها البحث المحتاج الى اطالة النظر ، وكثرة التوقف ومراجعة المظان وتمحيصها .

وقد اغفل المؤلفان بهذه العجلة ان يجللا لكل اديب قطعة من شعره او ثره ليقع الطالب على مواطن الحسن او القبح كما ذكرناه آنفاً ، وليتدرب على طريقة التحليل العلمي ، ولعلها قد تركا هذا العمل الخطير للأستاذ المدرس ، وما كل مدرس بقادر على ان يوفي ذلك حقه .

ومن العجلة احتياج المؤلفين لصحة اسم الكتاب (الادباء العشر) لا العشرة ، بقولها في آخر صفحة منه مانصه : (ولا بد لنا في الختام من ارشاد الذين انتقدوا عنوان كتابنا الى مراجعة بحث العدد في حاشية ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك ، وكتاب أوضح المسالك للشيخ المراغي فان فيهما نصاً عزيز النقل فليحفظوه !) مع ان ابن عقيل لا حاشية له ، فهو شارح الالفية ، والمحشي هو الخضري ، وكتاب أوضح المسالك أو التوضيح هو لابن هشام ، والمراغي قد نشره نشرةً جديدةً باسم تهذيب التوضيح ؛ هذا وان ما نقله الامام النووي في حاشية الخضري عن شرح الكافية للسيد الصفوي في تجويز تذكير العدد وتأنينه بعد المعدود موضع نظر ، لان الناقل والمنقول عنه ليسا من أئمة النحو ، وما ورد من الكلام الذي يصح الاستشهاد به لا يقبل مثل هذا التجويز .

أماتراجم الكتاب لادبائه العشرة فكافية للطالب ، ومختلفة من عناء بحثه عن اخبارهم واخلاقهم مما يعينه على فهم آثارهم الادبية ، وفي خاتمة كل بحث بيان مفيد للمصادر التي تعين الدارس على التبع والاستقصاء ، فعمى ان يتلافى المؤلفان هذه النواقص في الطبعة الثانية .

الثنوي

با كورة في تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية

تأليف السيد هنري لاوست

H. Laoust: Essai sur les doctrines sociales et politiques
de Taki - d - din Ahmad B. Taimya,
Le Caire. 1939

نقد مؤلف هذا الكتاب الى روح شيخ الاسلام ابن تيمية ، وغاص كما يفوض العالم الذي لا مآرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام ، وهي كثيرة جداً واكثرها مما لم تسط عليه غير الدهور ، فاستخرج لآتي بدبعة في منازع ابن تيمية في الاجتماع والسياسة تمثلها وكتبتها باسلوب عال باللغة الفرنسية ، ومعلوم أن تقي الدين كان يجمع الى العلم ، الدين السياسي ، ويعرف زمنه كما يقال في وصف العارفين ، يعرفه معرفة اعظم رجال الدولة ، فدرس آرائه ومذهبه في الحقيقة درس لما حوت الشريعة الاسلامية في أجمل صورها واصدق مصادرها .

ان الكلام على ما خاض المؤلف عبابه يحتاج إلى بحث طويل ، ومن امتع ما قرأنا فيه تلمظفه في التعليق على آراء شيخ الاسلام تعليقا مهأ خالف رأي المؤلف ، فهو لا يخرج عن حدود أرقى المؤلفين في تأليفهم .
ولو كتب لكل من يكتب اطروحته أن يعن في درسها كما امعن الاستاذ لاوست في بحث ابن تيمية خلفوا لنا مجموعة من الابحاث يعتمد عليها في الموضوعات التي عالجوها ، ولكن غاية معظم من كتبوا اطروحاتهم من ابنائنا كانوا يقصدون بها خدمة انفسهم بنيل شهادة العالمية لا خدمة العلم كما وقع لصديقنا لاوست ، وانا لنشكر المؤلف على هذه التحفة الثمينة ونرجو ان يطرد صدور تأليفه على هذا المنهج خدمة لعلم لا تكاد تعرف اكثر حقائقه في بلاد الغرب وينشره بهذا الاسلوب الممتع قطع لألسن من يهرفون عن الاسلام بما لا يعرفون ، ولا غضاضة عليهم في ذلك وما القصور

الامنا نحن ورثة هذا التراث العظيم ، وباهمنا وتركنا المجال خالياً لمن يقولون فينا
وفي تعاليمنا ما يقولون ، وقد نعترض على من يتوفر على الدرس فيخرج ما يهديه إليه
بحته للناس ، وليس لنا من برهان الا ما يعرض لخاطرنا باديء بدء من رأي فطير
غير نضيج .

محمد كرد علي



مجلة مجمع العلمي العربي

السنه ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م
تشرني دمشق مرتقى اشهر

أيار و حزيران سنة ١٩٤١ م
جمادى الأولى و جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

٥٦٤٥٥٥٥٥

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قوش سوري
الدفء مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ = =

مطبعة الترقى بدمشق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المطبوعات العربية

البدء بالطبع وعبث الطابعين

سبقت مصر سائر الأقطار العربية في الأخذ بأسباب الحياة العلمية ومنها طبع الكتب . ولئن بدأت الاستانة بطبع الحرف (١١٣٩ هـ) بعد أن طبعت الكتب العربية في الغرب بزمان طويل ، إن الطبع بالحروف لم يعمد في مصر الا في سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وكان على ضعف حتى سنة ١٨٢٢ م وهي السنة التي أسست فيها مطبعة بولاق الأميرية وطبعت الأمهات القديمة وكتب العلوم الحديثة .

وأنشئت في بيروت مطبعة المرسلين الاميركان البروتستانت سنة ١٨٣٤ م ثم مطبعة المرسلين اليسوعيين الكاثوليك في سنة ١٨٤٨ م ، وفي نحو ذلك الزمن دخلت الطباعة بالحروف الى تونس ، وانشأت الحكومات مطابع لها في بعض أنحاء الشرق . وما بدأ الأفراد بتأسيس المطابع في أرض الشرق العربي الا بعد انقضاء زمن على المطابع الحكومية ، وكانت عنايتهم بما يطبعون دون عناية الحكومات ، ذلك لأن القائمين بأمرها توخوا الربح قبل كل شيء ، وتوهموا الأرباح تأتي من طريق الاقتصاد في النفقة من كل باب ، وكان معظم من عانوا الطباعة لا شأن لهم في العلم والأدب ، فأساء بعضهم الطبع بالطبع ، وأخذت الشناعة ببعض ما طبعوا : لادقة في التصحيح ، ولا ذوق في وضع الصفحات والحواشي ، وقد يخلطون في الكتاب كتاباً آخر لا علاقة له بالكتاب الأصلي ، فتستغرق الصفحات بالأصول والزوائد ، ويختارون للطبع أسقم الحروف ويتغيرون أدنى الورق ، ويتطلبون الرخص في كل شيء ، وبذلك خلت مطبوعاتهم من كل بهجة وروعة .

ولما كان أكثر من عانوا طبع الكتب من طبقة العامة ، لم يهتموا لجهلهم بغير كتب الخرافات والغراميات على الأغلب ، بدعوى أنها اروج من كتب

العلم ، ظانين أن طبع الكتب من جملة ضرور التجارات لا تحتاج الا لما تحتاجه التجارة عامة من رأس مال ، ومعرفة بطرق التوفير ، واقتناص الربح ، والتجارة منحولم أن يطبعوا ماشاؤوا ، ويعملوا بالكتب ماشاؤوا ، على أن تكون الغاية من كل ذلك الكسب المضمون ، لذلك ما تعفف بعض الوراقين عن طبع كتب المنامات والتحريرات وأشياء سموها كتبها الروحانيات ، وأشياء هي من الاسرائيليات ، وكتب أسرار الحرف ، والجفر ، وكتب الكيمياء وعمل الذهب ، وكتب السخف والمجون ، وطبعوا واكثروا من طبع كتب ابي معشر والديري واضرابها ، وكل الكتب المنسوبة لأمثالها تعبت بالعقول وتزيد قارئها جهلاً الى جهل

طبع كتب العلم

قويت العزيمة على الاستكثار من طبع كتب العلم لما كثر تبرم الناس بتلك الكتب المضرة وزاد عدد المتعلمين على الطرق الحديثة ، فأدرك العارفون قصورهم عن احياء كتب السلف ، فطبعوا في مصر أسفار مالك والشافعي وابن حنبل وابي حنيفة والغزالي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وابن قتيبة والجاحظ وثابت بن قرة وحنين بن اسحق والآمدي والشاطبي والقرافي وابن رشد والباقلاني وابن عبد البر والسرخسي واخوان الصفا وابن جنبي وابن منظور وابن سيده الى عشرات امثالهم من علماء الأمة وحكامها وأدبائها ومؤرخيها ولغوييها . واختصت الهند بطبع كتب الحديث ورجالها وما شاكل ذلك من علم الكلام واللغة ، كما تفردت ايران بطبع كتب الامامية بالعربية وغيرها ، وزنجبار بطبع كتب الخوارج والاباضية ، ودمشق وبيروت بطبع الكتب المنوعة ، وخصت أوروبا بطبع كتب العلوم كالطب والكيمياء والأقرباذين وجرّ الأتقال والزيجات والأرصاد والفلك والرياضيات والطبيعات والنبات والتاريخ والجغرافيا والرحلات واللغة والأدب والشرع وغير ذلك من العلوم التي نقلتها العرب عن أهل الحضارات

القديمة وزادت فيها ، او كانت وفقاً عليهم كعلوم القرآن والسنة واللغة والشعر . شرعت أوروبا من نحو أربعة قرون بطبع ما عثرت عليه من كتب الرازي والبيروني والبتاني والكندي (الفيلسوف والمؤرخ) وحنين بن اسحق والحوارزمي ونصير الدين الطوسي وعبد الرحمن الصوفي وابن النديم والفارابي وابن سينا وبوخنا ابن ماسويه والطبري واليعقوبي والديبنوري والمسهودي وابن خلكان وابن الاثير وأبي الفدا والتزويني وحمزة الأصفهاني والشريف الادريسي والمقدمي والاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبة والهمداني والبلاذري والبكري وابن عذارى وابن سعد وابن سعيد ومسكويه وابن مجير وابن هشام والبيضاوي وعشرات من اضراهم مما لا يقل عن خمسمائة مجلد ، وكالها كتب مختارة بذلوا الوسع لمعارضتها على نسخ متعددة ووشحوها باختلاف الروايات وحل عويص مشكلاتها ، وزينوها بالفهارس ، وقربوا منال الانتفاع بها على المطالعين ، عملوا كل ذلك بأمانة وتدقيق وتحقيق ، وكانت الغاية من طبعها واحياؤها خدمة العلم ، وما قصر الهولانديون والألمان والطيلائت والفرنسيون والبريطانيون والروسيون والاسبانيون والبولونيون والاميركان وغيرهم في احياء كتب العلوم وطبع كتب اللغة والتفسير والحديث أيضاً

طلع القرن الرابع عشر من الهجرة ، وأهم مواطن طبع الكتب العربية في الشرق القاهرة وبيروت وتونس والاسطانة وحيدر آباد الدكن وطهران وفاس ، وجبهة الوراقين قابضون على قياد الطبع لا يهتمون بغير الكسب ، وقل من الكتب ما تولى تصحيحه العارفون ، ومنها ما نشرته الحكومة المصرية وبعض الجمعيات العلمية والدينية . وكان المؤلفون في بلاء من أكثر الوراقين يتحكمون فيهم ، ويستثمرون جهودهم ، واذا أرادهم على عمل فهارس للكتب تسهل على المطالعين تجهوا لهم ، واذا اقترحوا عليهم أن يختاروا الجيد من أصناف الورق هزؤوا بهم .

جمعيات طبع الكتب

وهذا مادعا الى تأليف عدة جمعيات من العُبر على العلم ، ومن أعضائها الشيوخ الأجلاء ومنهم بعض أرباب المكنانة في المجتمع المصري فلم يوفقوا في عملهم ، لما كان ينقصهم من بعد المهمة والمشكلة في الثقافة ، والتجرد عن التعصب ما امكن في اختيار ما يطبعون ، وتألقت منذ أواخر القرن الماضي في مصر عدة جمعيات لهذا الغرض ، ومنها ما طبع بضعة كتب وانهمزم من الميدان ، ومنها ما قصد طبع كتاب بعينه فلما أتمه لم يحاول طبع غيره . وقد انحلت هذه الجمعيات لأنها لم تسر على نظام ثابت يضمن لها البقاء ، ولأن القائمين بها أرادوا حلها عجزاً عن المضي فيها ، ولأن الفردية تغلب على الشرقي فلا ينجح مجتمعاً وكثيراً ما يفلح منفرداً الفلاح كله .

وأنشأ بعض النابهين من المتعلمين على الأسلوب الحديث لجنة في القاهرة في سنة ١٩١٢ سموها «لجنة التأليف والترجمة والنشر» وما زالت تزيد رقيماً سنة عن اخرى ، تطبع الكتب الجديدة والقديمة ، وتعنى بالأنا تخرج مطبوعاتها قبل عرضها على جماعة من الاختصاصيين من أعضاء هذه اللجنة أو من غيرهم ، وأكثرهم معلمون وأساتذة وموظفون ، وقد طبعوا الى الآن أكثر من مائة وثلاثين كتاباً في الطبيعة والرياضة والفلسفة والتاريخ والأدب والاجتماع وغيرها ومنها ما يدخل في مجلدات ، ومنها ما هو من القطع الكامل ، ومن كتبهم ما نقلوه عن اللغات الاجنبية ومنها ما ألفه الأعضاء أو غيرهم ، فأثبتت اللجنة أن الشرقي اذا أحب العمل وأتقنه لا يقل عن الغربي .

يتنافس الناس اليوم في اقتناء المطبوعات الجيدة ، وكان المأمول أن يكتب لها الرواج أكثر مما تُقدّر لكتب المحون ، ومن هذه ما يطبع عشرات الألوف كالقصص والروايات ، ومنها ما لا يشبع الجمهور منه لأول نشره بأقل من عشرة آلاف نسخة ، وما يقال في الكتب يقال في المجلات — والمجلات أيضاً كتب

دورية — فان أرقى المجلات العلمية الأدبية باللغة العربية تطبع بضعة الوف ، ومجلات العامة تطبع العشرين والثلاثين ألفاً وربما أكثر من ذلك ، وما يروق الخاصة لا يروق العامة ، وخواص كل أمة اقل من عوامها . وكان لارتفاع فن الطباعة في الغرب دخل كبير في رقي المجلات العربية وما صارت اليه من التفنن في الطبع والتصوير . ولم يدخل على الكتب من هذا التحسين شي كثير يناسب فائدة الكتب ، وتناسى السواد الأعظم ان الكتب تجلد وتورث وتتناقلها الأيدي أكثر من المجلات والصحف ، وهذه ما خرجت عن كونها ابنة يومها بل ساعتها .

أصناف الكتب

تقسم الكتب في مصر الى قسمين صفراء وبيضاء ، فالكتب الصفراء هي ما طبع على ورق اصفر من الجنس الردي ، وهذه يسمونها الكتب الأزهرية ، والبيضاء هي التي تطبع على ورق ابيض ، وهي كتب الجمهور على أنواعها وكتب المدارس النظامية ، والكتب الصفراء رديئة الطبع ، رديئة الوضع ، تشوش القارئ وتبغض اليه المطالعة ، بما تحمل من هوامش وهنات بنبو عنها النظر ، والعكس في الكتب البيضاء المشرفة فانه تستجد لها الحروف والورق وهي خالية من الهوامش الا ما كان منها داخلاً في الموضوع ، وقد تبذل العناية بتصحيحها أكثر من الكتب الصفراء .

دب الكساد في الكتب الصفراء قليلاً ، وكتب الرواج مع الزمن للكتب البيضاء ، بقاعدة بقاء الأنسب ، وبما دخل من التحسين على أذواق الأمة ، وما يروح مع هذا بعض الطابعين بمصر يجوزون لأنفسهم طبعها كما يطبعون كتب التضييل والتدجيل ، يصدرونها الى بلاد الزوج في أواسط افريقية والى بلاد المالايو ، يطبعون منها مقادير يرسم التصدير الي الخارج غالباً ، ولو كان لي من الأمر شي لجرمت كل من يجرؤ على طبع مثل هذه الأسفار المضرة بالعقل والدين ، ومضرتها لا نقل عن كتب المحون والسفاهة ، وكتب الاحاد والاباحة ، ذلك لأنها تباع على انها كتب دين ، والدين لا يعرفها وليست منه بسبيل .

مضار الكتب الساقطة

لا جرم ان من يبيع من الجهلاء كتباً تزيدهم جهلاً وغباوة كمن يحمل
المخدرات الى السذج ويزين لهم استعمالها ، او كساقٍ يسقي السم الزُّعاف لمن يطلب
اليه ان يسقيه ماءً فراحاً ، وليست كتب الجهالات في تخريب العقول بأقل من
تخريب المخدرات والمسكرات في الأجسام . الحكومات تخاف من كتب فيها
ما لا ترضاه سياستها ، ولا ترى واجباً عليها أيضاً أن تحظر على الطابعين طبع المضر
من الكتب ، لئلا يحملوا الى القراء كتباً غير محررة ولا معتبرة ، فان هذه
بالنسبة للجمهرة الأمة لا تقل مضارها عن تلك

ربما يقول بعضهم ان هذا مما يفتح للحكومة باب التدخل في حرية النشر
وسلب حق الناس في الحرية . وما كان لأمة لا تعرف مالها وما عليها ، وما يصلحها
وما يفسدها ، وليس لها من نفسها مراقب ولا محاسب ان تتمتع من الحرية بالمقياس
الواسع ، وخير أن يرجع في النشر الى قاعدة من ان تطفى هذه الفوضى على ما
يطبع ، وترجع الأفكار الى عصور الظلمات ، وينقطع الأمل من تأليف امة
منورة متجانسة حتى بعد قرون .

مظاهر الكتب وترويجها

وبعد فقد كان في الامكان الاستعاضة عن هذه التجارة المحرمة في الكتب
بتجارة محللة فيها يطبع الكتب المفيدة ، فان ما يطبع في مصر من الجيد تروجه شهرتها
في الأقطار ، وتزيد الكتب رواجاً بين مختلف الطبقات بقدر ما يتقن الطابعون
طبع ما يطبعون من الكتب وينتقون أسفارهم ، ويبذلون العناية بالتصحيح والتهذيب .
وقد رأينا بأخرة بعض الطابعين تنصرف همهم الى الخروج عن الطريق القديمة
بعض الشيء كأن يقلدوا الطابعين في ديار الغرب بعنايتهم واتقانهم ، ويجعلوا فهارس
للكتب ، ويتوقوا الأغلاط المطبعية في الجملة ، فزادت بذلك كتبهم حرمةً وقبولاً .

جمال الكتاب وطبعه مما يزيد الرغبة فيه ويزينه في الأعين ، وفي العادة أن كل بضاعة تبرز في قلب مقبول صنماً ووضعاً تحتل من النفوس أحسن موقع ، فما الحال بالكتب التي هي أكثر البضائع اعتباراً وخلوداً ، ولقد بلغ حب الاثقان من أهل الغرب ، وحب الاعلان عن كل شيء ان عهدوا الى مفتنين عرفوا بسلامة الذوق وسعة الحيلة ، ليصفوا بضائعهم صفاً يلفت الأنظار ، وبعلموا عنها في الصحف وغيرها بما يبعث العزائم على اقتنائها ، وان لم ترغب في ذلك كثيراً ، فهل عيننا نحن بكتبنا وقدرنا أنها على الأقل بضاعة من البضائع تحتاج لمن يروجها ؟ ان الكتب العربية تحتاج الى ان تأخذ حظاً من الاثقان اللازم وتهياً لها من طرق الدعاية والنشر مثل ما يهيئه الطابعون والوراقون في البلاد المتقدمة لنشر مطبوعاتهم . ولو كانت كتبنا اسقاط جواهر مخبوءة في مستودعات الطابعين ما تنبه الناس لها بدون اعلان ولا دعابة .

بعض طرق الغريبيين في نشر الكتب

في يوم واحد ينشر الوراق الانكليزي^(١) الكتاب الجديد في كل بلد تقرأ فيه اللغة الانكليزية من أصقاع الغرب والشرق ، وفي يوم واحد تكتب الصحف والمجلات نقد الكتاب وتقريظه وتلفت الأنظار اليه ، وفي يوم واحد يقرأ هذا الكتاب ابن بريطانيا العظمى وابن اليابان وابن كندا وابن استراليا وابن زيلاندة الجديدة وابن الولايات المتحدة وابن الهند ونزبل جنوبي افريقية ومصر والسودان . والوراق الانكليزي لا يرضى لترويج كتبه بين القراء بكل ما في وسعه ، ينشرها بكل حيلة ، وكذلك سائر الوراقين من جميع الأمم المتمدنة ، فلعينا أن ندرس طرائقهم ، وعلى الوراقين عندنا ألا يرضوا بخمسة أو عشرة في المئة يضمونها على نفقات

(١) ان مما قرأناه في هذا الشأن كتاباً نقل الى الفرنسية من الانكليزية في حقيقة الطبع لمؤلفه ستانلي اونون واسمه Stanley Unwin: La vérité sur l'édition و « الكتاب » لالبرسيم

الطبع للاعلان عن مطبوعاتهم ، فيخدمون بذلك أنفسهم ويخدمون المؤلف ، ويخدمون
المدنية والمعارف .

قصور وراقينا في النشر

وإننا لنجد الكتاب الذي يصدر في مصر لكثرة تدنيق بعض الوراقين في
النفقات قد لا يصل الى البلاد العربية في أقل من سنة . يعتمد الكتبي في ترويج كتابه
على الطبيعة والمصادفات اكثر من اعتماده على التذرع بذرائع النشر الكثيرة ،
وربما طبع الكتاب الجيد وما عرف به من مهمهم اقتناؤه الا عرضاً وبعد سنين
تمضي على نشره ، فهل يحق بعد هذا لورّاق أن يشكو من قلة الرواج ؟ والرواج
بيده ، ولو بذل القليل لربح الكثير . ولو صرفت العناية بالاعلان عن الكتب
وترغيب الناس فيها وعرضها في المدن والقرى وتحبيب اقتنائها للرجال والنساء والأطفال
لزاد عدد المطبوع والمبيع من كل كتاب قديم او حديث ، ولقل بهذا العمل
عدد الغاميين في البلاد العربية جماء ، ولا يمضي عشرون عاماً حتى لتغير تصورات
الناس وأخلاقهم وآدابهم ومنهجهم في الحياة . بيد الطابع ويبد المؤلف نشر حضارة
أمة فلينظر الوراقون ماذا يعملون ، ولتعمل الحكومات الواجب عليها نحو الطابعين ،
ولتراقبهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة الجماعة .

نحن في أشد الحاجة الى التجدد في مطبوعاتنا ، وان نجدد في مظاهر الطبع من
حروف وأشكال وصور ، وقطع وورق وتجليد ، ونجدد في المبالغة بتصحيح
الكتب والتعليق القليل بما يبين غامضها ، فليس كل الناس يفهمون ما يقرؤون ،
فعلينا أن نسهل عليهم فهمها ، كأن نشكل دائماً محال الإشكال من الألفاظ
ولا تترك غامضاً ولا مبهماً ، ونحن إذا فعلنا هذا لا نعش المطالع بل نستميله الى الاكثار
من المطالعة . واذا صنّا كتبنا عن تلقين المبتدئين أغلاطاً تنأصل في عقولهم فتؤذيها
نصون الدين والآداب والمدنية ، ولا تقل التبعة الملقاة على عواتق الطابعين عن
التبعات اللاحقة بالحاكمين والمسيطرين .

نقابات طبع الكتب

نحتاج الى التجديد في طرق النشر، ولا يتم ذلك الا بانشاء نقابة او نقابات تفكر في اقرب السبل الى الاتقان والنشر والريج، وتصدر مجلة توزعها مجاناً على دور العلم ورجاله وطلابه، تفيض في الكلام على ما صدر ويصدر من الكتب، وعلى ما في القديم منها من الحسنات وغيرها فتكون خير اعلان لما طبع ويطبع، وأصدق مرشد لمن اراد ان يقتني الاطياب من الاسفار، ولا ينفق فيها اكثر مما تمكنه حالته من انفاقه، ويعان على ان يكون له منها مع الزمن خزانة خاصة يستفيد منها هو وأولاده وأحفاده.

العصر عصر الشركات، وقد رأينا الطابعين او الوراقين الذين ضعفت رؤوس أموالهم لا يأتون شيئاً يعتد به في هذه التجارة، ورأينا المطابع الكبرى او الشركات الممولة المنظمة في عملها تريج كثيراً وتفيد اكثر من غيرها. فاذا اجتمع الوراقون في مصر مثلاً، وألفوا شركة او شركات يدخل فيها فقراء الوراقين وغيرهم تنغير أشكال الطبع وأشكال الاسفار، وتحف شكوى المتجربين بالكتب من قلة الرواج، وشكوى المؤلفين والمترجمين والمصححين، وشكوى القراء من سخافة المطبوع والمنشور، وشكوى الكتب من الكساد، وتدخل في طور اتقان وعناية على النحو الذي نراها عليه عند أصغر أم الحضارة لهدنا.

سبيل رواج الكتب

يتوهم بعض الوراقين عندنا ان الاشتطاط في الريج يوصل الى الغرض من هذه التجارة، ونسوا ان الريج القليل من شيء كثير أعود عليهم من ريج كثير من شيء قليل، ولو ادركوا ذلك ما توقفوا عن تغيير أساليبهم في الطبع والنشر وتقدير الريج، ولأيقنوا أن من مصلحتهم المهادنة في الأسعار والعناية بتجويد بضاعتهم. ولكتاب يطبعه طابعه ويبيعه في مدة قصيرة أنفع له من كتاب يبيعه في المدد الطويلة

ليربح منه ما يقدره لنفسه من الأرباح ، وهذا من أيسر قواعد التجارة التي يعرفها الأطفال في الغرب فعلى الرجال أن يتعلموها عندنا .
 من جملة طرق الرواج في الكتب جودة طبعها وحسن خدمتها ، ونقصد بخدمتها المبالغة بتصحيح أصولها وتجاربها ، وحل المشكلات من متونها وشروحها ، فقد كان الطابعون فيما مضى يتوهمون أن كل مخطوط صحيح صالح للطبع لا يحتاج الى أكثر من ان يدفع الى المنضد لتنضيد حروفه وترتيب صفحاته ، ويجعل على الآلة الطابعة تخرجه ملازم ملازم . والكتب التي تطبع لأول مرة والتي يتكرر طبعها تدفع الى رجل أزهرى اذا كان على شيء من العلم فيكون من الطبقة التي تعرف الاعراب فقط ، وليس النحو والصرف كل شيء في عالم العلم .

الفرق بين الغربيين وبيننا في الطبع

رأينا كتباً طبعها أعاجم من الغربيين وهم علماء فخرت صحيحة سالمة من الشوائب ، على ضعف ناشرها احياناً في القواعد وبعدهم عن حفظ الدساتير ، ورأينا اسفاراً طبعت في اتقن المطابع بعناية أقدر المصححين تفيض بالأغلاط ، مثال ذلك تاريخ ابن خلدون المطبوع في المطبعة الاميرية ، لو تصفحته لتعودت بالله مما فيه من تحريف الأعلام ، وسقطاته كثيرة قد تكون كلمة او اسطرراً او صفحات ، ولا يتخلو صفحة منه من بضع غلطات شائنة تحرف النص وتحيل المعنى ، وظن مصححوه أن ما يعرفونه من قواعد الاعراب كافٍ في تصحيح مثل هذا الكتاب . وإلى اليوم تقع لأعظم المطابع خطراً اغلاط من هذا القبيل تحمر لها الوجوه ، والواجب على من يعرف صنفاً من العلوم ألا يظن نفسه انه يحسن الاضطلاع بجميع الأضاف . ولعل احد الباحثين يضع لنا كتاباً فيه متاع وعبرة ، يلزم فيه بأغلاط المطابع ، وبدون لنا ما يكتبه المصححون في اول الكتب وآخرها من مدح الطابع ومدح من طبعت في أيامه ، كأن طبع كتاب عدل لفتح قلعة او ثغر ، او اعمار بلد او قطر .
 تصحيح الكتب المطبوعة مسألة المسائل في فن الكتب ، وكمن كتاب قديم

طبع على نسخة واحدة في بلادنا وزاده جهل الطابع والمصحح أغلاطاً الى اغلاطه ، وقالوا القارئ انت وشأنك في هذا الكتاب ، ذلك لأنه قلّ أن يُعنى أرباب المطابع باختيار مصححيهم ، يخنارون أكثرهم من المرتزقة ، من الصنف الذي يصحح المزمة ببضعة قروش ، ولو أعطى الطابع مصححاً يكون على شيء من العلم المثبات لما كان مغبوناً ، ولهان على من يتناولون الكتاب ان يقننوا ما أتقن طبعه وُعني بتصحيحه ، وان يعطوا زيادة عشرة في المئة تضاف على قيمة الكتاب

كان تحريف جهلة الناسخين للكذب وتحريفها بصنع جهلة الطابعين مما أضع على طلاب العلم اوقاتهم لينوفروا على اصلاح ما كان واجباً على غيرهم أن يصححه ، وينعبون وهم مئات ، وكان الأولى ان ينبع واحد او اثنان ولا يشغل الناس بالعبث ولا تباع منهم مجموعة اغلاط . اي كتاب لأجدادنا طبعه مطبعة من مطابعتنا التي نعدّها راقية قبل هذا العهد الجديد ، ولم تحص عليه الأغلاط الكثيرة حتى الأمهات من كتب الشرع واللسان ؟ وأي كتاب طبع فأنتق الطابع على تصحيحه مالا ، وهو يعتقد ان واجبه ان يعمل هكذا بكتابه ؟ ليت كل وراق يعرف ان ما يصرفه في تقويم الكتاب لا يعدّ مالا ضائعاً بل لا بد منه لرواج كتابه ، والامانة تقاضاه ذلك .

عبث الطابعين الجهلة بالكشب

ان من اعظم البلاء ان تتقدم العامة فتتولى طبع الكتب ، وما كان اجدر بالخواص ان يعمدوا وحدهم لمعاينة هذه الصناعة ويرقوها بكل ما عند من سبقهم الى الحضارة بأنواع الترقى ، ويغاروا على تجديدها كما يغار المرء على حرمانه ومقدساته . نعم ان بعض الوراقين اليوم في مصر هم من الأُميين حقيقة لا يعرفون ما يطبعون وما يطبع لهم . وما ينتظر من أمي ان يقوم به في باب العلم ؟ ومنهم نصف أميين وهؤلاء بلاؤهم أشد ، هم جاهلون ويدعون المعرفة . ولو كانت حكوماتنا تفكر أبداً في نهوضنا العلمي لما سمحت لرجل ان يطبع كتاباً وينشره الا اذا كان حاملاً

شهادة من المدارس الوسطى على الأقل ، فضرر الكتيبي الجاهل لا يقل عن الضرر الذي يأتي على يد الصيدلي الجاهل .

ومما تألم له النفس ألا يكون عمال المطابع على شيء من المعرفة وألا يُتخيروا من الشباب الدارسين . وقد شهدت اعظم المطابع الراقية في هذا الشرق القريب تختار ضيائناً نصف أميين لتنفيذ الحروف وعمل سائر ما يتعلق بالطبع ، ارادة الاقتصاد من أجورهم ، فيتعب بذلك المصحح كثيراً بتقويم التجارب ، ولا يخلو المطبوع منها صحح من غلطات تبقى بعد معاودة الاصلاح مرات ؛ ولو كان المتضدون يحسنون فهم الكلام لاكتفى الطابع بتجربة واحدة .

واشهد أني أفضل ان اتباع كتاباً عربياً طبع في الغرب من كتبنا القديمة بعشرين أو ثلاثين ضعفاً عما يباع به مثله من الكتب المطبوعة في الشرق ؛ لأنني اجد في ذلك من المحسنات وكل ضروب الاستفادة والتيسير ما لا اجد في طبعاتنا ، ولا اجد في الكتاب المطبوع في ربوعنا على الأكثر الاشاعة وركاكة ، وأغلاطاً لا تجد لها اولاً ولا آخراً . وقد اقدم بعض طابعي الكتب الصفراء في العهد الأخير على تحسين نوع الورق والحروف وجادوا بعض الشيء على المصححين فنشروا كتباً خرجوا بها بعض الشيء عن مألوف ما كانوا طبعوه وطبعه آباؤهم ، وأهم ماعملوا أنهم وسدوا النظر في الكتاب الى عالم نخرجت كتبهم عن أسلوب الكتب التجارية ، وصارت تعد في كتب العلم ، واطنهم ما خسروا بما عملوا بل نفعوا واتنعوا ، فاذا خطوا خطوة أخرى الى الأمام وعدلوا عن صيغهم القديمة في الطبع سيحمدون ولا شك غبّ عنايتهم ، يبدؤون في الطباعة عهداً جديداً فيه الخير لهم وكل الخير للمدرسين والدارسين .

لجان علماء للنظر في الكتب

هكذا يوم نرى فيه كل مطبعة كبيرة تعهد الى لجنة من الخبراء والعلماء للنظر

في كل ما تطبع ، وتراقب الكتاب من وضعه وتأليفه الى صف حروفه الى وضع صفحاته الى تصحيح ملازمه الى طبعها الى طيها الى جمعها وضمها كتاباً برأسه . هذا اليوم الذي نقضي به هذه اللجنة على صاحب المطبعة ان يعمل بقرارها لرواج مطبوعاته ، واختيار ما يعم الناس نفعه ، هو اليوم الذي يكون في تاريخ الطباعة بدء عهد جديد ، بل عهد حضارة ما سبق لنا نظيره منذ أخذنا نطبع الكتب ونقلد الغرب .

نعم ان طبع الكتب يحتاج الى مراقبة شديدة أهونها ألا يطبع شيء قبل أن تنظر فيه لجنة نقر نفعه ، فان المكررات من الكتب التي لدينا من نوعها الأهميات المتعبرة ، وكتب التخريف والتافهات ، وكتب المحجون والغراميات وغير ذلك لا ينبغي من آفاتنا الا سلطان المراقبة الشديدة في كل كتاب للقدماء والمحدثين فلا يطبع برأي طابع لا رأي له الا النفع المتوخى من الكتاب ، وغايته الوحيدة الاكتساب المرجى منه ، ولو بالقضاء على العلوم والآداب ، والاتياف على الفضائل واحياء الرذائل ، وشغل الناس بالسخف والهراء ، وما كنت أوتر التوسع في هذا الموضوع لولا أن ايراد الأمثلة ضربة لازب لتجلية المراد .

مثال من سخف الكتب المطبوعة

لو عرض طابعا كتاب « حلية الأولياء » للحافظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا يقع في عشرة مجلدات وتبلغ صفحاته اربعة آلاف صفحة - لقال لها ان هذا الأصل الذي طبعتماعنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده سخافات ما انزل الله بها من سلطان ، وما كانت من كلام المؤلف ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدح في جودته لو كانت من المؤلف ، وقرأها من شهد للكتاب بالاجادة . وهاكم مثالا من مئات الأمثلة من

هذه الزيادات التي شوهدت الأصل ، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات .

من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مراعاة حقارة الدنيا بعين الاعتراض ، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨ - ١) بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال ، وعصم من الفتور والاكسال ، وفضل الله له العهود والحبال ، ولم يقطعه سامة ولا ملال . ونحن نقول : ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال ، انما من اسخف ما دونه الأجيال ، في تراجم الرجال ، وانها املاء دجال لا يخاف الله بحال .

(٣١ - ١) وقد قيل ان التصوف السكون الى اللهب في الحزين الى الحبيب (كذا) (٣٣ - ١) ان التصوف استنفاذ الطوق ، في معاناة الشوق ، وترجية الأمور ، على تصفية الصدور (٣٩ - ١) وما عهد منه (سيدنا عمر) في ملازمته للتفريد ، ومحاماته على معارضة التوحيد ، وان لا ينهزه عن مصاولتهم العدة والعديد .

(٤٨ - ١) وكان (عمر) عن فناء الملاذ منتبهاً ، ولباقي المعاد منتفياً ، بلازم المشتقات ويفارق الشهوات وقد قيل ان التصوف حمل النفس على الشدائد الذي هو اشرف الموارد (٦٢ - ١) التصوف مراعاة المودود ومصارمة المحدود (٦٨ - ١) التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب (٧٠ -) التصوف الارتقاء في الأسباب الى المقدرات من الابواب (٧٢ - ١) التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب (٨٧ - ١) التصوف التزوح بالأحوال والتخفيف من الاثقال (٨٩ -) التصوف الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات . في ترجمة مصعب بن عمير الداري (١٠٦) ورغب عن التعريف والتسويق ، وغلب عليه الحنين والتخويف وقد قيل ان التصوف طلب التأنيس في رياض التقديس (كلام لا معنى له) وأيضاً (ص ١١٠ - ١) التصوف المفروق البيوتة الى مقر الكينونة ! (١١٢ - ١) التصوف اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب ! (١١٨ - ١) التصوف الوطي على حجر الغضا الى منازل الأانس

والرضا (١٢١-١) التصوف استنشاق النسيم والاشتياق الى التسليم ! (١٢٤-١)
 التصوف مشاهدة المشهود ومراعاة العهد ومحاماة الصدود ! (١٢٩) تصحيح المعاملة
 لتصحيح المنازلة ! (١٣٩-١) التصوف تسور السور الى التخلل بالخور ! (١٤٧)
 التصوف قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق (١٥٧) التصوف التأله والتدله من
 غلبات التوله .

ياسيدي القارئ الكرم بريك اعذرني على نقل هذا الهراء ، ولو أردت لنقلت
 من هذه السخافات المضحكة المبكية مئات ، دسها الداسون في كتاب حاول مؤلفه
 أن يترجم لنسك الأمة فاختلط ممينه بغث ذاك العابث . وربما تساءل القارئ
 وكيف لم يهتد الطابعان الى ما شات الكتاب ؟ فالجواب هذا من عمل العلماء
 لا من عمل الطابعين ، ولو وقع الأصل لعارف ما تلكأ لحظة عن القول بما قلناه
 في هذه النقول ، وانت لو فحمت أي ترجمة لما رأيتها على الأغلب تخلو في
 مقدمتها من مثل هذا الهديان . وبالله بعد ان عرفت درجة الحافظ ابي نعيم في
 العلم هل تجوز عليه أن يقول : ومنهم الذاكر الفكري ، خليل بن عبد الله العصري ،
 كان محبوبه ذاكراً ، والى مشاهدته ساهراً ، وان تقول ان هذا تصوف . ووالله
 لا يقول هذا الا من اختل ذهنه باجماع اطباء الامراض العقلية . الا يستحق ان بأوي
 الى مستشفى المجاذيب من يقول (ص ٢٥٨ ج ٢) التصوف عويل حتى الرحيل وحويل
 الى المقيال (٢٩٠ ج ٢) التصوف التمتع بالحضور والتبتع للخطور (١٨٣- ج ٢)
 التصوف الصفو للزيق والرقو للفيق !

واي هذيان اعظم من هذا الهديان ينشر في هذا الزمان منسوباً الى رجل
 من رجال الحديث المشهورين . ألا يوافق العقلاء بعد ذلك على تأليف لجان علمية
 تنظر فيما يطبع قبل أن يضيعوا وقت الناس ويؤذوا عقول ناشئتهم واذهان القراء
 ولا أحب أن اختم هذه العجالة قبل ان أشير الى كتاب آخر ارتكبت
 في طبعه فقط مثل هذه السخافات ، عنيت به « البداية والنهاية » لابن كثير . فقد

طبع منه حتى الآن اثنا عشر مجلداً بالقطع الكبير لا تنزل عن ثلاثة آلاف صفحة وبقي منه أربع مجلدات ووقع على ما يظهر في أيدي مصحح لا يعرف التاريخ ولا يعرف الأدب ، حتى ليخيل لي أن مصححه منضد حروف او فراش في المطبعة يرزق كل يوم خمسة قروش . هناك أسماء الأعلام محرفة تحريفاً مخجلاً حتى أنك تقرأ العَلم على صورة في صفحة من الصفحات فإذا قطعت صفحتين أو ثلاثاً تقرؤه على شكل آخر وهو هو ، وكذلك الآيات الشعرية ، اجارك الله من تحريفها فانك اذا تلوتها تعاف الشعر وتنكر الأدب ، فان كثيراً منها لا يفهم ، وبعضها لا وزن له مطلقاً ، كأن الناظر فيه من طبقة العوام لا يحسن الوزن ولا يعرف المعنى . الا يجدر بمثل هذا الكتاب الذي يكلف طبعه المئات من الجنيهات أن يصرف على تصحيحه عشرات من الدنانير ويعهد بتصحيحه الى أناس يحسنون فن الأدب وفن التاريخ ، ولا يكتفي منهم ان يعربوا جملة صحيحة ، وبقروا عدة مقاطع بلا غلط ؟ ان طبع هذا الكتاب على هذا النحو يعدُّ جنابة على الأدب وتجنياً على العلم والمعارف ، وبه ثبت ان كل شيء يتبدل في العالم الا عقول اكثر الطابعين في مصر فانها جامدة لا تتحرك ولا تحاول ان تتحرك .

الأمثلة كثيرة في هذا الباب وقد مثلنا لذلك بما حضرنا من امثلة ، ويرى القارئ النقاد ان هذا الموضوع جليل في ذاته يجب أن يعاناه الدارسون والمدرسون والعالمون والمتعلمون وكل من يهتمون للحياة العلمية في الأمة العربية ، ونحن الآن اذا قصدنا الطابعين فقد تقدنا من قبل المؤلفين ، وكل ذلك بسائق الغيرة على اوضاعنا وحضارتنا وحباً بالتجدد وبعداً عن الجمود .

هذا وقد رأينا بعض النفوس تزهد في الكتب بعض الزهد وتستغني بعض الاستغناء عن القراءة ، ومن ارتقى عقله يستحيل عليك ان تضطره الى قراءة مثل حلية الأولياء بهذه الزيادات عليه . الناس مأخوذون بما هم محكومون له من التفتن في طرق النشر الحديثة من صحف ومجلات ومذيع ، وهذا ما يدعو الى التفكير

كثيراً في مصير الكتاب والعقبات التي ستقوم في مستقبل الأيام أمامه من أجل رواجه ، وانا ليؤسفنا ان نرى الكتب وما يطبع منها لا يزيد مقدار المطبوع منه كثيراً بالقياس الى ما وصلنا اليه من الحضارة ، فالكتب لم ترُج الزواج المطلوب بل وقفت عند حد لم نتقدم فيه الى الأمام كثيراً ، ذلك لأن ما كان يرجى أن يزيد عدد المطبوع منها بكثرة قارئها قد اخذته الجرائد والمجلات ولا سيما المجلات التي لا تعني كثيراً بمسائل الجد ، فكان من ذلك ان شغل جمهور كبير من محبي المطالعة بالتافهات والهزليات ، وكان آباؤهم بالأمس يصرفون كل وكدهم في اقتناء كتب الجد المخطوطة ، وبفاخر حتى العوام بما اقتنوا أو ورثوا من كتب يحتفظون بها كما يحتفظ غواة العاديات اليوم بعادياتهم ولا ينزلون عنها لغيرهم ولو افتقروا .

محمد كرد علي

ما ألف عن النساء

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب ، فنفضنا الأحاديث نفضاً ، ثم ملنا الى ذكر النساء وأخبارهن والعرب وآرائها فيهن ، وكان في مجلسنا متأدب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه ، ونحا نحوهم في تفكيره ، فوهم أن العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهن أو يعنوا بهن ، ولم يخصوهن بالتأليف أو يفردوا لهن التصانيف ، وأيد وهمه هذا بأقوال بعض المستشرقين .

وقد أردتُ تتبع هذا الزعم بالرد لتبيان وهنه ووهيه ، واستقرأت ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب ، فإذا فيه تأليف حسان وتصانيف ملاح ؛ خصوصاً بالمرأة وجنسها ، وجلوا فيها عن أسرار وأخبار ، ولم يدعوا امرأً أدر كوا صلته بين الا تكلموا عليه وبجئوا فيه .

ولو أن هذا التراث العظيم كان قد سلم ، لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب ، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل .

١ - فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة منها :

١ - كتاب «الموءودات»^(١) لهشام بن محمد الكلبي النسابة الأخباري (٢٠٦)

٢ - كتاب «المعروفات من النساء في قريش»^(٢) لابن الكلبي أيضاً

٣ - كتاب «مناكح أزواج العرب»^(٣) له أيضاً

٤ - كتاب «المردفات من قريش»^(٤) لعلي بن محمد المدائني المحدث

المتكلم (٢٢٥)

(١) مجمع الادباء ١٩/٢٨٨ - ٢٩٢ (طبعة دار المأمون) . والنهرست ص ٩٦

(٢) المصدر السابق (٣) النهرست ص ٩٧ (٤) مجمع الادباء ١٤ - ١٣٣ .

- ٥ - كتاب «الكليات» ^(١) له أيضاً
- ٦ - كتاب «بغايا قريش في الجاهلية» ^(٢) للبهيم بن عدي الراوية الأخباري (٢٠٩)
- ٢ - ثم خصوا نساء النبي وأمّهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يحصى منها:
- ١ - كتاب «أمهات النبي» ^(٣) لللدائني الذي مرّ ذكره
- ٢ - كتاب «أمهات النبي» ^(٤) لابن الكلبي
- ٣ - كتاب «أزواج النبي» ^(٥) لمحمد بن عمر الواقدي (٢٠٧)
- ٤ - كتاب «بنات النبي وأزواجه» ^(٦) لأحمد الرقي الراوية الحافظ الثقة .
- ٥ - كتاب «أزواج النبي» ^(٧) لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً (٣٦٢) .
- ٦ - كتاب «أزواج النبي» ^(٨) لابن الكلبي .
- ٣ - وقد كلفوا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك في كتب شتى منها:
- ١ - كتاب «أمهات السبعة من قريش» ^(٩) لمحمد بن حبيب وكان من علماء بغداد ومهرة مؤديها . (٢٤٥)
- ٢ - كتاب «أمهات الخلفاء» ^(١٠) لابن الكلبي
- ٣ - كتاب «من تزوج من نساء الخلفاء» ^(١١) لللدائني وغيرها .
- ٤ - ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة بينوا فيها أحوالهن وطبائهن وطرق معاشتهن . وأوصافهن وما يعجبهن به أو يعرضن عنه وما قيل فيهن أو روي عنهن منها :

(١) النهريت ١٠٢٠٢ . ومعجم الادباء ١٢ - ١٣٤ (٢) معجم الادباء ١٩ - ٣١٠ .
 النهريت ص ١٠٠ ، وانظر وفيات الأعيان ج ٢ . (٣) معجم الادباء ١٢ - ١٣٣ .
 (٤) النهريت ص ٩٨ (٥) النهريت ص ٩٩ (٦) معجم الادباء ٢ - ١٣٣ . وانظر الصندي
 في الوافي ج ٢ ق ٣ ص ٢١٩ . (٧) معجم الادباء ١٨ - ٢٢٥ (٨) النهريت ص ٩٧ .
 (٩) معجم الادباء ١٨/١١٥ - ١١٧ . النهريت ص ١٠٦ . (١٠) النهريت ص ٩٨ .
 (١١) النهريت ص ١٠١ .

- ١ - كتاب « النساء » ^(١) للجاحظ (٢٥٥)
 - ٢ - كتاب « النساء » ^(٢) للهيثم بن عدي (٢٠٩)
 - ٣ - كتاب « النساء » ^(٣) لخص بن عمرو العبدي ذكره ابن النديم
 - ٤ - كتاب « اخبار النساء » ^(٤) لهارون بن علي النجيم وكان أديباً شاعراً رابوية نديماً
 - ٥ - كتاب « أخبار النساء » ^(٥) للمدائني
 - ٦ - كتاب « أخبار النساء » ^(٦) للرفعي
 - ٧ - كتاب « النساء » ^(٧) لابراهيم بن القاسم القيرواني ، وكان شاعراً رقيقاً (٤٠٠) قال ياقوت « إن كتابه عن النساء كبير »
 - ٨ - كتاب « اخبار النساء » ^(٨) لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن ابراهيم ، وكان يملك خزانة لم يُر مثلها لأنها كانت تحوي على كل كتاب عين .
 - ٩ - كتاب « النساء والغزل » ^(٩) لمحمد بن خلف بن المرزبان
 - ١٠ - كتاب « النساء والغزل » ^(١٠) لابن قتيبة العالم الاديب المؤرخ (٢٢٦)
 - ١١ - كتاب « اخبار النساء » ^(١١) لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري .
 - ١٢ - كتاب « من وصف امرأة فأحسن » ^(١٢) للمدائني
 - ١٣ - كتاب « اخبار النساء » لابن قيم الجوزية (مطبوع)
 - ١٤ - كتاب « اخبار النساء » لابن الجوزي (مخطوط في الظاهرية)
- ٥ - ثم أخذوا يؤلفون في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن . فبينوا احوالهن الدينية في كتب شتى منها :

١ - كتاب « الحيض » ^(١٣) للقاسم بن سلام امام اهل عصره في كل فن من العلم (٢٢٤)

- (١) معجم الادباء ١٦ - ١٠٧ . (٢) معجم الادباء ١٩ - ٣١٠ . والفهرست ص ١٠٠
- (٣) الفهرست ص ١٠٠ . (٤) معجم الادباء ١٩ - ٢٦٢ . (٥) معجم الادباء ١٤ - ١٣٣
- (٦) معجم الادباء ٤ - ١٣٣ . (٧) معجم الادباء ١ - ٢١٦ . (٨) الفهرست ص ١٣٤
- (٩) الفهرست ص ١٥٠ . (١٠) الفهرست ص ٧٧ . (١١) الفهرست ص ١٥٣ .
- (١٢) معجم الادباء ١٤ - ١٣٣ . (١٣) معجم الادباء ١٦ - ٢٦٠

٢ - كتاب « العدة » ^(١) لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤)

٣ - كتاب « الرضاع » ^(٢) له أيضاً

٤ - كتاب (الطلاق) ^(٣) له أيضاً

٥ - كتاب (الشغار) ^(٤) له أيضاً

٦ - كتاب (الصداق) ^(٥) للمدائني

وهذه الكتب وافرة اكثر من ان تحصى فلتتمس في الفهرست .

٦ - وقد افردوا للتزين والتجمل والتحلي كتباً كثيرة ذلك لأنها أمور

ذات شأن عند النساء ، ومن هذه الكتب :

١ - كتاب (الثياب والحلي) ^(٦) لأحمد بن سعد ابو الحسين الكاتب الشاعر

٢ - كتاب (الحلي) ^(٧) لأحمد بن فارس اللغوي (٣٦٩)

٣ - كتاب (الزينة) ^(٨) للراقي

٤ - كتاب (التزين) ^(٩) له أيضاً .

٥ - كتاب (نحر المشط على المرأة) ^(١٠) لعلي بن محمد الظاهري الميكالي

الأديب المفاكه

٧ - ورأوا أن الظرف احلى خصائص المرأة ، فألف فيه كتب شتى منها :

١ - كتاب (المنظرقات) ^(١١) لاحمد بن ابي طاهر احد البلغاء الشعراء

الرواة (٢٨٠)

٢ - كتاب (المتظرفين والمنظرقات) ^(١٢) لعبيد الله بن احمد بن ابي طاهر

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : معجم الادباء ١٧ / ٣٢٢ - ٣٢٧ . وانظر طبقات القسرين

ص ٢٢٧ ، وطبقات القراء ٢ - ٩٥ . ووفيات الاعيان ٢ - ٤٤٧ . (٥) معجم الادباء ١٢ - ١٣٣

(٦) معجم الادباء ج ٣ - ٣٩ . (٧) معجم الادباء ٢ - ٨٤ . (٨) معجم الادباء ٢٠ - ١٣٣

(٩) المصدر السابق . (١٠) معجم الادباء ١٢ - ١٥٦ . (١١) الفهرست ص ١٤٦ .

(١٢) الفهرست ص ١٤٧ .

- ٣ - كتاب (المتظرفات) ^(١١) لمحمد بن احمد الوشاء ابي الطيب النحوي (٣٢٥)
- ٤ - كتاب (عرائس المجالس) ^(١٢) لمحمد بن احمد بن عبد الله الكاتب المعروف
بالمفجع الشيعي (٣٢٧)
- ٥ - كتاب (المحوبات والمكروهات) ^(١٣) للراقي
- ٨ - ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة في دورهن وصلتهن بأزواجهن ،
فألفوا في ذلك كتباً كثيرة منها
- ١ - كتاب (اختلاف الزوجين) ^(١٤) للشافعي
- ٢ - كتاب (من هجاها زوجها) ^(١٥) للمدائني
- ٣ - كتاب (من شككت زوجها) ^(١٦) له أيضاً
- ٤ - كتاب من (مبيل عنها زوجها) ^(١٧) له أيضاً
- ٥ - كتاب (من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته) ^(١٨) له أيضاً
- ٦ - كتاب (النواكح والنواشز) ^(١٩) له أيضاً
- ٧ - كتاب (المتزوجات) ^(٢٠) لخالد بن طليق الراوية النسابة
- ٨ - كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته) ^(٢١) لمحمد بن عبد الله بن حيويه
- ٩ - ثم تطرقوا فألفوا في علاقات الرجل بزوجه مما يكون بينهما ،
وهذه التأليف كثيرة لا جدوى في سردها .
- ١٠ - ولقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فخصوا الشذوذ الجنسي بكتب
وتأليف منها :

(١) الفهرست ص ٨٥ . (٢) معجم الادباء ١٧-١٩٦ . (٣) معجم الادباء ٢-١٣٦

(٤) معجم الادباء ١٩٠/٣٢٦-٣٢٧ . (٥) و (٦) و (٧) و (٨) : معجم الادباء ١٢-١٣٣

(٩) الفهرست ص ١٠٢ . (١٠) الفهرست ص ٩٥ . (١١) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية

بدمشق . قسم المجموعات : أدب ١١٦ .

- ١ - كتاب (السحق)^(١) لمحمد بن حسان النملي أحد الكتاب الادباء في عهد المعتمد .
- ٢ - كتاب (البغاء)^(٢) له ايضاً
- ٣ - كتاب (السحافات والبغائين)^(٣) لمحمد بن اسحاق الصيمري (٢٧٥)
وكان أديباً مليحاً هجاءاً وندياً للمتوكل
- ٤ - ولقد خصّ ابن النديم مسرداً باسماء الكتب التي الفت في (الحباب المطرفات) ولم يذكر مؤلفيها منها :
- ٥ - كتاب (ريحانة وقرنفل)
- ٦ - كتاب (رقية وخديجة)
- ٧ - كتاب (سكينه والرباب)
- ٨ - كتاب (سلى وسعاد) وغيرها^(٤) .
- ١١ - وكما ألفوا في أخبار السواقط فقد ألفوا في أخبار الشعراء والعواقل والصالحات . ومن ذلك :
- ١ - كتاب (أشعار النساء)^(٥) لمحمد بن عمران المرزباني الراوية الأخباري (٣٨٤)
- ٢ - كتاب (العواقل)^(٦) لابن الكافي
- ٣ - كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن أبي طاهر (٢٨٠) ذكر فيه طرائف كلامهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والاسلام (طبع سنة ١٩٠٨)
- ٤ - كتاب (الرسالة للصالحات من النساء)^(٧) لعالم الشام في القرن العاشر يوسف ابن عبد الهادي

(١) الفهرست ص ١٥٢ . ومعجم الادباء ١٨ - ١١٩ . (٢) المصدر السابق .
(٣) الفهرست ص ١٥٢ . (٤) الفهرست ص ٢٠٧ . (٥) معجم الادباء ١٨ - ٢٩٩ .
(٦) الفهرست ص ٩٨ . (٧) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤١ ادب .
جمع فيه طائفة من أخبار النساء وما ورد في الصالحات منهن وصدر ذلك بحديث « موّدوا نساءكم
الغزل فانه أزين لهن وأرزن » .

١٢ - وقد عُنوا أيضاً بأخبار القيان والجواري والمسّمعات والمغنيات والنوائح وأمهات الأولاد ، وهذه الكتب وافرة جداً نذكر منها :

- ١ - كتاب (القيان) ^(١) للجاحظ
- ٢ - كتاب (القيينات) ^(٢) لاسحق بن ابراهيم الموصلي
- ٣ - كتاب (اخبار عزة الميلاء) ^(٣) له ايضاً
- ٤ - كتاب (قيان الحجاز) ^(٤) له ايضاً
- ٥ - كتاب (قيان مكة) ^(٥) للمدائني
- ٦ - كتاب (المغنيات) ^(٦) له ايضاً
- ٧ - كتاب (القيينات) ^(٧) له ايضاً
- ٨ - كتاب (الاماء والشواعر) ^(٨) لأبي الفرج الأصفهاني
- ٩ - كتاب (القيان) ^(٩) ليونس بن سليمان المعروف بالمغني
- ١٠ - كتاب (اشعار الجواري) ^(١٠) للمفجع الشاعر الشيعي
- ١١ - كتاب (النوائح) ^(١١) لأحمد بن مطرف القاضي المصري
- ١٢ - كتاب (امهات الأولاد) ^(١٢) للطبري المحدث الفقيه
- ١٣ - كتاب (عنى امهات الأولاد) ^(١٣) للشافعي

* * *

تلك هي الكتب التي استطعت ان اعثر عليها في تضاعيف الامهات وثناياها ، ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها ولم اعلم بها

- (١) معجم الادباء ١٦ - ١٠٧ . (٢) النهرست ص ١٤١ . (٣) المصدر السابق .
 (٤) المصدر السابق . (٥) النهرست ص ١٠٢ . (٦) المصدر السابق . (٧) معجم الادباء .
 ١٤ - ١٣٣ . (٨) الاغاني - المقدمة - ج ١ طبعة دار الكتب المصرية . (٩) النهرست ص ١٤٥ .
 (١٠) معجم الادباء ١٧ - ١٩٤ . (١١) معجم الادباء ٥ - ٦٣ (١٢) معجم الادباء ١٨ / ٦١ - ٨١ .
 (١٣) معجم الادباء ١٧ - ٣٢٤ - ٣٢٧ .

١٣ - على أن الى جانب هذه الكتب فصولاً كثيرة مبعثرة هنا وهناك
 نُصت بالنساء وأخبارهنّ وصفاتهنّ وأحوالهنّ وتراجمهنّ ، كالتي
 كتبها ابن عبد ربه في العقد، والنويري في نهاية الأرب ، والزنجشري
 في ربيع الأبرار (مخطوط) وابن قتيبة في عيون الأخبار، والقالي في
 الأمالي والجاحظ في البيان والتبيين والسخاوي في الضوء اللامع
 وغيرها .

* * *

افبعد ذلك كله - وإن قلّ! - نقولون ان العرب والمسلمين لم يحفلوا بالنساء
 ولم يؤلفوا في اخبارهن ٠٠؟

صلاح الدين النجد

دمشق :



الغوطة

- ٢ -

مدينة الغوطة

أجمع من وصفوا الغوطة على اختلاف العصور أن فيها قرى كالمدين ، وأن أهلها كأهل الحاضرة أي دمشق ، ومنذ القرن الثامن قال ابن بطوطة ان في اكثر قرى الغوطة الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناخهم ، ولولا أن تبدلت معالم الغوطة مراراً لشهدنا عمراناً قديماً ، وما زلنا كلما حفرنا في الحقول البعيدة عن مراكز القرى نعثر على دمن تدل على عمران قديم نغم ، وعلى ثروة وحضارة . وكان بناؤهم بالحجر الصلب على 'بعد المقالع عن الغوطة ، ومعظم بنائها الآن باللبن ويقل فيها البناء بالحجر .

وحدثنا الكذب أنه كان في بعض قرى الغوطة جوامع منقنة ، وكان فيها قصور صبرت على الأيام مثل قصر بيت لهما في طريق الواصل من مدينة السلام بغداد والراحل اليها ، كانت لغني اسمه السكسي ، وكان له في إقليم بيت لهما عدة قصور مبنية بالحجر والخشب الصنوبر والعمر ، في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه ، وكان هذا القصر في ارض حرستا . وروي المؤرخون ان النصر الذي 'بني للمتوكل كان في طريق داريا ، وان البانين اخناروا هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها ، قال المسعودي : ان المتوكل لما نزل بدمشق أبقى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها ، وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في أعالي الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة واكثر الغوطة ، وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ، وفي عيون التواريخ للكشي ان المتوكل أقام بدمشق سنة ٢٤٤

وبنى بها القصور ، وهي التي بطريق داريا ، ثم انه استوخمها ورأى أن هواءها بارد رديء وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه ، ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد بثير الغبار الى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار وانقطعت الأجلاب ، ففجر منها بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، ومعلوم أن المتوكل كان غريب الأطوار ضجرت منه أمتة فقتلته ، ولا عجب أن أضجره هواء دمشق وماؤها

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به الماء الزلالا

وكان في الغوطة في القرون الوسطى والقرون الأخيرة قصور مشهورة ، منها ما بناه الملوك ، ومنها ما بنته الرعية او الأغنياء . ولما انقطع عيش البادية في الغوطة أوائل هذا القرن الهجري صحت نية اغنياء دمشق ممن يملك أرضين في ضاحيتها او قراها على اقامة القصور الجميلة ، وخربت هذه القصور والدور البديعة في الثورة السورية (١٩٢٥ - ١٩٢٦) . وأهم ما أصابه الحريق والتدمير قصور برزة والقابون والعبانة وجرمانا والمنيحة والحديثة وزبدین وحمورية والافتریس وجوبر والمزة ، ومن القرى ما دثر برمته مثل جسرین والمنيحة وبرزة كما خربت في دمشق أجمل دورها وقصورها الأثرية .

كانت الأرض الموقوفة في الغوطة كثيرة جداً ، وقد قلت في العهد الأخير واستبدل بعضها ، وكان من السلاطين من يققون سهماً من ضيعة أو ضيعة برمتها أو ضياعاً على اعمال الخير كما فعل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام فانه بنى قصرأ للفقراء في الربوة ووقف عليه قرية داريا اعظم قرى الغوطة واغناها ، لتكون قصورهم الى جانب قصور الأغنياء فقال الشاعر الكندي :

إن نور الدين لما أن رأى في البسائين قصور الأغنيا
عمر الربوة قصرأ شاهقاً نزهة مطلقة للفقرا

وبقيت قصور الأغنياء في الربوة الى القرن العاشر، وما من اثر اليوم لأنقاض قصر الفقراء ولا لقصور الاغنياء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا للقصور الدارسة في الربوة والشرف الأعلى والشرف الأدنى من غربي دمشق ، كل أولئك خرب على عهد العثمانيين ، بما لاقته البلاد في القرن الذي قبل القرن الماضي من تعدي عسكر الانكشارية وسوء ادارة القائميين بالأمر .

دوى البدري انه كان في كل شرف من ذبلك الشرفين عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها انواع المفاسد ، قال النواجي :

الآن وادي الشام أصبح آبة محاسنه ما بين اهل النهى تنلى

وإن شرفت بالنيل مصر فلم يزل دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

وفي الشرف الأعلى اليوم قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي ومدرسة التجهيز للذكور ، وهي من المباني المحدثة البديعة ، وفي الشرف الأدنى أقيمت الثكنة الحميدية والجامعة السورية والمستشفى الوطني ودار الآتار والتكية السلمانية .

ذكر ابن عبد الهادي من اهل القرن التاسع في تاريخ الصالحية من المحاسن محلات الشرفين المطلين على الميدان أي الميدان الأخضر الذي نطلق عليه اسم مرج الحشيش اليوم ، وكان عامراً من الطرفين ، وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتدق نوباتهم في كل ليلة ، وفيه حوانيت وخانات حتى يوصل منه الى التيرب ثم منه الى الدهشة ومنها الى الربوة ، قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعائة عامراً أهلاً ، وتعدي عليه في عصر الثمانائة وبطلت منه الخطب والى الآن ، قال : وبقية الأماكن من الربوة الى السهم والتيرب والشبلية ومحلة طاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين فكلها تبدلت بعد الأماكن بالجنان .

ومع شدة اختلاط الغوطين بأهل الحاضرة لا تزال الأمية غالبية عليهم ، ولا تزيد المدارس الابتدائية التي أنشأتها الحكومة فيها عن ثنتين وعشرين مدرسة

للذكور والاناث ، والواجب أن تكون ثمانين نصفها للذكور والنصف الآخر للاناث ، ولم ترسل الحكومة اليها الوعاظ والخطباء من طبقة جيدة فأصبح المجال رجبا للمخرفين ، يؤذون العقول بخرافاتهم ويستلبون مافي الجيوب ، ويقلّ الذكاء في الغوطة ويكثر النشاط .

خرج من الغوطة أجلة المحدثين والفقهاء والأدباء والحفاظ ومنهم الحافظ الزملكاني والحافظ اليلداني ، وخرج من حرستا محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة ، ذكر بعض من أخرجتهم أرضها ممن كتبوا في خطط هذه المدينة وغوطتها ، وعنوا بالرجال من أهلها فترجموا لهم ولا سيما لحفاظ الحديث .

نعم كانت معظم قرى الغوطة أشبه بمراكز علم ورواية ، ومن جملة تأليف الحافظ ابن عساكر من أهل القرن السادس كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء ، وكتاب من نزل المزة وحدث بها جزء واحد ، وكتاب أحاديث كفرسوسية جزء واحد ، وكتاب احاديث صنعاء الشام جزءان ، وكتاب فضل الربوة والتيرب ومن حدث بها . وكتاب حديث الحميريين وقبيبة جزء واحد ، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء واحد ، وكتاب حديث أهل قرية البلاط جزء ، ومن حديث أهل زبددين وجسرين جزء واحد ، ومن حديث سلمة بن علي البلاطي جزءان ، ومن حديث أهل بيت سوى جزء واحد ، ومن حديث دومة ومسرابا والقصير جزء ، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء ، ومن حديث أهل كفرطنا جزء ، ومن حديث أهل دقانية^(١) وحجيرة وعين ثرماء وجدبا وطر ميس جزء ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد . ومن حديث يحيى بن حمزة البتلهي جزءان . ومن حديث أهل بززة جزء . اه وجميع هذه القرى من قرى الغوطة والذي دثر منها صنعاء الشام أو صنعاء دمشق ، وكانت في منتصف الطريق بين دمشق والمزة خرج منها محدثون كثار ، ومنها التيرب والحميريون وفذايا وبيت أرانس وبيت قوفا والقصير

(١) ذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة والغالب انها دثرت بعد القرن الحادي عشر

ولاقانية وجديا وطرميس وبيت لهيا وقبيبة . وبعض قرى الغوطة كانت الى القرن الثامن والتاسع تزدان ببعض العلماء والأدباء ، ويكفي ان مثل الحافظ الذهبي في القرن الثامن كان يدرس في كفربطنا ، وزعم ابن طولون الصالح ان الذهبي من جماعة من الأئمة المحدثين الذين خرجوا من كفربطنا أي انه من أهل هذه القرية .

وبعد فإت الغوطة اليوم ينقصها كثير من مرافق المدينة ، إذ أتت عليها قرون كانت الحكومة تأخذ خيرها وأموالها ولا تنفق عليها واحداً في المئة مما تأخذ ، فتأخرت بمعارفها وتعطلت طرقتها وجسورها ومدارسها وجامعها ، وليس فيها غير بضع طرق معبدة في الجملة ، وهذا مما تم في العهد الأخير ، وطرقتها القديمة عريضة جداً فاستصفي أكثرها بعض من يستعملون كل شيء في جمع ثروتهم

هذا وليس في الغوطة من آثار المدينة سوى خط ترام كهربائي يربط دمشق بحاضرة الغوطة الشمالية اي دومة ، وطوله أربعة عشر كيلومتراً يمر ببساتين العناية وأرض جوبر وزملكاً وعربيل وحرستا ودومة ، واذا امتد هذا الخط الكهربائي فوصل بين دومة وداريا فدمشق ماراً بأمهات قرى الغوطة الوسطى والجنوبية مثل حمورية وسقبا وكفربطنا وجسرين والحديثة وزبدین والمنجحة وجرمانا وعقربا وبلدا وبيلا والقدم وكفرسوسية والمزة ، اي ربطت الغوطة القبليّة بالشمالية ، ومدت قساطل ماء عين الفيجة الى القرى كافة (والقوم يشربون الى اليوم من آبارهم ترشح من الأنهار القذرة) تصبح قرى الغوطة محيطة بدمشق احاطة الهالة بالقمر ، وتغدو هذه المزارع والقرىات كأنها بعض أحياء الفيحاء ومحلاتها ، وتنقلب بعض تلك الدساكر مصابف ومشاتي ، وكلما زاد عدد الجادات العظمى فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو الغوطة قبلة المتزهين ، وكلما زاد عدد البيوت والقصور استحالت الغوطة من أرض زراعية الى منازل تنسج بها دمشق حتى تصبح عاصمة كبرى كالقاهرة .

إذا تم هذا يتحقق في الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في قوله تعالى «إِرام ذات العمار التي لم يُخلق مثلها في البلاد» من أن ذات العمار هي دمشق حاضرة

الغوطة وكانت فيها فيما قيل أربعمائة الف عمود ، وفي قوله تعالى (وآتيناهما الى ربوة ذات قرارٍ ومعين) من انها أيضاً مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة .
طرائقها الزراعية

قال أحد العارفين ان لمدينة دمشق طابعاً خاصاً في مرافقها ومصانعها وأوضاعها ومناحيها ، قد لا ترى ما يائنه في البلدان الأخرى ، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضاً ، فان الناظر في أرجائها لا يزال الى اليوم يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة ، لم تتسرب اليها الأساليب الحديثة الا قليلاً ، ثم ان ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلاحظ أنها تمثلته وتبنته ، فهي تسير في معظم حالاتها على أصول الأجداد ، ولكن مع الاقنات والاحتفاظ أبداً بطابع القرون الغابرة ، ومعظم ما عملته فيها الأيدي والعقول لا يبدو عليه التجدد الا بقدر الخلال في الوجه الجميل ، ذلك لأن من عادة الغوطين الا يبادروا الى اقتباس الجديد الا اذا قامت لهم البراهين على عظيم فائدته ، ويعصون على ما لم يألفوا ، لا يخرجون عن طبيعة أرضهم ، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات .

يستخرج الغوطيون الزيت من زيتونهم ، والدبس من عنبرهم ، والعصير (القمر الدين) من مشمشهم ، والورد والطور من زهرهم وورودهم ، والصابون من زيتهم ، والأجبان والسمنون والزبد والقشدة من البانهم ، والطحينة والشيرج من سمسهم ، والنشاء من برهم . ويقطفون الزيتون والجوز بعصيمهم ، وينقعون القنب في حفرهم ، ويستخرجون أليافه على أسلوبهم ، ومنها يفتلون حبالم وخبوطهم ، ويدبغون من جلود حيواناتهم سخبانهم ، ويحيكون من صوفهم قماشهم وثيابهم ، ويتخذون من اخشابهم أدوات زراعتهم وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم ، ووقودهم من حطبهم وبنائهم من ترابهم وما يرحوا يعلقون دوابهم بالقديم من طرائقهم ، ويحراثون الأرض ويزرعونها ويسقونها على نحو ما كان يفعل آبائهم .

وما جلب بعض الغوطين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها لا يروا صعيدهم إلا

لما أعوزتهم اسالة المياه من أنهارهم ، وشحت الجداول في بعض السنين فخافوا أن تصوح ادواحهم ، وما عرفوا الأسمدة الكيماوية الا عندما قلت الأسمدة الطبيعية ، وما عادت تكفي ، لما طمحت نفوسهم الى تسميده وتجديده من الأرضين ، وما ألفوا تذرية الحبوب بالآلة التي اوجدها احد مواظبيهم الا لما ثبت لهم ان تذريتها بالمذراة وتجن هبوب الريح ، مما يطيل امد استخراجها من تبنها ، وتضيع عليهم بعض حياتها .

وكأن الغوطة السمحة التربة ، المعتدله الهواء ، الصافية الأديم تعطف على الفقير أيضاً ، فلا ترى أن تقطع رزقه ، وتحرم الصانع والعامل من أبنائها أجور سواعدهم ، فلا تعتمد الى الآلات والأدوات الحديثة الا في أحوال شاذة . الغوطة تحرق الغلظة التي وقع فيها الغرب لما استعاض عن الأيدي العاملة بما اخترع من الآلات ، فهي لا تريد أن ترتكب هذه السقطة لئلا يكثر فيها التاقون والموتورون ، ثم تعم الاشتراكية ، وتنتشر الفوضى ، ويفسد الأمن ، ويتقلبل الحكم .

ورث الغوطيون عن آباؤهم معرفة تأثير الهواء في الزروع والأشجار ، وآخذوا عنهم أصول زراعة الارض واستثمارها ، ومعرفة تربتها واروائها ، وما يصلحها وما يضرها ، لا يخلون بشيء مما نقلوه عنهم ، وأساليبهم في ذلك سليمة في الجملة ، وقد تكون أقرب الى العمل من كثير مما اهتدى اليه العلم الحديث ، وصعب عليهم تطبيقه ، والانتفاع به حق المنفعة . رسخت في نفوسهم طرائقهم القديمة ، فمن الصعب ان تزين لهم طرقاً جديدة يتبعونها ، وندر من تعلم الزراعة من ابنائهم على الأصول الحديثة ، اكتفاءً بالذي ثقفوه عن أجدادهم .

فعلى عائق الحكومة ، والحالة هذه ، واجب تعليم الغوطين فيما تربو به ميكاسبهم ، وتعتقد فيه هناءتهم وناعم عيشهم . وعليها ان تقيم لهم المحابر والمشاتل والمناحل وحظائر الدواجن الى ما شاكل ذلك على ما يقضي به العلم المصري ، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها انماء الثروة العامة ، أن توجد للعاطلين أشهراً من كل عام ، عملاً

بقتاتون به . ولو صرفت العناية بالصناعات الزراعية ، ولا سيما تربية المواشي والنحل وتربية الدواجن والطيور اكثر مما عليه الحال الآن ، لكان للعوطة من وراء ذلك أرباح ثابتة لا يستهان بها ، تضاف الى ربيع أرضها وغاباتها ، فان البقر البلدي والماعز البلدي في العوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثيل في سائر أقاليم الشام ، لكثرة ما يدر من الألبان الجيدة . وهذه الأنواع من الضرع لا تعيش في غير ظلال العوطة ، ولا تستمر في غير مراعيها ومياها ، ويسقط النحل بما في العوطة من أشجار مثمرة وأزهار عطرية على غذاء شهي لا مثيل له في الأقاليم الأخرى .

كان في العوطة صناعات زراعية رابحة نازعتها صناعات أرقى ظهرت في اقطار أخرى ، فعملت تلك الصناعات او ضعفت ضعفاً محسوساً لقلة الصادر منها الى الاقطار المجاورة على الأقل ، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو هناك وليد الكيمياء الحديثة ، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الاوربية نتيجة لازمة ايضاً لانتشار الكيمياء ، وكما توقفت منسوجات القطن والكتان والحريز فبارت .

وقد أبقى لنا شيخ الربوة من أهل القرن الثامن في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) صورة استخراج العطر من ازهار العوطة ووردها ، قال : ان حرقته تلتقي على طرفات المزة وفي دروبها وازقتها كالزابل فلا يكون لرائحته نظير ، ويكون ألذ من المسك الى مدة انقضاء الورد . وذكر صنعة اخراجه بالكركات والانايق ، ورسم صورها وطرق استعمالها ، وما هنالك من كركبات أخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلاماء بل بوقود الحطب ، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وبزهر النيلوفر أو البان وزهر النارنج والششقيق والهندباء او بورق القرنفل .

قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالبحجاز وما وراء ذلك ، وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والسند والصين والى ما وراء ذلك ، ويسمى هناك الزهر . وما أرخوه انه كان لقاضي القضاة الحنفية ولأخيه قطعة بأرض تسمى شوب الزهر طولها مائة وعشرون خطوات ، وعرضها خمس وسبعون خطوة ،

باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم ، وذلك سنة خمس وستين وستائة ، وهذا لم يسمع بمثله .

وفي العهد القديم أيضاً كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد في غيرها ، فقد ذكر القرماني أن في «عقربا» العنب الزيني الذي لا نظير له ، واليوم ليست كذلك ، ولا يوجد هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا ، ويجود في مدينة دمشق وحدائقها انواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتموني وغيرهما ، وكان ينسب القماش الي عقربا ايضاً فبطل عمله فيها من قرنين على الأغل

روى البدرى في محاسن الشام انه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها اربع فواكه كالشمس والحوخ والتفاح والكمثرى ، وبها ما يحمل الثلاث واطلقت اللونان من الفاكهة قال : وهذا موجود الى يومنا هذا (القرن التاسع) فاني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض والاسود والاحمر ، رأيت بوادي النيربين شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود قال : وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم ، وذكر صورته كما هي معروفة الى اليوم .

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبئة من الحرير والمرعز وغيرهما تليق ان تكون كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها وتفوقها ، وقد نازعتها الألبسة الجديدة حتى كاد يقضى على انفع لباس اخترعته العرب في الدهر السالف ، وهو صالح لكل زمن لأنه لباس وغطاء ووظاء ، بقي البرد والحر وتجميل به الرجال والنساء .

متزهات الغوطة

في الغوطة عدة متزهات هام بها الشعراء وذكروها ، وحنوا اليها حنو الحبيب لحبيبه ، منها (سطرأ) و (مقرا) وفيها يقول عبد الرحمن ابن خطيب داريا وقد أحسن التورية :

خليء ان وافيتا الشام بكرة وعابنتا (الشقراء) والغوطة الخضرأ
فأ واقرأ عني كتاباً كتبه بدمي لعم (مقرا) ولا تنسيا (سطرا)

و (الشقراء) مطلة على المرج الأخضر وعندها اليوم طاحون يقال لها طاحونة الشقراء ، و (مقرا) المكان المعروف عند طاحون الشنان في شمالي شرقي البلد . و (سطرا) عند جامع منجك قرب برج الرؤوس من ناحية الشرق ، وكان (البلكي) منزهاً حسناً بين سطرا ومقرا . روى البديري ان الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت أشجارها ، وبوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ، وبعلقون قشور النارج موقدة في الأشجار ، ويضربون الخيام في بستان الحاجب ، ويقطعون فيه أياماً وأوقاتاً من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها .

قال ابن طولون الصالحى : أعظم متنزهات دمشق (الريوة) كان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها (التخوت) وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الابوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به ، وكان بها خمسة مقاصف^(١) اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه ، وكان بها (العاشق) و (المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى (العذول) . وقال : انها خربت ثم عمرت وهكذا مراراً ، وفي عهده بقيت مأوى للوحوش قال بعضهم :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما بردا (وبان يامي) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (فتوات) والعذول حكي (ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مفتية (بالجنك) جاوبها شباة كم بها من (عاشق) سهدا
فالبدر (جبهتها) والدف (ربوتها) وخطها مات في (خلخالها) كمدا
و (الخلخال) و (العاشق) و (المعشوق) و (الجنك) و (الجبهة) و (الدف)
كلها من متنزهات دمشق في غربي المدينة .

(١) التصف : الهم والاب على الطعام والشراب ، والتصف محله وكانت القاصف قبل ان تكون المقاهي وكلاهما يقشاهان .

يقول ابن طولون : وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان كان فيه سمان وشرائح
ومقاصني وقد خربت ، وشرقها في الطريق المذكور (الجبهة) على حافة نهر بردى له
مسجد ودكاكين ومقصف ، وظل الدف والجنك معروفين الى القرون الأخيرة
فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية^(١)) من متزهات الصالحية
وقال انه مرّ أيضاً في طريقه الى الربوة بالنيربين والجنك والدف والميطور وهي
أسماء متزهات . وقد مدح الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله :

قصر الأمير بوادي النيربين سقى رباك عني من الوسمي مدرار
كم مرّ لي فيك أيام هواجرها أصائل ولياليهن أسحار
حيث الشيبية بكر في نزارتها وللصباية احلاف وأنصار
حيث الرياض تغنني حمائها (بالدف) و (الجنك) و (الميطور) لي جار
حيث الحمائل أفلاك بها طلعت زهر من الزهر والندمان أقمار

وتشوق ابو الحاسن الشواء الحلبي الى متزهات دمشق ، ومنها ما دثر اسمه

اليوم بقوله :

عاطياني حديثاً (سطرًا) و (مقرا) وابسطالي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشرب كأسات خمر شغلتنني عنهن كأسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت لهما) بلهو وعلونا (بالقصر) و (السهم) قصرنا
ومررنا (بدير مران) نشدو فيه نظماً وتسجع الورق ثرا
نثفيا مابين (الارزة^(٢)) والقا بون دوحا يبدل القيقظ قرا
إن عندي يا (بيت أبيات) و (السيه لون^(٣)) شوقاً اليكما مسترا

(١) لم يذكر اسمها فيما أمامنا من الأسفار .

(٢) أرزة كانت الى القرن العاشر موجودة كما قال ابن طولون .

(٣) بيت ابيات حارة كانت غربي الصالحية - قاله ابن طولون الصالحية - ولم يذكر في الراجم اسم

(سيلون) وسيلون اليوم بستان مطلق على الربوة من أرض الازرة وهو ملك سمو الامير يوسف كمال .

بأبي (برزة) فكم قد برزنا
يا خليلي ساعداني واني
خبراني عن (القصير^(١)) و(حرنا)
(معربا) و(الدرج^(٢)) و(التل) جننا
و(مئين) بها مناي فمن لي
فتنايا على (الثنية) قصا
علافي (بكفربطنا) و(جديا)
واسألا لي عن (جوير) ثم (جر)
واكم بين (دومة) و(حرسنا)
ودّ جفني ان لو غدا بين (يروى)
(فلقابين) بات قلبي مشوقا
(يزمكا) و(عين ثرما) و(سقا)
لي رياض كأثبن السما
ثم قصا علي أخبار (أشفا)
فلنا حولها مطارح لهو
(حلفبانا) و(بيت قوفا) و(بي)
اتحي حيثما توجهت ظللا
ولنا تحت دوحها حرم نا
(مجبجيرا) و(تلفياتا) و(دير البا)

(١) في ضرب الحوطة ان القصير غربي كمرسوسية

(٢) مرابا والدرج وحرنة ومئين والثنية ثنية العقاب من قرى جبل سنير أي قاموق، شمالي النوطة.

(٣) ان كلمة كتار ويروي اسم قرينين أو متزهين من متهذبات النوطة على ما يظن .

(٤) أشفانية لم تتحققها ولعلها شقونية أو اشفونية من قرى المرج

(٥) من القرى التي لم تعرف لها ذكراً فيما لدينا من الكتب .

دمن لو أقيس حسن دماغها بسواها لجئت شيئاً نكراً
 واذكرا (عقربا) و(دير العصاة) ير^(١) لسلمي ان شيئاً ان تسرا
 قالى (بيت رانس) والى (دير النوا) طير^(٢)) هزني الشوق سكر
 ولنا (بالبلاط) أوقات أنس نجتليها مجملات غمراً
 كم فتكننا بالهم فيها وأوسه ناصروف الزمان هجراً وهجراً
 وشبهنا من روض «راوية» نه حة ريج أذكي من المسك نشرا
 باليالبي «بكفرسوسية» كانت وهي «بالزة» الأنيقة زهرا
 وبك عودي لا اخضر عودي ان ره ت مدى الدهر عن جنابك صبرا
 فسقى واكف الحيا ربوة ذا ت قرار يهي ليالبي عشرا
 جاء في محكم الكتاب لها وصف ف فماذا يقول من قال شعرا
 ومن منزهاات الغوطة [السهم] وهو متصل بأرض الصالحية قال البدرى في
 محاسن الشام: وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري بهدير
 كالبحور، وفيه يقول القيراطي:

دمشق بواديهها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها المم
 على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها [نصيب] [ولاسهم]^(٣)

قلنا: ان من منزهااتها الخللخال، وكان هو والمنبيع محلين، وفي محلة الخللخال
 سويقة وحوانيت وفرف وحمام وهي مسكن الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك
 المنبيع والشرفان وبه تدق طبلخاناتهم وبها زاويتان، وفي المنبيع محلة وسويقة وحمام
 وافران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يير بصحنها نهر بانياس ونهر
 القنوات على بابها ويجوارها دار الأمير ابن منجك [قاله البدرى] يتبع

(١) من قرى المريج (٢) قرية أو منزهة لم نزل له ذكر في الكتب .
 (٣) السهم من منزهاات دمشق والغالب أن اسمه نصيب هو منزهة أيضاً ولكن ليس له ذكر فيما
 رجعتنا إليه من المصادر، ونصيب قرية من قرى حوران .

مخطوطات ومطبوعات

ديوان الشبيبي

أذكر ان السيد محمداً رضا الشبيبي هبط دمشق الشام سنة ١٩٢٠ ، وأقام بغرفة 'تطل على شجرات شارع جمال باشا الذي سمي بعد انزعاج الترك عن الشام : شارع النصر ، وقد كنت أزوره في تلك الغرفة وأتمتع بسهولة خلقه ، وهدوء طبعه ، واني لني زيارته في يومٍ من الايام اذ مررت بالشارع صرمة من الابل يحدوها فتى أعرابي ، فوعدت عين السيد الشبيبي على تلك الابل فانحدرت دموعه على خديه ، فبلغ مني العجب كل مبلغ ، ولكني لم أسأله عن بكائه ، ولم يستطع ان يكتم سبب البكاء ، فقال : أتعرف لماذا أبكي ؟ اني لما رأيت هذه الابل ، ذكرت العراق وإبل العراق وصحراوات العراق ، فاشتد بي الحنين الى الوطن فبكيت .

اذا شاء القارئ ان لا يجد في هذا الخبر شيئاً ذا بال فله رأيه ، غير اني لا استطيع ان امرم بمثل هذا الخبر من دون ان اجعل له صلة قوية بشاعرية السيد محمد رضا الشبيبي ، فان تلك الدموع المضطربة على خديه كانت لي عنوان شعره ، ولم اعجب بعد ما رأيت من فرط رفته من ان يكون ديوانه مرآة صادقة تعرض علينا ما تعاقب على العراق في خلال ثلاثين سنة من احداث ، وما تقلب فيه من آلام .

وسواء آكانت هذه المرآة تعرض علينا صورة الحماسة ام الاجتماع ام الاخلاق ام الوجدان ام الوصف او الرثاء فانها مرآة من العصر الذي عاش فيه المجتري وأمثاله ، على صورها رقة ذلك العصر ، وعذوبة تلك الأيام ، والذين يرون في زمننا هذا ان الشعر العربي قد مات او كاد يموت فاني اقول لهم : طالعوا ديوان

الشبيبي ، فان الشعر العربي النقي الديباجة ، الطاهر الغرض ، لا يزال حياً ، ولا تخلو هذه النقاوة وهذه الطهارة من كثير من البساطة ، والبساطة انما هي عنوان العظمة في كل شيء ، وقد فطن السيد الشبيبي الى فضلها فقال :

متى خيروني في الكلام ونسجه رصيتُ بسيطُ القول لم أتأنيق
ولماذا لا اذكر نموذجاً من هذا الشعر :

يارا كبين الى دمشق تزودوا	منا السلام ، لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام ، كأنه	جسد ، دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطين لأهلها	ولرائديها مبرقع ومراد
وهل الربا حل ضواف طررت	وطرازها الازهار والأوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف	خضر الأديم ، وفوت أبراد
بين الغصون ومن مشين تشابه	في الحال ، كل مورق مباد
تلك القصور كأنهن قلائد	فوق الشطوط كأنها اجياد
أوما تزال على معاهد جلق	ترد الضيوف ونصدر الوراد

* * *

هذا هو الشعر الذي اذا قرأته فانك تشعر بأنك تقرأ شعراً عربياً عليه آثار بيان العرب وأسلوب العرب وتصوير العرب ، فلا عجمة في هذا البيان ، ولا غرابة في هذا الأسلوب ولا رطانة في هذا التصوير .

شفيق جبري



كتاب الذخيرة أيضاً

في مثل هذه الايام من العام الماضي علق البصر بهذا السفر النفيس لابن بسام فسرحت الطرف في فهرسه ألتهم موضوعاته وانا لا اكااد اصدق من فرط السرور ان الزمان سيسمح بنشر هذا الكتاب . وقفت عند رقم يتعلق بالامام ابن حزم الذي كنت انتهيت من اصدار كتابي عنه قبيل ذلك ، فقرأت متثبثاً ما ذكر عنه ابن بسام ، فوقفت عند بعض التصحيف وما طالعت ما كتب في التعريف بالكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي احسبت ان ارفع ما عن لي من ملاحظة الى الأساتيد الأجلاء الذين فرغوا انفسهم لخدمة هذا الأثر الجليل ولحضراتهم الفضل :

١ - في ص ١٤٤ هذا البيت :

كأنك بالزوار لي قد تنادروا وقيل لهم اودى علي بن احمد
ولا معنى فيه لـ [تنادروا] والصواب : [تبادروا] بالباء كما في ارشاد الأريب
ونفح الطيب [ترجمة ابن حزم]

٢ - في ص ١٤٥ :

هنالك تدري ان للبعد غصة وأن كساد العلم آفته الغرب
والصواب كما يتمتضيه السياق وكما في المصدر السابق :

هنالك تدري ان للبعد قصة وان كساد العلم آفته القرب

٣ - أرجح ان [تشوقوا] في قوله ص ١٤٥ :

فوا عجباً من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب
محرفة عن [تشوفوا] بالفاء بمعنى اشرأبوا ، وهو ايجاد .

٤ - لم اجد معنى مناسباً لكلمة [سغب] الواردة في قوله ص ١٤٦ :

وان رجلاً ضيعوني لضيع وإن زماناً لم انل خصبه سغب

والصحيح ما في ارشاد الأريب : وان زماناً لم انل خصبه جذب

٥ - وكذلك كلمة (ميقعة) في قوله ص ١٤٦ :

ذوالفضل كالتبر طوراً تحت ميقة وتارة في ذرى تاج على ملك
والميقعة - كما في القاموس - خشبة القصار يدق عليها ؛ والمطرقة ؛ والموضع
الذي يألفه البازي والمسن الطويل . وليس لأحد هذه المعاني مناسبة في البيت .
وانما الصواب : «تحت متربة» كما في نفع الطيب

٦ - في ص ١٤٢ : «جهله بسياسة العلم التي هي اعرض من ايمابه» والذي احفظه :
«اعوص من ائقانه»

٧ - في ص ١٤٢ : «ابوه الوزير المعقل في زمانه» ولم ار مسوغاً للتشديد لأن
[المعقل] بالتخفيف اسوغ .

٨ - في ص ١٤٢ : «فما من شرف الا مسبوق عن خارجية» ولعل صوابها :
فما من شرف إلا مسوق عن خارجيته : كما في ارشاد الأريب [ترجمة ابن حزم] .
٩ - لعل الأولى في كلمة [رحم معقومة] المذكورة في ص ١٤٢ ان يقال :
«رحم معقوفة» بالقاف لا بالميم

١٠ - ضبطوا في ص ١٤٤ [تخرقوا] بفتح فسكون ؛ وانما الفعل بالمعنى المذكور
رباعي لا ثلاثي ؛ فالصواب : [تُخرقوا] بالضم فالفهم فسكون .

١١ - في ص ١٤٣ : «الفصل بين اهل الآراء والنحل» والمعروف من المصادر :
«الفصل في الملل والأهواء والنحل» والكتاب مطبوع متداول . وكذلك كتاب
«كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس» صواب [ما] ان
تكون [لما] .

هذا ما لفت نظري في الصفحات الخمس المتعلقة بابن حزم . وقد اعجبني الاعجاب
كله كلمة الدكتور طه حسين في ختام مقدمته :

هناك نصوص لم تستقم لنا ولم نوفق الى اقامتها ، ومن الجائز بل من الراجح
ان تكون هناك اغلاط قد صمرت بنا أو مررنا بها فلم نود ان تكشف لنا عن

نفسها ولم نستطع نحن ان نكشف لانفسنا عنها . ولكن الانتاج العلمي مشاركة
كله ، بل أخص صفاته انه تعاون بين المنتجين والمستهلكين كما يقول اصحاب الاقتصاد .
فليصلح القراء ما فات الناشرين ومن يدري لعلمهم ان يضطروا في كثير من
الاحيان الى ان يصلحوا ما فات المؤلف نفسه . والمهم ان نعمل وان نسعى
جهدنا الى الخير وعلى الله قصد السبيل»

ان هذا الكلام لا يقوله الا الاثبات الثقات من العلماء الذين كثرت معاناتهم
لآثارنا ونصيحها ، والذين استطال تجرهم وتدقيقهم . واني بعد لشاكر لكل من
ساهم في هذا العمل المجيد أخلص الشكر ، مكبر لهم غاية الاكبار .

سعيد الافغاني



الآداب الاسلامية

تأليف السيد علي فكري في ٢٥٥ صفحاً

طبع في مطبعة عيسى الباي بمر سنة ١٩٣٧ م

كتاب لطيف الحجم حسن الطبع ضمنه مؤلفه الفاضل أم ما يحتاج اليه المرء في دينه
ودنياه من الآداب الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة . وقد جعل الاستشهاد فيه مقصوراً
على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة : فكان اول ابوابه ادب المرء مع
الله تعالى ثم مع رسوله صلى الله عليه وسلم وولاية الأمور والوالدين والاقارب والجار
والصاحب وسائر الناس : كيف يزورهم ، ويمجالسهم ، ويؤاكلهم : فهو
بذكر الآيات والاحاديث الواردة في ادب من الآداب ثم يفسرها موجزاً تارة
ومسهباً أخرى . ويعلق عليها من عنده احياناً تعليقاً فيه سهولة وفيه لين في التعبير
بجيث يفهمه حتى عامة الناس . مثال ذلك تعليقه في موضوع الصدق قوله [فالتزم

أيها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تفتش الكذب حتى لا تكون الفاجر الاثيم ، والكذاب المهين . واجعل صفحتك بيضاء نقيية ، ومكائتك في المقربين عليه ، ولقد صدق الشاعر في قوله :

واكرم الآداب صدق المنطق اكرم به اكرم به من خلق

اعدل شاهد على الصلاح اقرب منهاج الى الفلاح

ولم يستشهد المؤلف في كتابه الا بقليل من الشعر على نمط ما سمعت من هذين البيتين . ومن الشعر الذي استشهد به قصيدة ابتهالية في الحث على عبادة الله للشاعر اللبناني المشهور [الشيخ ناصيف اليازجي] وقد جاء في هذه القصيدة قول الشاعر [واطلب رضاه فانه لا يحقد] والقول ان الله تعالى لا يحقد على عبده المذنب تعبير مسيحي كان ينبغي للمؤلف ان يذبه اليه في ذيل الصفحة : لان وصف الله بالحقد ونفيه عنه لم يردا في الشرع الاسلامي كما لم يرد وصفه سبحانه بالحسد . بخلاف ماورد مثل الغضب والانتقام مثلاً فان الله يوصف بها ولكن لا يقاس عليها غيرهما مما لم يرد .

وفي الكتاب اغلاط لغوية قليلة : من ذلك ما في ص ١٢ [دين الملة الخفية السمحاء] وصوابه السمحة وفي ص ٤٥ [ان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم رجل يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره] فقوله وتهذيبه صوابه ان يقال مكانه [وتعزيره] بالراء وبالزاي وكلاهما بمعنى التعظيم والتوقير ، وفي ص ٤٧ قوله [ومكالمتكم معه] صوابه ومكالمتكم اياه او له على ان التكليم هنا افصح من المكلمة وغير ذلك مما تحملنا قلته على شكر المؤلف الفاضل واكبار عنايته في ابراز هذا الأثر المفيد ، فنلفت انظار الآباء والمربين اليه .

الحضارة الاسلامية

في القرن الرابع الهجري

تأليف آدم متز وتعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة طبع على نفقة بيت المغرب
الجزء الأول في ١٩٥٢ الجزء الثاني والجزء الثالث في ٣٨١ صفحة
مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

كان مؤلف هذا الكتاب من أساتذة جامعة بال في سويسرا كتب كتابه
بالألمانية ونشر بعد وفاته «١٩١٧» ثم نقل الى الانكليزية والاسبانية وتقدم احد
مدرسي كلية الآداب بالقاهرة الاستاذ بوريدة ونقله الى العربية بلغة راقية راداً
فيه نصوص المؤلف الى الاصول العربية التي اخذ عنها من الكتب العربية القديمة ومعتمداً
على نحو اربعين تأليفاً عربياً حفظت في خزائن الكتب في باريس وليدن ولندن
وبرلين وليبسيك ومونيخ وفيينا مما لم يكتب له ان ينشر بالطبع ، وهو عمل شاق
قام به الاستاذ الناقل احسن قيام .

وموضوع الكتاب من اجل الموضوعات المفيدة للباحثين من ابناء الشرق والغرب
في هذه الحضارة الاسلامية العجيبة ، تناول المؤلف كل ما رآه مهماً في جلاء
حقائقها فتكلم على المملكة وعلى الخلفاء والامراء وابناء الزمة من النصارى واليهود
وعلى الشيعة ، وعرض للإدارة والوزارة والوزراء والمسائل المالية ورسوم دار الخلافة
والاشراف والرقيق والعلماء وعلوم الدين والمذاهب الفقهية والقضاة واللغة والادب .
وفاض في الجزء الثاني في خدمة العرب لفن الجغرافيا وما حدث من التطورات
في الدين والأخلاق والعادات ومستوى المعيشة واحوال المدن والاعياد والحاصلات
والصناعات والملاحة النهرية والبحرية والمواصلات البرية .

كل ذلك بأسلوب الافرنج الراقي في التأليف ، بأتمك بالنصوص وقد سلكها
في سلك بديع ، وما رأى ان يدخل شخصه وبين رأيه الاعتدال عند الضرورة ، ولئن

كان المؤلف لم يواته الاجل لاعادة النظر في كتابه ونشر بعده قبل ان ينقحه
 ويزيد وينقص فيه، إنه من خير ما كتبه الغربيون في هذه الحضارة تشهد فيه مسحة
 جميلة من الانصاف ومعرفة ثاقبة في ايراد الحقائق من دون عصبية ولا عنجبية ،
 وهذا قل ان يشاهد فيمن يكتبون في غيرهم من امم الحضارة الحديثة . قل
 في الناس من ينصف غيره من نفسه ، ولذلك كان معظم من كتبوا فينا من اهل
 الغرب كانوا اما مفرطين في كليل المديح لنا كيلاً وإما مغرضين في محاسبتنا على
 النقيير والقطمير بدون انصاف ولا قسط ؛ اما آدم متر فتمط جديد فهو الهدوء والكمال
 والخلق والعلم .

ان هذا الكتاب من ابداع ما يقتنيه العربي ليقف على اقوال الباحثين في
 مدينة اجداده ، والشكر للمعهد الخليفي وللجنة التأليف على اختيارهما هذا الكتاب
 لنفع الناس . ومعظم الثناء يتوجه الى الاستاذ الناشر ولا يبعد ان يكون عانى
 من التعب في نقل هذا السفر البديع اكثر مما تعب المؤلف في جمع مواد كتابه ،
 أنابهم الله كلهم عن العلم .

محمد كرد علي

مجلة مجمع البحوث العربية

الجزء السادس حزيران سنة ١٩٤١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ ١٨٧

صفحات مطوية

عنيت منذ سبع سنين بوضع تاريخ لمدينة صفد عاصمة إحدى الممالك الشامية في دولتي المماليك المصرية واستمعتُ على ذلك بالعالم المصري أحمد تيمور باشا الذي توفاه الله في سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م فأعاني بكتبه وخزائنه الغنية وقيد لي بيده الكريمة شتى الفوائد مما سأذكره له في مقدمة التاريخ عند تمثيله بالطبع. أما ما أريد نشره من الصفحات المطوية فهي أيضاً من فضل الاستاذ تيمور باشا رحمه الله وقد كان بحث يعرضها الي في عداد مواد تاريخ صفد والبعض الآخر في سياق الاخبار التي تلت فتح عكا الاخير واجلاء الصليبيين عنها لأنني أخذت بالعمل على اعداد المواد اللازمة لتاريخ عكا أيضاً. ولما كانت تلك الاخبار والتراجم المنقولة عن كتب مخطوطة تتلاقى بدمشق وما اليها رأيت أن في نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي فائدة لتاريخ البلاد لأن بعض هذه الاخبار لم يدون في التواريخ المطبوعة

عبد الله مخلص

من كتاب تاريخ الاسلام^(١) للحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ

من حوادث سنة ٦٩١ هـ ١٢٩٢ م

وفي جمادى الاولى دخل دمشق الملك الاشراف ثم صلى بجامع دمشق يوم الجمعة بالمقصورة ، وأسرجت له شموع كثيرة وخلع على الخطيب عن الدين الفاروقي ، واقام السلطان بدمشق عشرة أيام وسار الى حلب فدخلها في اواخر الشهر بالجيوش (١) تاريخ الاسلام للإمام الذهبي من أجل كتب التاريخ الاسلامي وقد أثار كثيراً من غوامض تاريخ دمشق خاصة ، مما أوجز الكلام عنه في التواريخ الاخرى ، وسنشر في جزء خاص من أجزاء المجمع ما جاء فيه عن تخريب المغول لدمشق سنة ٦٩٩ - ٧٠٠ للهجرة بتحقيق المنشرق المغربي الاستاذ يوسف صومني مع مقدمة له ممتمة .

وضيفه صاحب حماة وبالغ في الاحتفال وادخله الحمام . الى ان قال : وفي ثامن جمادى الآخرة نازل السلطان وجيوشه قلعة الروم وحاصرها شهراً وثلاثة أيام . وفي حادي عشر رجب فتحت قلعة الروم بالسيف عنوة ودقت البشائر وزينت البلاد وترحل السلطان وبقي عليها عسكر الشام والشجاعي لعمارتها وترميم ما تشعث بالمجانيق . وقدم السلطان حلب وعزل عنها قراسنقر المنصوري وأمر عليها سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري متولي الساحل وأمر على السواحل طغريل الابغاني وأمر على قلعة الروم الامير عز الدين الموصل . وفيه فتح الشجاعي الذكاك ، وهي معاقل الارمن على الفرات ، واخذ منها نحواً من الف نفس . وفيه بدت من الجبال المحقق معيد القيمرية هفوة في القدس ، فقام مدرس القيمرية صدر الدين بن رزين وشكاه ، وجرت امور اوجبت ان المحقق اسلم عند القاضي شرف الدين الحنبلي وحكم باسلامه وحقن دمه ، وترك اعادة القيمرية وقايض نجم الدين الدمشقي الى اعادة الرواحية . وفي تاسع شعبان دخل السلطان دمشق مؤيداً منصوراً والأمرى بين يديه منهم خليفة الارمن ، واما نائب السلطنة بيدرا وسنقر الأشقر وقراسنقر وبكنوت الهلائي وكثير من الجيش فسار الى بعلبك ثم الى جبل الجردبين (كذا) ووافاهم من جهة الساحل ركن الدين طقصو وعز الدين أيبك الحموي فنزلوا على الجبل فحضر الى بيدرا من قتر همته عنهم ، وتمكنوا من اطراف الجيش في تلك الجبال الوعرة ونالوا منهم ، فرجع الجيش شبه المقهورين ، وحصل للجبلين الطمع والقوة ثم هادنتهم الدولة وخلع على جماعة منهم وحصل بذلك للعسكر وهن . ثم قدم بيدرا دمشق فعاتبه السلطان فتألم ومرض وزاره السلطان ثم عوفي وعمل السلطان ختمة بجماع دمشق لعافيته . وليلة نصف رمضان توفي صدران كبيران موقعان عديماً النظير فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر ، ومن الغد توفي سعد الدين سعد الله الفارقي . وفي رمضان حضر الامير علم الدين الدواداري من حبس الديار المصرية الى دمشق وانعم عليه السلطان وأعادته الى الامرة وافرغ عن امواله

وحواصله ثم سار صحبة الركاب الشريف . وفيه ولي الخطابة دمشق^(١) موفق الدين محمد بن محمد بن جيش الحموي عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروقي فباشر يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان وحضر السلطان يومئذ بالمقصورة . وهرب الامير حسام الدين لاجين بسبب مسك الامير ركن الدين طقصور وخرج السلطان الى المرج في طلبه ونادت المنادية بدمشق علي الامير لاجين . وفي سابع شوال دخل الشجاعى بعسكر دمشق اترا من ناحية قلعة الروم وقد فرغوا من اشتغالهم . ويومئذ قيد الامير شمس الدين الاعسر وبعث الى مصر وعزل الشجاعى من نيابة دمشق بعز الدين الحموي ، وتوجه السلطان الى مصر في عاشر شوال بسحر ، وبات اهل الاسواق بظاهر البلد مرتين بالشمع الى ميدان الحصى . الى ان قال : وفي ذي الحجة قدم الشام نحو ثلثماية فارس من النصارى مقفرين وتوجهوا الى القاهرة . وفي أوائلها وقيل في اول سنة اثنتين احضر السلطان بين يديه سنقر الاشقر وطقصور فعاقبها فأقرأ انها عزمنا على قتله وان حسام الدين لاجين لم يكن معها فأمر بها فخنقا بوتر وافرج عن لاجين بعد ان كان الوتر في حلقه ، وقيل خنق وتترك بأخر رمق فشفع فيه بيدرا والشجاعى فأطلقه وانزل الآخران الى البلد فسلبا الى اهلها واهلك معها امرء منهم جرمك وسنقران والهاروقى .

سنة ٦٩٢

في المحرم حكم بدمشق القاضي حسام الدين الخنفي للضاكين بصحة نسبهم الى جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه بعد ان سعوا وتعبوا . وفي المحرم جاءت ريح عظيمة على الركب بمعان وبرد ومشقة . وفيه نزل لصدر الدين بن الوكيل حموة شيخنا تاج الدين بن ابي عصرون عن تدريس الشامية الجوانية . وفيه طلب السلطان من صاحب قلعة بيهنا ومرعش وتل حمدون ؛ اما

(٥) لعلها سقطت كلمة بجامع بين الخطابة ودمشق عند النسخ

بهسنا فكانت للناصر صاحب حلب وبها نوابه ، فلما اخذ هولاء البلاد كان في بهسنا الامير سيف الدين العقرب فباعها لصاحب سيس بمائة الف درهم وسلمها اليه فبقي على المسلمين منها ضرر فأذعن صاحب سيس بتسليمها واضعف الحمل مع ذلك وتسلمها نواب السلطان في رجب ودقت البشائر . وفي المحرم قدم الدواداري وجماعة من امراء الديار المصرية وعز الدين ابيك الخزندار متولياً نيابة طرابلس عوضاً عن سيف الدين ظفريل الايقاني . وسرح الى حلب ابن ملي فولى بعده تدريس الرواحية الشيخ كمال الدين بن الزملكاني . وفيها طهر السلطان أخاه الملك الناصر دام بقاءه وابن اخيه موسى بن الملك الصالح واحتفلوا لذلك بالقاهرة احتفالاً زائداً . وفيها عمل للسلطان دهليز جليل اطلس منركش بطراز وغرم عليه اموالاً عظيمة . وفيها ولي ولاية البريد بدمشق سيف الدين اسندمر في رجب . وحج بالناس الامير بكتاش الطيار . وفي صفر جاءت زلزلة هدمت وانكت في غزة والرملة والكرك . وسار من دمشق اميران وعدد من الحجارين والصناع لاصلاح ما تهدم من ابرجة الكرك . وفيها مسك الامير عز الدين ازدمر العلائي وقيد بدمشق وبعث الى مصر وتوجه من دمشق شمس الدين سنقر المساح بطلب الى مصر وجاء على خبزه بدمشق بلبان الجلي الخزندار . وفي ربيع الآخر توجه على البريد الى مصر صاحب حماة وعمه الملك الأفضل علي وجاء مملوك لسيف الدين طعجي بمرسوم بالحوطة على ابن جرادة فسك ونفذ الى مصر واخذ ماله ونكب . وفيه تردد عيارة الفرنج في البحر الى الساحل وشعثوا بانطرسوس وطلعوا الى صيدا . وفي جمادى الاولى عزم السلطان على البيكار وتقدمه الاعسر فيها اقامات ومؤنة من الناحية القبلية ، وقدم صاحب ابن السلوس في جمادى الآخرة ثم قدم بعده بيدرا نائب السلطنة ثم السلطان فنزل بالقصر . وفيه تسلم نواب السلطان حصنين للأرمن وهما كديربرت وابرما ثم تسلموا حصن بكازر وقد كان السلطان سيف مجيئه مرة بقلعة الشوبك وبالكرك ثم بعث جماعة لخراب قلعة الشوبك ثم خرج الى المروج .

وفي رجب دخل دمشق الامير حسام الدين لاجين وصحبته الامير مهنا بن عيسى واخوته محتاطاً عليهم وذكر ان السلطان أمر بالقبض عليهم عند سلبية لأمر تقمه عليهم . وفي اثناء رجب رجع السلطان الى الديار المصرية ، ودرس بعد الشيخ نقي الدين بن الواسطي بمدرسة الشيخ ابي عمر الفقيه شمس الدين بن التاج ثم عزل بعد ثمانية اشهر . وفي رجب سافر طوغان نائباً عن قلعة الروم . وفي آخر رجب انكسفت الشمس وصلى بجامع دمشق خطيبه موفق الدين الحموي وخطب . وفي رمضان جاء الى دمشق مرسوم بالزام الدواوين ^(١) بالاسلام ومن امتنع يؤخذ منه الف دينار فأسلم اربعة في ثامن رمضان . وفي شوال بلغنا ان السلطان صادر الامير عز الدين الافرم ابيك وضيق عليه واخذ منه اموالاً كثيرة واعطى خبزه للامير حسام الدين لاجين المنصوري .

سنة ٦٩٣

في ثاني عشر المحرم قتل السلطان الملك الاشرف بتروجه اقدم عليه نائبه بيدرا وعطف عليه بالسيف لاجين ، ثم قُتل بيدرا من الغد وحلفوا للسلطان الملك الناصر محمود بن المنصور ، وهو يومئذ ابن تسع سنين ، وهلك صاحب ابن السلغوس تحت العقوبة المفرطة الخ .

من كتاب تاريخ الدول والملوك لمحمد بن عبد الرحيم

المعروف بابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الامبراطورية في وينا بالنمسة »

في حوادث سنة ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م

ورحل السلطان « الظاهر ييبرس » من صفد متوجهاً الى دمشق فنزل بالجسوره وأمر بأن العساكر لا تدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس ، ودخل

(١) لها سقطت كلمة عمال قبل الدواوين والمفهوم العمال غير الملحين

دمشق جريدة ورسم بتوجه الملك المنصور صاحب حماة مقدماً على العساكر الى
سيس ووصاه بما يعتمده وجهه ، وفي ثالث ذي القعدة من هذه السنة توفي كرمون
آغا ، وفي ثامن انعم السلطان على امرء دمشق وقضاها وارباب المناصب بالتشريف
ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به وازال
صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين قال الله تعالى « في بيوت اذن
الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلاة ،
وفي عاشر ذي القعدة الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف
ظلمات الناس والتوقيع على القصص بدار السعادة وتوجه السلطان الى عذراء
وضمير متصيدياً وما أحضر احد صيداً الا خلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقية
وفرغت الخلع فاطلق السلطان لهم دراهم .

من كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين

خليل ابن ابيك الصفدي المتوفى سنة ٥٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م « نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة »

ترجمة علاء الدين طبرس الوزيري

طبرس الامير الكبير الحاج علاء الدين الوزيري صهر السلطان الملك الظاهر
توفي بمصر سنة تسع وثمانين وستائة ، وكان كثير الصدقات قليل الأذية أوصى
بثلاثمائة الف درهم لنفق في الجند الضعفاء ، ووصفه الشيخ شهاب الدين ابو شامة بكل
قبيح فقال وفي ثالث القعدة سنة ستين وستائة وصل من مصر الى دمشق
عسكر مقدمة الامير عز الدين الدمياطي وبكر الدخول الى دمشق فخرج الناس
يتلقونهم ومعهم الحاج علاء الدين طبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق فلما وصل
اليه ليكارشه على ماجرت به عادة الملقين قبض الدمياطي بيده الواحدة على عضد
طبرس الوزيري ويده الأخرى سيفه وانزله عن فرسه واركبه بغلاً وشدّه عليه
ثم قيده وتوكله بمصلى العيد ، فلما دخل الليل عليه وكل له به وسيره الى مصر وهرب

أصحابه ثم استخرجت امواله التي بدمشق بعد ما سير منها ما كانت سير مع العرب وقبضت حواصله وكان الحاج طبرس قد اهلك اهل دمشق باخراجهم من بلدهم والترسيم على اكبرهم باخراجهم عيالهم وانفسهم واهانهم وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق وتخويف الناس من التتار فكان البدوي يجلب الجمل ويبيعه بأضعاف قيمته ويشترى به الغلة رخيصة لأن الناس يحتاجون الى السفر الى مصر .

وله ترجمة بالمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م لا تختلف عن هذه الا بأن وفاته ذكرت بأخرها بدل ذكرها بالأول .

من كتاب الاعلام بتاريخ الاسلام

لأحمد بن محمد قاضي شعبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ ١٤٤٧ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الاهلية في باريز بفرنسة »

ترجمة القونوي

سليمان بن علي بن امين القونوي الحنفي قال ابن رافع سمع متأخراً من قاضي القضاة علاء الدين القونوي ودرس بالاقبالية ، توفي في ذي القعدة سنة ٧٦٨ ودفن بمقابر الصوفية وخلف ثروة .

عبد الله مخلص

القسم في القرآن

القسم : ضرب من ضروب التوكيد والتوثيق يؤتى به لتقوية الخبر وتحقيقه ، ومعلوم ان القرآن الكريم جاء على اسلوب كلام العرب ومناحي خطابهم ، ولذلك جاء فيه اقسام متنوعة في مواضع شتى ، لتوكيد ما نقضي الحال بتوكيده من الأخبار ، لتقريرها في النفوس ، وثبوتها في الأذهان . وقد جاء القسم فيه على ضروب شتى : فمن القسم بذاته تعالى وصفاته الى القسم بأظهر ما يقع عليه الحس ، او بذكره العقل ، من نماذج البدائع الكونية ، الدالة على عظمة المبدع ، وبالغ حكمته ، فأقسم بالسماء وما بناها ، وبالشمس والقمر ، وسائر السيارات ، والثواب ، وبالليل والفجر ، والصبح والضحى والنهار ، وبالعصر ، والليالي العشر ، والشفع والوتر وبالارض وبحارها وجبالها ، والتين والزيتون والبلد الامين ، والبيت المعمور ، وبالرياح المرسلات والذاريات الناشرات والسحب والأمطار والنفوس وما سواها ، وبالوالد وما ولد ، وبجياة الرسول الكريم ، وبالقرآن العظيم ، وباليوم الموعود ، وبالقوى الروحانية الصالحة ، وبالقلم وما يسطرون ، وبما يبصرون وما لا يبصرون . اما الامور المقسم عليها فلا تكاد تخرج عن اصول اربعة :

- ١ - تثبيت اساس التوحيد وترصينه .
 - ٢ - تقرير أمر الرسالة والاشارة بصدق صاحبها .
 - ٣ - البرهنة على الحياة الأخرى وما يتصل بها من حساب فتواب او عقاب .
 - ٤ - ايضاح بعض التصرفات البشرية في هذه الحياة .
- وهذه كما تراها اسس الدين واراكيته ، وقد تكلفت التفاسير بايضاح المقاصد المختلفة في هذا الباب : كما ان بعض الاعلام افردته بالتأليف . وقد كنت - ابان قيامي بتدريس التفسير في جامعة آل البيت - رأيت ان الغصن زبدة ما وقعت

عليه من كلام الاولين ، في رسالة خاصة . مع اضافة ما عن لي من النقد والتجليل لبعض تلك الآراء .

وابرز ما عنيت به في رسالتي تلك البحث عن المناسبات بين المقسم به والمقسم عليه ، مما لم اوفق للوقوف على الكثير منه في كلام الأسلاف عليهم الرحمة .

ولا يخفى ان هذا النوع من التناسب يرفع من قدر الكلام ، ويزيد في روائه وبهائه . ولما كانت الانظار تتفاوت فيه والافكار تختلف ، رأيت ان انقل للقراء الكرام نماذج مما جاء في تلك الرسالة على سبيل الايجاز ، فمن ذلك قوله : (والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . . .) اقسام بالكوكب المنير الذي لا يضل السبيل ، وبه يهتدي السارون في ظلمات البر والبحر . ان النبي الكريم على اهدى السبل واقصدها . ومعلوم ان العرب تضرب الامثال بهداية النجم والاهتداء به . يقولون : فلان اهدى من النجم . ولا يضل حتى يضل النجم (وبالنجم هم يهتدون) فللمناسبة بين المقسم به وهو النجم عند انحداره في سيره على محيط دائرته ، والمقسم عليه وهو كون الرسول على انهج الطرق واقومها — ظاهرة جلية .

وقريب من هذا قوله : (فلا اقسام بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم . . .) .

فالنجم من اعلام الاهتداء في الماديات ، والقرآن علم الهداية في المعنويات ، كما ان النجم يضرب به المثل في الرفعة وعلو المنزلة ، وكذلك القرآن فانه في المكانة التي لا تسامى ؛ ومواقع النجوم : مجاريها في دوائرها ، او ما بينها من الابعاد المناسبة . ويقرب من هذا قوله : (فلا اقسام بالخنس الجوار الكنس . والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم) فانه اقسام بالدراري التي تراها ونحن على الارض ، تجري مع الشمس ، ثم تراها كأنها راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ، واردف ذلك بالليل عند إدباره ، والصبح عند اقباله — على ان القرآن وحي ينقل بواسطة ملك شريف والوحي الالهي بمثابة النور يستضاء به لمعرفة مالا

تستقل العقول بادراكه (وانزلنا اليكم نوراً مبيناً) فالقسم بالنيرات ، على اثبات النور ، من المناسبة بمكان . ومعلوم ان الوحي يأتي حيناً دون حين ، وعند ظهوره تنجاب امامه دياجير الضلالة في المعنويات ، وكذلك النيرات في الماديات . والواقع ان ما يتلقاه الرسل من الوحي يتداوله اتباعهم على حقيقته حيناً من الدهر ، ثم يأخذون بالانحراف عنه شيئاً فشيئاً ، حتى تترامى الشقة بينهم وبين الاصل ، فيرسل الله رسولاً بوحى اليه مابه صلاح الفاسد ونقوم المائل ، وتجديد الدائر ، فيتلقاه أتباعه عنه على حقيقته . ثم — مع الزمن — يأخذون بالابتعاد عنه الى ان تقضي الارادة الالهية بارسال رسول بعيد امر الاصلاح الى نصابه ، مع زيادة ما يقضي الزمان بزيادته ! وهكذا . وبهذا تتجلى المناسبة بأجلى مظاهرها بين الوحي والنيرات التي تظهر حيناً فيهندي بها المهتدون ، ثم تختفي حيناً ، ثم تظهر وهكذا كما تضح المناسبة بين الوحي واقبال النهار ، لأن هذا للابصار ، وذلك للبصائر (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) .

فان قلت : اذا كان من ديدن اتباع الرسل — اذا طال عليهم الامد — الانحراف عن الجادة وسلوك بنايات الطرق ؟ فمن الضروري الاستمرار على ارسال الرسل ، فكيف نوفق هذا مع القول بأن محمداً (ص) خاتم النبيين ، وآخر المرسلين ؟ قلنا : ان ما أشرنا اليه كان والبشرية لم تبلغ من الرشد مكاناً علياً ، أما البعثة المحمدية فقد جاءت على حين ارتفعت مكانة العقل الانساني ، واصبح قادراً على القبض على زمام كثير من شؤون الحياة ، ولذلك عقد له القرآن الحكيم راية الزعامة ليسير في نوره الى حيث الكمال الانساني (والعلماء ورثة الأنبياء) —

وقال : (ن والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون . . .) كان المشركون يقولون للرسول الامين : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) فجاء الجواب بالسلب المؤكد ، فأقسم بأبسط عناصر القول ، وبأخص أدوات العلم ،

وبالعلم نفسه ، على تنزيه النبي الكريم عما رموه به زوراً وبهتاناً ، فحروف الهجاء أبسط عناصر القول ، والقلم من أوائل أدوات العلم ، ثم العلم نفسه . كل ذلك من خصائص الانسان العاقل ، فالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه اجلي من ان يحتاج الى جلاء .

وقال : (والضحي والليل اذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى . . .) اقسام بالضوء في شباب النهار ، وبالظلام عندما يضرب على الارض بجراحه انه لم يهمل أمرك أيها الرسول ولم يفضك . جاء هذا القسم على اثر تخلف الوحي عن الرسول الكريم ، بضعة عشر يوماً ، فاشتد حزنه (عليه السلام) واندفع اعداؤه بأراجيفهم فقالوا : « ان ربه ودعه وقلاه » ومن هنا نتضح المناسبه بين المقسم به والمقسم عليه ، فالصلة بين الضياء والوحي وثيقة ، بقدر وثوق الصلة بين الظلام وانقطاع الوحي ، وفيه اشارة الى ان الوحي وعدمه يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، فمن كان في الليل لا يأس من قدوم النهار ، ومن كان في النهار لا يتردد في مجيء الليل . وفي هذا تسلية للرسول (ص) وتبكيه للمرجفين من اعدائه .

وقال : (والذاريات ذرواً ، فالحاملات وقرأ ، فالمقسمات امراً ، ان ما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع . . .) اقسام بالريح التي تذر البخار فينقعدهم سحاباً ، ثم تحمله فتجري به في اجواز الفضاء ، وتوزعه على مختلف البقاع - على صدق الموعد من البعث والنشور والحساب والثواب او العقاب . وفي هذا تمثيل للبدء والعود ، فقطرة الماء بعد ان تفرق ذرات دقيقة ، وتبعثر في متابه الفضاء ، ترجع الى سيرتها الاولى من جديد فنحدر الى انهارها ، فبحارها ، وان طال عليها الزمن ، وكذلك حال الانسان (كما بدأكم تعودون) فالمناسبة ظاهرة .

ومثله قوله (والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشرأ ، فالفارقات فرقا ، فالملقىات ذكراً ، عذراً أو نذراً ، ان ما توعدون لواقع . . .) فالمرسلات

الرياح الطليقة والعرف التابع والعاصفات الشديدة والناشرات الرياح التي تثير ذرات الماء فتشرها في الفضاء (يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسطه في السماء) والفارقات : المقسمات . والرياح واسطة يستمد منها الانسان كثيراً من المعلومات الجوية ، فهي الملقيات ذكرا اي علما ، فالرياح هي التي تبشر بالمطر قبل نزوله (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) ، كما تنذر بكثير من العوارض الجوية ، فالمعلومات المستمدة من خواص الرياح منها ما يبشر بالخير ومنه ما ينذر بالشر (عذراً او نذراً) .

وجواب القسم قوله (انما توعدون لواقع) فالمناسبة ظاهرة على ما ألمعنا اليه آنفاً . ومن هنا نعلم ضعف القول المشهور من ان المراد بالمرسلات هنا طوائف الملائكة ، يرسلهن الله تعالى بأوامره فيعصفن في مشيهن عصف الرياح الشديدة ؛ وبطوائف أخرى تنزل بالوحي فتنشر الشرائع وتحيي بهن النفوس الميتة ، وبذلك تلقى على المرسلين علماً يكون عذراً للحقين او نذراً للمبطلين . وهذا القول - على شهرته - يأباه اسلوب العربية ، اذ لو اريد هنا الملائكة لجاءت الصفات بمجموعة جمع الذكور العقلاء كما هو المعروف في العربية والمعهود في القرآن نفسه . قال : (وترى الملائكة حافين) ولم يقل حافات . وقال : (الملائكة المقربون) ولم يقل المقربات . وقال : (والملائكة باسطوا ايديهم) ولم يقل باسطات ايديها ، فلو كان المراد بالمرسلات الملائكة لجاء بصيغة المرسلين ؛ وأما التأويل المشهور وهو ان المراد طوائف الملائكة فتكلف لا داعي له ، زيادة على ما فيه من ضياع للمناسبة التي اشترنا اليها .

طه الراوي

الغوطة

- ٣ -

أدب الغوطة

أعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون اليها في الجاهلية فردد شعراؤهم اسمها وفي مقدمتهم حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما زالت الغوطة في الاسلام يتغنى بها الشعراء ، ويعجب بها أهلها والقاصدون اليها حتى قال أبو بكر الخوارزمي : ان جنان الارض اربع : صغد سمرقند ، ونهر الأبله ، وشعب بوات ، وغوطة دمشق . قال انه زارها كلها فكان في رأيه فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن ، وقال : كأنها الجنة وقد زخرفت وصورت على وجه الأرض . وبالطبع لم يكن يومئذ ذكر لحدائق بلاد الغرب الآخذة بمجامع القلوب لجمعها بين الجمال الطبيعي والصناعي

بتألف من مجموع ما ورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة ديوان لطيف ، ومنه ما كان من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء مشهورين ، وأدب الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة منها الوصف والمعاطفة والتاريخ ، وأرض كلها شعر لا يستغرب فيها أن توحى الشعر للشعراء ويتغنوا بما خصها به الفاطر من البدائع ويخلدوها مجمعين على محاسنها .

ولا بأس ان تقتطف بعض باقات من تلك الازهار ونذكر بما طاب من جماع تلك الاشعار ، تقدمها متعة للنفس ، وذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات .

أطلق البحيري على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك الى عاصمة الشام وهي التي يقول في مطلعها :

العينش في ليل داريا اذا بردا والراح نمزجها بالماء من بردى

الى ان قال :

أما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفي لك مطربها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقا ويصبح التبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولي بعد جيبته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال الصنوبري :

امرئ (بدير مران) فأحيا واجعل بيت لهوي (بيت لهما)
وتبرد غلتي بردى فسقيا لأياحي على بردى ورعيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق يبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعد خذا ومن رمانة لم تحط ثديا
ونعم الدار داريا ففيها حلالي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى ظيبا فظيبا
هي الدنيا دمشق لساكنيها فلست أريد غير دمشق دنيا

قال ابن منير الطرابلسي من أهل القرن السادس

حيّ الديار على علياء جيرون^(١) مهوى الهوى ومغاني الخرد العين
مرآة لهوي اذ كفي مصرفة أعنة العيش في فيح الميادين
(فالنيربين) (فقري) (فالسريبر) (فجمه) رايا) فجو حواشي جسر (جسرين)
(فالقصر) (فالمرج) (فالميدان) (فالفه) عرف الاعلى) (فسطرا) (فجرمانا) (فقلبين)
(فالماطرون) (فداريا) (فجارتها) (فأبل) (فمغاني) (دير قانون)

(١) جيرون سيفة مستطيلة على عمد وسقايف وحوها المدينة تطيف بها — قاله في المعجم •
وفيه أن جيرون حصن قال : والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو باب الشرق
يقال له باب جيرون وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كبيرة في حوض من رخام وقبة خشب يلوهاؤها
نحو الرمح ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها •

تلك المنازل لا (وادي الأراك) ولا (رمل المصلى) ولا اثلاث (يبرين ^(١))
 واهماً لطيب غديات الربيع بها ويرد أنفاس أصال التشارين
 ويطيبيني ^(٢) لدار الروم ما شهرت (بدير مران) أعياد الشعانين
 أبدت دمشق ربيعاً جلّ صانعه يأتيك في كل حين غير ممنون
 والماطررون موضع قرب دمشق عدّ من بدائعها وتسب ليزيد بن معاوية قوله :
 ولها بالماطرون اذا أكل النمل الذي جمعا
 'خرقة' ^(٣) حتى اذا ربعت ذكرت من جلق يبعثا
 في قباب حول دسكرة بينها الزيتون قد ينعا
 ويستبعد ان يقول أمير المؤمنين يزيد هذا فانهم وضعوا عليه أشياء لم يفعلها ،
 ومنها بيتان قيل انه قالهما لما أصاب المسلمين سباً بأرض الروم وهما :
 وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقونة من حمى ومن موم
 اذا اتكأت على الأنماط مرثعاً بدير مران عندي ام كلثوم ^(٤)
 وقال العماد الكاتب كاتب صلاح الدين يوسف بن أيوب :
 اهدى النسيم لنا ريا الرياحين أم طيب أخلاق جبراني يجيرون
 هبت تنبه أطراي وتبعثها متي وتوجب للتمهيم ثمويي
 وما دربنا أ (داريا) لنا أرجت أم دار في دارنا عطار (دارين ^(٥))
 ورب هم فقدناه (بربوتها) ورب قلب أضعناه (بقلبين)
 لولا جسارة قلبي ما ثبت على الـ عبور من طرب في جسر (جسرين)

(١) وادي الأراك قرب مكة يصل ببيعة والمصلى موضع بينه في تحقيق المدينة، ويبرين من
 أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء
 وهجر مرحلتان وهو فيما بينها (ياقوت) (٢) في القاموس : طيّبته عنه صرفته وإليه دعوته
 كأطيبته (٣) الخرفة بالضم المخترف والمجتبي كالخرافة (٤) الموم البرسام وأم كلثوم امرأته والخذقونة
 أو الفذقونة بلد في الروم وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنة وعين زرية
 (٥) دارين فرصة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (ياقوت)

يصيبك (ميطورها) طوراً (ونيربها) طوراً ويوليك احساناً (بفحسين^(١))
 نعيمها غير ممنوع لساكنها كالخلد والمن فيها غير ممنون
 أهوى مقري (بمقري) والرياض بها للزهرا ما بين تفويف وتزبين
 هاجت بلابل قلبي المستهام بها بلابل الأيك غنتنا بتلحين
 تنلو (بسطرا) أساطير الغرام على صوامع الدوح ورق كالرهايين
 قمرها مقري؟ يشدو بنغمته آياً يعلمها من غير تلحين
 وختمها بقوله :

حرسنا في (حرسنا) العيش من شظف دوما (بدوما) على حفظ القوانين
 ولابن منقذ الكنفاني في وصف دمشق حاضرة الغوطة الكبرى وما اليها قصيدة
 مطولة جمع بها كل المحاسن ومما قال فيها :

وإذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
 ان كنت لا تطيع ان تتمثل ال فردوس فانظرها تكن متمثلا
 واذا عنان الالحظ اطلقه الفقى لم يلق الا جنة او جدولا
 او روضة او غيضة او قبة او بركة او ربوة او هيكلا
 او وادياً او نادياً او ملعبا او مذبناً او مجدلا او موثلا
 او شارعاً يزهو بربع قد غدا فيه الرخام مجزئاً ومفصلا
 وفواكه متخالف أصنافها مما يشوقك مطماً وتأملا
 مصفر تفاح بدا في أحمر يحكي المحب أقى الحبيب مقبلا
 والورد مثل الخلد يعلوه من ال ريحان صدغ شعره قد رجلا
 وينفسح كنفاضة من ائمد تيديه أجفان البكاء تذلا
 وتخال نور الباقلاء اذا بدا للواظ الأبصار طرفاً احولا

(١) لم نعرف قرية أو متزماً بهذا الاسم .

نشرت مطارفه وجاءك نشرها فحسبتها وشياً تارج مندلا
 ويهز مرئ نسيما أشجارها فتخال غادات تشكت إفكلا^(١)
 وعلت غصون خلافه محجرة وهفت بها ريج فضاقت مشعلا
 واذا البلابل اسمعت ترجيعها السالي تراجع وجده متبللا
 ومتى هوى ورق الغصون وجدته ذهباً وكان زمرداً لما علا
 وكان واديهما قراب اخضر يستل من بردى حساماً منصلا^(٢)
 وقال ابن عنين وهو بالهند يتشوق الى دمشق وغوطتها

حنين الى الأوطان ليس يزول وقلب عن الأشواق ليس يحول
 الى أن قال :

كان الثريا غرّة وهواءهم له من وميض الشعرين محجول
 ألا ليت شعري هل ايتن ليلة وظلك (يا مقرى) عليّ ظليل
 وهل أربني بعد ماشطت النوى ولي في ذرى روض هناك مقيل
 دمشق فلي شوق اليها مبرح وإن لجّ واش أو ألح عدول
 بلاد بها الحصباء در وترها عبير وانفاس الشمال شمول
 تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل
 فياحبذا الروض الذي دون (عزتا) سميراً اذا هبت عليه قبول
 وباحبذا الوادي اذا ما تدفقت جداول (باناس) اليه تسيل
 وفي كبدي من (فاسيون) حرارة تزول رواسيه وليس تزول
 اذا لاح برق من (سنير) تدافعت بسحب جفوني في الخدود سيول
 فله أياحي وغصن الصبا بها وريق واذ وجه الزمان صقيل

وعزتا او عزرة قرية من نواحي وادي بردى ربما كانت قرب الفيحة ، وقد

(١) الرعدة من الخوف أو البرد (٢) حسام متصل محرج من قرابه . م [٥]

أكثر الشاعر من ذكرها في ديوانه ، ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأَبصار:
 ان عين الفيحة تخرج من مكان تحت حصن عزنا فلعلمها هي التي بتغزل بها الشاعر .
 وقال : في روضة (بالنبرين) أريضة رضعت أفأوبق السحائب حَفَلًا
 أني اتجهت رأبت ماءً سايجاً متدفقاً او يانعاً متهدلاً
 وكأئما أطيأرها وغصونها نغم القيات على عرائس تجتلي
 وكأئما الجوزاء ألفت زهرها فيها وأرسلت الحجره جدولاً
 ويمر معتل النسيم بروضها فتخال عطاراً يجرق مندلاً
 وقال فتيان الشاغوري يصف أصول أنهار دمشق ويستفتح ببردى ، وهو من
 أهل القرن السابع :

كأن طيور الماء فيه عرائس	مجلين على شاطيه خضر الغلائل
إذا كرعت فيه تيقنت أنها	تزق فراخاً وهي زغب الحواصل
وكم سمك فيه عليه جواشن	من التبر صيغت وهو بادي المقاتل
جريح بأطراف الحصا فخريره	أنين له من جس تلك الجنادل
إذا قابل النهر الدجي بنجومه	أرانا بقعر الماء ضوء المشاعل
تغلغل في الوادي فوافي كقينة	منعمة حسناء ليست بعاطل
فعاقتها حتى انثنت مشمعة	نقل على ظهر الصفا بطن حامل

قال ياقوت وكان حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكر (جلق) ويصف
 كثيراً من نواحيها ، وجلق كحمص بكسرتين مشددة اللام وكتب دمشق او غوطتها .
 ومن أجل ما ورد فيه اسم جلق من الشعر القديم ايات لأبي فراس طراد بن علي
 السلمى الدمشقي المتوفى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وهي :

يانسياً هب مسكاً عبقاً هذه أنفاس ربا (١) جاقما

كفّ عني والهوى ما زادني برد أنفاسك الا حرقاً
 ليت شعري نقضت أحبابنا يا حبيب النفس ذاك الموثقا
 يا رياح الشوق سوقي نحوهم عارضاً من سحب عيني غدقاً
 وانثرى عقد دموع طالما كان منظوماً بأيام اللقا

ذكر الصلاح الكتبي ان هذه الايات اشهرت وغنى بها المغنون ، وروي عن بعضهم انه مرّ يوماً ببعض شوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة محمولتها تفاح ففجى من الشام فعبقت روائح تلك الحمول فأكثر التلفت لها ، وكانت امامه امرأة ، ففطنت لما داخله من الاعجاب بتلك الرائحة فأومأت اليه وقالت : هذه أنفاس ريا جلقا .

ومن قصيدة وازن بها عرقلة قصيدة أبي نواس (أجارة بيتينا أبوك غيور) مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها الى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الخصب جاء فيها .

عسى من ديار الطاعنين بشير
 لقد عيل صبري بعدم وتكاثرت
 وم بين اكناف (الثغور) متيم
 وم ليلة (بالماطرون) قطعتها
 سقى الله من (سطرا) و(مقرا) منازلأ
 ولا زال ظل (النيربين) فانه
 ويا (بردى) لا زال ماؤك بارداً
 أبي العيش الا بين اكناف جلق
 وقال عرقلة أيضاً :

أما دمشق فجنات مزخرقة
 للظالين بها الولدان والحور

ما صاح فيها على أوتاره قمر
يا حبذا ودروع الماء تنسجها

وقال :

تورق ورقُ الغوطين لواحظي
وأحبابنا ان كنتم قد عزمتمو
ولا تبعثوا طيفاً الى غير نائم
ونخل جسمي حب غزلان (جامم) ^(١)

وقال :

دمشق حبيت من حي ومن نادي
بارائحاً غادياً عزج على بردى
كم قد شربت به من ماء دالية
في جنب ساقية من كف ساقية
لها بعيني اذ ماست معاطفها
وحبذا حبذا واديك من وادي
وخلفي وحديث الرايح الغادي
في ظل دالية تنبيك عن عاد
كادت ثننى بقدر غير مباد
جمال مياسة في عين مقدار

وقال ابن الدهان الموصلى من قصيدة

نشوى تغنى لها ورق الحمام على
صفاها الشرب فاخضرت أسافلها
وصفق النهرو الاغصان قدرقصت
كأنما رقصها أوهى فلاندها
واعين الماء قد أجرت سواقياها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت

ومنها :

سما دوح ترد الشمس صاغرة
ترى البدور بها في كل ناحية
عنا وتبدي نجوماً في نواحيها
مدودة للنجوم الزهر ايديها

(١) جامم من قرى حوران ينسب إليها أبو تمام الشاعر العظيم .

اذا الغصون هز زناها لنيل جنىً صارت كواكبها حصباء ارضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة تخالها جمر نار في تظليها

وقال عين بصل الحرافي من قصيدة :

اما ترى الأرض اذ أبكى السحاب بها آذارها ضحكت اذ جاء نيسانُ
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت في الروض منه الى الأبصار ألوان
زمرت قصب فيها مركبة جواهر و بواقيت ومرجان
كأنما الورد خد الحب حين غدا له العذار سياجاً وهو ريحان
كأن منشورها اذ لاح مبتسماً جيش من الروم بانث منه صلبان
كأنما البان اهدى المسك حين بدا فعطر الكون لما أوردق البان
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى من الرباض فكل الكون نشوان
كأنما حمرة التفاح خد رشا لي في هواه عن السلوان سلوان
كأن نارنجها نار و باطنه ثلج وفيه لجين وهو عقبات
والطير تطرب بالعيدان نغمتها ما ليس يطرب بالأوتار عيدان
أبدت فنوناً فأفنت صبر سامعها بالنوح اذ حملتها فيه افنان
بلابل هيجت منا بلابلنا وهاج منا صبايات واشجان

وقال مجد الدين الاربلي بثشوق الى دهشق من قصيدة :

مواطنُ فيها [السهم] سهمي فكلنا نحت مطايا اللهو فيه وُنعنقُ
كلا جانبيه معلم بمجمد من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت بينه فهو مذهب وان محبتها دوحه فهو أزرق
وان فرّج الأوراق جادت بنورها قرَمٌ^(١) أجادته الاكف منمق
أطل عليه قاسيون كأنه غمام معلى او لغام معلق

(١) الرّمّ ضربٌ منمق من الوشي او الخز او البرود

تسافر عنه الشمس قبل غروبها وترجف اجلالاً له حين تشرق
وتصفر من قبل الأصيل كأنها محب من البين المشتت مشفق
وفي (التيرب) المرموق للبرسالب من النظر الزاهي وللبر مونتق؟
بدائع من صنع القديم ومحدث تألق فيه المحدث المتألق
رياض كوشي البرد تزهو بحسنها جدواؤها والنور بالماء يشرق
فن نرجس يخشى فراق فريقيه ترى الدمع في أجفانه يتفرق
ومن كل ريحان مقيم وزائل تضاعف رياه الرياح فيعقب
كأن قدود السرو فيه موائساً قدود عذارى ميلها يتفرق
إذا ما تداعت للتعانق صداها عيون من النور المفتح ترمق
وقصر بكل الطرف عنه كأنه الى النسر نسر في السماء محلق
زها بيديع الوشي حسناً كأنما مديح روض في نواحيه ملصق
وكم جدول جار يطارد جدولاً وكم جوسق عال بوازيه جوسق
وكم بركة فيه تضاحك بركة وكم قسطل في الماء الماء يدفق
وكم منزل يغشى العيون كأنما تألق فيه بارق يتألق
وفي (الربوة) السماء للقلب جاذب وللسمع اصمات وللعين مرمرق
فهام بها الوادي ففاضت عيونه فكل قرار منه بالدمع يملق
تمكفل من دون الجدول شرهها (يزيد) يصفيه لها ويصفق
إذا أشرف الولدان من شرفاتها رأيت بدوراً في بروج تألق
وفي (بردى) معنى يشوق ومنظر بروق ومأوى للسرور ومطرق
إذا أنت من أعلاه اشرفت ناظراً تحيل عنان الطرف فيه وتطلق
رأيت به بجرراً من الدوح مزبداً وغدرانه حيتانه منه ترمق
تميل مع الأفنان فيه كأنها

وتمتطف اعطاف الغصون حمامة اذا ما تغنت والغدير يصفق
وتجتمع فيه كل حسن مفرق وشمل الأسمي عن حاضربه مفرق
كأن رياض الغوطين جنوده يقسم فيها جوده ويفرق
وهكذا اجاد وأطال وذكر المزة وسطرا ومقرا وبيت ابيات وجسرين
وقل راهط وبعض شوارع دمشق وجامعها توفي سنة ٦٩٧

وقال ابن الصائغ العروضي (٥٧٢٢ هـ) يتشوق الى عاصمة الغوطة ايضاً ويذكر
أرياضها ورباضها بدأها بقوله :

لي نحو ربك دائماً باجلق شوق أكاد به جوى أتمزق
الى ان قال مخاطباً دمشق :

ولكم أحدث عنك من لاقيته وجميع من سمع الحديث يصدق
والأرض في عرض وطول دائماً لم يحو مثلك غيرها والمشرق
لله (وادي النيربين) وظله لا الرقتين او (رامة) و(الأبرق)^(١)
وسقى ديار (الصالحية) وابل يهي على تلك المنازل مغدق
و(السهم) ما فترت تغور أقاحه الا ودمع سمابه بترفرق
كم فيه من قصر منيف مشرف يبدو به قمر منير مشرق
(وبيت لهيا) لا تعداه الحيا ظل عليه من النضارة رونق
هو منزل آتاره مشهورة ولأهله عهد علي وموثق
وحباك بأطلال (جوهر) واصل غيث مربع مستهل مشفق
لله سرحة^(٢) ذلك الربع الذي تلي بيهم به وذاك الجولق^(٣)

(١) الأبرق في اللغة والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة اماكن تصاف الى
امكنة أخرى . ورامة منزل بينه وبين الرامة ليلة في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء المثل : تسألني
برامتين سلجاً . والرقتان تهيئة الرقة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقتان روضتان احدهما قرية من
البصرة والأخرى بنجد .

(٢) السرح شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال (القاموس) (٣) الشوك

والوادي الشرقي لا يرحت به ديم تسح ووبلها يتدفق
 فغياضه ورياضه كعيونه هذا يعوم به وهذا يفرق
 ولكم قطعت به زماناً لم أزل أشتاقه مادمت حياً أرزق
 في سكر (زبدین) الى (جسرین) كم حيا الحيا حياً عليه رونق
 فالواديان كلاهما الغربي والشرقي نزهة من يرفق يرمق
 أني اتجهت رأيت دوحةً ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق
 و (القصر) و (الشرفان) و (الثقراء) و (الميدان) عشقاً للذي لا يعشق
 فلکم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفرق
 فمخضب ومؤزر ومععم ومززر ومبرقع ومقرطق
 كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون بمنطق
 والريح تكتب والجداول أسطر خط له نسخ الربيع محقق
 والطير يقرأ والنسيم مررد والغصن يرقص والغدير مصفق
 ومعاطف الأغصان أنتمها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
 وكأن زهر اللوز أحداق الى الزوار من خلل الفصون تحديق
 وكأن أشجار الرياض مرادق في ظلها من كل لون نمرق^(١)
 والورد بالألوان يجلو منظراً ونسيمه عطر كسك يعبق
 فبلابل منها تهيج بلابلًا وكذاك أثواب الشقيق تشقق
 وهزاره يصبو الى شجوره ويجاوب القمرى فيه مطوق
 وكأنما في كل عود صادح عود حلا مزومومه والمطلق
 والورق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخلي الموثق
 تلو على الاغصان اخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق

(١) النمرق والنمرة مثلثة الوسادة الصغيرة والنمرة بالكسر من السحاب ما كان يهتفتون

ومن أجل ما يروى في ادب الغوطة قصيدة عبد المتعم الجلياني الأندلسي شاعر
صلاح الدين، وكان نظم فيه عشرة دواوين قال :

أهدت جديد صباباتي بواليتها	عهد ليلي وما ضمت لياليها
فشعل أعضائه الأنفاس توريتها	لا تقدحي في ضنا جسمي معاتبه
ونضرة العيش تنهيه مباديتها	أيام جلق والأهواء مسعدة
أرواح جنة عدن في نواحيها	في الغوطة الغبطة الممدود نعمتها
منادحاً يزع الأوصاب زاهيتها	جلنا بأعطافها نرعي نواظرنا
مضمرات غايظ قلب حاديتها	حتى استقلت بنا وخادة رُمم
أجاب داعيها أو خاب راعيها	يفري المهامه مما استصرخت قرآناً
وراميات الدجى خفأ هواديتها	بطاويات الفلا ثقلاً حقائنها
في كفه النسق الشامي بثنيها	كأن من بمطائها في ذرى قزح
وان زملن فما تمتاز أيديها	إذا وخذن فما نخاز أرجلها
قصوى المنازل دنيا في مسارها	شقى المطالب جمع في مسارها
دمشق ناراً نواريتها فنوريتها	وردن مصر فأبقت من تذكرها
طوع القياد وتجي حب جانيتها	ويومنا والمنى تعطي أعنتها
وظل شجرائها جفن بغشيتها	والمرج كالعين والأنهار ادمعها
أو طرف زرقاء مكحول مآقيها	كأنه ثيب ^(١) يحوي زمردة
تأتي النفوس له مرضى فبشفيها	للطرف والطرف في ميدانه نزه
تعلو الظهيرة فوضاها فتزويها	ترنخي الضحى والعشايا وسطه عذبا
مقاصاً ذبلها طوراً ومضفيها	ونحن نرقل في ثنبي ملاءته
ولا يجول ويجلوه تنثيها	أسديتنا ذات خلخال تجول به
في روعه فمعانيه معانيها	شق الحياة مزاج الروح جائله

لو لم يشق حسنها شاقت جبلتها
 تجر للدّل ذبلاً في ترقبها
 وما نسيت فلا انسى عشيتنا
 للآبدوس على الغيطان راصعة
 وساجع غرد في يانع خضل
 وقفت بين سماء بين الكواكب من
 من كل زاهرة غضراء باهرة
 قد قوّف الناجم النامي أسافلها
 وأزهرت فبرت حسنى دياججها
 وصافح الكرمة التفاح معنقاً
 والورد نجلان من ضحك البهارله
 والحمل شهب بأفق القضب طالمة
 كم سطرت فيه كف الصنع من حكم
 من نظم مشتهبه في جيد مختلف
 السارخون جدام في مناشرها
 قبل التلاقي تلاق في مبانها
 وتشعر الشمس ليلاً في تراقبها
 (بالنيربين) وقد رقت حواشها
 من الاصيل وعاجاً في روايبها
 ترجّ قضبانه أنى بغنيها
 فوقي وتحتي نجوم است أحصها
 تفرق الحسن نهباً في نواحيها
 وزخرف الساجم الهامي أعاليها
 واثرت فمرت اسنى أباديها
 فاحمر نشرأ لما تطوي دواليها
 والظل يفضيها طوراً ويرضيها
 والياسمين سحاب فوق أرضها
 بقرا بها أثر الابداع فاربها
 يسقى بمتجد شقى بحاربها
 والسائحون مدام في مطاءها

* * *

وليلة الربوة السماء معلمة
 مأوى ابن مرية في مسرى سياحتها
 تحفها سبعة لو سد مسربها
 كأنها الحجر الملقى عصاه به
 كأنها درة أضحى (يزيد) لها
 معينة بحجار بلتظمن بها
 حتى الصباح يروح الذكر نجيبها
 قد بوركت بمغانبه مغانيها
 لطم شاحمة الآطام ظامبها
 مومى ففجر للأسباط جاربها
 خيطا بليات آكام تواليها
 معينة بخيار أختبوا فيها

* * *

وصخرة المزة الغراء ناطحة قرن الغزالة في مبدا تجليها
 محلة السفح ماشيب السفوح بها بل مثل ماروق الصهباء ساقها
 يغذى بها القلب أنفاساً بلا كدر فلن يحل الوبا أطراف ناوينا
 ان الهواء اذا رقت مناسمه في بلدة لطفت أخلاط أهليها
 واذ كر نحي الشرف الاعلى اذا طلعت ذكاء من أفق أشجار تواربها
 ومنظراً يستبي الألباب رائعه ويشغل النفس عن أشهى أمانها
 يرنو الى بردى ينساب في برّد في بُردتي سندس خضر حواشينا
 تكسر الماء بلوراً وراكده كالفضة الحوق^(١) مصقول عواليها
 وحيث شئت فأشجار تمد على ال أنهار ظللاً يغشي من بواقيها
 فكل صورة أنس في منازلها وكل نزهة نفس في روايها
 لولا أمور وأرزاق مقدرة لم يرتحل عن دمشق حاضر فيها
 وقال في وصف الغوطة امير الشعراء احمد شوقي من المعاصرين من قصيدة :

أمنت بالله واستنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
 قال الرفاق وقد هبت خمائلها الارض دار لها (الفيحاء) بستان
 جرى وصفق بلقانا بها (بردى) كما تلقاك دون الخلد رضوان
 دخلتها وحواشينا زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان
 والحور في (دمر) او حول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان
 و(ربوة) الواد في جلاب راقصة الساق كاسية والنحر عريان
 والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير الخاف
 وأقربت بالنبات الأرض محتلفاً أفوايه فهو اصباغ والوان
 وقد صفا (بردى) للريح فابتدرت لدى ستور حواشيين افنان
 ثم اثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء أذيال وأردان

(١) الحوق من حاق الشيء بجوقه : ذلكه وملسه

خلفت (لبنان) جنات النعيم وما 'نبثت أن طريق الخلد لبنان

سيداتى سادتى

هذا ما امكن النقاطه من ادب الغوطة ومن استقصى اكثر مما استقصيت
يسقط على شعر كثير في هذا الباب ربما كان ما كتب لي جناه احط مما يجنيه
الباحث اليقظ . وهذا ما عرفته مما يفيد تردادده في الغوطة وخيراتها وحسناتها جعل
الله أيامكم كأيام الربيع في الغوطة .

محمد كردعلى



مخطوطات ومطبوعات

تلخيص وتصحيح

رئاسة الوزير في انبثاق الأسير

تأليف

الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني

[٢٨٢ صفحة بترجمة العربية والاسباني والفرانس]

مطابع الفنون الصورة ، بوسكا ١٩٤٠ العرائش (المغرب)

السلطان المظفر مولاي إسماعيل من أعظم سلاطين المغرب وأكثرهم حزمًا وعقلًا ودهاءً وضرباً في الأرض في سبيل التوسع . ببيع سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م) « فنهض بأعباء الملك و ضبط الأمور بشدة وحزم فتمهدت له البلاد ودان له قريبا وبعينها وأحمد ثورة مراکش وثورة فارس . فلما دانت له البلاد المغربية من أقصاها إلى اقصاها بعد معارك وحروب طويلة واشتتب الأمن في الداخل وأجبر الانكليز على الانسحاب من طنجة سنة ١٦٨٤ م واسترجع العرائش من الإسبانيات سنة ١٦٨٩ م وضرب الحصار على سبتة ، فكر في الفتوحات الخارجية : فاستولى على تخوم السودان وبلغ فيها إلى ما وراء النيل ، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق إلى قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان .

فهابته دول أوروبا وتسابق ملوكها وسلاطينها إلى خطب وده والنقرب إليه ، فبادلهم الولاء و أبرام معاهدات الصداقة وإرسال السفراء .

وكان أقربهم إليه الدولة الاسبانية فبعث إلى ملكها كارلوس الثاني وزيره « محمد بن عبد الوهاب الغساني »^(١) سفيراً في أمرين هامين : تخليص الأسرى المسلمين

لدى الاسبان وجلب ما بقي في الأندلس من الكتب العربية في مختلف المكاتب الخاصة والآثار الاسلامية ، فقام الوزير بهذه الرحلة سنة ١١٠٢ هـ الموافقة سنة (١٦٩٠ - ١٦٩١ م) واستغرقت ثمانية أشهر من المحرم الى رمضان المبارك ، عين خلالها الجليل والدقيق من أمر اسبانيا وشعبها وعاداتهم وأديانهم وأزيائهم وخيراتهم ووصف كل ذلك وصفاً شائقاً جذاباً ولم يترك أن بنعت لنا الحالة السياسية والدولية لعصره ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي نحن بصدده .

يشعر قارئ الرحلة بلذة فائقة ، اذ استطاع الوزير القسافي ان يجعلنا على كنب مما شاهد بصدق لهجة وأمانة وسداجة فذكر الوزير المؤلف ما عين « من مرافق الحياة وال عمران والحضارة في البلاد الإسبانية وما لاحظته من عادات ذلك الشعب ومدنيته ، وما سمعه واختبره في تلك البلاد من تطور سياسة الأمم وتحوير أنظمة الدول ، وما لقيه من الإكرام والاحترام وحسن الضيافة ، وما عمله لتوطيد الصلات وتبادل المصالح المشتركة وتأمين حسن الجوار بين إسبانيا والمغرب وايرام المعاهدات بين ملوك الدولتين العظيمةين ، فقد أتخفنا الوزير بملاحظات دقيقة واستنتاجات قيمة ورسم لنا صورة مصفرة طبيعية عن اسبانيا في عهد كارلوس الثاني ربما كانت من اقرب الرسوم الى الحقيقة وأفضل ما كتب عن اسبانيا في ذلك الزمن . وقد بين المؤلف من ناحية أخرى ما كان للمغرب من عظمة ومجد وسؤدد . وما كان لسلاطينه العظام من جلال الملك والأبهة والشهرة الواسعة ، وما كان عليه مولاي اسماعيل من دهاء وحزم وعظمة وبطش وقوة وسعة ملك ، وما كان له من فضل عميم وسعي مشكور في افتكك ما بقي من اسارى المسلمين بإسبانيا ، وجلب كل الوسائل الفعالة التي تؤدي الى ما فيه عظمة الإمبراطورية المغربية وخيرها »^(١)

وقد يعجب القارئ من دقة ملاحظته حين يسجل من التفاصيل كل ما هو

ذومغزى فقد عرفنا منه ان الاسبان على عهده كان لهم سوق عامة بفي فسيج من الأرض يقوم موسماً خمسة عشر يوماً في السنة (ص ٣٥) على مثل ما كان عليه العرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم ، وأن من (الاكثريكيين) من يختصي لتحسين الصوت وترقيقه (ص ٣٦) ، وأن القوم كانوا يرتعون في مجبوحة من غنى مستفيض عقب امتيلائهم على أمريكا فترفعوا عن التجارة والتغرب والمهن وصار اكثر من يقوم بذلك عندهم نزلاء فرنسيين لأن بلادهم كانت ضيقة المعاش (ص ٤٤) ، ونرى (ص ٤٦-٥٦) معلومات طريفة عن أولية البيت المالك في اسبانيا ، ولم ينس أن يفيدنا عن سبب بناء الإسكوريال (ص ٤٨) ، ولا أن يصف لنا نظام تولية البابا ص ٦٧ ولا تصوير الانزلاق على الجليد تصويراً لاذاً (ص ٥٩) ، كما لم ينس نعت مقابله للملك اسبانيا ووصفه ونعت قصره وحاشيته وطراز حياته ولا الساحة العامة في مدريد ولا مصارعة الثيران ، ولا المشافي (البيمارستانات) وعنايتهم بالمرضى الخ . ثم لم يهمل ان يطلعنا على اهتمام القوم بالأخبار الخارجية فقد عرف من منشوراتهم [جرائدهم] (ص ٧٩) أخبار السلطان سليمان القانوني وحره مع امبراطور المانيا وازمائه حصار ويانه . كما عرفنا كثيراً عن التاريخ الدولي إذ ذاك وأيقنا بأن الوزير المؤلف خبير بعلاقات الدول دارس لتاريخهم درساً جيداً ، علم بشؤون عصره وتفصيل الحوادث ، فهو رجل دولة .

ويكاد ما ذكره ص ٨٣-٨٥ عن عاداتهم في الميراث وحوادثهم فيه ودقائق اموره سواء كان الموروث لقباً او مالاً أو عقاراً . . . يكون نظاماً كاملاً في الإرث . ومما يدل على فطنته وبعد نظره انه تكهن بوراثنة امير فرنسي لعرش اسبانيا قبل حرب الوراثة الاسبانية وترشيح فيليب آنجو للعرش (ص ٨٥) وكان دقيقاً جداً حين علل شروع الاسبان بتعلم الفرنسية الى آخر ما في الرحلة من فوائد . وذيل كتابه بفصل ممتع عن دخول العرب للأندلس وأحداثها الأولى

وعرفنا أنه دخلها رجل واحد فقط من أصغر الصحابة مع موسى بن نصير اسمه
المنذر الإفريقي وساق حديثاً عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يبعث على الإعجاب العظيم في هذا الفصل وبشير في العربي بل في كل
إنسان أنبل الشعور وأسمى العواطف ما ذكره ص ١١٥ من عادة خلفاء بني أمية بدمشق
من أنهم « إذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال
من وجوه رجاله وخيارهم فلا يدخل بيت المال من الجباية لا دينار ولا درهم حتى يحلف
الوفد بالله الذي لا اله الا هو : ما فيها دينار ولا درهم أخذ الا بحقه ، وأنه فضل
أعطيات أهل البلد من العيال والذرية !! »

الحق ان الحضارة تحتاج الى قرون كثيرة حتى تسمو الى فهم الاسلام والمسلمين

* * *

وبعد فهل علي من حرج اذا اُثبتت على المؤسسة التي تعنى باخراج مثل هذه
الكتب ونشرها من قبورها فتضيف الى تاريخنا صفحات مجيدة ، واذا خصت بشكري
الأستاذ ألفريد البستاني الذي توفر — على قدر طاقته — على نشره كتابنا بهذه الحلة .
وأرى من تمام شكري لهذا السيد أن الفن الى أمور لا يجيها في أصول نشر المخطوطات منها:

١ — اننا لم نعرف قيمة المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها ، ولا تاريخ كتابتها
ومن الواجب أن ينشر صورة فتوغرافية لأول صفحة وآخر صفحة منها
٢ — الكتاب يكاد يكون حديثاً واحداً غير متميز الأجزاء ، ومن أول واجب
الناشر أن يبويه ليستريح القراء عند أول كل موضوع جديد . والكتاب ١٢٠
صفحة لم يذكر الناشر الواجب عليه الا في نحو خمس صفحات .

٣ — نعيد هنا ملاحظتنا عليه في كتاب آخر وهو ان الفهارس قليلة الفناء
لأنها لا تخضع لترتيب ما فلا هي مرتبة على الحروف العربية ولا الاسبانية ولا على
ترتيب القدم في الزمن . ونزبد هنا ان اهم الفهارس التي على المؤلف إثباتها ولا
يستغنى عنه قط وهو فهرست الموضوعات ، قد أهمله الناشر اهمالاً تاماً وصار الذي

يريد ان يرجع الى حادثة في الكتاب مضطر الى اعادة قراءته من اوله حتى يظفر
بضالته وهذا عيب في النشر كبير .

٤ - هناك بعض حمل غامضة أو محرفة لم يجتهد الناشر في معرفة صوابها ولم
يشر الى استشكله ايها: كقوله: ص ١١ «وتصرفه الكمية ٠٠٠ بالبيض المحامي»
وتقديره ما أنفق على منبر جامع قرطبة بـ (٥٣٥) دينار فإن الصواب فيه ما ذكر
في حاشيته ص ٢٢ وهو (١٥٣٥) دينار وللناشر ان يستصوب ٦ وقوله ص ٢٧
«والتجالات» لم نفهم المقصود منها فاما أن تكون محرفة واما ان يكون لها معنى
محلي على الناشر ان يوضحه . ونرجح ان هناك خرمًا بعد السطر الثامن عشر ص ٩٥
لأن الجملة ناقصة . وقوله ص ٩١ الرجل الى مدجرة الماء متبعوه ، وص ٩٨ (قنايظ
وحجاب كيبير؟) مما لم نفهمه

٥ - ملاحظة الناشر ص ٣ أن المؤلف خلط بين طارق بن زياد وطريف بن
مالك غير صحيحة ابدأ وكل ما في الأمر ان الناسخ أخطأ فكتب طارقاً وهو
يريد طريفاً وذلك في صفحتي ٧٦٥ بدليل ان الكلمة في مخطوطة بني بوزين
(رقم ٢) جاءت صواباً (انظر ص ٥) . فعلى من يقدم على تخطئة المؤلفين ان
يتثبت ويتروى طوبلاً .

٦ - وجدت في الكتاب هذه الجمل الملحونة: «ص ٢٤ يزعمونه النصارى»
ص ٢٥ يتولونها بقايا ص ٢٧ يحطن به اربعة عجائز ٢٩٦ طلبوا أهل ص ٨٦ لا يقدر
أهل الصليب ٩٦ ما يلقونه عليهم معلوم ٦ فلم يفهموه جميع النصارى ، ٩٩ العشر
كلمات ٦ يسمع لهم (أبي النواقيس) صوت ، ١٠٠ خمس طواغي ، مسجد طليطلة
وقرطبة وإشبيلية الشهيري المذكور ١٠٦ كل ناقوس منها ست وثلاثين شبراً» وظاهر
أن جمع الضمير في الجمل الثلاث الأولى لغة ضعيفة وكذلك في (ص ٦٢ ويأتون
بهم ويدخل اليهم) بقصد الثيران) و٦٤ و٦٦ الخ

وان الصواب في الرابعة: العشر الكلمات ، وان ضمير الذكور العقلاء في الخامسة

خطأ وكذلك الصواب في الشهري : الشهيرة أو المشهورة لأنها صفة مالا يعقل ،
والصواب أيضاً ان يقول : خمسة طواغي ، وستة وثلاثون شبراً . هن غلطات ست
يستطيع الانسان أن يحملها المؤلف كما يستطيع ان يجعل اكثرها من تحريف
الناسخين وهو ما أجزم به ، وكيفما كان فليس من السائع أصلاً ان يقول الناشر :
« أما الرحلة فانشاؤها مضطرب وتمايرها ركيكة تظهر عامية أحياناً »^(١) والصحيح
أن لغة الرحلة سلسلة صحيحة لا عامية فيها ولا ركافة ، بل الإيثناء قوي متين كما
احس به المستشرق الفرنسي الجاثمة هنري بيرس^(٢) على أعجميته . وجودة الوصف
والإيثناء في الرحلة مما لا ينبغي - كان - أن يخفى على احد .

٧ - حذف الناشر ثلاث صفحات من الرحلة وصف فيها المؤلف « بصورة
مشوهة ارتداد (شاوول) بولس الرسول وتكلم عن اعمال الرسل الإنجيليين ،
وتعرض الى سمر تجسد المسيح والى سلطة البابا الروحية وما يسنه من الشرائع والاحكام ،
وذكر بعض مناظراته مع الرهبان في مدريد وتكلم عن طريقة الرهبان والكهنة
في استعمالهم من الاعتراف وأورد بعض أخبار ملفقة لا فائدة من ذكرها »^(٣) واكاد
أقول ان هذا الحذف جريمة شنعاء في قانون النشر وتساهل في الأمانة العلمية .
هذا وليس على الناشر من اداء الامانة حرج في دينه ، فان أبت عاطفته الا التنفيس
فان الاصول المتبعة تبيح له التعليق والرد بعد اثبات النص بمخذافيه . وعلى كل
فان هذه الرحلة براء بسبب فعلة الناشر فقد حرمتنا الاستمتاع برأي مشاهد
مخالف . وغريب جداً ان يقول مع ذلك ص 2 : « فقد توخينا الامانة والصدق في
النشر والترجمة محافظة على قيمة اصول المخطوط التاريخية » والعلم لا يجيد في عمله
هذا امانة ولا محافظة على قيمة الاصول التاريخية

٨ - على الناشر ان يتجنب ما امكن الجمل المهلهلة التي لا طائل تحتها من مثل

قوله ص 7 : «وبيننا نحن في معترك البحث وميدان الدرس فوق مساندة التشریح في المختبر العقلي نحلل مقاييس ومقادير عقدة هذه القضية الخ»
 وأن بعثي بدرس قواعد لغته العربية فإن العمل الذي يمارسه يتطلب ذلك كما ستري .

٩ - قيمة الرحلة ونفاستها وجلال الموضوعات التي عالجتها ، كل ذلك يوجب علينا ان نثبت الاغلاط التي انتبهنا اليها وهي كثيرة جداً وغالبها من البدائنه التي لا يجوز جهلها ابدأ واني لأرجو ثانية [بكل حرارة] من السيد البستاني ان يتقن لغته ويدرس قواعدھا ويعرض أعماله على من هو أخبر منه فيها فإن هذه الجريدة من الأغلط في [١٢٠] صفحة إحدى الكبر في هذا العصر :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
5	واستلاء الفرنسيون: واستيلاء الفرنسيين	المقصودين	١٠	المقصودات او المقصودة	المقصدات او المقصودة
	التي وضعناه	التي وضعناها		الدار التي	الدار التي
٢	هاتك	هاتيك	١١	الجوز	الجو
٣	مبدئي	مبدأ	١٤	واعنقادتهم	واعنقادتهم
	دُعي	دعا	١٥	فتشير	فتشير
	== ١١٥ فزى	فغزا	١٨	وسبعة	وسبع
٤	فاطمين	فاطمان	٢٠	كسى	كسا
٥	وقع هذا	ومع هذا		شخط	شخط
٦	للاقتنا	للاقتنا	٢١	أيجوا	أيجو
	ثلاث مراكب	ثلاثة مراكب		هام	رام
٧	للاقات	للاقاة [١١٤١٠٤٨]		المراعات والمحابات	المراعاة والمحاباة
				جذبت ضبعي	جذبت ضبعي
٩	دار	داراً		زاد	زادي

ص الخطأ	الصواب	ص الخطأ	الصواب
٢٢ مصدفين	مصدين	٤١ يتهمياً	الخطأ الصواب
العظيم أثر	عظيم أثر	كملت الاثني عشر	كملت الاثنا عشر
نزعت المشتاق	نزهة المشتاق	٤٢ ورجلاً	ورجالاً
٢٣ القناطير	القناطر	٤٤ سينين	سنين
٢٥ المنذر	المنذر	٥٢ للاختلاطهم	لاختلاطهم
٢٧ اربعة عجايز	اربع عجايز	٥٤ ألزاموا	ألزموا
٢٨ ذي	ذوي	احسن ومن	احسن من
ابنة عشرون	ابنة عشرين	٥٥ ستة وعشرين سنة	ست وعشرين سنة
٨٤=غير	غيرهم	٥٦ علم	علام
٣٠ اناس ذوو	أناس ذوو	اربعة عشر سنة	اربع عشرة سنة
٣١ ثلاثة مسافات	ثلاث مسافات	٥٧ ذالك	ذلك
في كذلك	كذلك	٥٩ الاخيرين	الاخرين
ونساءهم	ونساءهم	= ١١٩ عصي	عصا
٣٢ ليس	فليس	٦٠ بلادنا	في بلادنا
٣٣ آخرأ	آخر	٦٣ حضرت عيد	حضرت عيداً
٣٦ مننقات	منتقاة	ليراها الناس ويعرفونه	٢٠٠٠ ويعرفوه
يستحسنوها	يستحسنونها	٦٤ كئناساً	كئناس
وله سنين	وله سنون	عجايزاً	=
٣٧ ليعصرونه	ليعصروه	آخرأ	آخر
٤٠ يسكونونها	يسكونونها	٦٧ ولم يتولى	ولم يتول
٦٩=٨٦٨٢ تزويجها	تزوجها	٦٩ ابنت	ابنة
		٧٠ فال	فقال
		فأغلقها	فأغلقه

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ
٧١	ابدلواه	ابدلوه	٩٣	بالسان
مبلغه اثني عشر	مبلغ اثني عشر (او مبلغه	٩٤	تجد	تجسد
ونساءهم	ونسائهم	٩٥	ثلاث ابواب	ثلاثة أبواب
٧٢	والردا	والردى	٩٧	الستة واربعين
٧٣	الثنان	الثنان	زنته	زنته
٧٤	بد حرب	من حرب	اربعة عشر مدرسة	اربع عشرة مدرسة
٧٥	تدعوني	تدعونني	٩٨	تسمع اصواتاً
٧٦	مزعمين	مزعمين	١٠٠	يموت
٧٨	ست مائة داراً	ست مائة دار	إذا	إذا
فجھوا	فوجھوا	١٠١	داره الذي	داره التي
٨١	أخلا	أخلى	١٠٣	نرجوا
٨٣	ولداً ذكر	ولداً ذكراً	نقضه	نقضيه
يرثه	يرثها	١٠٤	في بناءه	في بناءه
٨٤	يتواعدون	يتواعدون	١٠٦	ثلاثة ارباع الذراع
٨٥	مبالات	مبالاة	١٠٨	بالهيات
٨٧	الكناسي	الكنسي	١١٠	بأكثره من
٨٨	مزجاً	مزوجاً	١١٥	قرئت
٩٠	معد	معداً	المعنى ؟	
بدعوا	بدعوا	١١٦	خباسة ؟	
تناوله	تناوله	١١٧	وصاروا	وصدروا
الستة	في الستة	١١٨	التابعان	التابعيان
٩١	تغسل له	تغسل لي	١١٨	لسبيله
			١١٩	السي

هذا وقد احسن الناشر بترجمته ترجمة موجزة الأعلام الواردة في مقدمته وفي الكتاب باللغتين العربية والاسبانية . وآسف لجهلي الاسبانية وحرمان القراء من إطلاعهم على قيمة الترجمة ودقتها .

وأتمنى في الختام لهذه المؤسسة اطراد التوفيق وللناشر الفاضل زيادة الاطلاع على مبادئ لغته وترقيه في خدمتها ، وإذاً ننهنه بدقة الاخراج كما هناناه هنا بالاخراج ، ولا ننكر ان مهمته شاقه ولكن همته الصادقة كفيلة بالتغلب على الصعاب فله منا — إذا فعل الشكر — والتحية والتقدير

سعيد الازفاني



المواقفة بين اهل البيت والصحابة

هذا سفر جميل لمؤلفه الحافظ ابي سعيد اسماعيل بن علي بن زنجويه الرازي السمان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ اختصره العلامة جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وحذف منه الاسانيد والمكررات . ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ابن زنجويه بقوله انه صدوق لكنه معتزلي جلد . وذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان و اشار الى من اخذ العلم عنهم وقال ان له تصانيف وحفظاً وأشعاراً ورحلة كبيرة ومشايخ يجاوزون ثلاثة آلاف . ونقل عنه ابو الحسين المطهر ابن محمد بن علي العلوي بالري قال : سمعت ابا سعيد السمان إمام المعتزلة يقول : « من لم يكتب الحديث لم يتفرغ بمجلاوة الاسلام » وقال فيه إنه كان من الحفاظ الكبار ، وكان فيه زهد وورع ولم يتأهل ، وله تفسير في عشر مجلدات وسفينة النجاة في الإمامة وغير ذلك .

ذكر صاحب الموافقة كيف أحب الصحابة بعضهم بعضاً ، وما قال بعضهم في

وصف بعض ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين ، ورأينا فيه أن علياً يُعلي مقام أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر وعمر يعرفان علي مقامه ، ومشاهده وفضله وقربته ، وبعلين أبدأ قدره . وفي هذا الكتاب مقتل عمر بن الخطاب ومحضر الشورى وما قيل فيها ووصف بكاء الامة يوم وفاة ابي بكر وموت عثمان ، وفيه خطب بليغة وكلمات بارعة نقل بعضها رجال التاريخ والادب ، وبعضها مما رواه الباقراني في عجاز القرآن مثل خطبة علي في تأبين أبي بكر . وفيه حوار طويل وخطب لعلي عن سويد بن غفلة ، وهو من صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من التابعين ، في الرد على من تنقصوا أبا بكر وعمر ، وقول علي في الشيخين انها أخوا رسول الله ووزيراها قائلاً : ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبويي المسلمين بما أنا عنه متزه وما يقولون بري ؟ ، وعلى ما يقولون معاقب ، فو الذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يجبهها الا مؤمن تقي ، ولا يبغضها الا فاجر ردي ، صحبا رسول الله بالصدق والوفاء ، بأمران وبينيات ، وبمعاقبان فما يجاوزان فيما يقضيان ، الى أن قال : ان أبا بكر سار سيرة رسول الله حتى قبض ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ، واستأمر في ذلك الناس فمنهم من رضي ومنهم من كره ، وكنت ممن رضي ، فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً ، فأقسام الأمر على منهاج النبي وصاحبيه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه .

أما أخبار الفتنة فتنه عثمان ففيها اشارات مهمة لبراءة علي كرم الله وجهه من الانغاس فيها على ما حقق المؤرخون . ومنها عن ابن ربيعة سمعت علياً يقول : والله لئن شاءت بنو أمية لأتيتهم بخمسين غلاماً من بني هاشم يملفون بالله ما قتلت عثمان ولا مالأت عليه .

وأصل هذا الكتاب في دار الكتب المصرية وهو جدير بالنشر .

حول تاريخ الكهرباء

قصص العلماء والمخترعين : أخبارهم ونواديرهم ومسر نجاحهم

للسيد محمد عاطف البرقوقي

مفتش العلوم الطبيعية بوزارة المعارف المصرية وخريج جامعة بريستول بانكلترا
الجزء الاول عن الكهربية والاسلكي من قدام المصريين الى القرن العشرين

انا لانوفي هؤلاء العلماء والمخترعين جزءاً مما ندين به لهم مما عملنا من اجلهم
تمجيداً وتخليداً فالمذنية الحاضرة والمقبلة صنع أيديهم وبنات افكارهم قضاوا الليالي
والأيام وراء حقيقتها العلمية يبغونها في تواضع واخلاص لا يبغون في الغالب اجراً
ولا شكوراً . وقد طفى تاريخ السياسة بل تاريخ الأدب على ذكر هؤلاء العلماء واخبارهم
ومن رأينا ان التاريخ الجدير بالدرس والاعتبار ليس بتاريخ الدم البشري يسيل في المعارك
والمجازر للاسباب الدنيا وانما هو تاريخ الفكر البشري يحمل شعلته المباركة هؤلاء
العلماء المخترعون يسرون بها في طريق الخير دوماً الى الامام .

ولهذا نستقبل خير استقبال كتاب السيد البرقوقي عن تاريخ الكهرباء والاسلكية :
وقد وفق المؤلف في سرد تاريخ الكهرباء وهو الحافل بالقيم والطريف فأق كقصة
جذابة لم يكن الشرح العلمي وهو مختصر قليل لينفر منها ، قصة حوادثها كشوف
الكهرباء الخطيرة ، وكل منها عنوان عصر في حياته وتفكيره ومبلغ رقيه ، وابطالها
جمهرة من اساطين العلم تكبر قدرهم لما بلغوه من شأف في كشوفهم ويزداد
اخبارنا حين نطلع على الناحية الانسانية في حياتهم وجهادهم وعلى النوادر المستحبة
المأثورة عنهم ، قصة تبدأ بكشوف الاقدمين على مجري المغناطيس والكهرباء وأرادها
المؤلف ان تنتهي بالاسلكي المعاصر .

وفي الواقع يشعر المطالع لهذا الكتاب من الصفحات الأولى ان الاسلكي
هو الخاتمة المنتظرة والحلقة الاخيرة لسلسلة الكشوف في الكهرباء «حمام الزاجل ،الاتجاه
الصحيح نحو الاسلكي ، جرتومة الاسلكي ، مفتاح الاسلكي . . .» كأن جهود العلماء

والمخترعين من قدماء ومحدثين رمت كلها الى اللاسلكي في الحين الذي يبعد فيه تعبين ما نقود اليه الابحاث العلمية وما سيبني عليها في المستقبل . والكشف العلمي ، على قول فاراداي وكما اورده المؤلف ، كالطفل ساعة ولادته لا يعرف ما ينتظره في مسقبله ، والعالم في مخبره كالرائد في الأرض لا يعلم ما تنخبأ له الآفاق البعيدة . لقد كان اللاسلكي نتيجة طبيعية مهمة لتقدم الكهرباء اما ان نرى فيه الهدف الأول والآخر لهذا الفرع من العلوم الذي لما تفرغ جمعته ولن تفرغ في ذلك اكبار للاسلكي واهمالاً لخلقات اخرى بعده ذر قرنهما ولها شأنها .

ذلك اننا لم نكن لتأخذ هذا على المؤلف لولا ان الأبواب الاربعة الاخيرة من الكتاب ضحيت على هامش اللاسلكي - اللاسلكي في البواخر والطائرات وفي الأمن والحروب وفي مصر ٠٠٠ - مما لا علاقة كبيرة له بصلب الموضوع فأنت هذه الأبواب غير منسجمة أبداً في سويتها الثقافية وفائدتها مع الأبواب الاولى من الكتاب ، مع ان هنالك ، كما تقدم ، مادة غزيرة حول كشوف كهربية قيمة - انفراغ الكهرباء في الغازات وفي الخلاء والأشعة المهبطية وتطبيقاتها ، دقائق الكهرباء من كهارب وسواها وعلاقتها بالمادة ، حقيقة الكهرباء والتنج الكهربي مغناطيسي على ضوء النظريات الحديثة ٠٠٠ - لم يتعرض المؤلف لها ، ولم كان من المستحب ان تملأ فراغ الأبواب المذكورة فيكون تاريخ الكهرباء تاماً حتى السنين الأخيرة .

وقد اراد المؤلف وهو على حق ، كما جاء في مقدمته ، ان يكون الكتاب مفيداً للخاص والعام ، ولكنه جاء في سويته العلمية مسائراً للعام بل كأنه أخذ يميل الجمهور الى السهل الطريف الأخاذ مما ضيق على الايضاح العلمي المجال ولو انه رفع من مستوى الكتاب وجعله أغزر مادة لكان فيه التوجيه العلمي المبتغى . وتبدو هذه المسائرة العامية في الباب الأخير واضحة جلية : فما جاء فيه اجدر بمجلة اسبوعية للجمهور الكبير منه بكتاب علمي رفيع : « اشعة الموت » علماء بناء

وعلماء تدمير ، انتصار هؤلاء على اولئك ، انتهاء قصة الحياة . . . خلاص العالم من هذه الحياة الدنيا» . وما كنا لنريد لتاريخ الكهرباء الطلي هذه الخاتمة المفجعة : ان الفكرة العظيمة التي ينبغي عنها تاريخ العلوم هو ان العلم يري في الأصل وسائر الى الامام دوماء ، واذا كان هنالك من تفاوت بين تقدم علوم المادة والاخلاق فلهذا حديث آخر .

وكما في كل كتاب علمي تبرز معضلة المصطلحات العلمية العربية الى العيان والمؤلف العلمي في اللغة العربية اول من يعاني صعوبتها فان هذه المعضلة لم تستوف حقها من البحث سواء كان من قبل علماء اللغة او من قبل الاختصاصيين في العلوم . وأخيراً نصارح المؤلف القول بالطابع المصري والمحلي الذي طبع به كتابه وهو مؤلف عالمي انساني : فالكتاب يبدأ من قدماء المصريين على بعدهم عن الموضوع وينتهي يبحث مطول للاسلكي في مصر ولقضايا محلية عديدة قد تكون مفيدة في كراس خاص ولكنها لا تجد مكانها في قصص العلماء والمخترعين . انا نجل الرجال الذين اتى على ذكرهم والذين كان لهم في تاريخ اللاسلكي والاذاعة في مصر شأن دعا المؤلف ، لاعتبارات يسهل فهمها ، الى التحدث عنهم ولكن لا مثال فاراداي وماكسويل شأناً ول هؤلاء شأن على تقديرنا لهم وانما يزين الكتب العلمية التجرد قبل كل شيء .

وعلى الاجمال فموضوع الكتاب قيم وفق المؤلف في اختياره وهو حري بالمطالعة وقد اصابت وزارة المعارف المصرية بمنحه جائزة المباريات الادبية لعام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ وانا للأجزاء التالية لمنتظرون

جمال الفرا

تفصيل آيات القرآن الحكيم

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر سنة (١٣٤٢)

يقع في (٢١٤) ص بالقطع الكبير عدا مقدمته وفهارسه البالغة (٢٤) ص

وهو كتاب وضعه باللغة الافرنسية الاستاذ جول لايوم ، ونقله الى اللغة العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقدم له في اوله الاستاذ محمد فريد وجدي ، وكنا نود لو ان مقدمة المؤلف اثبتت مع الكتاب ليطلع القارئ على غاية المؤلف من وضع هذا الكتاب ، وعلى منهجه في الترتيب ، ورأيه في الاسلام والقرآن .
والكتاب يرتب آيات القرآن الكريم على موضوعات مقسومة الى (١٨) باباً ، ولكل عدة فروع يبلغ مجموعها (٣٥٠) فرعاً ، وكل فرع له عنوانات يأتي تحته جميع ما ورد في موضوع هذا العنوان من آيات التنزيل ، وقد نتكرر الآية الواحدة في عدة عناوين لدلالاتها على عدة مواضع

والابواب الثمانية عشرة هي : التاريخ ، محمد صلى الله عليه وسلم ، التبليغ ، بنو اسرائيل النوراة ، النصارى ، ما وراء الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العادات ، الشريعة ، النظام الاجتماعي ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الاخلاق ، النجاح ومن استقراء عدة مواضع في الكتاب وجدنا ثلاث ملاحظات ينبغي

التنبه عليها :

أولاً - لا توجد المطابقة في بعض الاحيان بين الآيات وما عدون لها به ، من أمثلة ذلك ما ورد في ص (٥٠٩) (السبت) ذكر تحت هذا العنوان آيتين الاولى : انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ، وهذه الآية مطابقة لما عدون له ، ولكن الانسان يحار في الآية التي بعدها اي علاقة لها في هذا الموضوع وهي : يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً
لعلمكم تفلاحون

وكما في عنوان (مكة) ص ٥٠٩ فقد أورد تحت هذا العنوان عدة
آيات لا يدل عليها هذا العنوان وغاية ما فيها انه خطاب لقريش راجع
ص ٥١١ و١٢ و١٣

ثانياً - ان المؤلف لا يتتبع في بعض الأحيان كل ما ورد في الموضوع الذي عنوان
له كما في عنوان السبت ص ٥٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آية واحدة تتعلق
بالسبت ، وآية أخرى تتعلق بالجمعة لا بالسبت مع وجود اربع آيات اخرى
تتعلق بالسبت وهي (١) واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون
في السبت اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيتهم
(٢) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت (٣) كما لعنا اصحاب السبت
(٤) وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ، و كعنوان المساجد ص ٥٠٩ ذكر فيه
آيتين فقط مع وجود عدة آيات أخرى

ثالثاً - انه يضع عدة عناوين لآيات موضوعها واحد كما في ص (٦٧٨) عنوان
العهارة وفي ص (٦٨٤) عنوان الخلاعة ، ولكن الآيات الواردة تحت
عنوان الخلاعة ينطبق عليها عنوان العهارة لا عنوان الخلاعة فلو أضيف ماجاء
تحت عنوان الخلاعة الى ما جاء تحت عنوان العهارة لكان اجمع للبحث
واخصر للعناوين .

وهناك ملاحظات أخرى تعود على الترجمة كما في عنوان (العفو) ص ٥٢٠
والصواب ان يكون العنوان (الترخيص) لأن الآيات الواردة فيه هي في الترخيص
والتيسير لا في العفو وقد عنوان له في ص ٦٤٨ و ٦٥٣ ، ومثل ذلك عنوان (المبادهة)
ص ٧٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آيتين بمعنى ولفظ واحد : قل يا قوم اعملوا علي
مكاتبتكم اني عامل ، ولا معنى للمبادهة هنا والصواب ان يكون العنوان هكذا

(المباراة) ففي المختار : فلان يباري فلاناً اي يعارضه ويفعل مثل فعله وهذا ما تدل عليه الآية .

وبعد فان فكرة تقسيم القرآن الى عدة موضوعات هي فكرة قديمة حاولها كثير من المتقدمين كابن جرير الطبري الذي قسم القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام : التوحيد ، والأخبار ، والديانات ، وقسم علي بن عيسى القرآن ايضاً الى ثلاثين موضوعاً كما ان بعضهم افرد نوعاً خاصاً منها على حدة كآيات الاحكام ، والجهاد ، والقصص ، وآيات الصبر ، والمصيبة الخ ولكننا لم نطلع على مؤلف جمع واستوعب جميع اصناف موضوعات القرآن ، لذلك فان هذا السفر الذي نكتب عنه هذه الكلمة هو الكتاب الوحيد في هذا الموضوع ، وقد سد فراغاً كبيراً لدى الباحثين ممن يتطلب موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم ، كما أحسن كل الاحسان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في اختياره ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، والعناية بنشره فعمت به فائدة الدارسين والباحثين

محمد أحمد دهمان

دمشق :

حياة دزرائيلي

في ٢٦٢ صفحة من القطع المتوسط

ألف هذا الكتاب الأديب الفرنسي الشهير أندره موروا ونقله الى العربية السيد حسن محمود وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر . وهو صورة جميلة للحياة السياسية في انكثرة خلال القرن التاسع عشر ، وتاريخ روائي لحياة هذا الرجل

العصامي واليهودي المنتصر الذي تمكن بذكائه ومطامعه وصبزه وجدته وإخلاصه للملكة فكتوريا، من أن يصبح أكبر رجل دولة في بريطانيا العظمى، مدة غير قصيرة .

ولغة الترجمة حسنة اجمالاً . وما لاحظناه على المترجم (ص ٨٩ و ١٢) استعماله لفظة الغداء بالدال المعجمة بدلاً من الغداء ابي طعام اول النهار او طعام الظهر ، واستعماله في تضاعيف الكتاب الكهولة بمعنى الهرم ، والكهل للطاعن في السن . وقوله في الصفحة ٤٣ «عندما زار قصر الحمراء جلس على عرش بني سريج . وهم بنو سراج . وقوله في الصفحة ٤٩ «والبلاد التي لها حق التمثيل اختيرت بطريقة غير نظامية قط» ومن المعلوم ان لفظة (قط) ظرف زمان لاستغراق ما مضى وانها تختص بالنفي . فلكي تصح الجملة وجب جعلها هكذا «والبلاد التي لها حق التمثيل ما اختيرت قط بطريقة نظامية» . وقوله في الصفحة ١٨٦ «نحن المؤلفون يا سيدتي» والصحيح «نحن المؤلفين» . وقوله في الصفحة ٩١ «في معرض اثبات صحة نيابة اعضاء المجلس» وهو تنابع خمس إضافات لأسماء ظاهرة . وقد ساغ في جانبه قول الشاعر «حمامة جرعى حومة الجنديل اسجعي» .

ولئن كان ذكر هذه الملاحظات ضرورياً في مجلة مجعنا فمما لا مربية فيه ان الكتاب الذي نحن في صدده بعدد من غرر التراجم وان في تلاوته فائدة ولذة .

السراجي

آراء وانباء

نظائر « التكملة » للجواليقي

- كتب الاستاذ « التتوخي » في مقدمته لرسالة « تكملة إصلاح ما تفلط فيه العامة » لأبي منصور الجواليقي^(١) أن هذه الرسالة نظائر ذكر منها .
- ١ - ما تلحن فيه العامة للكسائي [١٨٩]^(٢)
 - ٢ - لحن العامة للدينوري [٢٩٠]
 - ٣ - لحن الخاصة للعسكري [٣٩٥]
 - ٤ - اللحن الخفي لهاشم بن احمد الحلبي [٥٧٧]
 - ٥ - لحن القامة للسبتي [٧٣٣]
- وقد اهديت اثناء مطالعاتي الى كتب آخر تشاكل التكملة وتناظرها ، اردت ذكرها للفائدة :

- ١ - كتاب « ما يلحن فيه العامة » ألفه احمد بن حاتم ابو النصر الباهلي ، وكان راوية ثقة مأموناً مات سنة [٢٣١]^(٣)
- ٢ - كتاب « ما تلحن فيه العامة » ألفه ابو عثمان بكر بن محمد المازني امام عصره في النحو والآداب وتلميذ ابي عبيدة والاصمعي مات سنة [٢٤٩]^(٤)
- ٣ - كتاب « ما تلحن فيه العامة »

(١) كتاب ذو شأن حققه الأستاذ التتوخي فملاق عليه وجعل له الهوامش والترواح واتبعه بالفهارس والمسارد . وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي . (٢) ذكر الأستاذ التتوخي أن وفاته كانت سنة (٢٨٩) وهو خطأ والصواب ما ذكرت . وفي النهرست أن وفاته كانت سنة ١٨٧ (٣) مجمع الأدباء ج ٢ ص ٢٨٤ (طبعة دار المآءون بجمهر) . (٤) مجمع الأدباء ج ٢ ص ١٢٢ والنهرست ص ٥٧

- ألفه ابو الهيثام اللغوي كلاب بن حمزة العقيلي المحدث العالم بالشعر^(١)
 ٤ - كتاب « ما تلحن فيه العامة »
 ألفه سهل بن محمد ابو حاتم السجستاني مات سنة ٢٥٥^(٢)
 ٥ - كتاب « الفاخر فيما يلحن فيه العامة »
 ألفه المفضل بن سلمة اللغوي النحوي ، وكان منقطعاً الى الفتح بن خاقان^(٣)
 ٦ - كتاب « ما تلحن فيه العامة »
 ألفه ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠^(٤)

صالح الدين المنجد

عظماء العلماء والكتاب

فجعت الآداب العربية في العهد الأخير بيضة رجال من المصريين خدموا الآداب والعلم والاجتماع أجل خدمة وخلفوا آثاراً خطيرة استفاد منها ابناء الجيل الحاضر ومستفيد منها الاجيال القادمة . منهم الاستاذ فخري ابو السعود صاحب المقالات البديعة في مجلة الرسالة في المقابلة بين الادبين العربي والانكليزي . ومنهم الاستاذ محمود مصطفى صاحب كتاب اعجام الأعلام والادب العربي ومنهم العلامة محمد بك مسعود صاحب اتنايف العلمية والادبية الكثيرة ، وآخرهم الاستاذ عبد القادر حمزة باشا صاحب المقالات الرائعة في السياسة والتاريخ ومنشئ جريدة البلاغ ، واليه انتهت مشيخة الصحافة المصرية ، وكان في مناقشاته السياسية آية في اعتداله وجميل مأناه ، ومن اعرق المنشئين في عرض افكاره بايجاز معجب واسلوب مقنع . اجزل الله ثوابهم وعوض الآداب عنهم خيراً

(١) معجم الأديباء ج ١٧ ص ٢١ . وقد ضبط الاسم هكذا « ابو الهيثام » أما في
 الفهرست فقد ورد « ابو الهيثام » ص ٨٢ (٢) معجم الأديباء ج ١١ ص ٢٣٣ .
 والفهرست ص ٥٨ . (٣) الفهرست ص ٧٧ . (٤) الفهرست ص ٥٤



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة المجمع العلمي العربي

السنة ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م
تشر في دمشق مرة في الشهر

تموز وآب سنة ١٩٤١ م
رجب و شعبان سنة ١٣٦٠ هـ

❦❦❦❦❦

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفعة مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ = =

مطبعة الترقى بدمشق

في الهزيمتين

من مذكرات الاستاذ محمد كرد علي

«وهي تعد الآن للنشر»

من أجل الذكريات ذكريات الصبا وما فيه من مراح ومغامرات ، وما يتخللها من توفيق وخيبة ، قد لا يصيب المرء مثلها ، ولا يجسر على اقتحام أخطارها ، اذا قلتُ به السن ، «والذكريات صدى السنين الحاكي» كما قال احمد شوقي .
والذكريات يُجرّص على تدوينها في الغالب لما تحمل في تضاعيفها من عبر وسلوى .
وهذا تفصيل ما وقع لي عند هزيمتي مرتين ، من وجه من أراد بي سوء من عمال العثمانيين قبل أكثر من ثلاثين سنة ، وهو تدوين لا يتخلو فيما أرى من طرافة وتفكيه .

ولكثر ما انهرمت ، ووفقت في هزائمي كلها ، فأبنتُ عن مهارة في الهزيمة دعائي بعض الطرفاء «هزيمة» وأرادني أحد العلماء من المصريين (العلامة احمد زكي باشا رحمه الله) ان أؤسس في القاهرة مدرسة أعلم بها كيف ينهزم الخائف الذي يتربص ، كما يتعلم الطلبة علوم الدين في الجامع الازهر وعلوم الدنيا في الجامعة المصرية . ولعلي كنت أجيب الطلب لو طال ذاك الحكم في بلادنا أكثر مما طال .

أقام والي سورية دعوى على جريدتي المقتبس ، واحتال لاقفال الجريدة والمجلة والمطبعة قبل صدور الحكم علينا ، وبعث الى مرجمه الأعلى في الاستانة يستأذن في الموافقة على مقترحاته ، فوافقه بلسان البرق على القاء القبض عليّ واقفال الجريدة والمطبعة . وجاءني بعد منتصف الليل شابان من محلة القيمرية ، كان لأحدهما اتصال بادارة البرق عرف بالأمر فطلب اليّ ان البس ثيابي حالاً وأسير معهما ،

فان الشرطة تأتي بعد حين الى داري لنفتشها ونقبض عليّ ، وكان الأمر كما قدّرا ، وسرت معها وانا لا أعرفها وغاية ما عرّف أخي أنها مشتركان بالجريدة ومن أرباب المروءة من الشباب ، فبت ليلتي في دار أحدهما وهي دار الشيخ غزال ، وبعد أيام اكرم أهل الدار مشواي فيها انتقلت الى حيّ السويقة ، وأويت الى دار صديقي الشيخ عبد الرحيم البالي يطربني بصوته وانشاده البديع ، ثم عدت الى داري واعدت معدات الرحيل ، وقلت : مادمت مضطراً الى الاختفاء هنا في البيوت ربثاً يُنظر في دَعواي ، وقد يطول النظر فيها عمداً ، فالأولى ان اصرف هذا الوقت في اوربا ، وكنت منذ سنين أريد الرحيل اليها للدرس والبحث فتعوق العوائق .

وفي ليل الثلاثين من شهر رمضان سنة ١٣٢٧ هـ ركبْتُ من دمشق يرافقتني صديقي السيد شريف نقي الدين ، وكان بطلاً نَزَّالاً يعرف الطرق والمسالك والمخابى . ومن قرية القابون سرّنا قبيل الفجر ، ومنها الى قري برزة فمعربا فبسيمة فدير مقرن فكفير الزيت فدير قانوت فكفر العواميد ، وفي هذه القرية بتنا ليلتنا الأولى . ومن الغد قصدنا الى سوق وادي بردى فبعيتا الفخار فكآمد اللوز فجبّ جينين فلالا فبعلول ، وفي هذه القرية بتنا الليلة الثانية . وفي اليوم الثالث قصدنا مشغرة بلد المدابع ، وأنجدنا قاصدين جزّين . وعاد صاحبي الى البلد وسرت وحدي الى تاتر فعاطور فالختارة فدير القمر وبث فيها ، ووصلت الى الباروك ماراً ببيت الدين ، وكفر نبرخ وبث ليلتين في الباروك ومنها سرت الى عين زحلنا فبت فيها ، ومنها الى حمانا فقرنايل فصليا وبث فيها ثلاث ليال ، ومنها الى بجنس فبكفيا فبت شباب ، وقضيت في هذه القرية الكبيرة فيما أذكر ثلاث ليال ثم قصدت الى قرية الشاوية فقضيت فيها نحو عشرة أيام ، واخترت المقام في هذه القرية لأنّ كون على مقربة من الفربكة بلد الاستاذ امين الريحاني فأقضي معه بعض ساعات النهار ، ومن الشاوية نزلت الى بيروت وبث في دار صديقي احمد إياس

ربثاً تيسر لي بعد الغروب النزول الى باخرة مساوية قبيل اقلعها بقليل .
 كان رأني في فندق دير القمر السيد صادق الكسم من تجار دمشق
 فأنكر عليّ جرأتي في رحلتي ، وقال لي ان الوالي يفتش عليك في كل مكان ،
 وكان الوالي عدوي نقل من دمشق الى بيروت ، فالأولى ان ترحل الى مصر
 براً . فقلت له هذا لا يتيسر الآن فقال : اذا تأوي الى القرى ، وتخذ من
 بيوت المعجائز مسكناً ، ولا تنزل في الفنادق ، ولا تجتمع الى الرجال ، وعلى هذا
 أردتُ النزول في عين زحلنا في دار عجوز ، ولما وقعت عينها علي بكت ، فسألتها
 ما بيكيك يا أماء ؟ فقالت : كان لي ولد في اميركا مات منذ مدة وليس لي
 غيره ، وكان يشبهك بالصورة ، فلما رأيتك تذكرته . ثم سألتني عن ديني فقلت
 لها : برتستان ، فرحت ، وقالت : وأنا برتستان وهذه التوراة ، وأشارت الى
 المنضدة ، والقس يسهر عندنا . فلما سمعت باسم القس خفت ان يجيئك تلك الليلة
 وتتكشف له حقيقي .

و كنت قرأت تاريخ الاصلاح الديني ، وعلقت في ذاكرتي شبه البرتستانتية
 على الكتلثة ، حتى لأستطيع أن أتكلم ساعة في البرتستانتية ولا أعرف ، إلا
 أن يكون المخاطب قساً مثلاً ، فانه اذا كان ذكياً يتجلى له أمري بعد قليل .
 فلما قالت المرأة ان القس يجيئها من الليل ، ادعيتُ ان عرفتها لم تعجني ، واكرمتها
 ببضعة قروش ، وخرجت الى اسفل القرية فنزلت في الفندق . وكنت صنعت اسماً
 أردت ان اتسمي به ذلك اليوم ، وهو اسم احد اصحابي المسيحيين بدمشق (خليل
 العبسي) فلما رأني صاحب الفندق وعرف اني دمشقي قال لي : ان خليل العبسي
 شريك في هذا الفندق ، وكان الآن عندي وسافر ، فحمدت الله على اني لم استمر
 اسمه ، وسألني عن اسمي فاخترت له اسماً آخر من اسماء النصارى ، وأظنه أعفاني
 من السؤال عن مذهبي .

وفي لبنان لا بد لك ان تبوح بثلاثه وأنتفك راغم : مذهبك وذهبك وذهابك ،

أمور كانت العرب تحوص على كتابتها . واللبناني لتدينه يحاول ان يعرفك بما تدين ،
 ليزيد أنسه بك وتبسطه معك اذا كنت على مذهبه ، ويريد ان يعرفك اذا كنت
 (مقرشاً) ام لا ، فان معاملة المومر تختلف عن معاملة المعسر ، وبود ان يطلع على
 مقامك عنده ليكون على بصيرة فيما يقول لك وما لا يقول . وأنا في تلك الحال
 لا استطيع ان اقول الا اني برتستاني ، والحكومة تطاردني ، والوالي غاضب علي ،
 والأنظار ترمقني . وقد جازت برتستانيتي على من نزلت عليه ، وهو خوري الشاوية
 وعلى الخورية امرأته . واتفق ان اتبع من الطريق عدة كتب من كتب
 البرتستانات ، فتمت الحيلة على الخوري والخورية عشرة أيام . وكان الخوري
 يراني اقرأ كتب البرتستانات ، وانا اقصد بالقراءة الا أطيل الحديث معه ، وهو
 يسألني لماذا يقرأ البرتستانات كثيراً ، فأجيبه لأن رؤساءنا يوصوننا بذلك .
 واتماماً لما تحميت له كنت اطلب من الخورية ان تأتيني بزجاجة عرق ، ولبس من
 نيتي ان اشرب منها ، فاذا انصرفت عني أخذت قدحين وصبتهما في الحديقة ،
 لأوهما اني تناولت من عرقها .

ودعوى البرتستانية ما نفعني في «بيت شباب» ذلك ان امين الريجاني قال
 لي إنه زار حبيس ماربطرس قرب بيت شباب ، وهو بلبس المسوح على عادة قدماء
 الرهبان ، وأنه كتب فيه مقالة بالانكليزية فقلت له : وأنا اريد أن أزوره
 واكتب فيه مقالة بالعربية . فقال لي : وانت في اي حال الآن ؟ فقلت له : لا بد
 من زيارته ، ومن الغد استصحت ولداً من ابنا القربة بدلني على قلاية الحبيس ،
 فما إن حييته حتى كان أول سؤال وجهه إلي بالطبع سؤالي عن مذهبي .
 فقلت له : برتستانات ، فصاح : انت هالك ، انت هالك ، وهل انت الذي صبت عن
 دينك الأصلي ؟ قلت له : جدي . قال : وهل لك راتب من البرتستانات ؟ قلت
 لا ، قال : أتعرف القراءة ؟ قلت : قليلاً . قال : اقرأ الكتاب المقدس تعرف ان
 لوثيروس ما قال بالبرتستانية الا ليتزوج ، الى غير ذلك مما أفاض فيه . واظن

معلوماته عن النصرانية لا تزيد على معلومات العامة ، وربما كانت معلوماتي يومئذ أرقى من معلوماته .

وكان الحبيس اكرمني بحفنة من التين المخفف فأخذت أتناول منه ، والغلام الذي يرافقني يحدّثني بنظرة ، والغالب انهم لا يتناولون منحة القس امامه ويعلمونها للبركة فقط ، كما يتبارك حجاج المسلمين بما زمرهم . وبدأ المطر ينهمر ، فلا والله ما خلصت من عظامته ، وتكفيره لي ، وتخوبي عاقبة أمري ، الا بانقطاعها ، وهرولت أنا ودليلي ، وقد اعطيت الحبيس شبه وعدٍ ان اعود الى قراءة الكتاب ، وارجع الى حجر الكنيسة . ومراً دليلي بما سمع من وعظ الحبيس لي . وقال لي ان اعمل بصيحتة حتى أنجو من العذاب يوم الدّ بنونة . ثم قال : (يا معلمي ، شفت هذا الحبيس ؟ كان قبل ان ينقطع في صومته يقف ساعة امام المرأة يصف شعره ويرّطله ، وكان من شباب البلد ، وخطب ابنة عمه فأبث ان تزوج به ، ولما امتنت منه امتناعاً قطع معه أمه ، دخل في الرهنة) فقلت له : هذا قد يقع فيعشق المرء ويحب امه في عشقه فلا يجد غير الرهبانية والاتقطاع الى الله عزاء له وسلوى عما شغل قلبه مدة .

صادفت في الباخرة النمساوية التي هربت عليها من بيروت ، صديقي معاد بك مدير صحبة ولاية سورية ، وشقيق حسين جاهد بك رئيس تحرير جريدة « ظنين » التركية في الاسطانة ، ومن زعماء حزب الاتحاد والترقي ومن اكبر كتاب الترك ، ومعه صديقه صلاح الدين حججوز بك صاحب جريدة « قره كوز » الهزلية التي تصدر في الاسطانة ، ففرح معاد لتكفي من الهرب ، وسرته نجاتي من الوالي ، وكان من انسابه الا انه مشهور بكرامته له ، وأحب ان ينيظه فقال لي سأكتب اليه : كيف تدعي انك كنت ناظراً للضبطية (مدير الامن العام) لئلا السلطان عبد الحميد ، وهذا عدوك يبرؤ من تحت لحيتك في بيروت ولا تدري به فأين معرفتك وبقتلك ؟ فرجوت ان يرجي هذا المزاح والتشفي من نسيبه على حسابي

الى مابعد اقلاع السفينة من ميناء يافا ، حتى لا يكون للوالي ولا للدولة العثمانية
بجندها وحرايها سلطان علي .

وفي هذه الرحلة قضيت في باريز أشهراً حتى برئت ساحتي ، ورجعت الى بلدي
عن طريق الاستانة . وكان الداعي الى الرحلة شراً فأنتج خيراً كثيراً .

* * *

أما الهزيمة الثانية فكانت أهم من الأولى لتشعبها وطول الطرق التي سلكتها
براً ، ولأنني كنت فيها كل ساعة معرضاً للخطر ، وقد أرسلت حكومة الولاية
بصورتني الى جميع الخافر والشكنات والمرافئ في سورية لأعرف عند رجال الدرك
والشرطة فيقبض عليّ حالاً . ونوعت الأساليب حتى أعني أثري وبغمّ على الوالي
أمري ، وأقنعه بأنني خرجت من البلاد فما اقتنع ، حتى ان احد اصدقائي أناني
بورقة من اوراق الرسائل وبغلاف مطبوع عليها شعار البواخر الفرنسية (الميساجري
ماريتيم) وكتبت كتاباً بالريشة الدقيقة يشعر بأنني كتبت على ظهر الباخرة ، ووضع
في البريد من بيروت باسم أخي حتى بنفس خناقه قليلاً ويكفّ الطلب عني ، فلما
أتيت الى الوالي تأمله فقال : الخط خطي ، والورقة المطبوعة ورقة الباخرة ، لكنني
ما برحت دمشق . وبهذا فقط أثبت انه ناظر ضبطية قدّم .

لما فوجئت بهذه الدعوى الجديدة كنت راجعاً من رحلة الى المدينة المنورة
استغرقت ثلاثة وعشرين يوماً . وكان غرض الوالي من هذه الدعوى الملققة
اشتغالي بنفسي ، والراحة ، ولو أياماً قليلة ، من نقد صحفي . وكان الوالي سيف هذه
المرّة أشد نقمة عليّ من المرات السالفة ، وذلك لاعتصامه بالاتحاديين ، وكانوا
أتوا به الى سورية ليعاضدهم في انتخاب اعضاء مجلس النواب ، فعمل بما ارادوا ،
مع انه ما كان من حزبهم ولن يكون ، فرأى بذلك الفرصة سانحة للقضاء عليّ آخر
الدهر . ولما فررت أشاع في جماعة الشرطة والدرك ان كل من يأتي بي اليه حياً او ميتاً
يرقيه من جندي عادي الى رتبة « يوزباشي » مباشرة ، عدا ما يعطاه من مكافأة نقدية .

كنت قادماً بعد العصر الى ادارة الجريدة ، فرأيت مربية من الجند تحيط بها ، فغمزني أحد شبان حي سوق ساروجا ان ارجع ، وكنت على بضع خطوات من الباب فرجعت وتبعني فقال لي : إن اخاك قبضوا عليه الساعة ، وهم في تفتيش الادارة . ولما رجعت الى داري وقع في قلبي ان القوة المسلحة لا تلبث ان تأتي للقبض علي . وكان الأمر كما حسبت ، فخرجت من داري سائراً على قدمي بين الحدائق لألوي على شيء ، ومعني السيد حكمة العسلي ، وانا افكر كيف اقطع نهر يزيد الحائل بيني وبين الجبل ، وكان الوقت ربيعاً ، والانهار طافحة بالياه ، فطلبت الى فلاح هناك ان يجتازني النهر فمشى الى مجاز يعرفه ، وما كان اكثر تعجبه ان رأى شجرة صفصاف كبيرة قلمت من جذعها وأسندت على شاطئ النهر ، كأنها جسر وُضع لأعبر عليه ، وممرت قليلاً حتى بلغت قبة السيار ، ومنها سقطت الى دمر اقصد بيت صديقي الامير عمر الحسيني ، وكان حاققاً علي لأنني كتبت ، او كتبت الجريدة ، تعريضاً بأخيه الامير عبد الله باشا لما قام بدعوة الجمعية المحمدية هو والسيد عبد القادر العجلاني في دمشق ، وكانت قامت هذه الجمعية بايعاز السلطان عبد الحميد ، لقلب النظام الدستوري ، وإعادة الحكم المطلق الاستبدادي ، وسيق القائمان بها الى الاستانة للحاكمه وبعد جهد جهيد كتبت لها النجاة من القتل .

قصدت دار الأمير عمر لأنه افرسي التبعة ، ومن المتعذر تفتيش داره ، ومع هذا احتاط وخبأني ثلاثة أيام في دار بعيدة عن داره . وفي اليوم الرابع ركبتنا مع الامير طاهر ابن اخي الامير عمر من وراء جبال دُمر فبلغنا المزة وفي تلك الليلة بحثت الحكومة عني في قرية المزة ، وكبست في صالحية دمشق دار صديقي عبد القادر بك المؤيد ، ولم تقف في المزة بل اجتزنا ارضها فقط ومنها صرنا الى قرية بلاس وهي مزرعة الامراء آل الامير عبد القادر ، فنزلت في دار الامير محمد ابن السيد محي الدين ، وامه ابنة الامير عبد القادر الكبير ، فقضيت عنده أياماً على غاية من الهناء والطمانينة ، حتى ابتاع لي الامير طاهر ثياباً بعضها من سوق الخلق

كالمعطف والعباءة ، وهذه اول مرة لبست بها في حياتي ثياب غيري ، ولا سيما مثل هذه الثياب الوسخة ، وقد تكون موبوءة ، وذلك لينظلي امرى على من يراني ، وكنت اطلقت لحيتي من يوم اسنرت ، وشعثت هندامي حتى أشبهت صورتي بعض سكان الحاضر في حماة . وكان جاءني احد اصدقائي عبد القادر أغا سكر من اعيان حي الميدان وابطال الرجال يريد ان يصحبني الى مصر فظننته هازلاً فاذا هو يجد ، ورجع بعد ايام يركب حصانه ، وقد ابعت حصاناً يحملني معه ، وفي الساعة التي كانت النار تلتهم سوق الحميدية بدمشق ، والحكومة والناس مشتغلون باطفائها قال الوالي : الآن يفرُّ صاحب المقتبس مغتنماً فرصة اشتغالنا بهذه الفادحة ، فأمسكت عليَّ محطات السكك الحديدية كلها ، وفاته ان لدمشق عشرات من المنافذ وان من اتهم تهتق لا يهرب من طريق السكة الحديدية مادامت الأرض واسعة . ومرنا عصر ذاك اليوم من بلاس حافظاً لصدقي الأمير محمد اجمل ذكرى ، وقد كتم وجودي في بيته حتى عن اهله وانسابه ، ومنهم من كان يكرهني ، وربما كان ينقرب من العثمانيين بدلالتهم على محبتي .

* * *

سلكنا سبيلاً معوجاً من اول مرحلة رحلتها من حوش بلاس ، فاجتزنا ارض المزة وبلاس والاشرفية وصحنايا والدرخية والطيبة وشقحب من قرى وادي العجم فدير العدس فالخارة من اقليم الجيدور حتى النقرة من اقليم الجولان ، وانتمينا عصر اليوم التالي الى نهر الرقاد ، ولم نُهَوِّم في الطريق الا دقائق قليلة ، لأن صاحبي كان يوجس خيفة من ان يعرف بالامر أحد من اصحاب الحكومة فيلحق بنا الجند ، وكنا رأينا في الليل ، والقمر ليلة البدر ، بضمة انفار من الدرك فوقنا عليهم وشربنا ماء ، وكلهم صاحبي بلهجة مغربية فعرفوا اننا مغاربة (وسأل أحدهم في عودته عن سبب مرابطتهم هناك ، فقالوا : (ان صاحب المقتبس سينمر من هذه الأرجاء وقد امرتنا الولاية بالقبض عليه)

وتعرف صاحبي عبد القادر آغا في الجولان الى رجل نجدي اسمه عبد العزيز المحيبي يقود الى مصر مع ستة من الرعاة سبعة وسبعين رجلاً ، هي ملك احد اصدقائي الحاج ياسين دياب من تجار دمشق . فذكر عبد القادر آغا للمحيبي ما وقع لي وما يتوقع من شر يصيبني اذا سقطت في يد أحد رجال الحكومة ، وانه رافقني حتى يبلغني مأمني ، فقال انه سمع بقصتي في دمشق . ومما قال له صديقي انك اذا اخذته تحسن لأهل دمشق ، وهو يحمل دراهم يعطيك بقدر ماتحب . فأجابه : نقول لي انك تحسن لأهل دمشق اذا هربته ونجا بروحه ، وتعرض علي ان آخذ منه اجرة ، ومتى كان العربي يأخذ أجراً على المعروف .

وعاد صاحبي عبد القادر آغا سكر الى دمشق وممرت على بركة الله مع جمال النجديين ، فقطعنا سهل الجولان وبتنا تلك الليلة دون عقبه فيق . واقرب مني ساعة نزولي فارس من خفراء شركة الدخان ، يحادثني ويتعجب الي ، فأزعجني بكلامه ، ولاحظ أني متعب كثيراً فقال لي : مالك وللجمال تجر بها - ورعاة الجمال يوهمون كل انسان اني انا صاحبها - لو فحيت لك دكاناً في سوق باب البريد يبلدك لعشت في نعيم ، وخلصت من هذا الشقاء ، ومن قطع الصحاري والبراري ، ففتاءبت وتناومت . فقال لرفاقي : « انه تعبان المسكين » وتركني وانصرف

ومن الغد هبطنا العقبة فأشرفنا على اراضي غور بيسان وبحيرة طبرية ونهر الأردن (الشريعة) فاجتزنا الجسر القديم المتداعي سباحة على الدواب ، ثم توقلنا الجبل الى موقع الدلايكة ، وهو بين جبلين منفرجين متآزبين ، وبتنا ليلتنا في سوق الحان بلد الصبيح على ساعتين من الناصرة . وفي اليوم الرابع دخلنا في غابة عظيمة من شجر البطم نحو ساعتين ، فبلغنا قرية دبورية ، وفي منقطع ارض هذه الدسكرة يتندي مرج ابن عامر (سهل يزربعل) فقطعناه عرضاً في اربع ساعات حتى بلغنا قرية اللجون ، ومنها الى وادي عارة ، وطوله ثلاث ساعات ، وهو ضيق متوازي الأضلاع . وبتنا الليلة الخامسة في عيون الأساور على ساعتين من قيسارية ، واجتزنا

في اليوم السادس بقري نابلس مثل قاقون وقلنسوة والطيرة ومسكة فبلغنا نهر العوجاء على ساعة ونصف من يافا .

وحدثني من اثق به بعد مدة ؛ أن جماعة من اعيان نابلس وشبانها المثقفين ؛ ومعظم شبانها مثقف ؛ استصرخوا قري نابلس التي يلاحظ اتي اجتاز بها ؛ وطلبوا الى بعض سكانها اذا رأوني ان يحملوني الى مكان بعيد ؛ ويكرموا مثواي ؛ ويبعدوني عن انظار كل من له علاقة بالحكومة ؛ فكان اهل القرية من القرى المستصرخة ينتدبون أناساً من شجعانهم واصحاب المروءات منهم يقفون على الطرق في الليل والنهار ، ليتقدوني من مخالب الظالمين . وباتوا بها يترصدون المعابر والمسالك أياماً وليالي حتى قرأوا في الصحف المصرية أني بلغت مصر . وهذه مروءة عربية استرق بها النابلسيون قلبي ما دمت حياً .

وفي اليوم السابع اجتزنا قري الساحل مثل جبنة ، سدود ، مجدل ، بريرة ، بير هديد ؛ غزة . ورأينا بعض المستعمرات اليهودية الزاهرة بالعمل والانتاج . وقضينا الليل في دير البلح . وفي اليوم الثامن دخلنا في رمال على نحو ثلاث ساعات من غزة ، وبعد مسيرة ست ساعات بلغنا محطة رفح أول حدود مصر والشام . وفي اليوم التاسع دخلنا في رمال خمسة أيام حتى قالت الاسماعيلية : ها أناذه . وكنا نسير في هذه الجفار على مقربة من البحر لا نبعد عنه كثيراً ، والرمال لا يتبدل شكلها . ذكرت هذه المراحل لأنني قطعتها على راحتي وما كنت لأقطعها لو خيرت . وقد استفدت من هذه الرحلة فائدة جغرافية وطوبوغرافية لا تقدّر . وما كان يومئذ خط حديدي يصل بين آسيا وإفريقية او بين دمشق والقاهرة ، ولا طرق معبدة تسلكها السيارات . وقصدت بنقيدي هذا تسجيل ظاهرة غريبة ، أو بدع قديم بطل ، وذكري أيام قضيتها في عالم الأباعر فاستحليتها وهي مرة .

* * *

قلت في محاضرة ألقيتها في الاسبوع الذي بلغت فيه القاهرة ، في فندق

ادن بالاس ، اجابة لمقترح جماعة من السوربين ، بعد ان عدت ما وقع لي منذ خرجت من بلدي الى ان دخلت الاسماعيلية ، وألمت بتاريخ ذلك الطريق الذي كان من عمر الطرق منذ كان الاسلام : وكان رحاتي في الشهر الماضي الى الحجاز وجنوبي الشام ونزولي على اهل البادية من اهل المدر والوبر كانت مقدمة لما امتحنت به هذا الشهر من مؤاكلة الاعراب في صحفة واحدة وفقدان الملعقة والشوكة والسكين والفوطة والكأس ، والاكل من طعامهم ثمن العراق والبرغل جريش الخنطة والتمر والخبز المعمول بالملحة او على الساج يسجر يعبر الأباعر ، والرمال تسفو فتدخل كل ما يعمل هناك من خبز وأدم ، وما أكوأ ومشروب ومطبوخ ومسلق ومقلي ومعجون . ولقد حملوا لي الماء في قربة فما هي الا ساعات حتى تغير منه الطعم واللون والرائحة ، وبقيت خمسة أيام أسقى من هذا الماء وأعدته نعمة بالقياس الى مياه الجفار البشعة المهوطة ، وهي بعض ماء البحر روقتها الرمال قليلاً . وأذكر ان «خويي» المحبسي ناداني مرة ، وجمالنا مسرعة في طريقها ، وحاديها يحدو لها بصوت يذكر بنجد واهل نجد ، فاتحقت به مسرعاً ، وما انخرطنا دقائق عن قارعة الطريق حتى كنا وسط فريق من العرب فاستسقى فأتوه «بذكرة» شرب منها واعطاني فاذا بها ابن رائب ثم أرادني ان اشرب وأشرب ، وأردت ان اعطيهم شيئاً فأشار اليّ ألا أفعل . وكنت اتنى شربة واحدة من هذا اللبن كل يوم وادفع فيها جنياً وأنا غير مغبون . وكنا مرّة نزولاً على بئر أنشئ على عهد الخديوي عباس الثاني ، وعليه زبر اسمه فأتاني وليد بمقطف من الطماطم (البندورة) الصغيرة فأحببت ان أعطيه ريبالاً فصرخ خويي «بشلك» ثم قال لي : اذا توسعت في أكرام البدو هذا التوسع تضربنا لأننا لا نزال نجتاز بهم طول السنة فاذا تعودوا على الكثير فنظر ان نعطي كل مرة كما اعطيت فلا يستقيم لنا بعد ذلك حال معهم . وكنت في الليلة التي نجتاز في صباحها برفح آخر الحدود العثمانية المصرية قلقاً جداً ، وقضيت ليلي وانا في هواجس أدبر وأقدر . وممرت قبيل الفجر أمام قطار

الجمال وأنا أقول في نفسي : الآن فصل الخطاب فاما ان ادخل ارض مصر ناجياً من العثمانيين ممتعاً بالنعيم بعد هذا الشقاء ، أو اعود أدراسي وانا في قبضة الترك الى مطبق من مطابقيهم ، ألقى ما ألقى من معاملتهم الجائرة . وبعد خمس ساعات سألت المحسني متى نبلغ رفح فقال : قطعناها منذ كذا ساعة ودفعنا عنك للجندي ثمن علبه دخان لما اعترضنا قائلاً ان اخراج الخيل من الأرض العثمانية ممنوع فأقنعناه بأن هذا حصان صاحب الجمال الذي تراه . فأخذ « البشلك » وهي قطعة تساوي قرشين ، ولم يمسننا بسوء ولم يحقق من امرنا غير ما رأى .

وسعدت في هذه الرحلة ان رأيت بين الشام ومصر صورة مصغرة من عيش اهل جزيرة العرب ، وذلك بالاختلاط مع تجار الجمال ورعائهم ، وكلهم نجديون لا يعرفون الفضول ، وما رأيت أحداً سأل خويي عبد العزيز عني بالإشارة ولا بالعارة ، وكانوا في كل مساء وصباح يختلفون الينا ويختلف اليهم ونشرب القهوة معاً وحديثهم في البعير وسوقه ورعيته وثمنه ورواجه وكساده . ولم اسمع في اربعة عشر يوماً بلباليها كلمة هجر وبذاء ولا تجديفاً ولا لعناً ولا نيمحة ولا غيبة ولا كذباً ولا منكرآ . وكان أولئك الأعراب بأجمعهم مواظبين على صلواتهم ، يتيممون بالرمل اذا اعوزهم الماء ولا يسرفون فيه اذا وجد . وأنست بلهجتهم وفيها كثير من الفصح ولها رنة تطربك .

نزلت في الخيام في الشهر الذي وقع قبل هذه الرحلة ثلاث ليال في أرض ابل على شيخ من عرب الشرور اسمه محمد ابراهيم ، وأخرى في بير البيطار على محمد ابي الفرج شيخ بني عطا ، وهذان المنزلان على مقربة من وادي موسى ، وبث ليلة في الزيزاء (الزيزة) عند صديقي فواز بن سظام شيخ مشايخ بني صخر فرأيت العيش البدوي على اختلاف درجاته ، وكان العيش في الليلتين اللتين قضيتها في بلاد الشراة « ديمقراطياً » وفي ارض البلقاء « ارسنقراطياً » منما فيها على فرش الحرير محشوة بربش النعام ، وشربنا في الصبح لبن النياق .

سألني احد الأعراب اي العيش افضل لنا نحن البدو : الحضارة ام البداوة ؟
فقلت له : ابقوا على بداوتكم واقربوا من المدنية ما سمحت لكم حالتكم وايامكم ان
تقلوا عن تعليم اولادكم . واني أخاف اذا عاشرتم الحضرة فأكثرتم من عشرتهم ان
يختلط عليكم امركم وتخرجوا عن فطرتكم واخلاقكم الى مائتين منه حضارتنا من
التفاق والكذب والتزوير والخديعة . ولولا الغارات المتوازية عندهم لآثرت ان
اعيش في هذه الديارات بين البوادي ولو اشهرأ في السنة .

زرت في تلك الرحلة عمان والصلت والكرك ومادبا وموثة ، وجئت معان
فقصدت الى متصرف الكرك صاحبي القديم حلم بك ابو شعر وطلبت منه ان
يصحبني بدركي لزيارة وادي موسى فنادى دركياً واسرأ اليه شيئاً في أذنه
واظنه قال له ان ينتبه لحديثي مع البدو وان يبيئه بخبري كله . وشكرت له لأنه
لم يقل له جئني برأسه ، ولو فعل لجلب السرور الى قلوب الاتحاديين ، القابضين
على زمام المملكة يومئذ ، ولرقيت درجته في ذاك الاسبوع الى والٍ . وانتهى
بنا السير قبيل الغروب الى عين ماء عذبة على خمس ساعات من معان فقلت للدركي :
نعشى هنا ، فاستنكر ذلك وقال : وهل يمكن هذا وبعد ساعة نصير الى قبيل
العرب فيذبجون لنا ؟ فأقنعتهم بأن نأكل من زادنا لأنني لا أريد ان اشق على الفقراء
فنزل واكلنا .

وفي العشاء كنا نزولاً على العربان فما ان ترجلنا حتى سمعت صوت « المهياج »
لعمل القهوة وأصواناً أخرى تنبئ بأن الخروف يذبح . فقلت للدركي : قل لم انا
نعشينا ، فقال : هذا كلام لا يسمع ، دع هؤلاء الذين تراهم من الصبيان
والشبان والرجال بأكلون الليلة على جوايرك (بسببك) فانهم ينتظرون قدوم الضيف
على شيخهم حتى يذبح له فيأكلون الفضلات . وانتظرنا ساعتين فخرج الخروف في
قصة صغيرة وجعلت تحته رفاق من الخبز لتت بالمرق فأصبنا منه قليلاً أرضاء لهم ،
وكاننا نراهم ، والقريب من القصة يتبعض للبعيد عنها ، فتسافر قطع اللحم من

فوق رؤوسنا وبتعاور العظام ابدي البدو فأسمعهم وهم يعرقونها بأسنانهم كما يعرق الكلاب العظم . وخمنت من تناولوا من الخروف تلك العشيبة بنحو خمسين نسمة ، ولولم نجئهم لباتوا على الطوى . ولو قدرت اننا سننزل على مثل هؤلاء الأعراب بكرموننا هذا الأكرام على فقرهم لحملت اليهم من معان على الأقل بعض الثياب اكسوها بعض ابناءهم وبناتهم لأنهم كانوا اشبه بعراة .

وأعظم ما ملأ نفسي سروراً في رحلتي الى المدينة المنورة ان رأيت العمران بدأ يسري بفضل السكة الحجازية ، الى بعض المحطات ، وأخذت المدينة تدخل في تلك القفار ويجري الانتفاع بالمياه المخزونة في بعض الأودية في ارواء الأرض ، فأنشئت الحقول والحدائق بعد بلدة معان ، وبدأ الأعراب هناك يتذوقون طعم السكنى ، ويتعهدون الزرع والشجر ، ولو ظل استثمار الخط الى اليوم لرأيت قرى قامت على جانبي هذا الطريق الطويل وصار للبادية ما تبلغ به وتعيش ولقامت بعد الديار الشامية حتى مدينة الرسول « هجرات » على النحو الذي قامت في بلاد نجد بفضل الملك عبد العزيز آل سعود فأغنى اهلها عن الغارة ، وعلمهم الحرث والكرث ، وحضرهم وحبب اليهم عيش المدر بعد عيش اهل الوبر .

ولاحظت في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ان جميع العناصر الاسلامية تدخل بخشوع وادب لا يكونان في أبناء العرب ، فهؤلاء يضطجعون وبأخذون حريرتهم ، وبلقون بنعالم كيف انفق ، مما لا يصدر مثله من المنود والأفغان والجاويين والايرائيين والقوقازيين والسودانيين والأتراك ، كأن أبناء العرب يرون أن صاحب هذا القبر الشريف هو بعض أبناء عمهم او احد إخوتهم ترتفع بينهما الكلفة على ما هو الحال بين أبناء أسرة واحدة .

ونسألني وقد أتعبتك بما قصصت عليك ، وأنت هل تعبت بقطع هذه المسافر التي قطعتها راكباً حتى بلغت مصر ، فأقول لك ان ربك يتبلي عباده ويعينهم . كنت اذا ركبت دابتي الى قريبي ثلاثة ارباع الساعة أضطجع اذا نزلت عنها

ساعة او ساعتين للاستحمام ، ولم تنقص اقل مرحلة قطعناها هذه المرة عن اثني عشرة ساعة ، وكثيراً ما كنا نسير ثماني عشرة ساعة في اليوم ، ومرنا في اليوم الاول اربعاً وعشرين ساعة متتابعة ، فكانت مرحلتنا الأولى كسائر المراحل غير شاقة ، وما أحسست بتعب يذكر ، وقد نكثني بنوم ثلاث ساعات نشط عقبيها للركوب كأننا نمنا ثماني ساعات على فراش وثير ، ذلك لأن نومنا كان بالعراء على الأرض بعيدين عن المستنقعات والقاذورات . وكنت أنشط اليوم بعد اليوم وآف هذا العيش لا اتبرم به كثيراً لأنه جديد بالنسبة لابن المدن والرفاهية .

ولما بلغت بعد ظهر اليوم الاخير من هزيمتي الثانية مدينة القاهرة قصدت الى « اسبلنديد بار » توأ ولم أكن احملي معي شيئاً الا ما عليّ من ثياب وسخة . فكان كلما جاء واحد من أصحابي الصحفيين يعنى عليه امرى ، حتى اتكلم واضحك ، أو يذكر له من سبقه اسمي الصريح ، وتجمع عليّ منهم بعد ساعتين عشرات شغلنا نصف البراني من القهوة ، والانظار تكدجنا ، والطليلان ينظرون الينا شزراً ، وكان مقهاهم وراء مقهانا ، ولعلمهم ظنوني بعض أولئك الأعراب الفارين من ليبيا ، وكانت الحرب يومئذ على ساق وقدم بينهم وبين جيوش العثمانيين . واخذني حقي بك العظم فصورني بذلك الهندام العجيب ، وساقني رفيق بك العظم امامه الى داره ، فقلت له : انزل في الفندق ، فقال : ما من فندق في القاهرة يقبلك وانت على هذه الوساحة . ومن الغد خلعت حلتي ، وحلقت لحيتي ، وعدت الى قيافتي . وعندها بدأ التعب يدب في جسمي ، ولم ترجع اليّ قواي الا بعد نحو اسبوعين ، وحمدت الله على السلامة ، وأنشدت مع من أنشد « أنت يا مصر ملجأ الأحرار »

حلقة مفقودة

من سلسلة التاريخ الاسلامي

يحتاج تاريخنا الاسلامي الى معالجة دقيقة وتهذيب وتنسيق ، فكثير من البجائه ناقصة مبتورة ، وكثير من حلقاته مبعثرة متفرقة ، وكثير من مصادره لا تزال حتى اليوم في دور الخفاء ، وكثير من كتبه المطبوعة تحتاج الى تصحيح وتحقيق وفهارس علمية .

ان عدداً كبيراً من دول وامارات اسلامية لا يعرف عنها شيء الا بعد بحث وعناء ، فلو اراد الباحث ان يعرف شيئاً عن دولة بني رسول التي كانت في اليمن ، او عن السلجوقيين ، او السبكتكيين ، او الخوارزميين ، او الامارات التي قامت في بلاد الروم (الاناضول) لما عرف عنها الا شيئاً قليلاً بعد عنت كبير ، وعناء عظيم مع وجود مصادر عديدة في هذه الموضوعات . وهناك ما هو اشد خفاء ، واكثر عناء مثل البحث عن الامارات والسلطنات الاسلامية في الحبشة والسودان ، وبلاد الهند ، ويران وغيرها .

عنيت منذ خمس سنين بدراسة واسعة واسعة عن الدولة الايوبية واماراتها وعصرها وكان مما عثرت عليه أثناء دراسة العصر الايوبي ، والممالك الايوبية مملكة مستقلة قامت في مدينة (حصن كيفا) وعاشت نحواً من ثمانية عشر ومئتي عام .

ومن العجيب ان تعمّر سلطنة مثل هذا العمر الطويل ولا تدخل في سجل التاريخ ولا يشير اليها احد من المؤلفين الا عفواً

فعلامة الاسلام لم تشر اليها في بحث الايوبيين ، وبحث (حصن كيفا) ونقلت عن كتاب (شرف نامه) عبارة تدل على هذه السلطنة دلالة مبهمة . فقد جاء في بحث (اوزون حسن) انه انتزع (حصن كيفا) من أيدي الاكراد

الأبويين ، وهذا كل ما أشارت اليه . ولم نر لهذه المملكة ذكراً في الاجزاء المطبوعة من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، ولا في تاريخ الحافظ ابن كثير ، ولا في تاريخ القرماني مع ولوعه باستقصاء الممالك والسلطنات والامارات . وأشار لهذه المملكة القلقشندي بما لا يشفي الغليل ، ومعظم ما نقله عن كتابي التعريف والتثقيف ، وكانت تقول كتاب التثقيف مضطربة مشوشة مثل نقول القلقشندي ^(١) فها لم يستندا في بحثها الى تحقيق علمي ، وانما اخذا معلوماتها من افواه بعض التجار والقاصد ^(٢) وقد استطعنا ان نجمع حلقات هذه السلسلة الابوية من كتب التراجم بعد ان أعيانا البحث عنها في كتب التاريخ السياسي ، ولكننا لم نستطع التعرف الى خمسة من ملوكها وان كنا قد علمنا أسماءهم .

حصن كيفا ^(٣)

مدينة من مدن الجزيرة الفراتية ، قائمة على الشاطئ الأيمن من نهر دجلة ، وهي في منتصف الطريق تقريباً بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وتبعد عن كل منها مسيرة ثلاثة أيام .

وهذه المدينة عريقة في القدم ، فالمغاور والكهوف التي لا تزال فيها ترجع الى ما قبل العصر الكلداني وأصبحت (حصن كيفا) حسب التنظيم الإداري التركي جزءاً من قضاء العوينة في لواء ماردين (ولاية ديار بكر) وهي قائمة بين قضاءي العوينة ومدباد . وسكانها أتراك وأكراد وارمن وسوريون مسيحيون

تاريخها الاسلامي

انضمت هذه المدينة مع بقية الجزيرة الى المملكة العربية الاسلامية بين سنتي

(١) راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٣١٧ (٢) جمع قاصد وهو من ترسله الحكومة لايصال رسالتها الرسمية (٣) ملخص من معلة الإسلام ، وصبح الأعشى ، والجوم الزاهرة ، ومعجم البلدان وغير ذلك من كتب التاريخ وقوم البلدان .

(١٨ - ١٩ هـ) أيام خلافة عمر بن الخطاب . ولما ضعفت الخلافة العباسية دخلت حصن كيفا تحت سلطة بني حمدان ، ثم بني مروان ، ثم بني أرتق الذين جعلوها عاصمة لهم منذ سنة (٤٩٥ هـ) فبليت في عهدهم اقصى نجاتها وروعيتها . وفي سنة (٥٧٩) حاصر صلاح الدين بن أيوب مدينة آمد وجاء لخدمته نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا فأحسن صلاح الدين لقاءه ووعد به بآمد . فلما فتحها صلاح الدين في السنة المذكورة وفي بوعده لصاحب حصن كيفا واعطاه آمد ، ومن ذلك الوقت خضعت حصن كيفا للمملكة الايوبية خضوعاً معنوياً مع استقلالها الذاتي . وبين سنتي (٦٢٩ - ٦٣٠) اخذ الملك الكامل صاحب مصر مدينة آمد مع حصن كيفا من الملك المسعود بن الملك الصالح ابي الفتح محمود بن نور الدين محمد بن نجر الدين قرا ارسلان بن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقان بن ارتق . واصبحت يومئذ من الممتلكات الايوبية وفي حدود سنة (٦٣١ - ٦٣٢) اعطى الملك الكامل حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب فبقي فيها حتى مات ابوه فترك الحصن وتوجه الى الشام وحصلت له وقائع كثيرة حتى صار ملكاً على مصر سنة (٦٣٧) . وكان ابقى في الحصن ابنه الملك المعظم توران شاه جد ملوك الحصن وهم الذين وضع هذا البحث فيهم

الملك المعظم توران شاه

هو جد ملوك حصن كيفا واصلهم الذي يرجعون في النسب اليه . جعله ابوه الملك الصالح نجم الدين ايوب لما ذهب الى مصر نائباً عنه على حصن كيفا وغيرها من اعمال ديار بكر وهو يعتبر آخر ملوك مصر من الأيوبيين . ولما توفي والده الصالح نجم الدين سنة (٦٤٧) والافرنج محدفة بالديار المصرية أخفت شجرة الدر موت الصالح أيوب ، وصارت تدبر الامر خوفاً من اضطراب البلاد ، وارسلت الى حصن كيفا تدعو توران شاه للحضور الى الديار المصرية فحضر اليها في اول

المحرم^(١) سنة (٦٤٨) فأعلن حينئذ موت الملك الصالح وملكية ابنه المعظم توران شاه . وانفق ان العساكر الاسلامية انتصرت في ذلك الوقت انتصاراً باهراً على الافرنج الواعلين في الديار المصرية فاستبشر الناس بيمين سلطانهم الجديد استبشاراً عظيماً ، ولكن الملك الجديد كان شاباً غمراً منهمكاً في اللذات بعيداً عن السياسة والتدبير ، نشأ في بيئة تختلف كل الاختلاف عن الديار المصرية . ويقول الامير حسام الدين ابن ابي علي كنا نقول للملك الصالح : لماذا لا تحضر ابنك الى مصر ؟ فكان يقول دعوني من هذا فألححنا عليه يوماً ، فقال : اجيبه الى ها هنا أقتله ؟ والظاهر من هذا أن أباه كان لا يراه أهلاً لأن يملك على مصر ، ومن أعماله انه ارسل الى شجرة الدر زوج أبيه - وكانت قد ذهبت الى القدس ابتعاداً عنه - يهددها ويطلبها بالاموال ، فكاتبته الأمراء واغرتهم به وكانت نفوسهم تغيرت عليه لتهديده لهم بالقتل ايضاً فانفقوا على قتله ونفذوا ذلك ، فكان مدة ملكه على مصر أقل من شهر . فقد قدم اليها في مستهل المحرم وقتل يوم السابع والعشرين من هذا الشهر سنة (٦٤٨) هذه رواية النجوم الزاهرة ويقول ابن شاكر الكتيبي في فوات الوفيات : ان المعظم توران شاه كان قوي المشاركة في العلوم حسن البحث وانه لما دخل دمشق قام الشعراء بين يديه فابتدأ العدل تاج الدين بن الدجاجة فقال :

كيف كان القدوم من حصن كيفا حين ارغمت للاعادي انوفنا
فأجابه المعظم بقوله :

الطريق الطريق يا الف نحس تارة آمنة وطوراً مخيفاً
ولما قتل رثاه نور الدين بن سعيد بقصيدة منها :
ليت المعظم لم يسر من حصنه يوماً ولا وافي الى املاكه

(١) هذه رواية صاحب النجوم الزاهرة ، وأبو الفدا يقول انه وصل المنصورة في ٩ ذي القعدة وكانت مدة ملكه شهرين وأياماً .

ان العناصر اذ رآته مكلاً حسدته فاجتمعت على اهلاكه

الملك الموحد تقي الدين عبد الله بن الملك المعظم توران شاه

بعد هذا الملك اول ملوك الحصن من الايوبيين المستقلين بها ولكننا لا نعرف عنه شيئاً غير ما ذكره عنه ابو الفداء في تاريخه . فقال عنه في حوادث سنة (٦٣٨) انه بعد ذهاب ابيه تورانشاه الى مصر بقي مالكاً لحصن كيفا الى أيام التتر وطات مدته بها

الملك الكامل مجير الدين ابو بكر شادي

وهو ثاني ملوك الحصن ، ولا نعرف عنه غير كنيته ولقبه جاء ذكرهما عفوآ في الدرر الكامنة في ترجمة ابنه ايوب ونصه : كان المعظم لما تقرر في سلطنة الديار المصرية نقلا من حصن كيفا ترك ولده الموحد تقي الدين عبد الله فاستمر في مملكة الحصن المذكور . وتولى بعده ولده الكامل ابو بكر . وهذا كل ما عرف عنه . وفي الضوء اللامع للسخاوي ما يفيد بان اسمه شادي ولقبه مجير الدين . وفي شذرات الذهب ايضاً ما يفيد بان اسمه شادي . وقد خلف ولدين توليا بعده ، احدهما ايوب ، والآخر محمد

الملك الصالح نجم الدين ايوب بن ابي بكر شادي

وهو ثالث ملوك الحصن ، ويقول عنه في الدرر الكامنة انه استقر في المملكة بعد ابيه الملك الكامل ابي بكر فنجح في سنة ٢٦ فقدم القاهرة وتلقاه الملك الناصر وأكرمه ، فلما رجع من الحج عارضه اخوه فخاربه فقتل ايوب هذا وولده واستولى اخوه على المملكة وذلك في اوائل سنة (٧٢٧) وذكر مثل ذلك ابو الفدا في حوادث سنة (٧٢٦) ولم يثبت حجه فيقول : وفي شعبان حضر نجم الدين صاحب حصن كيفا متوجهاً الى الحجاز ، ثم ابطل المسير الى الحجاز وسار الى عند السلطان الى مصر فأنعم عليه السلطان وأعادته فعبر على حماة وتوجه الى حصن كيفا وفيها حال

وصوله قتلته اخوه ، وكان اخوه مقيماً هناك ، وملك اخوه الحصن والمذكوران من ولد تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب ابن الكامل ابن العادل ابن ايوب ، و اشار لهذه الحادثة ايضاً العمري في التعريف (ص ٣٣) ولقبه بالملك الصالح فقال : وكان آخر وقت منهم الملك الصالح ، قصد الابواب السلطانية ، فلما اتى دمشق عقبته الاخبار بأن اخاه قد ساور سريره ، وقصد بسلطته سلطانه ، فكر راجعاً ولم يعقب ، فما لبثت الأخبار ان جاءت بأنه حين صعد قلعته ، وكر نحو سريره رجعت ، وثب عليه اخوه المتوثب فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه ندمه ، وكتب الى السلطان^(١) فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعذاره ، والسرائر مكذوبة ، والخواطر بعضها من بعض منفرة اه

هذا كل ما اطلمنا عليه من اخباره ولكننا لم نطلع على اسم اخيه الذي ثار عليه وقتله وتولى بعده ، كما اننا علمنا ان نسله انقطع ما دام اخوه قد قتلته مع اولاده وحينما نرجع الى تراجم ملوك الحصن لا نجد احداً يتصل نسبه بنجم الدين هذا ، وانما نرى الملك العادل فخر الدين سليمان قد ذكر نسبه هكذا : سليمان بن الملك الكامل غازي بن محمد بن ابي بكر شادى ، ومن هذا يظهر ان محمداً المذكور هو اخو نجم الدين . ولكن هل هو الذي قتلته وتولى بعده ام هناك اخ ثالث ؟ والظاهر انه هو الذي تولى بعده وان كنا لا نجزم بذلك .

الملك الكامل مجير الدين محمد

وهو رابع ملوك الحصن ، وهو ابن ابي بكر شادى ، والمظنون انه هو الذي قتل اخاه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن ابي بكر شادى ، ولا نعرف عنه اكثر من ذلك

(١) وهو الملك محمد بن قلاوون تـسلطن للمرة الأولى سنة (٦٩٣) فبقي ساطاناً سنة واحدة ثم خلع لصفه سنة ، ثم تـسلطن للمرة الثانية سنة (٦٩٩ - ٧٠٠) فبقي سبع سنين ثم خلع نفسه وذهب إلى الكرك ، ثم تـسلطن للمرة الثالثة سنة (٧٠٢) فأقام ملكاً حتى توفي سنة (٧٢١) .

الملك المجاهد شهاب الدين غازي

ويعد الملك الخامس من ملوك الحصن ، وهو ابن مجير الدين محمد ولا تعرف عنه شيئاً .

الملك العادل فخر الدين سليمان

وهو السادس من ملوك الحصن ، وهو ابن المجاهد غازي ، ابن الملك الكامل محمد ، ابن الملك ابي بكر شادي ، وبواسطته عرفنا اسم ابيه وجده وابي جده^(١) ترجمه في الضوء اللامع ونقل عن ابن حجر في انباء الغمر : انه اقعد ملوك اهل الأرض في مملكة حصن كيفا (يريد اطول ملوك عصره عمراً) الا صاحب صعدة الامام الزبيدي فانه اقعد في المملكة منه . ملك الحصن بعد ابيه فدام نحو خمسين

(١) ترجمه صاحب الشذرات كما ترجمه صاحب الضوء اللامع ، ويتفق الضوء مع الشذرات في اسمه واسم ابيه وجده ولكنها يختلفان في القابهم ، فصاحب الشذرات يلقب اياه بالملك الكامل غازي وترجع ما في الضوء بان لقبه الملك المجاهد لتردد هذا اللقب عدة مرات على هذه الصفة . وقد وهم في اسم (الملك العادل فخر الدين سليمان) صاحب كتاب التقيف كما نقله عنه القلقشندي في صبيح الأعشى (ج ٢ ص ٣١٧) وهم في لقب ابيه وجده ولكنها يتفق مع الشذرات والضوء في اسميهما . ففي التقيف أن الذي اتضح له آخرأ في رمضان سنة (٧٧٦) أن صاحبها (أي حصن كيفا) الملك الصالح سيف الدين أبو بكر بن الملك العادل شهاب الدين غازي ابن الملك العادل مجد الدين محمد ، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر .

فيوافق أن اياه شهاب الدين غازي وجده مجد الدين محمد ابا جده أبو بكر ، ولكننا نراه يخالف في ألقابهم الملوكية ، فيلقب الاب والجد بالملك العادل ثم يسفشكل كيف أن ابا وابنه يكونان بلقب واحد ولكن الوهم الذي وقع فيه هو الاسم الأول وهو — الملك الصالح سيف الدين أبو بكر — لأن الذي كان ملكاً سنة (٧٧٦) هو الملك العادل فخر الدين سليمان بن الملك الكامل غازي صاحب هذه الترجمة لانه توفي سنة (٨٢٧) وجاء في ترجمته أنه بقي ملكاً نحو خمسين سنة فاذا طرحنا واحداً وخمسين من سنة وفاته فانه يكون ملكاً سنة (٧٧٦) ومهما يكن فصاحب التقيف مشكك فيما ذكره والصواب ماحققناه . راجع صبيح الأعشى ج ٢ ص ٣١٧ .

وهم القلقشندي أيضاً في صبيح الأعشى إذ قال : الذي أخبرني بعض قصاد صاحبها سنة (٧٩٩) أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود وذكر لي لقبه فتسبته اه والصواب أن اسم الملك يومئذ هو سليمان بن الملك غازي .

سنة ، وشكرت سيرته ، وحسنت ايامه وله فضائل ومكارم وادب وشعر واعتناء بالكتب والآداب . ويقول صاحب الشذرات انه تسلطن في الحصن بعد موت ابيه وحسنت ايامه وكان مشكور السيرة محبباً للرعية مع الفضيلة التامة والذكاء والمشاركة الحسنة وله نظم ونثر وديوان شعر لطيف ومن شعره :

أربعان الشباب عليك مني سلام كلما هب النسيم
سروري مع زمانك قد تناءى وعندى بعده وجد مقم
فلا برحت ليايك الغوادي وبدر التم لي فيها نديم
بغازلي بنج والحميا يضى وثغره در نظيم
وقد مثل لدن ان ثنى وربقته بها يشفى السقيم
اذا مزجت رحيق مع رضاب ونحن بلبل طرته نهيم
ونصبح في ألد العيش حتى تقول وشائنا هذا النعيم
وترتع في رياض الحسن طوراً وطوراً للتعانق نستديم

ويقول القلقشندي ان بعض قصاد حصن كيفا ذكر له ان الملك سليمان يقول الشعر واحضر معه بيتاً مفرداً من نظمه وهو :

وجارية تعير البدر نوراً ولولا نورها عاد الظلام

فنظم القلقشندي اياتاً وبعث بها اليه صحبة قاصده وأولها

سليمان الزمان مجصن كيفا له في الملك آثار كرام
زكا اصلاً فطاب الفرع منه وطاب الغصن اذ طاب الكمام
بنو ايوب ابقوا منه ذخراً ونعم الذخر والقييل الهام
وجارية تعير البدر نورا ولولا نورها عاد الظلام

توفي الملك العادل سليمان سنة (١٢٢) بعد ان ملك نحواً من خمسين عاماً

الملك الأشرف أحمد بن الملك العادل سليمان

وهو السابع من ملوك الحصن ترجمه صاحب الشذرات وصاحب الضوء اللامع بأنه صاحب حصن كيفا واعمالها من ديار بكر وليها بعد ابيه في سنة سبع وعشرين وكان مشكور السيرة محبباً لرعيته لوفور عقله وسياسته وديانته مع فضل وميل زائد الى الأدب ومشاركة في فنون وكرم وشجاعة وظرف ذكره ابن حجر في انباء الغرر ، وقال انه خرج في عسكره للملافة السلطان^(١) على حصار آمد فاتفق انه نزل لصلاة الصبح فوقع به فريق من التركان فأوقعوا به على غرة فقتل وذلك في شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة ودفن بحصن كيفا . ويقول ابن حجر عنه انه كان فاضلاً اديباً له شعر حسن ووقف على ديوان شعره وهو يشتمل على نوايح في ابيه وغزل وزهديات وغير ذلك وانه كان جواداً محباً للعلماء ومن نظمته :

بدا حبي وقد خضب اليدين	فأتلف مهجتي بالحاجبين
وبين النوم والجن اختلاف	كما بين الذبي اهوى وبيني
ترفق يا حبيب القلب واعطف	لتنعم بالرضا عيني بعيني
اذا [ما] رمت سلواً إلى قلبي	يجرجه الجمال بقائدين
وان اذنت ذنباً يا غزالي	أرى لك عند قلبي شافعين
يعتفي فؤادي كيف اسلو	مليحاً ساكناً في الناظرين
يذوب القلب مني حين يضحي	شروداً للغرام محركين
فزرتني يا حبيبي تلق اجراً	ودس فضلاً على رأسي وعيني

انتهى عن الضوء والشذرات

(١) هو السلطان الأشرف برسباي الدققي الظاهري تولى مملكة مصر والشام سنة (٨٢٥) وتوفي سنة (٨٤١) خرج سنة (٨٣٦) بالساكر المصرية والشامية لقتال الأمير التركاني عثمان قرالموك صاحب ديار بكر وأمد واردة في فحاصره في آمد شهراً ثم صالحه .

الملك الكامل خليل بن الملك الاشرف احمد

وهو الملك الثامن من ملوك الحصن . وهو خليل بن احمد بن سليمان بن غازي ابن محمد بن ابي بكر بن عبد الله بن توران شاه الملك الصالح ثم لقب بالملك الكامل ابو المكارم . استقر في مملكة الحصن بعد قتل والده سنة (٨٣٦) وكان محباً للعلماء خصوصاً الشافعية ، وسار في بلاده سيرة حسنة ونشر العدل ، ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه من أهل الفضل وان له نظماً وأنه ارسل بدبوان من شعره على عادة ابيه الى الديار المصرية فقرظه له الادياء ومما انتقاه ابن حجر من ديوانه

بانوا فأجروا عيوني من بعدهم كالعيون
في حبيهم مت عشقاً ياليتهم قبلوني

وكتب اليه الكمال بن البارزي يمدحه

أجر الشعرات غدت منك في قبضة اليد
غير بدع فانها للخليل ابن احمد

وثب عليه ابنه ناصر فقتله في ربيع الاول سنة (٨٥٦)

الملك العادل ناصر بن خليل بن احمد

وهو التاسع من ملوك الحصن قتل أباه وتملك بعده فبقي نحو سبعة أشهر ثم نار عليه ابن عمه حسن بن عثمان بن الملك العادل سليمان فقتله ثاراً لأبيه

الملك الكامل احمد بن خليل بن احمد بن سليمان

وهو العاشر من ملوك الحصن ، ولما قتل اخوه ناصر اباهما الملك الكامل خليل فر خوفاً من أخيه الى جهانشاه ملك تبريز ، فلما نار ابن عمه على أخيه ناصر وقتله استدعاه ابن عمه من تبريز وجعله ملكاً على الحصن فبقي فيه ملكاً نحو سنتين ، ثم حصلت ثورة في بلاده وتغلب على ملكه ابن عمه خلف بن محمد ففر الى قلعة ارغيس

من معاملة الحصن ثم الى بغداد ثم الى مصر فأكرمه عتيق جده مرجان العادلي مقدم المايك وتوفي في مصر أيام الملك الظاهر خشقدم

الملك العادل خلف بن محمد بن سليمان بن احمد

وهو الحادي عشر من ملوك حصن كيفا ثار على ابن عمه الملك الكامل احمد في حدود سنتي (١٥٨-١٥٩) ففر الملك الكامل واستولى على المملكة فبقي مالكاً سبع سنين . ثم جرى له ما فعله بسلفه ، فنار عليه أبناء عمه : زين العابدين ، وابوب وعبد الرحمن ابناء علي بن محمود بن العادل سليمان فقتلوه وولده هارون في حدود سنة (١٦٥) وذكره صاحب الشذرات فيمن توفي سنة (١٦٧) وكان العادل شجاعاً مقداماً ذا بطش وقوة وله نظم ليس بالجيد . واليه الاشارة بقول الصدر بن البارزي بما كتب به اليه .

قالوا يموت الكامل الحصن وهت وعزها قد حاد عنها وصدف
فقلت ان كان مضى كاملها فان فيها خلفاً عن من سلف

الملك الصالح زين العابدين

وهو الثاني عشر من ملوك الحصن ثار هو وأخواه ابوب وعبد الرحمن ابناء علي ابن محمود بن العادل سليمان فقتلوا ابن عمهم العادل خلف بن محمد وتملك زين العابدين على الحصن وبقي ابوب وعبد الرحمن كالوزراء ثم اختلف الثلاثة فيما بينهم فهاجم الحصن حسن بيك الطويل (أزون حسن) بن قرايلوك عثمان صاحب آمد واستولى على الحصن وقتل الثلاثة بين يديه صبراً في ذي القعدة سنة (١٦٦) وبذلك انقرضت هذه السلالة الأيوبية

هذه خلاصة ما اطلعنا عليه من اخبار هذه السلالة ، واكثرها لا بعدو كونه تراجم ، ولكنها بمجموعها تعطينا فكرة قيمة عن هذه الامارة ، وبعد ذلك نتساءل لماذا كانت اخبار هذه الامارة غامضة في اول نشأتها فلم يعرف عن احوالها الا التزر

اليسير ، ولماذا لم يعرف شيء عن ملوكها الخمسة الأول ، وما السبب في ان المؤرخين اخذوا يذكرون تراجم ملوكها منذ منتصف القرن الثامن الهجري ؟

اني ارى ان صغر هذه الدولة وضعفها كان له اكبر الأثر في ذلك ، يضاف اليه ان هذه الدولة تعتبر صاحبة الحق الشرعي في اعتلاء عرش المملكة في مصر والشام كما تعتبر دولة المماليك البحرية (ممالك جدملوك حصن كيفا) مقتنبة لعرش الأيوبيين ، وهاضمة لحقهم ، ومنكرة لتعنتهم ، وعاقبة لولائهم .

لذلك كان من المعقول ان لا يجرأ احد من المؤرخين على ذكر دولة ملوك الحصن الا رمزاً خوف تنبه الأفكار اليها ، بخلاف ملوك حمص وحماء التي بقيت امارتهم مستقلة استقلالاً ادارياً في عهد المماليك ، لأنهم ليس لهم صبغة قانونية في حق العرش ولم يسبق لأحد من اجدادهم ان امتلك دمشق او حلب او مصر ، وهي العواصم الكبيرة التي كان يقوم في كل منها مملكة ايوبية كبرى

لذلك كانت ابناء ملوك هذه البلدان الثلاث موضع ريبة وحذر في دولة المماليك البحرية ، وكانوا موضع بطش وانتقام من هذه الدولة ايضاً

ولما التقى جيش التتر بقيادة كتبغا مع الجيش المصري الذي يقوده الملك المظفر قطز كانت قد انضم الى جيش التتر الملك السعيد حسن بن الملك العزيز عثمان ، والملك الأشرف موسى صاحب حمص - حرصاً على بلادهما من تدمير التتر لها - ولما اسفرت المعركة عن انتصار الجيش المصري وانهزام جيش التتر حضر الملك السعيد الى الملك المظفر قطز ليعتذر اليه فأمر قطز بضرب عنقه فضربت ، وارسل الملك الأشرف صاحب حمص الى قطز يطلب منه اماناً على نفسه وبلاده فأمنه وأقره عليها

فان كان الانضمام الى التتر يعد جريمة وخيانة لا تغتفر فلماذا ينتقم من الملك السعيد فتضرب عنقه ، ويعفى عن الملك الأشرف وتعطى له بلاده ؟

ليس لهذا سبب في نظري الا ان الملك السعيد هو من يحق له ان يطالب

بعرش المملكة لأن جده هو الملك العادل اخو صلاح الدين فلذلك حكم عليه بالقتل
تخلصاً من مضايقته

ونرى الملك الظاهر يبهرس يمثال على الملك المغيث صاحب الكرك ثم يلقي
عليه القبض وبتهمه بأشنع التهم ويقتله شر قتله ، وليس لهذا من سبب الا انه كان
احق الناس بتاج مصر

ويحدثنا التاريخ ايضاً بأن الظاهر يبهرس لما رأى الناس يلهجون بذكر الملك
القاهر بن الملك المعظم عيسى ملك دمشق اغتاله بسم وضعه في نبيذ قَيْن^(١) سقاه منه
ولم يقف الامر بالظاهر يبهرس عند هذا الحد بل عمد الى أعظم حيلة تسقط حق
الايوبيين من عرش بلادهم ، فأعاد الخلافة العباسية في مصر ، لأن الخلفاء العباسيين
في نظر الناس هم اصحاب الحق في حكم العالم الاسلامي اجمع ، والدول والملوك الذين
يحكمون في البلاد انما هم نواب عنهم ، واصبح الملك الظاهر نائباً في الحكم عن الخليفة
العباسي ، وبذلك لفت انظار الناس عن الايوبيين الى الخلافة العباسية الوهمية وكاد
للایوبيين مكيدة لم تقم لهم قائمة بعدها

هذه كلها (في نظري) اسباب منعت المؤرخين أن يذكروا احداً من ملوك حصن
كيفا خوفاً من بطش المماليك ، حتى اذا استقرت قواعد دولة المماليك في البلاد ،
ونسى الناس عهد الايوبيين ، وانقلت عرش الملك من المماليك البحرية ، الى المماليك
الشرابية استطاع المؤرخون ان يذكروا هذه الدولة ويؤرخوا ملوكها ، ولكن
أسلوب كتب التاريخ كانت قد تغير واصبح طراز كتبها منذ القرن الثامن الهجري
مثل كتب التراجم تجمع بين العلماء والوجهاء والملوك والامراء والتجار الخ ، كما فعل
الحافظ ابن حجر ، والسخاوي ، وابن العماد ، وبذلك استطعنا ان نجتمع حلقات هذه
الدولة المبعثرة وان نبعث تاريخها من جديد ولعل الباحثين من العلماء والمؤرخين يرشدوننا
لما لم نطلع عليه فنكون لهم من الشاكرين

محمد أحمد رهمان

(١) نبيذ يتخذ من ألبان الخيل يني بشره الترك والتتار .

غريب الحديث

لا تعرف العربية بعد القرآن الكريم كلاماً يسامي الكلام النبوي او يدانيه ؛ فصاحةً مبنى وبلاغةً معنى ، وجمال أسلوب ، وجلال قدر ، وبراعة تركيب ، وروعة تأثير ، وانه لكما يقول شيخ الكتاب ابو عثمان الجاحظ « لم يسمع الناس بكلام قط ؛ اعم نفعاً ، ولا اصدق لفظاً ، ولا اعدل وزناً ، ولا اجمل مذهباً ، ولا اكرم مطلباً ، ولا احسن موقعاً ؛ ولا اسهل مخرجاً ، ولا افصح عن معناه ، ولا ابين عن فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم » ورب قائل يقول : اذا كان الامر على ما وصفت فن أين تسلت الغرابة الى بعض الفاظه ، وتطرق التعقيد الى بعض معانيه ، والغرابة لا تسكن الفصاحة ، والتعقيد لا يجاور البلاغة ، فنحن نقول ان الكلام النبوي منزه عن التعقيد ، والغرابة بالمعنى الذي يريده المتأخرون من علماء البيان . لأنهم لا يريدون بذلك الا الخروج عن جادة المألوف من الألفاظ بالنسبة الى المتكلم والمخاطب فاذا كان اللفظ من مألوف المخاطبين فليس لأحد ان يسمه بسمة الاغراب . او يصمه بوصمة الاجهام ، وان كان غير مألوف عند غير المخاطبين به من الناس . اذ الاعتبار — في هذا الباب — مقصور على من يتوجه اليه الخطاب ، دون غيره . ولو ذهبنا في تفسير الاغراب والتعقيد عند البيانيين غير هذا المذهب ، وقلنا من شرط الفصاحة في الكلام ان يكون عارياً من كل لفظ غير مألوف للناس اجمعين في كل زمان ومكان ، لما وجدنا كلاماً لمتكلم من عرب الجاهلية و صدر الاسلام يستحق ان تخلع عليه حلة الفصاحة ضافية او غير ضافية . لأننا لا نعرف لهم كلاماً مثوراً او منظوماً يخلو من الفاظ غير مألوفة بالنسبة للاجيال المتأخرة تدفع السامع او القارئ منهم الى استنطاق دواوين الادب ومعاجم اللغة ، والاستنجاد بالشروح والتعليق .

والحقيقة ان الغرابة نسبية تختلف باختلاف الناس والزمان والمكان ، فرب لفظ

يكون شائعاً دائماً عند قوم؛ وعدم الاستعمال قليله عند آخرين . ورب لفظ يكون معروفاً مألوقاً في زمان او بلد ، ومنكوراً مجهولاً في زمان او بلد آخر ، على ما ألمعنا اليه في بحث مفردات القرآن .

هذا واعلم ان النبي (ص) كان يشافه العرب وبكاتبهم أفراداً وجماعات ، وكانوا على ما تعلم من اختلاف اللحن واللغات ؛ وتباعد المواطنين واللهجات . وكان يخاطب كل قوم بلغتهم ، وعلى اسلوب تفاهمهم ، وان كان ما يكلمهم به غير معروف تمام المعرفة عند قومه واهله ، بل قد تجهله قبائل معد كلها . فقد روي ان علياً كرم الله وجهه قال للنبي (ص) وقد سمعه يكلم وفد بني نهد بلحنهم : يا رسول الله نحن بنو اب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره . فقال له « ادبني ربي فأحسن تأديبي » .

ومن يرجع الى أسفار الآثار ، ويقف على تلك الرسائل التي كانت يبعث بها النبي (ص) الى بعض قبائل العرب غير العدنانية بأخذه العجب مما أوتيه الرسول الكريم من البسطة في البلاغة ، وسعة الاطلاع على مختلف لغات القبائل وأساليب مخاطبتها . وبعد فاذا وجدنا في كلامه شيئاً مما لم يكن مألوقاً في لغات الجهرة من قبائل مضر ، فلا نمحكم على هذه الالفاظ بالغرابة المطلقة ، بل علينا ان نبحث عن مواردها ، ونقف على ما تكتنفها من زمان ومكان . وبذلك نصل الى انها قيلت في موضعها ، ووقعت في موقعها ، بحيث لو حل محلها غيرها مما نسبه مألوقاً الآن لوسم بسمة الاغراب والانداز .

ثم ان كثيراً من الكلام النبوي نقل الينا بالمعنى ، دون الالفاظ ، والنقلة اكثر من ان يحصوا ، وهم مختلفو الانتساب قبيلة وبلدا ، منهم القرشي ، والكناني ، والبكري والتغلي . ومنهم الهمداني والكندي ، والقضاعي ، والزبيدي . ومنهم المكي ، والمدني ، والحضرمي . . . الخ .

فاذا نقل أحدهم الحديث بالمعنى كان اللفظ له ، وعلى اصلوب كلام قومه ،
أو أهل بلده .

ومن هنا ينكشف لنا السر في ورود بعض الاحاديث على نمط لم يكن مألوفاً
في لغة اهل الحجاز ، وان كان الخطاب معهم ، وما ذلك الا لأن اللفظ لبعض
الرواة وهو غير حجازي القبيلة او البلد . وهذا هو السر ايضاً في ان المتقدمين من
النخاة لم يجعلوا الحديث أساساً في الاستشهاد لتقرير قواعد النحو واستخراج مسأله ،
وأول من وسع دائرة الاستشهاد به ، وعول عليه في اثبات القواعد وتقرير المسائل ،
امام المتأخرين من النخوين محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي (المتوفى سنة ٦٧٢) هـ
والحق معه لأن المتقدمين الاولين من نقلة الحديث معظمهم ممن كلامه حجة في
العربية . فاذا ابدلوا بعض الفاظ الحديث بألفاظ من عندهم فليس معنى ذلك انهم
خرجوا به عن العربية المعربة الى غيرها .

ولنرجع الى ما نحن بصدده من الكلام في تاريخ علم غريب الحديث فنقول :
اول من جمع في هذا العلم شيئاً ابو عبيدة معمر بن المثنى ، جمع فيه كتاباً صغيراً
ذا أوراق معدودات . لانه مبتدئ ولأن في الناس اذ ذاك بقية ؛ وغصن اللغة لم
يزل وريقاً . فلم تكن الحاجة ماسة الى الكثير مما يعده المتأخرون غريباً ، لأنه
لم يكن اذ ذاك بالغريب .

ثم جاء النضر بن شميل المازني فجمع في ذلك كتاباً اكبر حجماً من كتاب ابي
عبيدة . وأوسع فيه الشرح والايضاح ، ولكنه لم يخرج عن ان يعد من المختصرات .
وألف الاصمعي كتاباً اربى فيه على كتاب ابي عبيدة من حيث المادة والتبسط
في البيان والتوضيح . ثم ان كثيراً من أئمة اللغة جمعوا طوائف من الاحاديث ،
وتكلموا على لغتها ومعناها . وهم في الغالب بتواردون على الحديث الواحد ، فيشرحه
كل على قدر ميله من العلم ، ولم يكدهم بنفرد عن غيره بالشيء المهم .
وغير الناس على هذا الى ان جاء ابو عبيد القاسم بن سلام فألف كتابه المشهور

في هذا الموضوع ، وجمع فيه من الاحاديث والآثار ما لم يجتمع في كتاب من قبله . وقد روي عنه انه كان يقول : جمعت كتابي هذا في اربعين سنة ، فهو خلاصة عمري ، وقد انتشر هذا الكتاب وذاع صيته لذلك العهد ، واعتمد الناس عليه في موضوعه .

فلما كان عصر عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ورأى ما عليه الناس من الاعتماد على كتاب ابي عبيدة ، ووجد ان هذا الكتاب لم يأت على معظم الاحاديث واكثر الآثار التي تحتاج الى الايضاح والتبيين - عمد الى تأليف كتاب جمع فيه ما اغفله ابو عبيد في كتابه ، ونحا فيه ما نحا من طريقة التفسير والشرح . وكان ابراهيم بن اسحاق الحاربي معاصراً لابن قتيبة فألف كتاباً واسعاً جمع فيه الشيء الكثير من الاحاديث والآثار . وبسط القول وأطال الشرح ، ولكن الناس زهدوا في هذا الكتاب لأن المؤلف اطاله بذكر الاحاديث بطرق اسانيدها وذكر متونها من اولها الى آخرها . وان لم يكن في بعضها الا الكلمة والكلمتان مما يحتاج الى الشرح والتفسير .

ثم نتابع الأئمة على التأليف في هذا العلم واقبلوا عليه ايما اقبال ، فقلما نجد كبيراً من كبراء اهل العلم الا وله شيء في هذا الباب . مثل شمر بن حمدويه ، وابي العباس ثعلب ، وابي العباس المبرد ، وابي بكر الانباري ، وابي عمر الزاهد وغيرهم . ثم جاء الامام ابو سليمان احمد او (احمد) بن محمد الخطابي البستي (المتوفى سنة ٣٨٦) فألف كتاباً سلك فيه مسلك ابي عبيد وابن قتيبة ، ولكنه قصره على ذكر ما لم يورده في كتابيهما ، فجاء كنجو من احدهما حجماً .

ومضى الناس زمناً يتداولون هذه الامهات الثلاث ويعولون عليها في بابها ، ولكن هذه الكتب وما قبلها - ما عدا كتاب الحاربي - لم تكن مبنوية تبويهاً يسهل على الناس المراجعة . وفي هذا ما فيه من الغناء على المراجعين ، فاذا اراد المرء معرفة كلمة غريبة وردت في احد الاحاديث لا يهتدي اليها الا بعد جهود كثيرة

زيادة على انه لا بدري ان الحديث المطلوب في اي الكتب الثلاثة هو ، فيحتاج الى استقراءها واحداً واحداً . فلما كان عصر ابي عبيد احمد بن محمد الهروي — وكان معاصراً للخطابي — ألف كتابه المشهور في غربي القرآن والحديث ، ورتبه مقفى على حروف المعجم ، على ما قلناه في مفردات القرآن . وقد جمع في كتابه هذا ما في كتاب ابي عبيد وابن قتيبة وغيرهما ، واطاف الى ذلك ما تتبعه بنفسه مما لم يرد في كتب من تقدمه .

ثم جاء الامام العلامة محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨) فألف كتابه « الفائق » ورتبه على حروف المعجم . ولكنه كان عندما يريد شرح كلمة غريبة من حديث يشتمل على اكثر من كلمة غريبة يورد الحديث كله او بعضه ويشرح كل ما فيه من الغريب . وبذلك يشرح كثيراً من الكلمات في غير حروفها ، فيعسر على المنتبع العثور على مطلوبه بالسرعة ، ولذلك لم يشتهر كتابه اشتهار كتاب الهروي ، مع ما أودعه فيه من الحقائق اللغوية والتدقيقات العلمية .

وجاء ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فألف كتابه في الغريبين ، جمع فيه ما فات الهروي من غربي القرآن والحديث على ما علمت في الكلام على غريب القرآن .

وألف ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتاباً في الغريب نرج فيه نهج الهروي . بل هو كالمختصر منه .

وكان من معاصريه العلامة المحقق ابو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير الشيباني الجزري (المتوفى سنة ٦٠٦) فرأى ان احسن ما يرجع اليه في هذا الشأن كتابا الهروي وابي موسى المذكورين . وقد رأى ان الانسان اذا اراد كلمة غريبة يحتاج الى ان يتطلبها في احد الكتابين فان وجدها فيه والا طلبها من الكتاب الآخر . وهما كتابان كبيران في مجلدات . فعمد الى جمع ما فيها من غريب الحديث مجرداً من غريب القرآن . وأضاف كل كلمة الى اختها في بابها تسهيلاً

كافة الطلب ، وقد ضم اليها الشيء الكثير مما لم يوفقا اليه من غرائب الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما من الكتب المدونة في اول الامان واوسطه وآخره ، ومن كتب اللغة على اختلافها . وقد سلك طريقة الكتابين المذكورين في الترتيب والتبويب على حروف المعجم ، ملتزماً بالحرف الاول والثاني من كل كلمة ، واتباعها بالحرف الثالث منها ، ناظراً الى الحروف الأصلية من الكلمة دون الزوائد الا انه كثيراً ما يعتبر الحروف الزائدة في اوائل بعض الكلمات بمثابة الحروف الاصلية ، تسهيلاً على الطلاب ولا سيما الذين لا يكادون يفرقون بين الاصل والزيادة . على انه عندما يذكر ذلك ينبه على أصل الكلمة ، لئلا يظن ظان ان الزائد اصلي فيختلط عليه الأمر .

واسمى كتابه هذا « النهاية في غريب الحديث والأثر » وهو اجل كتاب ألف في هذا العلم واجمه وعليه الاعتماد في فنه . وقد صار مادة لمؤلفي المعاجم اللغوية من بعده . ولا نعرف ان أحداً ألف بعده كتاباً يساويه او يقاربه غير ان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ كان قد لخص هذه النهاية في كتاب اسماء (الدر النشير تلخيص نهاية ابن الاثير) . وقال انه ضم الى كتابه هذا كثيراً مما فات صاحب النهاية . ومن وقف على النهاية ثم وقف على هذا الكتاب لم يرق لنظره الرجوع اليه مرة أخرى ، لأن جلال السيوطي بتلخيصه هذا ذهب بروق الاصل وجماله ، وضيق منه واسعاً فسيحاً . هذا وانما تراحت اقلام اهل العلم في باب غريب الحديث اكثر من ازدهامها في باب مفردات القرآن . لأن الاحاديث والآثار فسيحة الرقعة منتشرة الاطراف ، واسعة الارحاء . ولما توفى العالم المبرز الى استقصاء اكثرها . فيأتي عالم آخر من بعده فيستدرك عليه كثيراً مما فاته . ثم يأتي ثالث فيستدرك على الثاني وهكذا على ما علمت فيما مر . بخلاف القرآن الكريم فانه مجموع بين دفتين ، متواتر بكل ما في معنى التواتر من قوة . وبهذا يسهل على اهل العلم استقصاء كل ما فيه من المفردات . فلم يبق الا اختلاف انظارهم في تفسير بعض الكلمات ، واختلافهم

في ايجاز الشروح او الاطناب فيها ، واختلاف اذواقهم في الترتيب والتبويب ، والتنقيح
 والتهذيب ، وهذه امور ليست من الصعوبة بمكان . بخلاف ما يعاينه المؤلفون في
 غريب الحديث من التبع الكثير ، والاستقراء الواسع ؛ هذا ابن الاثير بعد ان
 وقف على ما وقف عليه من جهود العلماء في هذا الباب ، واستقرى ما وصل اليه جهده
 من المصنفات الكثيرة في الحديث والآثار ، تجده مع ذلك كله يقول في خطبة
 نهايته : « كم يكون قد فاتني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها احاديث رسول
 الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعيهم جعلها الله ذخيرة لغيري يظهرها على يده
 ليذكر بها . ولقد صدق القائل : كم ترك الاول للآخر .
 يقول هذا وهو من هو في غزارة العلم وسعة الاطلاع ، وطول الباع ، في
 علوم الشريعة وفنون الآداب .

طه الراوي

من ذخائر قبلة الملك الظاهر

تاريخ علماء اهل مصر لابن الطحان

مجموع ١١٦ (١٢)

اسم الكتاب والمؤلف :-

و : ١ : الجزء الأول [والثاني كما في و : ١٧] من تاريخ علماء أهل مصر
تأليف أبي القاسم يحيى بن علي بن محمد بن إبراهيم الحضرمي المعروف بابن الطحان .

سمع المؤلف الحديث قبل سنة ٣٦٨ كما ورد في ترجمة صالح بن علي الحصري
(و : ١٨) وتوفي سنة ٤١٦ كما في كشف الظنون في مادة تواريخ مصر ٢٣٢/١
وفي فهرس معجم البلدان طبعة وستنفلد ٦/٧٦٨ . ولم نعثر للمؤلف على ترجمة ويقول
بروكلان ان له ترجمة في (Wustenfled: geschichte ص ١٨٠) .

وصف موضوع الكتاب ومحتواه

ذكر ابن خلكان (٢٧٨/١ من طبعة سنة ١٣١٠) وصاحب كشف الظنون
٢٣٢/١ ان لابي القاسم الحضرمي ذيلاً على تاريخي ابن يونس الصدي (- ٣٤٧)
وأحد هذين التاريخين كبير لاهل مصر والآخر صغير للغرباء الواردين اليها . ويخيل
من اسم كتابنا انه ذيل على تاريخ اهل مصر الكبير .
والحق انه ذيل على الاثنين لأن فيه تراجم علماء غرباء مروا بمصر كابن عبدربه
(و : ١٣) .

ويتفق هذا مع ما ذكر ابن خلكان (٣٠٥/١) من انه ذيل لتاريخي ابن يونس
المصري دون تفصيل وما ذكره السنخاوي في الاعلان بالتوبيخ (ص ١٣٠) من انه ذيل
لها معاً ويختلف مع ما ذكر ابن زولاق (في الولاية والقضاة للكندي ص ٥٨٥) من

ان له كتاب الغراء وذكر ترجمة شخص محلها في القسم المخروم من كتابنا . ويعتقد بروكمان ان ذيل تاريخ مصر غير كتابنا هذا (GALS ٥٧١/١) ولعل اختلاف الاسم دعاه الى ذلك .

يترجم الكتاب للمصريين او من وردوا الى مصر من المحدثين والرواة خاصة ويرد فيه حيناً ذكر الشعراء والفقهاء والمعدلين والمعلمين والمؤدبين والقضاة والنحويين والمؤرخين والوراقين من أهل السنة . وهو مرتب على حروف المعجم لأسماء العلماء ، لكن ترتيبه غير مضبوط فقد يرد اسم جناح قبل جعفر وحبیب بعد حمدان ولكن لا غلط في ترتيب الحرف الاول من الاسم . والتراجم مختصرة ، يذكر المؤلف امم العالم بالتفصيل وان كان عرفه قال عرفته والا قال حدثت عنه وقد يذكر تاريخ الوفاة وبورد بعض قصص ويذكر أشعاراً بالمناسبة . واغلب العلماء الذين ترجمهم ممن عاشوا في القرن الرابع غير ان منهم من عاشوا في القرن الثالث بل اوائله كعلي بن عبد الله الحضرمي ولد بمصر سنة ١٨٠ وتوفي سنة ٢٤٥ (و : ١٩) وكان يجب الاترد هذه الترجمة فيه بصفته ذيلاً لابن يونس ولعله ذكرها لانها اهتمت في ابن يونس . وقد الف الكتاب بعد سنة ٤١١ فقد ذكر عالمياً توفي في هذه السنة (و : ٢٥) . واكثر التراجم التي وردت فيه مهملات في كتب التواريخ المطبوعة ، وكذلك فالكتاب يكشف عن تراجم علماء مصريين مجهولين .

ونقل على سبيل المثال تراجم الشعراء الذين ورد ذكرهم
 و : ٣ : احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر بالاندلس يكنى ابا عمر حدثونا عنه
 و : ١٢ : الحسن بن علي بن احمد بن وكيع بن خلف الشاعر ابو محمد اصله
 بغدادي ومولده هو بتنيس سمعت منه

و : ١٥ : الخليل بن احمد الشاعر ابو القاسم توفي في جمادى الاولى سنة ثمان
 وخمسين وثلاثمائة اشدي الخليل بن احمد لنفسه

يا خالق الخلق انت لي جارُ وانت للذنين غفار

فأرحم عبيداً أنك معترفاً خاطٍ له بالذنوب اقرار
ان تعف عنه فألحد مسكنه وان تعاقب فداره النار
وأشدني الخليل لنفسه

شيب الفتى موت له عاجل يأتيه موت بعده آجل
فعمره عنه به راحل والموت في ساحتها نازل
من لم يزل عن ملكه طابعاً فالملك عنه عنوةً زايل

و: ١٧^٢: سعيد بن احمد بن محمد بن عبده الشاعر مولى بني امية بكفي ابا عثمان حدثونا عنه .
و: ٢٢^١: عثمان بن حجاج بن يوسف الخولاني الشاعر ابو عمرو ، توفي في صفر
سنة ست وستين وثلثمائة سمعت منه ، اشدني عثمان بن حجاج لنفسه

سلام على الأيام يوم حصولنا على شرجع جوف القلب تواري^(١)
وتوحش دار بعد انس بأهلها بمحادث ليل نانا^(٢) ونهار

اول الفسحة

و: ١^٢: عونك اللهم قال ابو القاسم يحيى بن علي ٠٠٠ باب ابراهيم ، ابراهيم بن
عبد الله بن محمد بن يحيى المعافري
و: ١٧^٢: تم الجزء الأول من الأصل

آخرها

و: ٣٠^٢: محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبيد البزاز
فالكاتب غير كامل ينقصه من الاسماء ما يقارب الثلث ولم يرد فيه من اسماء
المحمديين الا اربعة .

وصف النسخة المخطوطة

المخطوطة في حال حسنة الا انها كآرأينا مخرومة وتجليدها في المجموع الذي الحقت

(١) في الأصل سرجع ولا معنى لها ، والترجم : النعش ، والقلب : البشر أو العادة القديمة
منها (القاموس) ومعناه هنا القبر (٢) لعلها « تارة » .

يدل على أنها كانت ناقصة مذ كانت في الخزانة العمرية قبل سنة ١٢٩٧ هـ ورقها اسمر متين ، عدته ثلاثون ورقة ، ابعاده ١٤/١٨ سم ، عدد اسطره يختلف بين ١٧ الى ٢٠ سطراً ، ويبلغ هامش الكتاب ثلاثة سنتمترات . خطها مقروء منقط على الغالب ومضبوط في بعض محاله . وفي النسخة بعض أغلاط في النقل اشير اليها بإشارة خاصة بخط ناصل يغلب ان يكون من قلم محمد الذهبي ، وصححت حيناً واهمل حيناً تصحيحها . وبمقابلة النسخة ببعض نصوص من الكتاب وردت في معجم البلدان لا سيما ٦٢٦/٣ تبين وجود بعض الاختلاف البسيط في النص عما نقل عن الكتاب . الخط كبير الحرف وقد كتبت اوائل الاسماء بخط كبير ليهتدى اليها والكتابة متتابعة دون فاصل اللهم الا في الاشعار فقد خصصت لها اسطر خاصة .

كتبت النسخة قبل سنة ٦١٦ او ٦١٩ لأنه توفي في احدهما ابن الانطاقي الذي ملك الكتاب .

وورد في الورقة الاولى الوجه الاول مايلي ولعل كل ذلك بخطوط العلماء المذكورين :
 فرغ منه محمد بن [احمد بن عثمان بن قايمار] الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨)
 طالعه وانتقى منه احمد بن احمد بن عبد الهادي
 لخصه يوسف بن عبد الهادي (٨٤٠ - ٩٠٩)
 علق منه محمد بن المحب ومحمد بن سند
 ملك القاضي النقيه . . . نقي الدين ابي الطاهر اسماعيل بن [عبد الله] الانطاقي
 (توفي سنة ٦١٦ او ٦١٩)

وقفه وجميع كتبه واجزائه الشيخ المحدث ابو الحسن علي بن مسعود بن نفيس [سنة ٦٦٧ كما اشار الى ذلك بخطه في و : ١ من مخطوط الظاهرية رقم حديث ٣٣٩] وكان وقفه في دار الحديث الضيائية ومنه انتقل الى العمرية ومن العمرية الى الظاهرية .
 ونسختنا هي الوحيدة التي ذكرها بروكلمان

مخطوطات ومطبوعات

الاسلام والحضارة العربية

تأليف الأستاذ محمد كرد علي

طبع في مطبعة دار الكتب بدمشق ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٣٤ - ١٩٣٦

هذا كتاب كبير يقع في مجلدين يقرب عدد صفحاتها من الألف ، خصه مؤلفه الجليل بالبحث في الاسلام والحضارة العربية بحثاً مسهباً مترعاً بالأخبار والاسرار حتى غدا مرجعاً في هذا الباب .

وموضوع الكتاب ذو قيمة وشأن . ما أحسب أن أحداً عني به قدر ما عني به الاستاذ المؤلف ، وما أحسب ان عالماً حفل باظهار حضارة الاسلام ومرد الدلائل عليها ، على الوجه الذي اظهرها هو فيه ، لأن نبيان هذه الصفحات الناصعات من تاريخ العرب ، والجللاء عن آياتهم البيّنات في الحضارة بتطلبان بسطة في العلم وصحة في النظر ، وذلك ما لا يتهيأ لكل انسان ، دع عنك ما يستدعيانه من جهد دائم وما يتطلبانه من وقت طويل .

وقد تناول الاستاذ بالبحث طائفة من الموضوعات الهامة ، فذكر في المجلد الاول منازع الناقمين على الإسلام وناقديه ، اشباه رنان وجانو وغيرهما . وجلّى عن الشعوبية في الشرق والغرب فعرّفها ورد على أهلها ، وفصل المسائل التي يرددها الشعوبيون كالقرآن والطلاق والحجاب والربا والرق والمسكرات . ودفع دسائسهم فيها . وهذا الفصل من امتع فصول الكتاب .

ثم بين المؤلف حالة العرب قبل الاسلام . وما اصبحوا عليه في دينهم الجديد ، والأشواي التي امتازوا بها ، وسرد رأي لوبون ودوزي وغيرهما في الفتوح العربية ، وتكلم على ثروة العرب وعلومهم ، وأوضح أثر اللغة العربية في لغات الشرق والغرب ، وحالة اورية في شباب الإسلام ، وأثر علوم العرب في اورية ، وما كان للمسلمين والعرب من فنون ، وما كشفوه واخترعوه ، مستشهداً على ذلك بأقوال اساطين الغرب

وعلمائه ثم تطرق الى ذكر مدينة العرب في الاندلس وما نشأ عنها من علم وورقي وعمران
ثم أوضح اثر العرب في صقلية ومدنيتهم التي تركوها فيها ، وكان ذلك مجهولاً لايعلمه
الا القليل ، وانتقل الى البحث في الحروب الصليبية ، ومجازر اهلها وأثرهم في المسلمين ،
وأثر المسلمين فيهم ، وسياسة صلاح الدين ، وهذا الفصل مترع بالأخبار واذكر اني
سلخت زمناً في قراءة ما كتب عن الصليبيين ، فما وجدت بحثاً اكثر سعة واوفر
مادة مما كتبه المؤلف .

اما المجلد الثاني فيبحث في العلوم والمذاهب في الاسلام كمنشأة علم الحديث وعلم
الكلام والتصوف والفلسفة والادب ، وميلاد الفرق الاسلامية ، وما لقيه العلماء من
عنت واضطهاد في نشر أفكارهم ومذاهبهم . ثم بحث في الادارة الاسلامية فتناول ذكر
الادارة عند كل خليفة منذ عهد الرسول الى زمن العثمانيين . وقل ان تجرد مثل هذا الفصل
في سعته واستقصائه وغزارة أخباره وأردف ذلك يبحث مطب عن السياسة زمن
الرسول والخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس والمماليك والعثمانيين .

والمؤلف في هذا كله يبدو حافل الخاطر يتدفق تدفق ينبوع الثر . لا يدعك
تقرأ خبراً حتى يردفه بآخر . ولا يكاد يجلو أمراً حتى يلحقه بثان ، بأسلوب مرسل
تترقق فيه السلاسة والسهرلة والصفاء ، وبايضاح لا تدليس فيه ولا موالسة هذا مع
تنبيه على الدسائس ودحض للهواجس وتجرد من العواطف وبعد عن الأوهام .

لا جرم أن هذا الكتاب من العيون التي يحتاج اليها الشباب المتأدبين ولا يستغني
عنها الشيوخ العلماء . أما الشباب فيجدون فيه ما جهلوه من الاسلام وحفول تاريخه
وصمو تراثه . وأما الشيوخ فلا يعدمون فيه مرجعاً وسنداً ، وليت شعري من ذا الذي
يكتب له أن يقرأ مؤلفاً فيه زبدة ستاية كتاب ما بين مخطوط ومطبوع ونادر فلا
يسارع اليه ولهان ، او بقدر له أن يقطف في كتاب ثمرة سنين طوال حافلات بالدرس
والمطالعة فلا يبادر بخوه مجلان ؟

العقد الفريد

جزؤه الأول

أصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٠ م
بتصحيح الأستاذة: أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأياري

لا يخفى على كل متأدب ان العقد الفريد لابن عبد ربه من أهم كتبه الأدب وأنه اجمعها لفرائده ونوادره . وان طبعاته السالفة ملئت خطأ وتحريفاً . وان الحاجة ماسة الى اعادة طبعه طبعةً صحيحة تلائم منزلته . وتفي بحاجة الطلاب الذين أدخل هذا الكتاب في برامج مسابقاتهم الامتحانية — كل ذلك جعلنا نرحب بهذه الطبعة الجديدة ونقول ها قد تحققت الأمنية . وعثر على الضالة .

وصفحات هذا الجزء تبلغ ٤٧٦ صفحة ذات قطع كامل . منها نحو ربعها يتضمن استدراكات وفهارس في المطالب المختلفة . أما العناية بالطبع والورق وجودة الحرف والتصحيح والتعليق فقد وثق بها القارئ وثوقه بلجنة التأليف التي طبعته . و (هيئة) الأستاذة التي صحته . على أن ذلك كله لم يحل دون وقوع أخطاء تفتن لها (استاذ جليل) فهو ينتبها وينشرها مقالات في مجلة (الرسالة) . وقد اطلعنا من تلك المقالات على ما نشر في أعداد (٣٩٩) و (٤٠١) و (٤٠٣) و (٤٠٧) من السنة التاسعة . ومن ثم أهملنا في مقالنا هذا التعرض لشيء من تلك الأخطاء وتصحيحها بحيلين القارئ الحريص الى مقالات (الاستاذ الجليل) المذكورة . اللهم إلا ما عثرنا عليه عفواً ونحن نتصفح الكتاب : من ذلك ما جاء :

في ص ١٤١ قول المصححين في تعليقهم على شعر عمرو بن معدى كرب (أعاذل عدتي بزّي ورمحي) قالوا إنه جاء في الأغاني هكذا (أعاذل عدتي بدني ورمحي) و (بدني) تحريف اه أقول لالتحريف ولاتصحيف فان البدن معناه الدرع فكان الشاعر يقول (أعاذل عدتي درعي ورمحي) أما في الرواية الأخرى فهو يقول (عدتي سلاحي

ورمحي) وليوازن القاري بين الروایتين ان شاء . قال ابن سيده : البدن الدرع القصيرة على قدر الجسد . وقيل هي الدرع عامة . وبه فسر ثعلب قوله تعالى (فاليوم نجيبك ببدنك) قال بدرعك . وذلك أنهم شكوا في غرق فرعون فأمر الله عز وجل البحران بقذفه على دكة في البحر ببدنه اي بدرعه فاستيقنوا حينئذ أنه قد غرق لأن الدرع درعه .

وفي ص ٣٧٢ ذكر صاحب العقد قول الشاعر في عبد الله بن طاهر

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً من شاذياخ ودع غمدان لليين

أقول صوابه (في شاذياخ) وشاذياخ بستان الممدوح فالشاعر يقول له اشرب فيه كما هو في الرواية الأخرى (اشرب هنيئاً . . . بالشاذياخ) على ان هذا الشاعر يني قوله هذا إنما حذا حذو الشاعر الأول الذي قال في سيف بن ذي يزن :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في قصر غمدان داراً منك محلا

ومثل قول هذين الشاعرين القول المنسوب الى يزيد بن معاوية

اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً في دير مران عندي ام كلثوم

وكلمة (مرتفقاً) الواردة في هذه الأشعار تصحفت الى (مرتفعاً) بالعين وهو

خطأ وصوابه القاف . ولكن ما معنى (مرتفقاً) بالقاف ؟ فسر مصححو العقد (مرتفقاً)

بقولهم (ثابتاً دائماً) والصواب أن تفسر بما فسرها به الشراح وأرباب المعاجم وهو متكئاً

على مرفق يدك أو على مرفقتك أي وسادتك وهي جلسة الرافة الوادع أو المتكبر المتعظم .

راجع اللسان في مادة (رفق) ص ٤٠٩ أما ما جاء في التاج في مادة (رفق) وهو قوله

(وارنق اتكأ على مرفق يده أو على الخدّة . وامتلاء . والمرنق الوائف الثابت الدائم) فالعبارة

الأخيرة منه لم نجد لها في غيره وهي مقحمة في جملة كلام ليس من أصل التاج وإنما هو هامش

أو تعليق دخيل عليه فراجع . ولو صححت العبارة لكان المعنى اشرب يا ابن ذي يزن في

قصرك أو يا ابن طاهر في بستانك واقفاً ثابتاً دائماً !! وهذا قول هراء لا طعم له .

وفي ص ٢٤٠ قوله (ضراعة صنه وحدائنه مولده) فسر المصححون (ضراعة سنه)

بمعنى (شبابه) وكلمة (ضراعة) لا تكون بهذا المعنى وإنما هي مصحفة وصوابها (خراعة

سنه) بالخاء المعجمة: في اللسان ان الخراعة اللين من قولهم امرأة خربع أي شابة ناعمة لينة. وقال الأصمعي (الخربع) هي المرأة التي تثنتى من اللين . والخربع ايضاً الغصن لنعته وثنييه . وامرأة خروعة حسنة رخصة لينة . قال ابو النجم (فهي تمطى في شباب خروع) ١٥ والسن معناها العمر فعنى خراعة سنه أنه في لين ورخوصة ونعومة من عمره . وفي ص ١٢٩ يقول الشاعر (اذا هباب اقوام تجشمت ككها) وهي احدى روايات هذا البيت وقد قال المصححون ان قوله (تجشمت ككها) لا معنى له . والحق أن له معنى إذ (الكلّ) هنا بفتح الكاف وتشديد اللام بمعنى ثقلها اي ثقل الحرب وعيبتها كما في رواية (تجشمت هولها) والتجشمت التكلف . فكان الأجدر ان يقال (إن قوله (تجشمت ككها) له معنى لكنه لا ينظم أو لا ينسجم مع الشطر الذي بعده وهو قوله (هباب حياها الألد المداعس) .

وفي ص ٢٨ قال المصححون (استكفيت أي وليت الا كفاء) وصوابه الا كفاء جمع كفيّ كعنيّ . أما الا كفاء فجمع كفؤ بمعنى مثل ولا يجي منه فعل على وزن اسنفل بهذا المعنى . وفي ص ٣٣ قال المصححون في تفسير قول الشاعر (فلم يترك لها سبد) مانصه (السبد الشعر ويكنى به عن الأبل ؟ كما يكنى بالوبر عن الغنم ؟ فيقال : ماله سبد ولا لبد . أي ذو ووبر ولا صوف متلبد يريد إبلاً وغنماً بنصه اه) وهذا الكلام كتب بعجلة وتحريه أن يقال (السبد الشعر وهو المعز . كما أن الوبر للابل . والصوف واللبد للغنم . وقولم ماله سبد ولا لبد بمعنى لا يملك شيئاً من شعر ولا صوف وهو كناية عن الفقر أو المعنى انه لا يملك شيئاً من ذي سبد ولا ذي لبد أي لا يملك معزاً ولا غنماً) . هذا ومن كان حريصاً على تصحيح نسخته التي اقتناها من هذه الطبعة النفيسة

فليرجع الى مقالات (الاستاذ الجليل) المنشورة في الرسالة فإن فيها غناءً

ومجلة المجمع تشكر لحضرات الناشرين والمصححين عنايتهم بإبراز هذا الكتاب

وتستزيدهم من العناية في تصحيح الأجزاء الباقية

آراء وانباء

استدراك ورجاء

حول كتاب الاجابة

ذكر في ما نشر عن كتاب «الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة»^(١) بدين علي، أرى من حق العلم أن أنوه بصاحبيه في هذه المجلة اعترافاً بفضلها وغيرتها على الحديث الشريف:

أما الأول فهو الشيخ سليمان الديواني الذي قرأ الكتاب بامعان وتحريه وقابل النقول بالأصول التي عزا اليها الزركشي ثم نهيبي الي:

١ - ص ١١١ س ٨ قوله: «لم ينزل البلاء بالرسل حتى خافوا ٠٠٠ الخ» صوابه «لم يزل ٠٠٠ الخ»

٢ - ص ١٢٨ قوله: «هم الذين يكتزون ٠٠» صوابه «هم الذين يكتبون ٠»
وأما الثاني فهو العلامة الاستاذ كرنكو الذي انتدب الي خدمة النسخة فور وصولها إليه، ثم كتب الي كتاباً عنها، أقتطف منه فقرة النقد فقط لما فيها من فوائد في أماكن بعض كتب الحديث الأهمات، قد تعني المشتغلين بهذا العلم، قال:

«٠٠٠ إنكم مع جودة التهذيب وإتقان النشر وهمتم في عزو كتاب المسند للبراز إذ هو بلا شك ابو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار - بالزاي ثم بعد الألف الراء - المتوفى سنة ٢٤٢ (انظر أنساب السمعاني) وقد حمل الي وقت إقامتي في الهند، العالم عبد اللطيف الحرازي نزيل مدينة (لكنو) مجلداً فيه الجزء الثالث من هذا المسند، وأعتقد أن أجزاء أخر موجودة في خزائن اسنابول .

و ص ٣٨ سطر ٣ اللغوي المذكور هو أبو القاسم عمر بن ثابت الثاني المتوفى سنة ٤٤٢ .
و ص ٦٢ سطر ١٣ كتاب (ايضاح ما لا يسع المحدث جهله) فهو موجود في عدة

نسخ في لندن واستانبول وبانكيبور ورامپور من بلاد الهند (انظر بروكين ١ وتكلمته
٦٣٣/١) والمؤلف هو المياشي بالياء المثناة نسبة الى قرية في إفريقية .
أما كتاب المعجم الاوسط للطبراني فهو مفقود سوى المجلد الثالث وهو الأخير
فمن نسخة قديمة في خزانة كوبربلي زادة باستانبول ولكن لأعرف ما يضمن هذا المجلد .
وفي ص ١٣٣ سطر ١٧ وص ١٣٤ الخ الراوي عن ابن مسعود هو جابان بالجيم كما
هو مضبوط في كتب الرجال «٠٠٠»

ومع أن أكثر هذه التصويبات مطبعية لا تعدو النقطة فان القاريء لا ينتبه الى
صوابها ، وليس يسع المرء الا إكبار خدمة العلم المخلصين وشكرهم من أي ملة كانوا .
هذا وفي الكتاب مواضع تركت بيضاء لأن خط المؤلف فيها كان كهذا الذي
يكتبه الاطباء باللاتينية الى صيادلتهم ، وقد أعوزتني المصادر التي نقل عنها الامام
الزركشي وخاصة كتاب شعب الايمان للبيهقي لم أر أحداً يعرف له وجوداً .
فالرجاء ممن استطاع تصحيح شيء عجزنا عنه ان ينهنا اليه وله على ذلك شكر
العلم وثواب الله ^(١)

سعيد الافغاني

(١) فيما نشر الاستاذ الشيخ محمد هجة البيطار عن (الإجابة) ص ١٢٩ (المجلد السادس
عشر) أشياء تحتاج إلى استدراك :
قولي ص ٥ س ٧ « وعروة وابن الزبير » مقصود لا سهو فيه ، فابن الزبير إذا أطلق انصرف
إلى عبد الله وكل من عبد الله وعروة أخذ وروى عن عائشة .
وقول عائشة : « أدخل البيت الذي دفن معها عمر ص ٧٢ سطر ١٣ » لا خطأ به وحذف
« فيه » منه جائز لانه كما هو معلوم من كتب النحو (انظر بحث الموصول في حاشية الحضري) .
وقد صورت في النسخة الصفحة الوارد فيها هذا القول . والحديث لا يصحح اعتباطاً ولا عنق الحاضر
وانما يرجع فيه إلى دواوينه وتبع أصوله . ولو رجع الاستاذ البيطار إلى مستدرك الحاكم المطبوع
بالهند (ج ٢ ص ٧) لوجد الحديث كما هو مثبت في النسخة تماماً .
وكذلك قول الاستاذ : والصواب : « أعلى الدلاء من أسفلها » غير صحيح وهذا الحديث
ذكر في السط الثمين ص ٢٢ محرراً أيضاً وانما الصواب فيه : « إن الغيري لا تبصر أسفل الوادي
من أعلاه » أنظر شرح المواهب للزرقاني ص : ٢٧١
ومراعاة النطق في رسم داوود أولى ، وكل جائز .

مجلة المجلد العربي

الجزء الثامن آب سنة ١٩٤١ شعبان سنة ١٣٦٠ ١٩٠

قصر الحير

اكتشاف القصر

في البادية الشامية - على بعد (٦٤) كيلو متراً من تدمر لمن يقصد دمشق عن طريق القريتين - اكمة تجد في زاويتها الشمالية الغربية بقية برج بزنطي مربع شاهق وهو آخر ما رسمه المسلمون سنة ٥٨٣ هـ . على ما تشير الى ذلك الكتابة المزبورة في مدخل هذا البرج .

ذكر هذا البرج المعروف بقصر الحير والانتقاض المبعثرة بجواره اكثر من بحثوا في تدمر وعمرائها واتساع سلطانها زاعمين ان تحت الكمة انتقاض حصن روماني مستنجدين ذلك من عتبة باب مزخرفة كانت ظاهرة في وسط سفح هذه الكمة الشرقية نقوشها رومانية من عهد خرائب تدمر . وايدت الرسوم الجوية التي التقطت فيما بعد صلة هذا البناء وما جاوره بسد خريقة الروماني الذي يبعد عنه نحو (١٥) كيلو متراً الى الجنوب ومنه كانت تستمد هذه المنطقة حاجتها من الماء بواسطة قناة مكشوفة يسقي منها السكان وتسقي الحدائق والمزروعات التي كانت محدقة بالقصر . ولقد كادت تصبح هذه المزاعم عقيدة مسلماً بها لولا الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار في عام ١٩٣٦ باشراف أحد مفتشيها الميسونر شلونبرج لاطهار العتبة الآفة الذكر والباب الذي تظلمه . ولم يمض أيام على مباشرة العمل حتى كشف الباب بكامله بنقوشه البديعة وظهر بين الانتقاض التي كانت تغمره كسر زخارف من الجص

بمت بعضها بصلة للفن البرنطي الهيليني وبعضها للفن الساساني ، ومنها ماهو مزيج من الفنين معاً . ولم يستنكر اجتماع كل ذلك في صعيد واحد وسورية ملتقى الحضارات . وشاع ذلك فيها في أواخر العهد الروماني لاسيما على مقربة من حدودها الشرقية التي كان لمدنها صلة وثيقة ببلاد ما بين النهرين . ولكن تقدم الحفريات وزيادة المكتشفات أوحث للقائم بها بفكرة جديدة وافقه عليها الاخصائيون وأيدتها نتائج الاعمال والابحاث : اتضح أن البرج القائم هو بناء برنطي وتحت الاكمة أنقاض قصر أموي .

القصر

بناء مربع الشكل (طول ضلعه الشرقي ٧١٦٤٥ م والغربي ٧٣٠٠٥ م والشمالي ٧٠٠٤٥ م والجنوبي ٧١٦٠٥ م) بني جداره الخارجي من حجر نحيث بارتفاع مترين والباقي من اللبن والآجر وشيد في كل من اركانها برج مستدير . ما خلا الركن الرابع اي الزاوية الشمالية الغربية فانها احتفظت بالبرج البرنطي الآنف الذكر ودعم وسط كل من اضلاع القصر بدعامة نصف مستديرة وحكم مدخل القصر في منتصف الضلع الشرقي بين دعامتين نصف مستديرتين . ينفذ من الباب الى مدخل مسقوف على جانبه مساطب ومنه الى باحة رحبة مرصوفة يطوف بها رواق قائم على (٣٢) عموداً مشيدة من حجر لم ينحت يكسوها الجص ويضاف اليها اربع دعامات مربعة قائمة في زوايا هذا الرواق ، وبني خلفه صفان من بيوت سكن وغيرها من المرافق البالغ عددها ستين ونيفاً وعثر على بقايا ادراج وانقاض يستدل منها بأنه كان للقصر اكثر من طبقة واحدة يؤيد ذلك ما جمع من انقاض واجهة مدخل القصر وزخارفها البالغ ارتفاعها نحو (١٥) متراً وللقصر صهاريج ماء ومراحيض ومجاري وبجواره حمام واسع على نسق حمامات دمشق وترتيبها وعلى هذا يشتمل على جميع اسباب الراحة وروعت فيه كل الشروط الصحية المنزلية . وبها ندرى مدى رقي الفن المعاري في العصر الأموي وازدهاره في الحضرة والبادية . وانه ليتعذر علينا في هذه العجالة التوسع في وصف هذا القصر وملحقاته وطرق الري اذ كل ناحية منها تتطلب بحثاً خاصاً يفرد لكل منها .

زخارف القصر

لا يتأق لمن يشاهد القصر بحالته الحاضرة بعد ان كشفته الحفريات للعيان أن
 يصور فكرة صحيحة عن عظمته ابان ازدهاره . فهو اليوم بناء رجب جردته صروف
 الحدثنان من كل المعالم التي تدل على نسبة العريق ومجده الغابر حتى أصبح أشبه
 بحصن تأوي اليه الجنود منه بقصر خليفة خضعت لسلطانه رقاب أم وملوك .
 ولم يصل الينا من ماضيه المجيد الا ما التقط بين الاتقاض من كسر الزخارف
 التي كانت تزين القصر وقد زاد عددها على (٤٠٩٠٠٠) قطعة لا يتجاوز حجم اكبرها
 عشرات السنتيمترات . كان منها بعد بذل جهود عظيمة تصوير القصر في صورته الأولى .
 وقد صنعت هذه الزخارف من الجص لتكسو بعض الجدران من الداخل والخارج وتزين
 نوافذه وقناطره وتقنن الصناع بتنويح أشكالها فمنها النباتية والهندسية وذوات الأرواح
 من أشخاص وحيوانات جاءت بمجموعها في غاية الابداع والاحكام وحسن التناظر
 والتناسق منها تثال امرأتين كانتا فوق مدخل القصر احدهما جالسة والثانية مستلقية
 على ظهرها تشبه صنعتها التماثيل التدمرية المعروفة وكأنها تقلنا عن صورة الجاربتين
 اللتين مر بها اوس بن ثعلبة التيمي فاستحسنهما وأنشد فيهما :

فتاتي أهل تدمر خبراني ألسا تأسا طول القيام

قيامكما على غير الحشايا على جبل أصم من الرخام

وفيها قال أيضا ابو دلف :

ما صورتان بتدمر قد راعتا أهل الحجى وجماعة العشاق

غبرا على طول الزمان ومره لم يسأما من ألفة وعناق

وعثر أيضا على بقايا أنواع من الرخام والمرمر والفصوص الملونة والاشخاب

المنقوشة والمصبوغة والمذهبة يستدل منها - وان لم يعرف كنهها - على تنوع زخارف

هذا القصر والعناية بزيئنه خصوصاً اذا أضفنا إليها ما اكتشف من الزخارف المصورة والملونة التي كانت مرسومة على جدران بعض غرف القصر وارضها ومن أعظمها ما عثر عليه داخل غرفتين منها رصفت ارضها بالجص المصور تمثل الاولى سماوة امرأة تحمل بين ذراعيها سلة فيها أثمار وقد التف حول عنقها ثعبان وفوقها صورة (قنطورسين) بهيئة رجلين نصفها الاسفل بشكل ثعبان له مخالب سبع ورسم في أرض الغرفة الثانية مرزبان على جواده يطارد غزالاً يرميها بالسهم ، وصورة قينتين الأولى تنفخ بزمارة والثانية تضرب بمرهب الخشب على عود ذي خمسة اوتار وهذا ينفي ما نسب لزرياب مولى المهدي العباسي ورئيس المعتنق^(١) أنه هو أول من زاد الوتر الخامس في العود وهذا الرسم يثبت أن الوتر الخامس كان موجوداً قبل وفاة زرياب بـ (١٢١) سنة . وحجم هذه الصورة يعادل حجم الانسان ويزيد عنه في بعضها وهي منقنة الصنع زاهية الألوان ساذجة الخطوط طبيعية الحركات رشيقة لا تكلف فيها ولا اجهاد تدل على مهارة الصانع وسمو مواهبه الفنية .

وقد استجلب للقصر من انقاض بناء قديم دعامتا باب المدخل وعتبته وهما تحاكيان بعظمة نحتها وجمال زخارفها ما يعثر عليه من انقاض خرائب تدمر الرومانية .

تاريخه

سبق لنا القول بأنه عثر في القصر وجواره على بعض انقاض غير اسلامية ، وعلاوة على ما أقم منها في البناء كالبرج ومواد بناء الباب فقد عثر في المدخل على عتبة عليها كتابة يونانية من القرن السادس للميلاد جاء فيها ذكر الحارث بن جبلة الغساني وهنالك مظاهر غيرها عديدة تدل على مصانع رومانية وبيزنطية قديمة قام هذا القصر البديع على أطلالها . ثم ات المكان معروف قبل العهد الاسلامي وهو أحد المراحل بين نزالا (القرينين) وتدمر وقد جاء ذكره في تقويم بوتنجر (Peutinger) بامم هلياراميا (Heliaramia) وربما كان اسم الحير الذي

(١) فتح الطيب الجزء الثاني ص ١١١

عرفت به ^(١) هذه المنطقة محرفاً عنه . واما القصر الذي نحن بصدده فلا نشك في عصره ونسبه اذ وقع الباحثون فيه وفي جواره على ما يؤيد تاريخه واهمها الكتابة الكوفية التي وجدت على عتبة البناء المعروف بقصر الملح الجاور له وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له . امر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام امير المؤمنين اوجب الله أجره . عمل على يدي ثابت بن أبي ثابت في رجب سنة تسع ومائة . »

وعثر ايضاً في الانقاض داخل القصر على قطع من اللخاف وهي لوحات صغيرة من المرمر الابيض كان يكتب عليها في صدر الاسلام وهي الوحيدة المعروفة من نوعها فقرأنا على احداها ما يأتي :

« بسم الله من هشام امير المؤمنين الى الوليد ابي العباس احمد الله اليك . . . »
وكتب على أخرى الحروف الهجائية بالترتيب الآتي .

« ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ط ظ ص ض ع غ ف ق
ك ل م ن ه ل ا ي » وهو ضرب مفرد ثالث لترتيب الحروف لم يتصل بنا عمله وغير معروف عند اهل المشرق ولا المغرب ^(٢) .

واذا اضفنا الى ما تقدم دراسة القصر من ناحيته الهندسية والمقابلة بينه وبين غيره من القصور الأموية المعروفة المعاصرة له ، كقصر الخير الشرقي في سورية وقصور خراة والتوبة والمشتى وعمرة في الشرق العربي وخرتبي منية والمفجر في فلسطين تضافرت جميعها على تأييد نسبة هذا القصر للعصر الأموي وليس ما يمتنعنا من نسبة بنائه الى هشام بن عبد الملك ، ولعل هذا الموضع هو الزيتون حيث الخلافة آتت هشاماً وهو يتبدى فيها ، وهذا قبل ان يحدث الرصافة ^(٣) .

R. Dussaud - Topographie historique de la Syrie antique et médiévale. (١)

ص ٢٦٤ و ٢٦٥

(٢) صبيح الأعشى الجزء الثالث ص ٢٢

(٣) فتوح البلدان ص ١٨٤ الطبري الجزء الثامن ص ١٨٠

قيمة القصر التاريخية والعلمية

لاكتشاف هذا القصر شأن عظيم في تاريخنا القومي ، واعظم من ذلك فائدته العلمية العالمية لمعرفة تسلسل الفنون الشرقية وتطورها . وقد بعث هذا الأثر ، بعد أن دُفن نحواً من اثني عشر قرناً ، وبعث معه ماضياً مجيداً حافلاً بكل طريف فاق كل ما كنا نتوقه منه وكل ما كنا نعرفه عن نشأة الفن الاسلامي وتطوره السريع جاء نوراً ساطعاً وبرهاناً صادقاً أسكت ألسن الخراصين الذين كانوا يزعمون أن الاسلام قد قضى على الفن في المشرق وان العرب في الأندلس لم يتذوقوا الفنون الجميلة الا بفضل تشويق البيئة الغربية عنهم ومنها نشأت نهضتهم الفنية وترعرعت .

ولم تكن دعوى هؤلاء باطلة بومئذ لأن الفن الاسلامي والاصح العربي لم يتصل بنا خبره الا بما خلفه لنا العرب في الاندلس وبلاد فارس حيث وجدناه في أقصى مراحل الكمال والابداع . لم يتصل بنا قبل اكتشاف قصر الحير الا التزر اليسير من الفن الأموي في مصانع اسلامية محضة اللهم الا ما خلفه لنا الزمن في قبة الصخرة في بيت المقدس والجامع الأموي بدمشق وذلك في نطاق ضيق لا يساعد وحده على دراسة نشأة الفن الأموي وتطوره . ولذلك ضمن بعض المستشرقين على العرب ان يكون قصر المشتى^(١) المشهور وغيره قد بني في عهدهم وأنكروا أن يكون مثل هذا العمل من صنعهم . وأنى للعرب أن يأتوا بمثله وهم يزعمهم حديثو العهد بالحضارة ولوازمها ، وهم امة لم تمارس الفنون من قبل .

لم ينشأ هذا الخطأ من قلة الوثائق فقط بل سببه جهل بعض علماء المشرقيات حقيقة الاسلام ومدى ما أتى به من تعاليم رفعت المستوى العقلي عند العرب الى درجة كبرى ، ورسمت للحياة مثلها العليا فأحدثت تطوراً جديداً في بلاد مترامية الاطراف لا وحدة بينها وتحقق ذلك بسرعة خاطفة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً .

ظهر الاسلام وليس للعرب ما يحملونه للبلاد التي فتحوها بقوة إيمانهم وشدة

J. Strzygowski - L'ancien art Chrétien de Syrie p. 129. (١)

بأسهم سوى دينهم القويم وشريعتهم السمحة فكانوا خير عامل لحفظ حضارة البلاد التي سيطروا عليها من الاضمحلال فنقلوا تلك المدينة بربتها الى السلف بعد ان هذبوها وصقلوها وازدهرت في عهدهم ونمت وهكذا اتصل عصرنا الحديث بالثقافة الاغريقية وعلومها وفنونها . واجمع العلماء على ان العرب قد نقلوا لنا علوم اليونان وفلسفتهم ولكن قل من فكر منهم بأن العرب قد واصلوا الفن المعماري الهليني (اليوناني) ، وزخارفه الشائع في بلاد الشام قبيل الفتح الاسلامي .

ان قصر الحير برهان جديد لا يقبل الجدل يجيد الباحث فيه الحلقة المفقودة التي تربط الفن الهليني بالفن الاسلامي المؤلف ، فنرى الزخارف والاشكال البرنزية مزوجة بالزخارف الساسانية الفارسية متداخلة بعضها ببعض بشكل يألفه النظر بسرعة ويستحسن هذا المزج الذي انبثق عنه الفن العربي وانتشر في العالم الاسلامي . وأحسن وصف لهذا القصر ما قاله مكتشفه في محاضرة له : « ان هذه الزهرة التي اكتشفناها في واحة قصر الحير نمت وترعرعت تحت سماء الاندلس وأعطت أبداع الأمثلة في غرناطة وقرطبة . ولنا أن تقول ان الفن المغربي وجد أصوله في قصر الحير كما ان الفن الروماني والفن القوطي أخذنا عنه فن تنوع القناطر وعلى الاخص « القوس المكسور » الذي احتل في هندسة المعمار في القرون الوسطى مكاناً ممتازاً . فقد كنا نعدّه ابتكاراً غريباً فظهر ان العرب أخذوه بواسطة اسبانيا عن قصر الحير ^(١) » بلغ اللخميون في الحيرة والفسانيون في الشام في المدينة شأواً بعيداً بالنسبة لحالة عرب الجزيرة وذلك لطول اختلاطهم بالفرس والروم وتأثرهم بهاتين المدينتين كما تشهد بذلك آثارهم . وكان هؤلاء العرب أسبق الناس لانتقال الاسلام فكانوا العامل القوي لتسرب ثقافة الفرس والروم الى المسلمين وانتشارها بينهم .

كان من بين هؤلاء جماعة مارسوا مختلف الصناعات لاسيما البناء ^(٢) والنحت والتصوير ورصف الفسيفساء وزخارف الجص وقد واصلوا مهنتهم بعد اسلامهم ، فساهم

(١) مجلة الحديث ١٩٦١ ص ١٢٤ - ١٢٥

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر الجزء الاول ص ٢٠٠

بعضهم وغيرهم من عمال الفرس والروم^(١) في بناء المسجد الاقصى وجامع دمشق وغيرهما من مصانع العصر الأموي فنجم من ذلك مزج الفن الفارسي بالفن اليوناني ودام هذا الحال حتى النصف الاول من القرن الثامن للميلاد، ازدهر خلالها البناء وزخارفه على اختلاف أنواعه في بلاد الشام . وقد شهدنا الفن العربي بعد هذا التاريخ دخل في طور جديد فعم جميع الاقطار التي فتحها العرب وأصبح فناً اسلامياً ذا طابع خاص يعرف به وكيان يتميز به . ولولا الاكتشافات الاثرية الحديثة — ومنها قصر الحير — لضاعت أصوله وضللتنا مصادره . وبرز ما في هذا التطور الجديد اهمال تصوير كل ذوات الروح والاقنصار على الخط والزخارف النباتية والهندسية وقد أبدعوا فيها وأتوا بآيات من الجمال .

وانا لاستغرب هذا الاتجاه الجديد بل نعلق عليه ونشرحه . لأن الاسلام — الذي قضى على الوثنية — قد نهى عن تشبيه المخلوقات فلا عجب أن تفر منه المسلمون واهملوا هذه الناحية . هذه حقيقة كان يصح لنا السكوت عنها لو لم يتسامح المسلمون بالتصوير ويدخلوه دورهم وقصورهم في صدر الاسلام وهو أشد العصور تمسكاً بتعاليم الشريعة المحمدية ولو لم يعودوا اليه فيما بعد في بلاد الشام والاندلس ومصر وفارس وسمرقند بنسب متفاوتة .

فيجب علينا والحالة هذه بحث العامل الحقيقي لهذا الهمال الذي تواصل نحو قرنين (الثامن والتاسع للميلاد) . وهذه الفترة تتفق مع ما حصل من مثلها في الدولة البيزنطية المجاورة لبلاد الشام حينما اشتد الانكار على الصور واصدرت قانوناً عام ٧٣٠ م حرمت فيه تكريم الصور والتماثيل واقتناءها كما حرمت صنعها واتلفت كل ما كان موجوداً منها في البيع والكنايس وعند افراد الشعب ، مما هو معروف . ومن رأينا أن هذا الحدث هو العامل غير المباشر الذي قضى على صناعة تصوير المخلوقات ونحتها عند المسلمين وغير المسلمين الذين خضعوا لسلطانهم . ومن المسلم به

ان هذا المذهب قد نشأ بين نصارى بلاد الشام وصر ومنهم انقل الى القسطنطينية فدانت به حكومتها وفرضته على شعبيها وعلى من كان يخضع لكنيستها حوالي قرنين (الثامن والتاسع م) فلا غرابة ان تشيع لهذا المذهب نصارى بلاد الشام الذين كان منهم البناؤون والمزخرفون والنقاشون والمصورون . وهكذا اهمل المسيحيون النحت والتصوير خلال هذين القرنين ففقدوا بعدهما كل رغبة في هاتين الصناعتين وتحولوا عنها الى الزخارف النباتية والهندسية التي لاقت عند المسلمين كل ترحيب واقبال لأنها تتفق وتعاليمهم الدينية وتزكي فيهم ما توحى به الميزة البشرية من حب الجمال والزينة . وعليه يكون الحرمان المسيحي هو العامل الحقيقي في القضاء على النحت والتصوير في ديار الشام والحائل دون انتقاله للمسلمين ولولاه لبقى هؤلاء المسيحيون يمارسونها كبقية الصناعات التي ترفع عنها المسلمون في بدء عهدهم كالحدادة والصابغة وصنع الاسلحة فبرعوا فيها الى حد بعيد واقتبسها عنهم المسلمون فيما بعد حتى فاقوا أقرانهم عند مختلف الأمم والديانات وبرهنوا على سلامة ذوقهم ودقة صنعمهم . وكل هذا يحملنا على القول بأنه لو كانت الشريعة الاسلامية هي العامل الحقيقي في نبذ التصوير والنحت لكان أحق بها ان تفعل فعلها وتقضي على غيرها من الكبائر التي كانت ولم تنزل شائعة بين كثير من المسلمين والاجماع على التشديد في تحريمها .

هذا هو القصر الذي تعمل الحكومة السورية على اعادة قسم منه لتلحقه بدار الآثار بدمشق وتبذل عنايتها لتحقيقه ليكون في المستقبل خير شاهد تدفع به وصمة ظلما عابنا بها العيايون . وسيكون هذا العمل أعظم مشروع تم من نوعه في عصرنا نغبطنا عليه جميع متاحف العالم .

مدير دار الآثار

جعفر الحسني

أبو العلاء المعري وأخوان الصفا

إخوان الصفاء طائفة من العلماء الحكماء اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة وجملوه إحدى وخمسين مقالة أو رسالة : خمسون منها في خمسين نوعاً من الحكمة ومقالة جمعت أنواع المقالات على طريق الاختصار .

وقد زعم هؤلاء أن الشريعة دنست بالجهالات ولا سبيل إلى تطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتماعية ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية حصل الكمال . وقد سموها رسائل إخوان الصفاء . وفيها نعي على الحياة السياسية وتعريض بما طرأ عليها من الخلل والاضطراب ، ولما كانت مشتملة على ما لا يوافق الدين والسياسة خاف أصحابها على أنفسهم أن يصيهم ما كانت يصيب الزنادقة والملحدون فكتبوا أسماءهم . وبثوها في الوراقين ووهبها للناس ليصلوا إلى الغاية المقصودة من إنشائها ووضعها

وكتبت هؤلاء الجماعة أسماءهم فصح المجال لاختلاف الناس فيمن وضع هذه الرسائل . فقال فريق إنها من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في اسمه اختلافاً كبيراً وقال فريق ثان إنها تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول وقال فريق ثالث وضعتها جماعة وقد ذكروا منهم أبا سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمتقدمي وأبا الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبا أحمد المهرجاني أو النهرجوري والعوفي^(١) وزيد بن رفاعة

وكل هذه الأقوال قائمة على الحدس والتخمين كما يتضح ذلك من كلام القفطي وغيره وقد ذكر الدكتور طه حسين في ذكرى أبي العلاء ص ١٧٩ وتجديده ص ١٥٠ أن أبا العلاء المعري كان يحضر المجمع الخاص الفيلسفي الذي كان يأتلف

(١) لا تعلم حقيقة هذا الاسم فإنه يقرأ العوفي والرقي والعوفي .

يوم الجمعة بدار عبد السلام البصري وفيه يقول من قصيدة بعث بها اليه
 تهيج أشواقي عربوية أنها اليك زوتني عن حضور بمجمع
 ثم قال : وكان هذا المجمع السري هو الذي أسماه إخوان الصفاء لشيوع هذا
 اللفظ بين المسلمين في ذلك العصر ودلالته الخاصة على جماعة فلسفية تشترك في الاغراض
 والآراء وذلك حيث يقول

كم بلدة فارقتها ومعاشر بذرون من أسف علي دموعا
 واذا أضععتني الخطوب فلن أرى لوداد^(١) إخوان الصفاء مضيعا
 خالت توديع الأصادق للنوى فتى أودع خلي التوديعا

وزاد على هذا في المقدمة التي كتبها في رسائل إخوان الصفاء فقال في ص ٧
 في الكلام على الرسائل المذكورة: فهذا الكتاب ٠٠ يمثل من جهة فساد الحياة السياسية
 الاسلامية في ذلك الوقت لأن الذين كتبوه جماعة لا تعرف منهم أحداً لأنهم
 كانوا يعملون من وراء ستار وكانوا يعملون لغرض سياسي قبل كل شيء ٠٠٠
 وإنما كانت لهم أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف فهم من غلاة الشيعة
 ولعلمهم من الاسماعيليين ٠٠

وقال في ص ٨ كان هؤلاء الناس اذن يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعة
 سرية وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر سياسي عتلي^(٢) فهم يريدون قلب النظام
 السياسي المسيطر على العالم الاسلامي يومئذ .

وقال في ص ٩ وقد احتاط هؤلاء الناس في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف
 منهم أحداً كما قلنا وإنما سميت أسماء لا تتجاوز الخمسة ولا يتخلو من أن يحيط بها الشك
 وكل ما نستطيع ان نعرفه من أمر هذه الجماعة انها نشأت في البصرة في منتصف
 القرن الرابع وعرف لها فرع في بغداد وليس عندي شك في أن أبا العلاء قد

(١) في ياقوت ليهود (٢) كذا في الاصل .

اتصل بهذا الفرع حين ارتحل الى بغداد آخر هذا القرن وكان يحضر اجتماعه يوم الجمعة من كل اسبوع نرى ذلك في سقط الزند بل نرى بعض أسماء الذين كانوا يحضرون جلسات هذا الفرع ونكاد نعرف المكان الذي كانوا يجتمعون فيه يوم الجمعة من كل اسبوع ونكاد نلمح في هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو المعتدل الذي لا بد منه فيما يظهر لتسقيم فلسفة الفلاسفة . وقد أشرت الى شيء من ذلك في ذكرى أبي العلاء على أي أشد استيقاناً به الآن وأعتقد أننا نجد في رسائل اخوان الصفاء أحسن تفسير لكثير من غوامض اللزوميات . الى آخر كلامه .

ويظهر للتأمل ان الاستاذ الدكتور جعل دار عبد السلام مجعاً خاصاً للفلسفة وان الاجتماع فيه يوم الجمعة وحجته في ذلك بيت ابي العلاء المتقدم . تبيح اشواقي . . . وانه استنبط من قول المعري في الايات العينية المتقدمة ان هذا المجمع السري هو الذي سماه ابو العلاء اخوان الصفاء لشيوع هذا اللفظ في ذلك العصر ودلالته على جماعة فلسفية وانهم من غلاة الشيعة وان ابا العلاء منهم . وهذا استنباط غريب ؛ والأدلة على بطلان كل ما تقدم أمور كثيرة منها أن قول المعري عن حضور بمجمع ليس فيه تصريح بأن المجمع كان في دار عبد السلام ولا بأنه كان مجعاً فلسفياً سرياً بل يجوز أن يكون المجمع دار العلم او الكتب التي كان عبد السلام خازناً لها وتخصيص يوم الجمعة يجوز أن يكون عبد السلام اختاره للمعري لتمتكن من زيارته بسبب فراغه في ذلك اليوم او ليجمعه برجال من العلماء والادباء كانوا يجتمعون في ذلك اليوم في دار العلم أو في غيرها للمذاكرة والمفاكحة والمطارحة والمؤانسة ونحوها وهذا أقرب الى القبول واكثر ملاءمة لما عرف به عبد السلام من الاشتهار بالقراءة ورواية الأخبار والحديث والتفسير وغيرهما ولو شعر الناس بأنه بنحو منحى الفلاسفة في عقيدته لأعرضوا عن روايته

ومنها ان هذا اليوم لو كان يوم المجمع السري لما صرح أبو العلاء بذكره في هذه القصيدة كيلا ينتبه له خصومه ومن البعيد أن يركن اخوان الصفاء

الى ابي العلاء وهو غريب عنهم وقد نقل عن ابي حيان انهم كانوا يجتمعون في منزل ابي سليمان النهرجوري . وكانوا اذا اجتمع معهم اجنبي التزموا الكنايات والرموز والاشارات ...

ومنها ان كلمة اخوان الصفاء في أبيات المعري المتقدمة لا تدل على ماأراده الاستاذ الدكتور بل الاقرب أن يراد بالصفاء هنا مضافة المودة وقد وقعت هذه الكلمة في كلام كثير من الشعراء والكتاب منهم عمرو بن شاس الأسيدي حيث يقول^(١)

تذكرت اخوان الصفاء تيمموا فوارس سعد واستبد بهم جهلا
ومنهم الخنساء حيث تقول^(٢)

ولم يميز اخوان الصفاء ويكنسي عجاباً أنارته السنايك أكدرا
ومنهم ابو حبال البراء بن ربي الفقعسي^(٣)

أولئك اخوان الصفاء رزئتهم وما الكف الا اصبع ثم اصبع
ومنهم اسماعيل بن يسار^(٤)

وان أيقنت ان الغي فيما دعاك اليه اخوان الصفاء
ومنهم عبد السلام بن رغبان^(٥)

فهاك احاً لم تحوه بقرابة بلي ان اخوان الصفاء أقارب
ومنهم ابن الرومي

لو أن اخوان الصفاء تناصفوا لم يفرحوا بتفاضل الأعمار

وقال ابن المقفع في باب الحمامة المطوقة من كتاب كريمة ودمنة فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة

(١) معجم البلدان : « اومات » . (٢) ديوان الخنساء . (٣) حسانة ابي تمام .

(٤) حسانة البحتري . (٥) زهر الآداب ٣ - ١٧١ .

فهؤلاء كلهم ذكروا اخوان الصفاء وهم يريدون اخوان المودة الصافية الخالصة قبل ان تؤلف جمعية اخوان الصفاء وابو العلاء احتذى على مثالم على ان ياقوتاً روى في معجم الأدباء ج ١ ص ١٧٥ عن ابي الوليد الدربندي قال انشدني ابو العلاء التنوخي في داره عند وداعي اياه وذكر الايات الثلاثة المتقدمة وابو الوليد هذا هو الحسن بن محمد البلخي الدربندي المحدث الصوفي طاف الآفاق في طلب الحديث ثم رجع الى سمرقند وتوفي سنة ٤٥٦ كما قال ابن عساكر ج ٤ ص ٢٤٧ وذكره ياقوت في دربند وفي سقط الزند ج ٢ ص ١٣٦ انه قال هذه الأبيات على لسان البلخي .

وفي كلام الاستاذ الدكتور في مقدمة رسائل اخوان الصفاء تناقض بين وذلك انه قال : لأن الدين كتبه جماعة لا نكاد نعرف منهم أحدا . . . ثم قال وقد احتاط هؤلاء في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف منهم أحدا . . . ثم قال وانما سميت بأسماء لا تتجاوز الخمسة ولا تتخلو من أن يحيط بها الشك . . . ثم قال وكل ما نستطيع ان نعرفه . . . انها نشأت في البصرة . . . وعرف لها فرع في بغداد . . .

ثم ما لبث ان ناقض نفسه وتخلص من هذه الشكوك وزاد استيقاناً فقال بعد ما تقدم : وليس عندي شك في ان أبا العلاء ، قد اتصل بهذا الفرع ببغداد وكان يحضر اجتماعه . . . ثم قال : نرى ذلك في سقط الزند . . . بل نرى بعض اسماء الذين كانوا يحضرون . . . ثم قال ونكاد نعرف المكان الذي يجتمعون فيه . . . ثم قال ونكاد نلح في هذه الاجتماعات شيئاً من اللهب . . . ثم قال على انني أشد استيقاناً به . . . الى آخره .

وهذا التناقض بوقع الواقف على كلامه في ظلمات من الشك والحيرة فلا يدري على أي قوله يعتمد أعلى قوله لا نكاد نعرف . . . ام على قوله نكاد نعرف ونلح . ونرى . . . واعتقد . . .

واذا أردنا ان نجري كلامه على طريقة العلماء في النصين المتعارضين ونعول

على المتأخر منها لا نجد له دليلاً يؤيده والقضايا التاريخية لا تقوم على ظنون وأوهام ولا على احتمال وتخمين .

وأغرب ما في كلامه أن يحكم على اخوان الصفاء بأنهم من غلاة الشيعة أو الاسماعيليين ثم يزج بأبي العلاء بينهم فيجعله في عدادهم وابو العلاء ينفرد عقله مغضباً من اتباع مثل الامامين مالك والشافعي مع اعترافه بفضلها وينكر على الشيعة والاسماعيليين أشد الانكار ولولا خشية الاطالة لأوردنا أمثلة تدل على مبلغ انكاره عليهم وبراءته من موافقتهم في شيء من عقائدهم . وحسبنا أن نخيل القارئ على رسالة الغفران فان فيها غنية للطالب ومقنعة للرتاب . ونجتزئ بهذا القدر للدلالة على أن أبا العلاء ليست له صلة باخوان الصفاء وما وقع في كلامه مما يشبه ما في رسائل اخوان الصفاء فحكمه حكم ما وقع في كلامه مما يشبه كلام غيرهم

والباحث في كلامه يجد فيه كثيراً من الآراء التي وافق فيها افلاطون وغيره وخالف فيها ارسطو وغيره وكثيراً من العادات التي استحسناها لاهل الهند وغيرهم ولم يكن من اشياعهم ولا أتباعهم ولا شهد مجامعهم ولم يحدثنا التاريخ أن أبا العلاء كانت له أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف .

واغرب من ذلك كله أن يعرف الاستاذ ويرى ويلجج وهو في مصر بعد الف سنة تقريباً ما لم يعرفه ويره ويلجج أهل بغداد والبصرة حين كان أولئك الجماعة بين ظهرانيهم ، وحين كان رجال الدين والسياسة يبالغون في التنقيب عن أمثالهم ومما تقدم بتضح ان استنباط الاستاذ لطيف جميل لو مهد له السبيل وأثاره بدليل ولكن شيئاً من هذا لم يكن . فسبحان الموفق

سليم الجندي



الديار الشامية

ونعني بالشام البلاد الواقعة بين العريش والفرات ، وقد سقطت بعد الحرب العالمية الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) في يد الحلفاء ، فكانت فلسطين وشرقي الأردن من حصة بريطانيا العظمى ، وسورية ولبنان من حصة فرنسا ، ثم جعل لها الانتداب على هذه البلاد بقرار من جمعية الأمم . ورأت بريطانيا العظمى في هذه الحرب الأخيرة (١٩٣٩ - ١٩٤١) الاستيلاء على سورية ولبنان لتصبح البلاد العربية كتلة واحدة امام دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) . فأرسلت حملة يوم ٨ حزيران ١٩٤١ احتلت حوران ، وأخرى خرجت من الساحل بين صور وصيدا ، وفي الثاني والعشرين من حزيران فتحت دمشق ، وكان جاء جيش آخر فاستولى على سقى الفرات ثم على تدمر باتجاه حمص وحماة وحلب . واشتد الضغط على بيروت من البر والبحر والجو فاضطرت القيادة الفرنسية الى طلب الهدنة فعقدت هدنة بين الفريقين المتحاربين في المعسكر قرب عكا بعد معارك دامت كما قالت جريدة التايمس اربعة وثلاثين يوماً بزحف بطي يقصد منه تجنب اراقة الدماء . وهذا نص وثيقة الهدنة التي وقع عليها الطرفان ننشرها للتاريخ :

هذا نص الاتفاق الذي عقد للكف عن القتال في سورية ولبنان : —
بين الجنرال السر هنري مثلند ولسون القائد العام لقوات الحلفاء في فلسطين وسورية (نائباً عن القواد العاملين في الشرق الأوسط) من جانب
والجنرال دي فردبلاك نائب القائد العام للجنود الفرنسية في سورية (نائباً عن القيادة العامة) من جانب آخر

تم الرضى والاتفاق على انتهاء الحرب في سورية ولبنان بالشروط التالية :

- ١ - بطلت الحرب في ١١ تموز سنة ١٩٤١ في الساعة الواحدة والعشرين والدقيقة الواحدة بوقت جرينتش أي ١ : ٩ مساءً
- ٢ - تحللت قوات الحلفاء الأراضي السورية واللبنانية وتحشدت القوات الفرنسية في مناطق تختارها لجنة تؤلف من مندوبين عن الجانبين
- ويتم هذا الاحتشاد في يوم الثلاثاء ١٥ تموز سنة ١٩٤١ في الساعة ١٢ ظهراً .
- وفي هذه الساعة تشرع قوات الحلفاء في احتلال مواقع حربية معينة
- والى ان يتم تسريح الجنود الفرنسيين يظنون خاضعين لقيادة فرنسية في مكان محدود يقدم اليهم فيه ما يحتاجون اليه من المؤن الموجودة في المخازن
- وقد وضعت تدابير خاصة لجلب الدروز فتبقى فيه - لأسباب خاصة بالأمن - حامية من الجنود الفرنسية الى ان يحل محلها جنود بريطانيون
- ٣ - لأجل ضمان استتباب الأمن العام يتم احتلال الجهات الرئيسة في سورية ولبنان طبقاً لبرنامج يمكن بمقتضاه ابدال الجنود الفرنسيين بقوات من جيش الاحتلال حالاً .
- ٤ - تعطى للسلطات المحتلة بيانات تكشف عن مواضع حقول الألغام سواء كانت في البحر او البر
- ٥ - تمنح القوات الفرنسية الاكرام الحربي التام فتسير الى المناطق التي اختيرت لها بجميع سلاحها ، وفي جملتها المدافع والمدافع الرشاشة والدبابات والسيارات المدرعة وما تملك من ذخيرة
- وتتخذ القيادة الفرنسية جميع التدابير اللازمة لعدم ترك السلاح والذخيرة بلا حراسة في ميادين القتال أو في غيرها
- وعلى السلطات العسكرية الفرنسية ان تسدي كل مساعدة ممكنة لجمع السلاح الذي قد يكون في ايدي أهل البلاد
- ٦ - وفيما يتعلق بالاكرام الحربي يسمح للضباط وضباط الصف والجنود

الفرنسيين بأن يحتفظوا بسلاحهم (كالبنادق او القرايبنات والمسدسات والحراب والسيوف) ومع ذلك لا يباح للجنود بأن يحملوا ذخيرة . ولكن لكل وحدة أن تحتفظ بكية يسيرة من الذخيرة لأسباب خاصة بالأمن

ويحتفظ رجال الدرك بسلاحهم ومقدار محدود من الذخيرة . أما سائر الاسلحة وفي جملتها المدافع وبطاربات السواحل والمدافع المضادة للطائرات وسيارات النقل العسكري فتحزن تحت رقابة بريطانية

ويتعهد البريطانيون هذه المهات ويكون لهم الحق في أخذ ما يكونون في حاجة اليه منها . ثم تتولى سلطات فرنسية تدمير الباقي بأشراف بريطانيين

٧ - يطلق سراح الأسرى من قوات الحلفاء حالاً ومنهم الذين نقلوا الى فرنسا . وهؤلاء الاخيريون يحتفظ البريطانيون في أمرهم بحق استبقاء عدد مساوٍ لهم من الضباط الفرنسيين وبرتبهم على قدر الطاقة كأمرى حرب الى أن يطلق سراح الذين نقلوا الى فرنسا . ويطلق سراح الأسرى الفرنسيين عند احتلال أرض سورية ولبنان كلها وانفاذ مواد هذا الاتفاق . ثم يلحقون بكثائبهم لأجل اعادتها ، الى أوطانها .

٨ - يغير الافراد من عسكريين ومدنيين في الانضمام الى قضية الحلفاء واعادتهم الى أوطانهم . أما المدنيون الذين لا يريدون الانضمام الى قضية الحلفاء فعنى السلطة البريطانية بالنظر في الطلبات التي يقدمونها للبقاء في سورية أو لبنان

٩ - يبقى موظفو السلطة التنفيذية وموظفو المكاتب الفنية وضباط الخدمات الخصوصية في مناصبهم مدة الحاجة اليهم لضمان استمرار الادارة في البلاد والى الوقت الذي يمكن فيه الاستغناء عنهم وحينئذ يرسلون الى اوطانهم اذا أرادوا ويجوز الاستغناء عنهم اذا لم يكن عملهم وسلوكهم مرضيين

١٠ - توافق السلطة البريطانية على أن يعاد على سفن فرنسية الجنود الفرنسيون والرعايا الفرنسيون الى أوطانهم بشرط أن تقتصر هذه الاعادة على الذين يغيرون في

ذلك وتحتفظ السلطة البريطانية بحق الاشراف على جميع الأمور الخاصة بإعادة هؤلاء الأشخاص الى أوطانهم

١١ - تنقل ممتلكات الرعايا الفرنسيين الذين يُراد اعادتهم الى أوطانهم طبقاً لشروط تعين لذلك ويعاملون معاملة لا تقل عن معاملة البريطانيين الذين سافروا من سورية أخيراً

١٢ - تكفل للمعاهد الفرنسية الثقافية ومنها المستشفيات والمدارس والبعثات الدينية وغيرها حرمة حريتها على ان لا تناقض حربة هذه المعاهد مصالح الحلفاء الحربية
١٣ - جميع الأعمال العمومية ومنها سكك الحديد والترام والنقل والكهربائية والماء تبقى في عملها وتسلم سليمة

١٤ - جميع المواصلات ومنها التلفون والتلغراف والراديو والمخاطبة بالاسلاك البحرية تسلم سليمة الى السلطة المحتلة . ويسهل للقيادة الفرنسية استعمال التلغراف لمخاطبة فرنسا أسوة بالجمهور

١٥ - تسلم الموانئ والمؤسسات البحرية وجميع السفن وبينها البريطانية الراسية في المياه السورية واللبنانية والاقليمية سليمة الى السلطة المحتلة

١٦ - تسلم جميع الطائرات والمؤسسات الجوية والمعدات الحربية في سورية أو لبنان سليمة . وعند امضاء الاتفاق الحالي يصبح من حق الطائرات البريطانية أن تستخدم أي قاعدة جوية كانت وأي منطقة كانت من مناطق نزول الطائرات في لبنان وسورية
١٧ - تسلم مقادير الوقود الموجودة في البلاد سليمة وتوضع المقادير الضرورية للنقل الحربي تحت تصرف القيادة الفرنسية

١٨ - تضمن سلامة العملة ووسائل الدفع الأخرى سواء كانت متداولة أو في الاحتياطي أو في ملكية البنوك أو السلطات العامة الأخرى

١٩ - تحتفظ السلطات العسكرية البريطانية بمقعها في أن تدخل في خدمتها

«الجنود المخصوصين في الشرق»، تدريجياً بعد ان تسرحهم السلطات الفرنسية وتسلم أسلحة هؤلاء الجنود الى السلطات البريطانية

٢٠ — نعهد السلطات البريطانية بعدم اتخاذ اجراءات قضائية ضد السوريين أو اللبنانيين الذين كانت لهم يد في الاعمال الحربية الأخيرة وذلك من الناحيتين العسكرية أو الرسمية

٢١ — تشرف على تنفيذ شروط هذا الاتفاق لجنة رقابة واشراف يكون مقرها بيروت وتكون مؤلفة من خمسة أعضاء وتعين السلطات البريطانية ثلاثة أعضاء منهم الرئيس وتعين السلطات الفرنسية العضوين الآخرين

ومن حق لجنة الاشراف والرقابة أن تعين لجاناً فرعية وان تضم اليها الخبراء الذين ترى ضمهم اليها ضرورياً

٢٢ — كتبت هذه المعاهدة باللغتين الانجليزية والفرنسية وفي حالة وقوع خلاف يكون النص الانجليزي هو المرجع الرسمي

امضاء

امضاء

الجنرال دي فرديلاك

ميتلند ولسون

نائب القائد العام

القائد العام لقوات الحلفاء

للقوات الفرنسية في سورية « بالنيابة

في فلسطين وسورية « بالنيابة عن

عن القيادة الفرنسية العليا «

القائد العام في الشرق الاوسط «

عكا في ١٤ تموز ١٩٤١

مخطوطات ومطبوعات

كتاب الأوائل

وقعت على كتابٍ مخطوطٍ يسمي « الفواتح المسكية في الفواتح المكية » تأليف العالم الرباني عبد الرحمن البساطمي في خزانة كتب السيد حسن صدقي الدجاني بيت المقدس وقد جاء في الباب الثامن والعشرين من هذا الكتاب أنه أُلّفه للسلطان مراد خان فاهداً له وقال :

أضحى مليكاً لأهل الأرض كلهم كأنما جبه أُلقي علي الماء
جوهرة آل عثمان . نخر أمة اورخان . عزة بلد مراد خان درة زين
بايزيد خان⁽¹⁾ فانه عنوان مآثر الصلوات وديوان مفاخر التفضلات وقد خدمت بهذه
العبارة الفائقة والاشارة الرائقة خزانة كتبه الحاوية لازالت لضرور السجلات
ظاوية الخ «

ومما جاء في طيات هذا الكتاب ما نقله قال

الأوائل

أول ما خلق الله القلم وقيل اللوح قاله ابن عباس وقيل الدواة .

== == ==
تعالى العقل

== ما اظهر الله من خلقه النطفة قاله علي بن ابي طالب

== ما خلق الله النور والظلمة قاله محمد بن اسحق

== من نزل البصرة من الصحابة عتبة بن غزوان المازني وهو الذي اختطها

== وضع ركاب الفرس من حديد المهلب بن ابي صفرة

(1) عثمان واورخان ومراد خان وبايزيد خان من ملوك آل عثمان

اول من اخرج علم الخلاف في الدنيا ابو زيد الدبومي الحنفي
 = = دون علم المنطق ارسطو
 = = = = الموسيقى فيثاغورس الحكيم
 = = اظهر الطب اسفلتيوس خادماً هرمس
 = = صنف في علم التوحيد الامام الاعظم ابو حنيفة وهو ايضاً اول من
 استنبط علم الرأي والقياس

اول من بدأ بعلم أصول الفقه الامام الشافعي
 = = شرح الفقه الاكبر لأبي حنيفة ابو مطيع النجلى
 = = = الشاطبية ابو الحسن السخاوي
 = = دفن معه كتابه سيوبه حتى اخرجوا الكتاب من قبره
 = = تكلم في الناسخ والمنسوخ الشافعي
 = = صنف اربعين حديثاً عبد الله بن المبارك
 = = قعد علي كرمي من الوعاظ يحيى بن معاذ الرازي سنة ٢٥٨
 = = وعظ الحسن البصري وهو ايضاً اول من تكلم في حقائق الفرع واول
 مشايخ الصوفية

اول بدعة حدثت في الاسلام المنخل
 = = = بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التشيع
 = = من حدث بالمغازي الشعبي
 = = صلى الفجر بوضوء العشاء اربعين سنة من الائمة الاربعة ابوحنيفة رحمه الله
 = = ولي القضاء بالكوفة لعمر بن الخطاب شريح بن الحرث
 = = مات من الصحابة بالكوفة خباب بن الارت
 = = من أسلم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة
 ومن العبيد بلال ومن الروم صيب

أول مولود ولد في الاسلام بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر
 من تيجير في الأرض نمرود ابراهيم . الى آخر ما هنالك من الأوائل .
 والمؤلف عبد الرحمن البسطامي الحنفي الحروفي ولد في انطاكية بالشام وطلب
 العلم في القاهرة بمصر وسكن بروسة بالروم وتوفي فيها سنة ٨٥٨ هـ ١٤٥٤ م وله
 كتب عديدة منها كتاب الدرر في الحوادث والسير في التاريخ ذكر الوفيات فيه
 على ترتيب الأعوام وقدمه ايضاً للسلطان مراد الثاني ومنه نسخة في مكتبة ليدن
 بهولاندة وتراجم العلماء في مكتبة غوطا بألمانية ومناهج التوسل في مباحج التوسل
 وهو مجموع لطائف ادبية ومنه نسخة بالمكتبة المصرية في القاهرة
 أما كتاب الأوائل الذي نحن بصدده فنه نسخ في فينا بالنمسة وليبسك بألمانية
 ومكتبة الاسكوريال بمجريط « اسبانية » وليدن من بلاد هولاندة

عبد الله مخلص

—••••—

كتاب الشعراء لأبي نعيم الاصبهاني

مجموع ١٢٤ (٣)

اسم الكتاب والمؤلف :

و : ١ : الجزء فيه منتخب من كتاب الشعراء تأليف ابي نعيم احمد بن عبد الله
 ابن احمد بن اسحق الاصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠)

ذكر بروكلمان في تاريخه ٣٦٢/١ وذبله ٦١٧/١ من ترجموا لابي نعيم واغفل
 الاعلام ٤٧/١ ورجال ميرزا محمد ص ٣٧ ومنتهى المقار ٣٦ وتنقيح المقال ٣٨٦/١ .
 ولم يذكر كتاب الشعراء هذا احد من ترجموا المؤلفه ولعله من مؤلفاته الصغيرة

موضوع الكتاب ونصوص منه :

هو منتخب وردت فيه أخبار عن الشعراء الاسلاميين خاصة وبعض شعراء

العصر العباسي وعرضت فيه بعض الاحاديث النبوية عن الشعر والشعراء وغير ذلك مما ليس له علاقة بموضوع الكتاب الاصيل . والكتاب على طريقة المحدثين بذكر السند أولاً والخبر ثانياً ؛ وقد أشير على هامش النسخة حيناً ان بعض أحاديثه متروكة وهاك على سبيل المثال بضعة أخبار مما ورد فيه .

٢٠ : حدثنا سليمان بن احمد وابو احمد محمد بن احمد قالوا : حدثنا ابو خليفة عن محمد بن سلام الجمحي قال : ابو ليلى نابعة بني جعدة وهو قيس بن عبدالله ابن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ^(١) حدثنا ابو بكر احمد بن محمد بن يحيى التميمي حدثنا احمد بن عمرو الزبيدي ^(٢) حدثنا زكريا بن يحيى المنقري حدثنا الاصمعي ، حدثنا هاني بن عبيد الله عن أبيه عن عبد الله بن صفوان قال عاش النابعة مائة وعشرين سنة ^(٣) وسمع النبي صلى الله عليه وسلم شعره فاستحسنه ثم مات باصبهان ودفن بها .

حدثنا أبو بكر الطلحي ، حدثنا احمد بن حماد بن سفيان حدثني يزيد بن سفيان ابو خالد البصري بمصر ، حدثنا خلاد بن يزيد الباهلي : ان نابعة بني جعدة سمع كلام انسان وهو شيخ كبير فقال : ادعوا لي هذا فدعوه فقال : أنت فلان قال لا : أنا ابنه قال : ما فعل فلان ، قال : مات ، فسأله عن غير واحد فقال : مات فأطرق ساعة ثم قال

المرء يهوى أن يعيش وطولُ عيشٍ ما يضره

(١) جاء هذا النسب موافقاً لما ذكر الآمدي في المؤلف والمختلف بتصحيح كرنكو ص ١٩١ وفي معجم الشعراء للمرزباني تصحيح كرنكو ص ٣٢١ ومخالفاً لما ذكر صاحب الأغاني ١٢٧/٢ الذي قال : «الصحيح حسان بن قيس بن عبدالله بن وحوح بن عدس وقيل ابن عمرو بن عدس مكان وحوح الخ» . وذكر الزركلي في الأعلام ٢١٩/١ اختلاف المؤلفين في اسم النابعة الجعدي .

(٢) وردت كلمة الزبيدي مهمة وترجم السمعاني ٢٩٣ أي ٢٩٣ لابن الحسين احمد بن عمرو بن احمد الزبيدي فيكون ضبطها كما ذكرنا .

(٣) ذكر صاحب الاغاني ١٢٩/٢ انه عمر مائة وثمانين سنة .

تتابع الأيام حتى ما يرى شيئاً يسره
نفى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره^(١)

ثم دخل بيته فلم يخرج حتى مات

و : ٤٤ : حدثنا محمد بن علي بن حبيش ، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث ، حدثنا حمزة بن نصير العسال المصري ، حدثنا سعيد بن كثير بن عُفَيْر حدثنا يعقوب ابن محمد الزهري عن موسى بن عقبة قال : قدمت الرصافة فرأيت شيئاً فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت مولى الزبير ، فقال لي : أيقول الفتى الظريف مثلك مولى ؟ الا قلت : من آل الزبير ، قال : قلت فمن أنت ؟ قال : أنا جرير بن الخططي قال : قلت : اني ارى سمّاً وهيبة وانه يبلغنا اقتداع من قول فقال : انه ينزل بي الثلاثون والاربعون من قومي يريدون القرى والهجاء فأضيق قومي^(٢) ؟ قال فقلت : ايها أشعر كثير عنزة أو عدي بن الرقاع ، فقال : والله لبيت قاله كثير أشعر من جميع ما قالت عاملة قلت : وما هو ، قال :

انن حن اجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين

فضول الكتاب :

المبرأ و ١ : ٠٠٠ أخبرنا الشيخ ابو بكر محمد بن اسماعيل بن أبي نصر يعرف بدانكفاز بقراءة عليه في شوال سنة خمس وسبعين واربعمائة ، أخبرنا أبو علي الحسن ابن احمد بن الحسن الحداد قراءة عليه وأنا حاضر في شوال من سنة أربع واربعمائة قال احمد بن عبد الله [أبو نعيم الاصفهاني] ١٠٠٠ عن اسحاق بن سويد حدثني من سمع حسان بن ثابت يقول

(١) ورد البيتان : الأول والأخير في ديوان ابي القتامة (عوض يهوى : يأمل وعوض ما :

قد) طبعة اليسوعيين ١٨٨٦ ، ص ١٢٠ أما البيت الثاني فقد ورد بهما كما يلي :

ونحوه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره

(٢) لعلها فاطمى قومي

من مرثه الموت صرفاً لا مزاج له فليات مآدبة في دار عثمان^(١)
و^١ خبر آخر لحسان عن الغضب لمقتل عثمان ، قصيدة لكعب بن مالك السلمي
في يوم بدر .

و^٢ عن لييد و^٣ : عن النابغة الجعدي ، حديث من كنت مولاه فعلي مولاه
عن أبي ذؤيب الهذلي و^٣ — ^٤ : عن الفرزدق و^٤ عن رؤبة بن العجاج .
و^٤ : عن جرير ، عن الاحنف بن قيس ، و^٥ : حديث عن أول من تكلم
العريية ، عن أول سورة نزلت من القرآن ، شعر لابي طالب و^٥ ؛ ابو نواس وابو
العنايه و^٥ : حديث عن وفاة رسول الله ص ، حديث : مولى القوم منهم
و^٦ : اشعار تنشد في مجلس الرسول ص و^٦ نهى الرسول ص من هجاء الناس ،
حديث من خطا سبع خطوات الى شعر كتب من الغاوين و^٦ حديث : امرؤ القيس
يقود الشعراء الى النار ، حديث : الشعر كلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام ، ترخيص الرسول من شعر الجاهلية قصيدة أمية بن ابي الصلت في أهل بدر
وقصيدة الاعشى في عامر وعلقمة ، شعر لابليس في قابيل وهابيل
انهاية و : ^٦ كان أبو بكر شاعراً و كان عمر شاعراً و كان علي أشعر الثلاثة .

وصف النسخة:

النسخة في حال حسنة ويظهر انها كاملة لا كلمة في الكتاب تذكر
نهايتها على أن طريقة حبكها تظهر انها تامة . ورقها اسمر جيد عدته ٦ وورقات ابعاده
١٣×٢١ مم مع هامش قدره سنتيمتر واحد الورقة تحوي ما يقارب ٢٨ سطراً ؛
خط النسخة معتنى به معجم في بعض حروفه المعجمة ، متوسط الحرف ، مقروء ، يتبدأ
الخبر في النسخة بقوله حدثنا 'مد' فيه حرف الحاء على ان الاخبار لتتابع دون
فاصلة او تغيير سطر .

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان حسان طيبة هارتويغ هير شفلد سنة ١٩١٠ في مجموعة جـ

تاريخ النسخة :

و ١ : سماع لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي (٥٤١ - ٦٠٠)
و ١ : وقف الحافظ عبد الغني ، بالضائية مقره [ومنها انقل الى العمريه
فالظاهريه]

ومن مقابلة خط هذه النسخة بخط عبد الغني المقدسي في مجموع ٣٠ (٦)
ومجموع ٥٥ (٣) ظهر انها من خطه . ذكر هذه النسخة بروكلمان نقلاً عن الزيات
ولم يذكر غيرها فيما اطلع عليه

يوسف العيسى

— ٥٥٥ —

الامتاع والمؤانسة

ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد) من فلاسفة القرن الخامس ومن أجل علمائه
وأدبائه ، وهو ثاني الجاحظ بيلاغته واتساع مادته في العلوم ، وكان يتوخى بأسلوب
كتابته البسيط والابانة ويصدر عن حرية وتوسع . وقد ألف كتباً كثيرة أورد
الصفدي جريدتها في « الوافي بالوفيات » ومنها كتب في فتوح البلدان ، وأكثر
كتبه على ما يظهر مما أحرقه في حياته ، لما عرته السوداء بما ناله من الحرمان والشقاء
ولم يطبع له الى الآن سوى كتاب « المقابسات » وكتاب « الصداقة والصديق »
وكتاب « ثمرات العلوم » . وآخر ما طبع له كتاب « الامتاع والمؤانسة » طبعته لجنة
التأليف والترجمة والنشر في القاهرة وتولى الاستاذان احمد أمين بك واحمد الزين
تصحيحه والتعليق عليه ، فجاء الجزء الأول في ٢٢٦ ص عدا الفهارس والمقدمة . وبقي
من الكتاب جزآن آخران تحت الطبع والنظر .

دون المؤلف في الامتاع والمؤانسة ما دار بينه وبين ابن سعدان الوزير ، ورجح

أحد الناشرين احمد امين انه هو ابو عبد الله العارض ، أو ابو عبد الله بن الحسين ابن احمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهبي ، لا كما ادعي القفطي في « تراجم الحكماء » من انه كتبه لأستاذه أبي سليمان المنطقي (محمد بن طاهر السجستاني) . فان المؤلف صرح بذلك في مقدمة كتابه هذا ، وقال ان الذي حثه على تدوين مادون صديقه أبو الوفاء المهندس (محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني) احد ندماء ابن سعدان وهو الذي قدمه له وعرفه اليه . اراده أن يكتب له ما كان يدور في مجلس الوزير في ليالي السر ، وهي سبع وثلاثون ليلة حمل الجزء الأول منها ست عشرة ليلة .

وفي هذه الاسمار كلام مفيد جداً في تحليل شخصيات علماء ذاك العصر في بغداد ، وعرضٌ جيد لفلاسفتهم وأدبائهم ، ولموطن الضعف في نفوسهم ، ومشاراة النقد من حياتهم ، على أسلوب ما عهد لكاتب يكتب في الجدة أن يدون مثله . وفي الكتاب فوائد في اللغة والشعر والكتابة والتفسير والحديث والاخلاق والفكاهة والتاريخ والحيوان الى غير ذلك مما كشف المؤلف الحجاب فيه عن أشياء كانت غير معروفة من حالة ذاك العصر . وفي هذا الجزء مناظرة ابي سعيد السيرافي مع أبي بشر مقي بن يونس (او يونان) في النحو العربي والمنطق اليوناني ، وهي التي نقلها باقوت في معجم الادباء برمتها ، وفيه بحث في خصائص الشعوب المعروفة لعده ، ورد على الشعوبية أعداء العرب (تفضيل العرب عليهم) ، وفيه وصف الكتابة والمبرزين فيها في عصره ، وكلام على ابن العميد والصاحب بن عباد ، وكان ابو حيان كتب فيها كتاباً ثلثها فيه مائة مثالب الوزيرين

وروح التوحيدي ، كعظم ما انتهى اليها من كلامه ، منقبضة غابسة خلافاً لروح الجاحظ المرحة الضاحكة ، ولا يحمل ذلك الا على مزاج خاص في كل منها ، وعصر الجاحظ ينطق الالبكم ، وعصر التوحيدي يكلم الافواه . وتبين بما عرف من أقوال التوحيدي انه بهذه الحربة التي أطلقها لنفسه في نقد الرجال دعا الى اغفال أرباب

السير وكتاب التراجم ذكره في كتبهم ، فلم يسلكوه في سلك المتصوفة ، ولا في سمط الفلاسفة ، ولا عدوه في المتكلمين ولا المتأدبين ولا المتأهلين العابدين ، لأنه ألم جمهرة أرباب المظاهر العلمية بما ترجم لهم به ولم يتخطَّ نقده غير أفراد من أساتذته ومن رضي عنهم من أصحابه

ومن نقده للرجال ما قاله في مجلسين في التعريف بأبي علي احمد بن محمد مسكويه صاحب « تهذيب الاخلاق » و « الفوز الاصغر » و « تجارب الأمم » : « وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وعبي بين ابناء ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته في هذه الأيام (صنو الشرح لإيساغوجي) وقاطيغورياس من تصنيف صديقنا بالرعي . قال : ومن هو ؟ قلت : ابو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري ، وصحبه معي ، وهو الآن لاند بابن السحار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه محبٌ في هذا الوقت للمسرة التي لحقته فيما فاته من قبل . فقال : يا عجبا لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ، ورأى من كان عنده ، وهذا حظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيمياء الرازي ، مملوك الهمة في طلبته ، والحرص على اصابته ، مفتوناً بكتب أبي زكرياء وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته الضرورية والشهوية ، والعمر قصير ، والساعات طائفة ، والحركات دائمة ، والفرصُ بروق تأتلق ، والأوطار في غرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فواتها تذوب وتحترق . ولقد قطن العامري الرعي خمس سنين جمعة ، ودرس وأملى وصنف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سدا ، ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع الملامة من أصدقائه ، حين لم ينفع ذلك كله . وبعد فهو ذكي حسن الشعر نقي اللفظ ، وان بقي فعساه بتوسط هذا الحديث (كذا) وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وانفاق زمانه وكذا بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في

البخل بالدائق والقبراط والكسرة والخرقة . نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ،
وايثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقته بالعمل . وهذا هو الشقاء المصوب
على هامة من يلي به ، والبلاء المعصوب بناصية من غلب عليه . »

وقال في وصفه أيضاً في مكان آخر (ص ١٣٦) : « واما مسكويه فلطيف
اللفظ ، رطب الأطراف ، رقيق الحواشي ، سهل المأخذ ، قليل السكب ، بطيء السبك ،
مشهور المعاني ، كثير التواني ، شديد التوقي ، ضعيف الترقى ، يرد أكثر مما يصدر ،
ويتناول جهده ثم يقصر ، ويطير بعيداً ويقع قريباً ، ويسقي من قبل ان يفرس ،
ويمتدح من قبل ان يئيبه ، وله بعد ذلك مأخذ كشدو من الفلسفة ، وتأت في
الخدمة ، وقيام برسوم الندامة ، وسنة في البخل ، وغرائب من الكذب ، وهو حائل
العقل لشغفه بالكيمياء . » اهـ

وفي هذا الكلام تحامل على المترجم به ، فان من ترجوا له اجموعا على انه في
طبقة اعلى من الطبقة التي حاول ابو حيان ان يضعه فيها . ولذلك اتهم التوحيدي
بدينه ، ونسبت اليه أمور ما خطرت له ببال ، حتى عزا اليه ابن ابي الحديد شارح
نهج البلاغة رسالة او مناظرة ابي بكر الصديق مع علي بن ابي طالب (رضي الله
عنهما) في الخلافة وادعى ان التوحيدي وضعها ، مع ان الرجل قال في كتابه
البصائر والذخائر وفي غيره انه نقلها عن رواها وهو شيخه ابو حامد احمد بن بشر
المرورزي ، أملاها على جماعة من حفظه وكتبها هو وبعض الحضور في المجلس ،
ولا موجب لأن يبرأ التوحيدي من عهدها اذا صح انه هو كاتبها ، فقد روى في
كتبه أعظم منها وما خاف ولا ججم ، ومن أنعم النظر في أسلوب هذه المناظرة
وأسلوب التوحيدي فربما يحكم بأنها أرقى من طبقته في الكتابة (راجع ما كتبناه
في تحليل حياة أبي حيان التوحيدي وكتابه وتأليفه في الجزء الثاني من كتابنا
« أمراء البيان » ص ٤٨٨ - ٥٤٥)

بذل الناشران الفاضلان الجهد في تصحيح كتاب الامتاع والمؤانسة وفي التعليق عليه ، وأخرجاه من نسخة وحيدة مخطوطة ، والناسخ أعجمي جميل الخط لا يعرف ما كان ينسخ . ويؤخذ على الناشرين اغفال التنبيه على حمل غير مفهومة من النصوص ابقياها كما هي بدون أن يشير اليها ، واعتذرا بأنها في اكثر الاحيان يفتهمان على أنه تحريف وان صوابه ما أثبتاه . وعندنا ان هذه الطريقة ليست عملية اذ ليس كل القراء على بصيرة من فهم كلام البلغاء ولا جمهورهم ممن يفهم في الحال المحرف وتقيضه .

وكننا نود لو وقع الفصل الذي كتبه ابو حيان في الحيوان على ما كان معروفاً في عصره تحت نظر أحد علماء الحيوان في هذا العصر ليلقى عليه ما يزيد في امتاعه ، وقد استغرق ٣٨ صفحة من كتاب الامتاع . والواجب أن يلتقي النظر على مثل هذا الكتاب المنوع البحوث والموضوعات عدة أخصائين ، فمن يبرز في الأدب مثلاً ، قد لا يكون له حظ من التاريخ ، ومن يشدو شيئاً من الفلسفة والنصوف لا يحسن الحيوان والنبات والطبيعة والفلك والموسيقى . وما دام المقصود احياء أدبنا القديم على الوجه الصحيح ، ليحسن الانتفاع به ، فلا غضاضة علينا اذا تعاون ارباب البصائر مثل هذه المخطوطات بالتدقيق على عدة صور ، على نحو ما كانت تجري دار الكتب المصرية في عرض تجارب الاغاني على مختلف الطبقات من العلماء ليصححوها ويقروا الرواية السليمة .

وقد نفضل أحد الناشرين فأطلعني على ملازم كتاب الامتاع بعد طبعها ، فاهتديت الى نحو مئة غلطة أقراني على ثلاث وأربعين منها وتفضلاً ونشرها في آخر الجزء الاول وتركا لي حريتي في البقية أنشرها في أي مجلة او جريدة شئت ، لأنها رأياً أن نشرها كلها معناه انها موافقات على ما فيها . والى القارئ الكريم بعض ما ورد في الكتاب من الاغلاط التي لم يقرفي الناشران عليها :

ص ١١ حسن النعمة — من النعمة ١٦٠ تحنث وتليث — تحنث وتديث ١٨٠

راشه (جعل له ريشاً) والاولى تفسيرها (اصحح حاله) كما في كتب اللغة ١٩٠٠٠٠٠٠ مع
عفو لفظك - اجر أو صر مع عفو لفظك ٢٠ أبالي البلاء - أبالي البلاء ٠ وفيها :
فقلت قبل ٠٠ تصحح هكذا : فقلت قبل : كل شيء اريد ان اجاب اليه ليكون ٢٢
قال هذا باب مفترق فيه ورجعنا الى الحديث فانه شهى سياً - ورجعنا الى الحديث ،
قال وهذا باب مفترق فيه فانه شهى سياً ٠٠ وفيها : حروف متقاومة - متقاربة أو
متساوية ٠ ٢٤ المعانقة العجيبة - المعانق ٢٩ والثناء الطيب اشاعه الله - يجذف
الألف من أشاعه وفي الأساس : شاعكم الله تعالى السلام وشاعكم السلام ٣١
عاش - ارتاش ٣٣ وحسن استنباط للعويص - نظنها وسوء استنباط لان المقام مقام
تعديد مساويه لا تعداد حسناته ٣٥ ولكنه محسن - محبت ٠ ومنها في طلبه
والحرص - في طلبته ٣٦ حتى كأنه بينه - حتى كأنه كان بينه ٠ ومنها ومضع
بفمه - ومضع لقمة ٣٨ القوي - الكوي ٤٤ كان الماضي - كان في الماضي
٥٠ نشطني وبشرني - بسطني وسرني - ٠ ومنها : واذقني حلاوة هذه المزية
- هذه المرتبة ، ٥١ في الدالة الدائمة والحال المربوطة ٠ وخرجا المربوطة بقولها لعله
يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقعة عند حد من الفاقة لا نتقل عنه (كذا)
والأولى ان يقال الحال المسخوطة ٠ ومنها : ووفاء بما له في عنقي من منته - من
منن ٠ ٥٣ مغلوب مالدیه - مغلوب على مالدیه ٥٥ حسود حقوق حديد - ليس في
طبقات الأدباء « حديد » والأولى حذفها ٥٦ وكن الثالث من الهمج المنشدين -
لا معنى لهمج والأولى حذفها وفي طبقات الادباء : وكن الثالث من المنشدين ٥٧
لا تجعلني نبهة الشامت - لا تجعلني هزأة الشامت ٥٨ وابن ثوبان في الفقه - في
التقية ، لأن ابن ثوبان أديب كاتب وليس من الفقهاء ، يؤيد ذلك أنه ذكر
في الصفحة ذاتها مع ابن عبد كان و ابراهيم بن العباس الصولي وفي ص ١٠٣ ورد
ذكره مع ابن وهب وآل وهب وكل هؤلاء لم يعرفوا بغير الادب والبيان وجاء ذكره
في ص ٦٦ عند حكاية على أبي الفضل بن العميد في الكتابة ٥٩ يتقابل ويتمايل

— يتفكك ويتمايل ٦٠ ولكن الغنى رب غفور — في ديوان عمرو بن الورد — ولكن
للغنى رب غفور ٦١ غلط في السجع — غلظ في السجع ٦٤ والثاني العادة وهي
المؤاتية — ترفع « وهي » الى السطر السالف فانها سقطت منه وتجعل محلها في « وخاذلته
لا ناصرته » فكون هكذا: وهي خاذلته لا ناصرته ٦٥ وليس في الدنيا محسوب —
مخلوق ٠ ومنها: الخلاوة المذوقة بالطبع — نرجح المدوقة وفي حديث ام سليم قال لها
وقد جمعت عرقه ما تصنعين؟ قالت عرقك أدوف به طيبي أي اخطب يقال دفت
الدواء أدوفه اذا بللته بماء وخطته فهو مدوف (عن النهاية لابن الاثير) ٧١ دار ابن
برثن — في العقد الفريد دار نيروز ٧٢ فوضوا لذلك الأنواء — فوضوا ٣٧
وخطوه ٦٠ تباين — تحذف متباين فيستقيم المعنى ٧٤ وتلك لا تخص بل تلم — بل
تعم ٧٦ وكأنت عمائمهم فوق الرجال ألوبه — فوق الرجال ٨٠ وطعم مالحي —
وطعم ما لوتق ٠ وفي حديث عبادة بن الصامت: ولا آكل الا ما لوتق لي أي لا آكل
الا ما لين لي واصله من اللوقة وهي الزبدة وقيد الزبد بالرطب (النهاية) ومنها:
قهدلت الثمار — فهدلت ٨١ ونصرت خلافتهم — ونصرت ٨٢ يضاف الى آخر
السطر السادس قوله في السطر بعده: عن المهمل الخ الى قوله مقصوداً ويكون اول
الكلام في السطر السابع: وبعد ٦ فالذي ٠ ومنها: ويستبدون في مصالحهم —
ويستعدون على مصالحهم ٨٧ وطعم العشب — الجشب ٦ وهو الطعام الغليظ او الذي بلا
إدام ٠ ومنها المعصومة بالفضل — المعكومة ٦ والمعكوم المشدود ٨٩ إقليدس
— إقليدس ٠ في القاموس إقليدس بالضم وزيادة واو اسم رجل وضع كتاباً في هذا
العلم المعروف وقول ابن عباد إقليدس اسم كتاب غلط ٠ وبالافرنجية Euclide
ومثله في صفحة ١١٦ إلا أحكام اللغة — الا أحكام اللغة ٩٣ وقيل منه الفرس —
وقبله منه الفرس ٩٥ والسف حاضر العين — العيب ١٠٠ الجعفر بن يحيى فان كتابه
كانت سوادية — نرجح ان تكون ساسانية بدليل ما جاء بعدها وبلاغته سبحانه
وسياسته يونانية وآدابه عربية ولا معنى لسوادية هنا ١٠٥ معرفة باقية — معرفة ثابتة ٠

١٠٦ وهائلا وعاملا - وهائلاً وغائلاً ١١٥ ٦ صفها وبنائها - وضعها وبنائها ٤
 ١٣٣ الدين التخين - الدين المتين ١٣٩ ٦ ويشم فيهمز - ويشتم ١٥٩ يضبط
 ويحمد - ويحمد ١٦٨ يترجل النهار - يترجل النهار وفيه الاساس : وترجلت الشمس
 ارتفعت ٤ وترجل النهار ٢٠٨ رسم او قوام - من رسم أو قوام اه

وهنا لا بد من تسجيل رأينا في احياء المخطوطات القديمة . فانا نرى ان تعرض
 كما قلنا على عدة اخصائين خصوصاً اذا كان الأصل مبدلاً محرفاً فقد رأينا كتاب
 الامتاع والمؤانسة وقع اولاً الى أبدي ثلاثة من أساتذة دمشق وهم خليل مردم بك
 ورشدي الحكيم والدكتور حسني سبوح فأصلحوا ما أمكن اصلاحه من اغلاط
 الناسخ وهي كثيرة جداً فنقلت الصورة الأصلية الى مصر مصححة في الجملة فماد
 الاستاذان احمد امين واحمد الزين فصححا ما أمكنها تصحيحه وطبعاه معلقين عليه
 تعليقات قيمة . ودون كاتب هذه التعليقة ما عن له من تصحيح بعض الهفوات
 فوافقني صديقي الناشران على عشرات منها . وهكذا الشأن في كل كتاب
 للاسلاف نريد احياءه وليس لنا الا نسخة واحدة منه لا بد ان يتعاور النظر
 فيه عدة باحثين وناقدين فيمتدي كل واحد الى ناحية قد لا يمتدي اليها صاحبه وليس
 في ذلك غضاظة على الناشر الأول . وعندني ان كتاب الامتاع والمؤانسة لو
 وقع الآن هذا الجزء المطبوع منه تحت نظر ناقد آخر او عدة نقاد لرأوا فيه ما لم
 يره الدمشقيون والقاهريون . وقد استمقت لجنة التأليف باحيائها الامتاع والمؤانسة
 الثناء المطر لأن انشاء نمط عال من الأدب كان يجمله المتأدبون والرجاء ان
 تسارع الى اخراج الجزأين الباقيين تبلُّ بهاشوق عشاق الأدب العربي القديم .

محمد كرد علي

معرض الآراء الحديثة

هذا هو العدد التاسع من « عيون الأدب الغربي » التي عنيت بترجمتها لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ألفه « ج . لويس د كنسن » وعربه الاستاذ محمد رفعة في ١١٥ صفحة .

قارئ الكتاب يحضر جلسة من جلسات « منتدى الباحثين » بلندن الجمعية التي كان من أغراضها أن تجمع بين أكثر العناصر تبايناً وتعقد جلساتها في دور أعضائها بالتناوب ، في لندن شتاء وفي منازل بعض الأعضاء الريفية صيفاً . أما الأعضاء الذين سجل المؤلف كلامهم في جلستنا هذه فهم : « رمنهام » كبير وزراء الدولة حينئذ من حزب الأحرار ، وخصمه اللدود « مندوزا » من المحافظين ، و « كانتلوب » الذي اعتزل الحياة العامة حديثاً وهو محافظ قديم ، و « أليسون » الاشتراكي النشط ، و « ما كارثي » الفوضوي المشهور ، و (ولسن) العالم بالاحياء ، و « مارتن » الأستاذ ، و « كوريات » الشاعر ، و (أودين) من رجال الاعمال و « هورنجن » من الأعيان ، و « ودمان » عضو جماعة الاصحاب ، و « ثيقيان » الأديب . يجتمع هؤلاء السادة كل أسبوعين مرة فيقرأ احدهم رسالة ثم يتناقش فيها سائر الأعضاء . والكلام في جلستنا هذه التي امتدت من بعد العشاء حتى طلوع الشمس لكانتلوب المحافظ القديم ، وقد نسي هذا رسالته المكتوبة ورفض أن يرتجل شيئاً في موضوعها ففرض عليه رب الدار كفارة : « ان يقدم اعترافاً شخصياً بفسر به اشتغاله بالسياسة ، ولم كان - وما زال - محافظاً من الطراز القديم ؟ ولم اقدم على اعتزال الحياة العامة وهو في مستهل حياته ؟ وقصارى القول ان عليه ان يفضي إلينا بوجهة نظره ، وهذا سيجفز رمنهام للكلام بعده ، فاذا تكلم استثار غيره من الأعضاء حتى يفضي كل منا في آخر الأمر بوجهة نظره وتكون السهرة ممتعة حقاً » (١)

وكذلك كان ، فقد أجرى المؤلف على السنة هؤلاء السادة المختلفي المذاهب والميول آراء شديدة التباين في نقائص المجتمع وطرق مداواتها ، كل قد شخص الداء ووصف الدواء من وجهة نظره الخاصة . فالكتاب اذن محضر جلسة فيها « عرض مختصر لآراء جماعة من الناس يمثل كل واحد منهم طائفة خاصة ويشرح نظرتة الى الحياة وبدافع عنها . وفي هذا العرض آراء كثيرة بعضها خطأ وبعضها صواب ، بعضها قائم على العقل والمنطق ، وبعضها مغالطات وبلاغة خطافية ، شأن كثير من الآراء التي يعرضها الناس في احاديثهم وبدافعون عنها بحماسة ، وليست هي في الغالب الا سفسطة وكلاماً منمقاً»^(١)

كذلك قال العرب الفاضل في مقدمته ، لكن القارئ يقع خلال هذا الجدل على حوار ممتع لذيد فيه حق وفيه علم وفيه تفكير عميق وتجارب صادقة . وعلى القارئ ان يعين في هذا الحوار للفائدة لا للتسلية . ولا يسعه الا الاعجاب الشديد لهذا الهدوء والنظام يسودان جلسة لا يجمع اثنين من أعضائها رأي واحد ، تصطرع فيها المذاهب وتباین الآراء ويصرح كل بما لخصه عنده ، ومع هذا فالجو مشبع بروح الألفة والاحترام . وهذا شيء لا تجده الا عند الانكليز : محافظ ، وحر ، واشتراكي ، وفوضوي ، ومالي ، وشاعر ، ومتدين ، وأديب : يتجاورون في المسائل التي هي مصادر خلافهم وفرقتهم . تسمع الخطيب فلا تشك ان خصمه سيثب عليه ليقطعه إرباً ؛ فاذا نزل ذلك وصعد هذا برد عليه ، رأيت احترام الرأي وسمو التهذيب يسيطران على كلامه وسلوكه .

أكثر هؤلاء الخطباء تأثيراً في هو المحافظ القديم (كنتلوب) لا لأنه حمل على الديمقراطية ونصر الارستقراطية الوراثة ، ولكني رأيت في انتقاده توسيد الوظائف الى المرتزة حقاً كثيراً ، وجبني فيه انه صريح غاية الصراحة يمثل طبقته من الانجليز خير تمثيل . واذا استطعت ان تشك في الإنجليزية هذه الصور التي عرضها المؤلف

فلن يتطرق اليك شك في عراقه هذا الرجل في انجليزته وقد وقفت كثيراً عند قوله :

« أعتقد ان السعي وراء الثروة يقضي على جدارة الانسان لتولي الخدمة العامة . . . وان محترفي التجارة يجب ان يبعدوا عن الوظائف العامة » ^(١) « اني أدين بمذهب حكومة السادة (gentleman) وأعني بهذه الكلمة مدلولها الانجليزي الممثل لروح العصر القديم ، وهو الرجل ذو الموارد الخاصة ، الناشئ منذ الطفولة في جو الحياة العامة المهيأ بطبيعة منبته للخدمة في الجيش او البحرية او الكنيسة او البرلمان . هذا النوع من الرجال هو الذي أسس عظمة روما ، وشيد مجد انجلترا في سالف الزمان ، واني لا أومن ان ستقوم قائمة لدولة عظيمة حكامها من التجار وارباب الحوانيت والصناع ؛

وليس ذلك راجعاً الى أنهم ليسوا جديرين بالتقدير ، بل لأن طرائق حياتهم ومعاشرهم تقضي على جدارتهم لولاية الشؤون العامة . » ^(٢)

وهذا رأي قد رآه أيضاً احد الاعيان (انظر ص ٩٢) وهما من طينة واحدة وقد اعجبني تعريفه الانجليز الخالص فهو يراه من نتاج الريف خاصة ويقول في صفتهم : « يقفون ساعة كاملة لا يتحركون ، كصفحة الماء الراكد ، يتأملون حصاناً أو خنزيراً ؛ هذا الطراز من الرجال يظنهم المتحضرين بلهاء لأنهم لا يجيبون عن سؤال قبل ان تمر خمس دقائق ، ثم يجيبونك في الغالب بتوجيه سؤال آخر . الخ » ^(٣) وقد اسف هذا المحافظ القديم « كيف يهرع الناس الى المدن اتماساً للحياة الاجتماعية في حين أني ما وجدت حياة اجتماعية حقة الا في الريف »

وتسمع على هذا الوتر نغماً آخر لعين انجليزي عاش طويلاً في ايطاليا ثم رجع الى بلاده فنظرها نظرة ناقدة ، ومن قوله : « يجيل الي ان الانجليز بنوع خاص فلما يبذلون محاولة جديدة لمواجهة الحقيقة لأنهم . . الخ » ^(٤)

والقارئ يشعر شعوراً قوياً برشاقة أسلوب المؤلف وقوة عارضته وشعوره العميق

بنواحي الحياة وإحساسه بالجمال وهي الصفات التي وصفه بها العرب الفاضل .

* * *

ليس ينقص إعجابنا بتعريب الاستاذ رفعة عن إعجابنا بالمؤلف ، فقد استطاع ان يسبق على الكتاب حلة رشيقة من الاسلوب العربي السهل البليغ وقد لفتت نظري هذه الملاحظات اعرضها عليه :

١ - نقول العرب : « فعلته على رغمه » ولم اجد حذف الجار في كلام يعتمد عليه وقد جاءت (رغم) خالية من (على) في الصفحات : ١٦ ، ١٨ ، ٦٩ ، الخ .

٢ - لم يرد استعمال (لما) للتعليل فيحسن أن يستبدل (اذ) بلا في قوله (ولما كانت ٠٠٠ فاني) ص ٤٠ س ٩ وكذلك ص ٤١ - ١٦

٣ - إذا قلنا : « هذا واجبي » لم يفهم منه الا أنه واجب لي على غيري أما اذا كانت الأمر على العكس فالصواب ان تقول : « هذا واجب علي » وعلى هذا ورد خطأ قوله : واجبي في الصفحات ٤٠ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٨٣ ، ١٠٢

٤ - الصواب في نحو قوله ص ٤٢ (نتعارض مع كل الحقائق) ان يقال « نتعارض هي و كل الحقائق » لأن الفاعل في أفعال المشاركة متعدد ولا يؤتى بـ (مع) قبل مجيء اسمين على الأقل ومثلها : اتفق معه . وقد ورد شبهه هذا الخطأ في الصفحات ٧١ ، ٨٧ ، ٨٩

٥ - وهب نتعدى لمفعولها الأصلي باللام تقول : « هب لي من لدنك ولياً » وتعديتها له مباشرة على خلاف الوارد . وعلى هذا يصلح ماورد في ص ٤٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٢

٦ -- قوله ص ٢٥ (يلبس على عينيه منظارين) يحتاج الى اعادة نظر العرب وحذف الفعل او استبدال (يضع) به أولى

٧ - أحصينا هذه الهنوت فأحبينا عرضها خدمة للكتاب :

ص	خطأ	صواب	ص	خطأ	صواب
٧	إحساننا للمادي	إحساسنا للمادي	١٥	أحقق من	أشد حمقاً من

ص	خطأ	صواب	ص	خطأ	صواب
٢٣	حدابي ٠٠٠ الى	حدابي ٠٠٠ على	٥٣	بل وكل	بل كل
٤١	هذاوذاك اللذين	هو هذاوذاك اللذان	٥٥	يتشدد	يتشدد
	بنفس البساطة	بالبساطة نفسها	٦١	الغير المحدودة	غير المحدودة
٤٨	البعض الآخر	بعضها الآخر	٧٨	أحاجج	أحاج
	[وكذا في ص ١٠٧٦١٠٦]		٨٣	ينصلح	ينصلح
٤٩	شعوذة	شعبذة	٩٠	أمرتكم	أمرتكم
٥٠	أثر نموها [مفصولة في سطرين]	أثرتموها	٩١	بل والامانة	وحتى الأمانة (او بل الأمانة)
٥١	كافة الأشياء	الأشياء كافة	٩٢	تسنقرئه	تسنقريه
	[وكذا في ص ٩٣٦٨٩٦٥٩ ولا تستعمل]		١٠٥	مبراء	مبراء
	الا حالاً منكراً متأخرة]		١٠٩	أبواه	مات أبواه

ولا يسعني الا شكر الاستاذ العرب على جهده القيم وشكر لجنة التأليف والترجمة والنشر على ما تقوم به من جليل الاعمال في خدمة العلم والعرب .

سعيد الافغاني

١٩٤٠

الانسان ذلك المجهول

للدكتور كاريل . طبع في صيدا سنة ١٩٤٠ صفحاته ١٨٩

اصل الكتاب لكاريل من كتاب فرنسا قال الاب بولس سويد انه اتبعه بنظرات ودروس فلم يتبين للقارئ ان كان الكتاب منقولاً عن الفرنسية او هو من آراء المترجم مزجها بكلام ذلك الفيلسوف . ولانكم صاحب هذه النظرات والدروس ان الكتاب في جملة كلام لا يحصل له ، والناظر في كتابه لأول وهلة يحكم بأنه

لم يوفق في أسلوب كتابته ، لأنها خلت من نضاعة الألفاظ ، وجمال التركيب والديباجة ، وفقدت فيها الرشاقة والسلاسة ، وحملت من الغموض والابهام شيئاً كثيراً فكان كلامه وكلام مقدم الكتاب أيضاً عبارة عن ألفاظ لا يدري القارئ مقصدهما من الجمل التي رصاها .

نحن لانعرف كيف يجرؤ من لم يرزق طبعاً شفاقاً ولم يأخذ نفسه بدرس هذه اللغة اعواماً طويلاً على التأليف والنشر فيها ، وبهذه الركائز يحاول بعض سكان لبنان في العهد الاخير ان يوجدوا لهم لغة خاصة كما حاولوا ان يكون لهم كيان سياسي خاص .

ولو عاد هذا المدرس المؤلف العجيب يافعاً في بلد كـمصر يدّرس في إحدى مدارسها وعرض ما كتب في هذه الصفحات على استاذة في المدرسة الثانوية لما اخلاه في كل صفحة من ملاحظات لغوية وبيانية وتأليفية وربما رد له بعض الفصول وقال له انها غير مفهومة ومملوءة بفضول لا تدخل في صلب الكتاب ولا متنه . مثل تعريضه بجمع اللغة العربية في مصر ونقله ما ذكرته احدى الصحف الهزلية في مداعبته فقال (ص ٨) : « وحسبك ان تذكر الارزيز (التلفون) والديودات (المكرونة) والشاطر والمشطور والكامخ بينهما يعني الصندوق وسواها . » وهذه الكلمات ما صدرت عن المجمع اللغوي قط وهذه مجلته في الايدي فليرجع اليها من شاء . ثم اي معنى لنقل ذلك في مقدمة كتاب في الجدّ الا اذا كان يقصد الخط من مصر ثم من العرب والمسلمين .

وقوله ص ١٨٢ يعني على الشرق اهماله الكتاب وانهم لا يعيشون فيه كما يعيش ابن العرب : « يكتب الكاتب في الغرب فيشتهر وتقبل آلاف الخلائق على مطالعته واذا عشرات الآلاف من مؤلفاته تنشر بين ايدي الجماهير فتعود عليه بالرفاهية والرخاء في حياته المادية . . . وانظر الا ترى ان العلم عندنا محتاج اليه كوسيلة لعمل او لمنصب ؟ واماتذة معاهدنا العلمية وهم المنقطعون الى الدرس

والبحث والتنقيب وبلوغ كمال الشخصية هل فيهم رجال الاختصاص الثقات ؟ انهم لا ينصرفون الى الدرس بكل نفوسهم لما يعلمون من ان هذه المهنة لا تعد مركزاً ولا تؤمن حياة ، فهم يتخذونها مرحلة يقطعونها باحثين في هذه الفترات عن سبيل الرزق سواها»

هذا نموذج من الأفكار التي حملها كتاب مدرس البيان العربي في مدرسة كان مثل الشيخ ابراهيم اليازجي رحمه الله مدرس بيانها ومثل شاعر الاقطار العربية خليل مطران من طلبتها . ونصيحتي لهذا المؤلف الجديد المتفلسف ومن كان على شاكلته في البيان ان يصونوا أوقات الناس عن العبث بما ينشرون فالقوم اليوم لا يحتاجون الى من يبيع منهم هذه الافكار الصيانية بهذا الاسلوب الركيك الذي كان يكتب به بعض سكان قرى الجبل منذ ثمانين سنة

محمد كرد علي



محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تأليف الأستاذ محمد رضا

الطبعة الثانية ، راجعها المؤلف وأضاف إليها زيادات شتى

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

سنة ١٣٥٨ هـ و سنة ١٩٣٩ م

تضمنت هذه السيرة وصف حياته الشريفة مفتحة بنقاب أجداده ، فتاريخ ميلاده ، ثم نشأته بمكة ، وتزوجه بخديجة ، وتجديده للكعبة ، وبعثته على رأس الأربعين ، وإنشائه دار الدعوة لردّ عدوان دار الندوة ، وأذى قومه له ولبن آمن به ، وهجرة من هاجر منهم الى الحبشة ، ثم هجرته ومن آمن معه الى المدينة ، وإرسال

كتبه ورسله الى الملوك والامراء وغيرهم بدعاية الاسلام ، ثم ايدانه من الله تعالى بقتال المعتدين ، وذكر غزواته وقد بلغت سبعا وعشرين ، وبعونه وسراياه وقد عدها ثمانيا وثلاثين ، وبين الحكمة في تعدد ازواجه أمهات المؤمنين ، ثم ذكر جملة من أخلاقه وشمائله وتعاليمه ومعجزاته واعظمها القرآن العظيم ، وختم الكتاب بإيراد طائفة من الأحاديث النبوية مرتبة على حروف الهجاء ، وجدول بتواريخ الحوادث المشهورة في السيرة النبوية ، وفهارس للأعلام من رجال ونساء ، وقبائل وأما كن . وهذا الوصف الجمل لحياته واعماله في مكة والمدينة لا يغني عن مراجعة الفهرس المفصل في الكتاب ، فقد ذكر حاله عليه السلام وحال اصحابه الكرام ، وأسباب اسلام كثير منهم ، وردّ كلام غلاة المستشرقين ومطاعنهم ، مشيراً الى اكتبهم ومباحثهم ، وقد جاء الكتاب - بفهارسه - جامعاً بالغاً ما يقرب من ستائة صفحة بالقطع المتوسط .

أما أغلاطُ الطبع التي لم تذكر في جدولها فقليلة كقوله (ص ١١٥ س ١٦) المسائلُ الثلاثةُ وصوابها: الثلاث ، و (١١٦ س ٢) من التعليق: واقيعه - واقعية او واقعة و ص ١٧١ س ١ من التعليق: أول جمعة - جمعة و ٢٣٠ : ٤ فضيرب - فيضرب و ص ٣٤٩ س ١٧ : الى ابي سفيان - سفيان و س ٢٢ سول الله : رسول الله و ٣٥٣ = ١٩ : واصداقائهم - واصدقائهم و ٣١٠ : ٦ واستغل - واشتغل و ٤٢٠ = ١١ : رسول - رسول الله و ٤٣١ : ٥ : تفكر تلك - تكفر تلك وقد سها المؤلف فقال في عدّه أسماء المدينة المنورة « والبلد » قال تعالى « لا أقسم بهذا البلد » والمشار اليه في هذه الآية هو مكة لا المدينة ، والسورة مكية . وفي ص ١٦ عقد المؤلف فصلاً وصف فيه الاحتفال بمولد الرسول (ص) قديماً وحديثاً . ونقل فيه عن الحافظ السخاوي انه حدث بعد القرون الثلاثة

وهنا كان حرياً بحضرة المؤلف ان ينكر هذه المظاهر اللاهية ، والآثار الواهية التي اعتاد الناس سماعها في مثل هذه المواسم والمراسم . ان الاخبار التي

تخالف العقل والنقل الصحيحين يُخشى من ضررها في عقائد المتعلمين اضعاف ما يرجح من نفعها عند بعض العوام ، دع ماورد فيها من الوعيد الشديد ، وان في هذه القصص التي نُتلى في المحافل الكبرى من غرائب النقول ما يصرفُ اذهان المستمعين عن حياة الرسول الى تصورات خيالية لا أثر لها في عالم الحس والحقيقة .

تُجدير بالعلماء العاملين ، والامراء العادلين ، ان يجعلوا درس السيرة النبوية في هذه المجتمعات العامة شذرات من لبائها ملائمة لروح المجتمعين ، مغذية لعقولهم ، باعثة على حسن الاستماع والاتباع .

وقال (ص ٣٣) وكرامات الاولياء كمعجزات الانبياء ، غير انهم لم يدعوا النبوة ، ويجب الايمان بالاولياء قال تعالى : «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وقد ترك المؤلف وصفهم في الآية التالية «الذين آمنوا وكانوا يتقون» فأولياء الله هم المؤمنون الصالحون المتقون ، وليس لولاية الله في هذه الآية غير هذا المعنى .

وفي (ص ٣٨٥) وقال (ص) لجعفر : «أشبهتَ خَلْقِي وُخْلِقِي» فرقص جعفر لسروره بهذا الخطاب وفرط ما اصابه من الفرح ، ولم ينكر عليه (ص) رقصه ، وجعل ذلك اصلاً لرقص الصوفية عندما يجردون من المواجيد في مجالس الذكر والسماح !! أقول اما لفظ «أشبهتَ خَلْقِي وُخْلِقِي» فمُعرف من رواية الصحيحين وغيرهما ، واما زيادة : فرقص جعفر الخ فلم نرها في كتب السنة المشهورة ، فهل للأستاذ ان يذكر لنا من خرجها من الثقات بهذا اللفظ ؟ . وما روى ان جعفر لما عاد من الحبشة ونظر الى النبي (ص) حجل اعظاماً له (اي مشى على رجل واحدة فعل الحبشة تعظيماً لكبرائها) فقال العقيلي - وقد رواه من طريق مكّي بن عبد الله الرعيبي ، حدثنا سفيان بن عيينة الخ - غير محفوظ ، وقال في الميزان : مكّي له

مناكير ، وقال في المغني : تفرد عن ابن عيينة بمحدث وقال البيهقي : - وقد رواه من طريق الثوري - : في استناده الى الثوري من لا يعرف ^(١)

وقد بنى المؤلف استدلاله على أصل منكر حتى عند رواته ، ولم يذكر «الرقص» في كلامهم ولو كان هذا الفعل (الحجل) مشروعا لما تركه جعفر ، ولعمل به الصحابة والتابعون ، والائمة المجتهدون ، ولا قائل به منهم ، فعلم أنه باطل ، وعبادة لم يأذن بها الله «قل : الله أذن لكم» .

وعجيب المؤلف الذي يجد في الرد على كبار المستشرقين امثال مرجليوث وموير ونولدكي وغيرهم كيف يقبل لدينه هذه المهازل التي تثير تلك المطاعن على أصل الإسلام ، ويفغل عن مثل قوله تعالى : «وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا وهوا» وبعد فلم يذكر المؤلف اسماء أولئك المستشرقين في فهرس الأعلام فيسهل الرجوع الى ما كتبه عنهم ، ولم نر فهرسا في اسماء الكتب والمصادر الكثيرة التي استمد منها ، فتم الفهارس التي عني بوضعها ، وكنا نرجو ان نجد اسماء «أمهات كتب الحديث» التي أورد منها في آخر الكتاب تلك الاحاديث النبوية ، مرتبة على الحروف الهجائية ، فقد أشكل علينا منها مثل «شراركم عنابكم» ومثل «اصحابي كالنجوم بأهم اقتديتم اهتديتم» فمن خرجها ، وهل طرقها صحيحة يا ترى ؟

هذا وانا نشكر المؤلف على ما بذل من جهد وعناء في جمع مباحث هذا الكتاب الجليل وتنسيقها ، وتبعية شكوك المشككين ، واعتراضات المستشرقين ، وتفنيدها .

محمد بهجة البيطار

(١) أنظر منتخب كترة المال على هامش المسند (ج . ص ١٥٥ وزاد العاد : ١ ص ٣٩٧)

الاغنياء والفقراء

في ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط

مؤلف هذا الكتاب هيرت جورج ولز من أشهر الأدباء في انكلترة . و مترجم السيد زكي نجيب محمود . وقد طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة . وجعلته حلقة من سلسلة كتب ترجم باسم «عيون الأدب الغربي» ومن جملة حلقات هذه السلسلة كتاب حياة دزرائيلي السالف الذكر .

وكتاب الأغنياء والفقراء فصلان من سفر عنوانه «عمل الانسان و ثروته وسعادته» يقع في ستة عشر فصلاً . ويتناول المؤلف في الكتاب المذكور شيئاً عن حياة بعض رجال المال واعمالهم مثل رُكفلر وفرد وامرة رُنشيلد وغيرهم ثم يشرح آراءه في تنظيم المجتمع الانساني اقتصادياً وسياسياً وهي آراء ناضجة طريفة نتجته وجهة الاشتراكية الشاملة المعتدلة وتبشر بضرورة اتحاد جميع الأمم ويا حبذا لو صححت الأحلام .

وفي آخر الكتاب فصل تمتع عن المرأة تناول فيه طبائعها وسجاياها وعملها في المجتمع البشري .

ولغة الترجمة حسنة . ومما استرعى نظرنا في ص ١٤٩ لفظة احراش والصحيح حراج واحراج جمع حَرَجَة (انظر المخصص ج ١١ ص ٤٤) . ومنها قوله الحمام الزاجل والصحيح حمام الزاجل لأن صاحبها يزجلها اي يرسلها الى بعد فهو زاجل وزجال . اما هذا الصنف من الحمام (اي حمام الزاجلين) فيسمى الحمام الهادي وهنّ الهداء .

مصطفى الشهابي

تاريخ الفلسفة في الاسلام

تأليف الأستاذ (ج . دي بور T.y.De Boer) بجامعة أمستردام
نقله إلى العربية الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريده بجامعة فؤاد الأول
طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ و ١٩٣٨ م
وهو من منشوراتها ص ٢٩٦ من قطع الربع

هذا كتاب ثقرأ فيه الابداع والتجدد في التأليف وفي الترجمة وفي الطبع ،
وكان لكل منها نصيب وافر من الأتقان على ما يعزُّ نظيره .

اشتهر المؤلف بما كتب في «معلمة الاسلام» وبمعالجته الشؤون الفلسفية عند
المسلمين ، وقد جود هذه المرة من وراء الغاية بأن التي علينا في تأليفه هذا
درساً مفيداً فيما عني به اجدادنا من البحث الفلسفي منذ قامت القدرية ثم المعتزلة ثم علماء
الكلام ثم الفلاسفة . وافاض في تلخيص فلسفة الفارابي وابن سينا والغزالي وابن
باجة وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وغيرهم تلخيصاً اطاق النقب عن مراسمهم
ومنازعتهم ، كل ذلك بدوق كامل وعلم فاضل . ولو اراد أحدنا ان يبحث عن
فلسفة هؤلاء الحكماء فيما بقي من كتبهم لاقتضى له ان يجهد سنين طويلة وما نظنه
يوفق الى الاحاطة بذلك احاطة فيلسوف بلاد القاع .

وفي المؤلف المسلمين قسطهم من النظر والبحث ، فلم يسلبهم حقهم في عملهم ولم
يبالغ فيه ، ودلّ بوسع علمه على مبلغهم من الابتكار منتفعاً بما وصل اليه من كتبهم
المطبوعة والمخطوطة مستخدماً أقوال بعض المحققين من علماء الغرب في هذه السبيل
وبودنا لو نظر في هذا الكتاب كل من تطال نفسه الى وضع التأليف متوخياً منها
نفع الناس ، ليستفيد اسلوب علماء أوروبا في التصنيف والتأليف ، وبودنا أيضاً لو قرأ
هذا السفر بامعان وروية كل عربي ولو لم تكن الفلسفة مما تميل اليه نفسه ، لانا

نعنقد انه منذ أفتى ابن الصلاح بفساد المنطق أي الفلسفة ، ومنع من تعلمه ، ومنذ نحى ابن خلدون في المقدمة على الفلسفة وقال بابطلها قد تراجع العقل عندنا وضعف تفكير المفكرين في بلاد المسلمين . فما عدنا نفيد في العلوم الدنيوية ولا في العلوم الدينية ، هذا وان ادعى كاتب چلي في كشف الظنون ان سوق الفلسفة او الحكمة كانت نافقة في الروم (آسيا الصغرى او ارض الترك في الاناضول) بعد الفتح الاسلامي الى اواسط الدولة العثمانية وكان في عصرهم فحول ممن جمع بين الحكمة والشريعة كالفناري وقاضي زاده وخوجه زاده والقوشچي وابن المؤيد وابن الكمال وابن الخنائي ومير چلي . وما نظن كل هؤلاء الا متذوقين مستفيدين ناقلين عن فلاسفة العرب ولو كانوا على شيء من النبوغ وايراد الجديد لكان علماء المشرقيات أحفوا كتبهم درساً وتمحيصاً ، وأخرجوا زبدة فلسفتهم للعالم

محمد كرد علي

آراء وانباء

تحقيق اسم شاعر

ورد في الجزء الأول من كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي الذي طبع في القاهرة مؤخراً اسم شاعر اسمه العسجدي (ص ٤٨) فتوقفت فيه اذ لم أجد له ذكراً في الكتب التي لدي ثم علمت ان العسجدي كان من مشاهير شعراء ايران ومن اهل بلخ ومن تلامذة الشاعر عنصري ومن شعراء بلاط السلطان محمود بن سبكتكين وقد حظي كثيراً عنده . وكان عنصري وفرحي والفرودمي من شعرائه ايضاً وان ديوان العسجدي مفقود وفي ايدي العجم كثير من غزله وقصائده اما عنصري فهو ابو القاسم الحسن بن احمد بلخي الدار ايضاً . وكان من شعراء ابن سبكتكين وكان في بلاطه «ملك الشعراء» وكان ينظر في القصائد التي تقدم للسلطان وبواسطته تعرض على مسامحة فكان بذلك مرجع مئات من الشعراء فاغتنى وتأنل وعظم جاهه وانتشر صيته (توفي سنة ٤٣١ في غزنة) . ملخصاً من قاموس الاعلام التركي لشمس الدين سامي رحمه الله

محمد كرد علي

ذكرى قسطاكي بك الحمصي

اصدرت مجلة الكلمة الحلبية عدداً خاصاً بأقلام نخبة من أدباء العرب تخليداً لذكرى زميلنا السيد قسطاكي الحمصي الحلبي وقد تقدم الرائيين صديقنا ورفيقنا الاستاذ خليل مطران بك بقوله

افراقاً وأنت آخر باقٍ من رفاق كانوا ابراً الرفاق
بنيتَ عن جانب من القلب حيّ خذ نصيباً من دمعي المهرق
كم حبيباً أرثي آمالي شغل غير تسويد هذه الاوراق ؟
من سقته النوى ثمالة كأس قدسقتني النوى بكأس دهاق

ورثاه اكثر من خمسة وعشرين رجلاً وسيدة واعدوا صفاته الفر نظماً

وثرأ رحمه الله

مجلة مجمع العلمي العربي

العدد ١٣٣٩ : هو الموافق سنة ١٩٢١ م

تشرى دمشق مرة في الشهر

أيلول وتشرين الأول سنة ١٩٤١ م

رمضان وشوال سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي
الدفعة مقدماً

في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ٤٠٠ = =

مطبعة الترقى بدمشق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ابن حزم في (سير النبلاء)

« نشرت كتابي (ابن حزم الأندلسي ورساله في المفاضلة بين السحابة) في ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ [ايار ١٩٤٠ م] وكنت نشرت منه قبل ذلك فضلاً في مجلة الثقافة المصرية وآخر في مجلة التمدن الاسلامي الدمشقية ، ثم نقيت بالبريد المضمون آخر عام ١٣٥٩ هـ منلفاً فيه رسالة خطية عنوانها : « ترجمة ابن حزم رحمه الله ، منقول من النبلاء للذهبي » وكلاماً آخر عرفت منه ان في خزانه صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين صاحب اليمين نسخة من كتاب النبلاء بصنعاء ، وان وجهه المجاز الشيخ محمد نصيف لما علم باشتتالي بدراسة الامام ابن حزم حملته ارجيئة ، ونله فكلف السيد محمد بن احمد الحجري بنسخ ترجمة ابن حزم من النبلاء ثم أوصلها الي .

والرسالة المهداة كتاب مستمل كما الفه الذهبي وقد قرى عليه وفي آخره سهاغان احدهما بخطه كتبه بدمشق سنة ٧٣٤ والثاني كتبه بدمشق ايضاً ان جماعة سنة ٥٧٤٠ فرأيت من الواجب — وللرسالة هذا الخطر — ألا أستأثر بها وان انشرها في مجلة المجمع العلمي العربي تيمناً لغايتها .

وانا اذا أشكر فضل الشيخ محمد نصيف وغيره على العلم لا يسني إلا ان ارفع الي صاحب الجلالة اليمنية على صنعات هذه المجلة رجائي ورجاء كثير من خدمة العلم : ان يأمر بطبع هذا الكتاب النفيس فيبرد بذلك غلة المطائين من رواد العلم ويحبي أثرأ تقيداً ويضيف الي ، آثره الجليلة هذه المحمودة الجديدة ، ويحقق امنية ليس احق بتحقيقها من الملك العالم المجتهد الفقيه . ودمشق تنتبط اذا امر جلالة فأرسل هذه النسخة النادرة المحلاة بمحظوم وثقلاء، الي يمننا العلمي فيقوم باعادها للنشر، ومن الحق ان تقوم دمشق بنشر أثر خرج من خزائنها وألقه في مدارسها ابنا وأحد مفاخرها الخالدة على وجه الدهر «
وهذه كلمة عن المؤلف الامام الذهبي وعن كتابه سير النبلاء أقدها بين يدي الرسالة :

شهد القرن الثامن للهجرة علماء محدثين وحفاظاً أعلاماً ، استأثر بالاجماع منهم أربعة كان اليهم المرجع ، وعليهم المعول ، وانعقدت لهم الامامة في الحديث ومعرفة الرجال : وهم الحافظ المزني والبرزالي وتقي الدين السبكي ومترجمنا شمس الدين الذهبي . وقد كان مترجموه من جلة العلماء كتاج الدين السبكي والجلال السيوطي والحافظ ابي المحاسن الحسيني الدمشقي وصاحب (فوات الوفيات) ومخيل ابن ابيك الصفدي صاحب (نكت العميان في نكت العميان) وغيرهم ، فأطبقوا جميعاً على أنه حافظ

عصره الذي تشد إليه الرحال من مختلف الاقطار . وناهيك بشهادة هؤلاء الحفاظ
المحدثين الأجلاء .

مولده ونسبه

كان مولد شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركي في بدمشق سنة
٦٧٣ واصله من ميفارقين واشتهر بالذهبي^(١) ونعته الحافظ الحسيني بـ « شيخ المحدثين
قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده »^(١)

طلبه ونبوغه

بدأ بطلب الحديث وله ثمان عشرة سنة ، فسمع على شيوخ الشام ومصر ومنهم شيخ
الاسلام ابن دقيق العيد ، وكذب هذا « شديد التحري في الإسماع »^(٢) لم يقبله
حتى اختبره في معرفة الرجال وسأله اشياء اجابه عنها بسداد . ثم جاب مدن الشام
يلقى فيها الشيوخ فسمع بدمشق وبلبك وحص وحماة وحلب وطرابلس ونابلس
والرملة والقدس ورحل الى الاسكندرية وبلبيس والقاهرة ومكة^(٣) حتى صار « إمام
الوجود حفظاً وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل »^(٤) فرسخت قدمه
وزاعت شهرته وضرب بحفظه المثل .

وأقام بدمشق بقصده فيها العلماء من طلاب الحديث من كل قطر ومصر وتنهل
عليه الأسئلة من البلدان فيجيب عليها من حفظه . وكان في القراءات عالماً جامعاً .
قرأ القرآن وأقرأه على الوجوه السبعة .

شيوخه وتلاميذه

بلغ عدد الذين ذكروهم في (معجم أشياخه) ثلاثمائة شيخ والفقير شيخ^(٥) .
وقد حفظت لنا كتب الطبقات بعض الأعلام المشهورين ممن قرأ عليهم وأقرأهم ،

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ (دمشق ١٣٤٧ هـ) (٢) نكت الهميان ص ٢٤٢ فابعد
وشذرات الذهب ٦ : ١٥٤ (٣) السبكي في طبقات الشافعية ٥ : ٢١٦ (٤) نوات الوفيات ٢ : ١٨٣
وفيها وفي طبقات الشافعية ذكر لبعض شيوخه المشهورين فانظرهم تمة .

جاء في شذرات الذهب : « أجاز له ابو زكريا ابن الصيرفي والقطب ابن ابي عمرو ، والقاسم الإربلي . سمع بدمشق من عمر بن القواس واحمد بن هبة الله بن عساكر ويوسف بن احمد الغسولي وغيرهم ، وبيعلبك من عبد الخالق بن علوان وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما ، وبمصر من الابرقوهي وعيسى بن عبد المنعم بن شهاب وشيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، وسمع بالاسكندرية من ابي الحسن علي بن احمد الغرافي وابي الحسين يحيى بن احمد بن الصواف وغيرهما ، وبمكة من التوزي وغيره ، وبنابلس من العماد بن بدران ^(١) »

« وأجاز له خلق من اصحاب ابن طبرزد والكندي وحنبل وابن الحرستاني وغيرهم وخرج لجماعة من شيوخه وجمع القراءات السبع على الشيخ عبد الله بن جبريل المصري نزيل دمشق ^(٢) » .

وقد حمل عنه الكتاب والسنة وعلم الرجال خلائق لا يحصون كثرة ، وحسبك ان منهم التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى ، والسيوطي المؤلف المكثرا وانظر قدره عندهما في ترجمتهما له فيما الفا من كتب الرجال . ومنهم الصفدي صاحب « نكت الهميان » واليك شهادته فيه في كتابه نكت الهميان ، قال :

« اجتمعت به واخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ولم أجد عنده من جمود المحدثين وكونه النقلة ، بل هو فقيه النظر له درة بأقوال الناس ، ومذاهب الائمة من السلف وارباب المقالات . وأعجبي ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن او ظلام إسناده او طعن في رواية ؛ وهذا لم أر غيره يعاني هذه الفائدة فيما يورده . ^(٣) » وقد قرأ عليه الصفدي هذا من تاريخ الاسلام المغازي والسيرة النبوية الى آخر ايام الحسن رضي الله عنه ، وجميع الحوادث الى آخر سنة سبعائة .

(١) شذرات الذهب ٦ : ١٥٢ (٢) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٢ ٣٥٤ (٣) نكت

الهميان في نكت العيان ص ٢٢٢

عمله ووفاته وراثته

ولي في حياته « مشيخة الظاهرية قديماً ومشيخة النفيسية والفاضلية والتكزية وأم الملك الصالح » حتى اذا كان عام ٧٤١ كلف بصره فاقطع عن التأليف وأكب على التدريس الى ان وافاه اجله « ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨^(١) »

روى التاج السبكي في طبقاته ان وفاة الذهبي كانت « بالمدرسة المنسوبة لأُم الصالح^(٢) في قاعة سكنه وراه الوالد (يعني نقي الدين السبكي) رحمه الله قبل المغرب وهو في السياق وقال : كيف تجردك ؟ فقال : في السياق ، ثم سأله : أدخل وقت المغرب ؟ فقال له الوالد : لم تصل العصر ؟ فقال : بلى ولكن لم أصل المغرب الى الآن . وسأل الوالد رحمه الله الجمع بين المغرب والعشاء نقدياً فأفناه بذلك ، ففعله . ومات بعد العشاء قبل نصف الليل ودفن بباب الصغير ، حضرت الصلاة عليه ودفنه^(٣) . » وهكذا انقضت حياة حافلة بالعلم والتعليم والدين والنق . فبكاه العلم وأهله ، وبكته المدارس وحلقات التدريس ، وفقدته بيوت الكتب التي طالما ملأها بالفيد المحتع من مصنفاته في علوم الكتاب والسنة والشريعة . وهذه ابيات مما رثاه به تلميذه التاج السبكي :

من للحديث وللسارين في الطلب	من بعد موت الامام الحافظ الذهبي
من للرواية والاختبار بنشرها	بين البرية من عجم ومن عرب
من للدراية والآثار يحفظها	بالنقد من وضع اهل الغي والكذب
من للصناعة يدري حل معضلمها	حتى يريك جلاء الشك بالريب
هو الامام الذي روت روايته	وطبق الأرض من طلابه النجب

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ (٢) هي علي بن المحدر في زقاق المحكمة قبيل آخره وفي مجلها اليوم دار بدير ودار نقي الدين ولا تزال معالم المدرسة ظاهرة عليهما - كذا أخبرني أحد الطلبة ، شأنها في ذلك شأن غيرها من عشرات المدارس التي آوت غرفها كبار العلماء والحفاظ والقراء والفقهاء . ومن هذه الغرف خرجت إلى أفطار العالم آلاف الكتب النفيسة التي انتفع بعلمها واهتدى بهديها الملايين من البشر

(٣) طبقات الشافعية

ثبت صدوق خبير حافظ يقظ في النقل اصدق انباء من الكتب
الله اكبر ما أقرأ وأحفظه من زاهد ورع في الله مرثب^(١)
شهرته العلمية ومنزله بين الحفاظ

وبعد فالذهبي احد مفاخر دمشق على وجه الدهر ، جعل منها طول حياته
محطاً «يرحل اليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد»^(٢) فهو واحد
من أولئك الأعلام الذين ساهموا في بناء مجدها العلمي العظيم وصاروا أمنية التمتي
والغاية التي يتطلع إليها كل طامح : حكى عن شيخ الاسلام ابي الفضل بن حجر
انه قال : « شربت ماء زمزم لأصل الى مرتبة الذهبي في الحفظ . »^(٣)
وجعله السيوطي احد اربعة كان المحدثون في عصره عيالاً عليهم في الرجال
وسائر فنون الحديث وهم : المزي والذهبي والعراقي وابن حجر . « وقد قارن حافظ
الشام ابن ناصر الدين بين الذهبي والبرزالي والمزي فحكم للمزي بالتفوق في معرفة
رجال طبقات الصدر الأول ، وللبرزالي في العصرين ومن قبلهم من الطبقات القريبة
منهم ، وللذهبي في الطبقات المتوسطة بينهما تأييداً لقول بعض مشايخه . علي ان
الأهواء قلما تغلب على المزي والبرزالي في تراجم الناس بخلاف الذهبي »^(٤)

مؤلفاته

عاش خمساً وسبعين سنة ترك خلالها نحواً من مئة مصنف جمعت من أسمائها ستة
وثمانين ، بعضها مشهور متداول كثير منه النفع وعظمت اليه الحاجة .
قرأت مسارد تأليفه في المصادر التي ترجمت له ، فرأيت اكثرها في الحديث
ورجاله وما بقي منها في التاريخ . وأقصد بالتاريخ هنا : فن التراجم الذي برع فيه
العرب براعة ما بعدها غاية ، وتفقتوا فيه فنوناً شتى . أما مؤلفاته التي ضمنها ما « جرح
(١) اختار هذه الايات السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٤٩ وانظرها مختارة بقلم ناظمها في
طبقات الشافعية ٢١٩:٥ (٢) كلمة السبكي (٣) ذبول تذكرة الحفاظ ص ٣٤٨ (٤) ذيل
تذكرة الحفاظ ص ٣٥ الحاشية

وعدل وفرع وصحح وعلل واستدرك وأفاد وانتقى واختصر من تأليف المتقدمين والمتأخرين^(١) « فقد حوت علماً كثيراً وتيسيراً على العلماء والطلبة ، وأشير هنا الى ان من اطولها تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الاسلام في عشرين مجلداً^(٢) ، طالعاه الحافظ الزملاكي جزءاً جزءاً حتى أنهاه فشهد له بالجلالة^(٣) ولعله اعظم مؤلفاته الكبار في التاريخ على الاطلاق .

وبليه في الضخامة (سير النبلاء) وهو ما نحن بصدده نشر جزء منه اليوم ، والذي يؤخذ من الذين ارخوا الذهبي ان (النبلاء) مختصر من تاريخه الكبير^(٤) والذي اميل اليه انه انتقى تراجم من التاريخ الكبير فجمعها في سير النبلاء . والذهبي نفسه تفنن في الاستفادة من تاريخه الكبير فاختصره على عدة مرات ، جاء في شذرات الذهب في صدد مؤلفاته : « منها تاريخ الاسلام ، ومختصر سير النبلاء في عدة مجلدات كثيرة ، ومختصر العبر في اخبار من غير ، ومختصر آخر سماه الدول الاسلامية ومختصره الصغير المسمى بالاشارة ومختصره ايضاً وسماه الاعلام بوفيات الأعلام^(٥) » والذهبي في هذا الفن من التاريخ يكاد لا يجاريه احد وكتبه في الرجال على اختلاف فنونها لا يستغني عنها باحث اليوم .

واليك جريدة مؤلفاته التي جمعتها من مصادر مختلفة^(٦) ، ولا بد من الاشارة الى انه قد يكون فيها اسمان لكتاب واحد ، كل مصدر يذكره بامم ، كما ان اكثر ما قصر على التراجم هو - في رأبي - جزء من التاريخ الكبير على ما سيمر بك اذا بلغت الكلام على (سير النبلاء) ولعل في غير التراجم ما يدخل ايضاً في هذا الباب :

- (١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ (٢) المصادر السابقة وكشف الظنون ومنه اجزاء في الحزاة الاحمدية بجلد (٣) فوات الوفيات (٤) كشف الظنون (٥) منه نسخة رأيتها في دار الكتب الظاهرية وعليها سماع بخط الذهبي نفسه كتبه سنة ٧٣٥ هـ رقمها : مجموعات ١١/١١٦
(٦) فوات الوفيات ٢: ١٨٣ ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥٨، ٣٥٩، شذرات الذهب ٦: ١٥٢٠ طبقات الشافعية للسبكي ٥: ٢١٦ فما بعد، نكت الهميان ص ٢٢٢ ، كشف الظنون، قاموس الاعلام ٥٠ وغيرها .

٢٣ اختصار وفيات المنذري والشريف النسابة	١ آداب حملة العلم
٢٤ الاصابة في تجريد اسماء الصحابة	٢ أحاديث الصفات
٢٥ الاعلام والتجريد في اسماء الصحابة [لعلها واحد]	٣ أحاديث مختصر ابن الحاجب
٢٦ الإمامة الكبرى	٤ أخبار السد
٢٧ تاريخ الاسلام (عشرون مجلداً)	٥ = ابي مسلم الخراساني
٢٨ التاريخ المحتع (ستة اجزاء)	٦ اختصار تاريخ الخطيب (جزءان)
٢٩ تاريخ النبلاء (الاكثر انه سير النبلاء عينه)	٧ = تاريخ ابن السمعاني
٣٠ التبيان في مناقب عثمان	٨ = = ابن عساكر (عشرة اجزاء)
٣١ التجريد في اسماء الصحابة (لعله الذي مر)	٩ = = نيسابور
٣٢ تحريم الأدبار (جزءان)	١٠ = = تقويم البلدان لصاحب حمزة
٣٣ تذكرة الحفاظ (اربعة اجزاء)	١١ = = سنن البيهقي (خمسة اجزاء)
٣٤ تذهيب التهذيب للكمال (ثلاثة اجزاء)	١٢ = = كتاب الاطراف (جزءان)
٣٥ ترجمة السلف	١٣ = = كتاب البعث للبيهقي
٣٦ التلويح بمن سبق ولحق	١٤ = = الجهاد لابن عساكر
٣٧ التمسك بالسنن	١٥ = = جواز السماع لجعفر الادفوي
٣٨ تنقيح احاديث التعليق لابن هوري	١٦ = = الرد على الرافضة لابن تيمية
٣٩ توقيف اهل التوفيق على مناقب الصديق	١٧ = = الزهد
٤٠ الثلاثين البلدية	١٨ = = سلاح المؤمن في الادعية
٤١ جزء صلاة الذبيح	١٩ = = العلم لابن عبد البر
٤٢ = في الشفاعة	٢٠ = = الفاروق لشيخ الاسلام الانصاري (مع اختصار وتهذيب)
٤٣ جزءان في صفة النار	٢١ اختصار كتاب القدر للبيهقي
٤٤ جزء في فضل آية الكرسي	٢٢ = = المستدرك للحاكم (جزءان)

- | | |
|------------------------------------|---|
| ٦٧ اللباس | ٤٥ دعاة المكروب |
| ٦٨ المحررفي اسماء رجال الكتب الستة | ٤٦ دوام النار |
| (في ذيل تذكرة الحفاظ :المجرد) | ٤٧ دول الاسلام |
| ٦٩ مختصر ذيل ابن الدثيني | ٤٨ الروح والادجال في بقاء الدجال |
| ٧٠ = في القراءات | ٤٩ الزلازل |
| ٧١ مسألة السماع | ٥٠ الزيادة المضطربة |
| ٧٢ مسألة الغيب | ٥١ سير اعلام النبلاء |
| ٧٣ المستحلى اختصار المحلى | ٥٢ سيرة الخلاج |
| ٧٤ المستدرک على مستدرک الحاكم | ٥٣ طبقات الحفاظ |
| ٧٥ المشتبه في الأسماء والأناسب | ٥٤ = القراء (وسماه القراء الكبار |
| والكنى والالقباب | على الطبقات والأعصار) |
| ٧٦ معجم أشياخه وهو ١٣٠٠ شيخ | ٥٥ طرق احاديث النزول |
| (كبير وأوسط وصغير) | ٥٦ العباب في التاريخ |
| ٧٧ المعجم المختص | ٥٧ العبر في اخبار البشر |
| ٧٨ الممتنى في الضعفا | ٥٨ = = خبر من غير (لعله ما قبله) |
| ٧٩ المقتنى في الكنى | ٥٩ العرش |
| ٨٠ من تكلم فيه وهو موثق | ٦٠ العلو |
| ٨١ الموت وما بعده | ٦١ فتح المطالب في اخبار علي بن ابي طالب |
| ٨٢ ميزان الاعتدال (ثلاثة اجزاء) | ٦٢ فضل الحج واقفاله |
| ٨٣ نبأ الدجال | ٦٣ قض نهارك بأخبار ابن المبارك |
| ٨٤ نعم السمير في سيرة عمر | ٦٤ الكاشف (اختصار التذهيب) |
| ٨٥ نفص الجعبة في اخبار شعبة | ٦٥ الكبائر |
| ٨٦ هالة البدر في عدد اهل بدر | ٦٦ كسروثن رتن الهندي ? |

هذا وقد أعجبتني في الدلالة على براعته في فنه كلمة السبكي اذ قال فيه : « كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يجبر عنها اخبار من حضرها ٠ » كذلك كان رحمه الله .

شيء من نظمه

لعل من تمام الصورة ان نعرض ما عرضه مترجموه من شعره ، فلا مفر لك من أن تجد في كتب الرجال عندنا آخر كل ترجمة وان لم يكن صاحبها شاعراً قولهم : ومن شعره . وقد حلالي أن أحبي هنا هذا التقليد احتراماً لترجمنا الذي كان أحد زعمائه الكبار . كان شعره رحمه الله شعر فقيه تغلب فيه آثار صنعه ، ولا غرابة في ذلك ، فأشد شيء أنزراً في المرء ما وقف حياته ليلها ونهارها على الاشتغال فيه :

قال التاج السبكي انشدنا شيخنا الذهبي من لفظه لنفسه :

تولى شباب كأن لم يكن وأقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنخني والنقا فما بعد هذين الا المصلي^(١)

وانشدنا لنفسه وارسل بها معي الى الوالد (يعني نقي الدين بن السبكي) رحمه الله وهي فيما أراه آخر شعر قاله لأن ذلك كان في مرض موته ؛ قبل موته بيومين او ثلاثة :

نقي الدين يا قاضي الممالك ومن نحن العبيد له وانت مالك
بلغت المجد في دين ودنيا ونلت من العلوم مدى كمالك
ففي الاحكام أقضانا علي وفي الخدام مع أنس بن مالك
وكابن معين في حفظ وتقد وفي الفتيا كسفيان ومالك
ونغر الدين في جدل وبحت وفي النحو المبرد وابن مالك
وتسكن عند رضوان قريباً كما زحزحت عن نيران مالك

لتعطي في اليمين كتاب خير ولا تعطي كتابك في شمالك
 تشفع في أناس في فراء لتكسوهم ولو من رأس مالك
 وذكر بعدها آياتاً على هذا النمط تتعلق بمدحي لم اذكرها وختمها بقوله :
 والذهبي إِدلال الموالى على المولى بجلحك واحتمالك^(١)
 وله منظومة في المدلسين انظرها في الطبقات المذكورة (٥ : ٢١٨)
 ماخذ العلماء عليه :

من الواجب ان نذكر هنا ما اخذه عليه بعض العلماء : فقد ذهبوا الى انه يقع
 أحياناً فيمن خالفه وأحياناً يطوي ذكره أو لا يوفيه حقه ، فاذا كان المترجم حنبلياً
 أفاض في تقيظه . ومعاصروه أدري بنصيب المبالغة من هذا الحكم ، إلا أني أرى
 من الطرافة ان انقل كلام تليذه السبكي صاحب الطبقات الذي قدمنا لك اعجاباً
 به ورتاءً له . ولعل القارئ لا ينسى ان السبكي أيضاً شديد الميل والعصية الى
 الشافعية قال : « وكن . . شديد الميل الى آراء الحنابلة ، كثير الازراء بأهل
 السنة الذين اذا حضروا كان ابو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة ، فلذلك
 لا ينصفهم في التراجم ، ولا يصفهم الا وقد رغم منه أنف الراغم : صنف التاريخ الكبير
 وما أحسنه لولا تعصب فيه^(٢) »

* * *

« وقد انتقده على خطته في تراجم الناس انتقاداً صريحاً الحافظ ابن المرباط محمد بن
 عثمان الغرناطي والتاج ابن السبكي ونسباه الى التعصب المفرط ولا تحلو خطته في
 التراجم من ذلك لا سيما في تراجم الحشوية ومخالفهم ، لبعده عن المعقول والعلوم
 النظرية واكتفائه بالرواية والسماع كما هو شأن غالب الرواة المنتصرين الى السماع
 والرواية من صغره قبل النظر في مبادي العلوم سامحه الله . وقال ابن الوردي في
 تاريخه : « واستعجل قبل الموت قترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها

(١) المصدر السابق ص ٢١٨ (٢) طبقات الشافعية ٥ : ٢١٧

واعتمد في ذكر سير الناس على احداث يجتمعون به وكان في أنفسهم شيء من الناس فأذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين^(١) . اهـ
 هذا قولهم فيه ، وقلمأ أرخ مؤلف لمعاصريه إلا أكثر فيه الكلام . والمرء يخضع للضعف البشري حين يتكلم على من له معهم العلائق ، وهو متأثر لا شك برضاه وغبضه على رغبة ، مها اجتهد في الانصاف ؛ وانما يؤاخذ الله المرء بنيته وهو بعد يخطئ ويصيب . وهؤلاء الذين انتقدوه يخالفونه فيما ذهب اليه من مذهب ، فمن ثمة كان رأيهم فيه موضع نظر . وما أكثر من كان عرضة للاتهام بعداء اهل السنة كما أراد إصلاحاً ، أو نبذاً لبدعة شائعة ، أو نقداً لمخطئ ، تمنقد فيه العامة .

قيمة هذه الرسالة من سير النبلاء :

سير النبلاء^(٢) كما في غالب المصادر عشرون مجلداً ، ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون فقال : « هو من جملة ما اختصره من تاريخه الكبير في نحو عشرين مجلداً مرتباً على التراجم بحسب الوفيات وله عليه ذيل في مجلد . وذيله ايضاً الحافظ نقي الدين محمد بن احمد الفامي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ » ولصاحب « نكت الهميان » كلمة في التعريف به تفيدنا في معرفة الصورة التي رتب فيها الذهبي هذا الكتاب قال : « وله في تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات مثل الائمة الاربعة ومن جرى مجراهم لكنه أدخل الكل في تاريخ النبلاء^(٣) »
 فعلى هذا يكون سير النبلاء مجموعاً من كتب كثيرة عددها يساوي عدد المترجمين فيه ، واذاً تكون رسالتنا التي ظفرنا بها عن ابن حزم أحد هذه الكتب ، وبه نعرف نسق هذا الكتاب الجليل في جزء مهم منه .

قابلت هذه الرسالة بما في تذكرة الحفاظ للمؤلف نفسه عن ابن حزم ، فوجدت خلافاً يسيراً

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ الحاشية . (٢) وقد يسمى سير اعلام النبلاء ، وتسميه بعض

المصادر : تاريخ العلماء والنبلاء (فوات الوفيات) وبعضها : تاريخ النبلاء : « نكت الهميان وفوات الوفيات »

(٣) هذه الكلمة نفسها في فوات الوفيات

في الترتيب وتفاصيل زائدة ، ورأيت اسلوب اهل الحديث في رسالتنا هذه أظهر ، وفهم فيها أغلب . فستعرف منها أعلى سند عند ابن حزم وأنزل سند ، وأجود سند ، ولا يدع الذهبي ان يذكر لنا سنده الى ابن حزم . ثم النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحداث . فنغيب اذ نرى اعلام الحجاز والعراق والشام والاندلس واحياناً مصر والمغرب في سند واحد وهو شيء طريف حقاً .

وفيه بعض أشعار لم اجدها في مصدر أصلاً على كثرة المصادر التي اطلعت عليها حين دراستي لابن حزم ، وسأشير الى ذلك اذا وصلت اليه .

اما المزية الظاهرة لهذه الرسالة فهي في حفظ كثير من اسماء مؤلفات ابن حزم فقد ذكر منها نحو السبعين على حين لم استطع ان اجمع في كتابي عن (ابن حزم) أكثر من ثلاثة وخمسين كتاباً وبعضها لا ذكر له في هذه السبعين ، وهي بين كتاب ضخيم يبلغ خمسة عشر الف ورقة وجزء قد لا يعدو الأوراق . والذي يدعو الى الغرابة ان يكون بين هذه المؤلفات خمسة عشر في الطب خاصة .

ويستطرد الذهبي في رسالته هذه فيذكر كلاماً نفيساً في الاجتهاد والنقليدو الرياء وأنه داء النقهاء والتجار الاسخياء والواقفين والمجاهدين . . . فيبدو لنا جديداً في اسلوبه يعني بعض العناية بالتلميل النفسي والمناقشة المنطقية .

ويؤخذ عليه ما يؤخذ على اكثر مؤلفات عصره : شيء من الفوضى في الترتيب وتداخل في الموضوعات لا يصل الى حد تشتت الذهن ، الا انه في ذلك هنا خير منه في تذكرة الحفاظ . وعدد شيوخ ابن حزم في تذكرة الحفاظ أوفى . وهذا أوان الشروع في نشر الرسالة : (١)



(١) مزية النسخة التي استنسخها لي الشيخ محمد نصيف انها عن نسخة كتبت في عصر المؤلف وقرئت عليه وعليها خطه . الا انها كثيرة التصحيف وفيها نقص في بعض المواضع وقد توقفت الى وجه الصواب فيها في غير صعوبة ، لأن كثيراً من المصادر التي نقل عنها الذهبي مبسورة لنا وساعدني على ذلك اشتغالي السابق بالموضوع ، فأنا اذاً لا أشير الا الى التلميل من الخطأ في الاصل . وقد قسمت الرسالة الى موضوعات صغرى جعلتها بين معقوفتين []

نموذج من خط الذهبي صاحب سير النبلاء

سماع بخط الذهبي نفسه على كتابه (الإعلام بوفيات الأعلام)

المفوظ بدار الكتب الظاهرية (مجموع ١١/١١٦)

سمع الكتاب على لفظي كاتبه الأمير الفاضل ناصر الدين
 أبو الفوارس محمد طولوبغا السيفي والقاضي الإمام شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزيراني
 والشيخ عبد الصمد بن محمد بن الزيراني والإمام شهاب الدين
 محمد بن أبي الشرجاني في سنة خمس وعشرين وستمائة
 وكتبه محمد بن أحمد بن عثمان عفا الله عنه وصح بالمدرسة الصدرية

ونصه : سمع الكتاب علي من لفظي كاتبه الأمير الفاضل ناصر الدين أبو الفوارس
 محمد بن طولوبغا السيفي والقاضي الإمام شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزيراني
 والإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن سلمان ابن الشرجاني في جمادى الآخرة سنة خمس
 وثلاثين وسبعائة .

وكتب محمد بن أحمد بن عثمان عفا الله عنه وصح بالمدرسة الصدرية .

ترجمة ابن حزم منقولته من سير النبلاء للذهبي

الحمد لله

[نسبه ومولده]

ابن حزم الأوحى البحر ذو الفنون والمعارف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان^(١) بن حرب الأموي المعروف بيزيد الخير نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر على دمشق، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب الوزير الظاهري صاحب التصانيف .

وكان جده يزيد مولى للأمير يزيد أخي معاوية، وكان جده خلف ابن معدان هو أول من دخل الأندلس في زمن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل .

ولد أبو محمد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

[شيوخه وتلاميذه]

وسمع في سنة أربعمائة وبعدها من طائفة منهم يحيى بن مسعود بن وجه الجنة صاحب قاسم بن أصبغ فهو أعلى شيخ عنده . ومن أبي عمر أحمد بن

(١) في الأصل بن سفيان والتصحيح عن ارشاد الأديب وتذكرة الحفاظ .

محمد الجسور وبونس بن عبد الله بن مغيث القاضي وحمام^(١) بن أحمد القاضي
ومحمد بن سعيد بن نبات وعبد الله بن ربيع التميمي وعبد الرحمن بن عبد الله
ابن خالد وعبد الله بن محمد بن عثمان وأبي عمر أحمد بن محمد الظلمنكي وعبد الله
ابن يوسف بن ناجي وأحمد بن قاسم بن أصبغ . وبذل الى أن يروي عن
ابي عمر بن عبد البر واحمد بن عمر بن أنس العذري ، وأجود ما عنده من
الكتب سنن النسائي مجمله عن ابن ربيع عن ابن الاحمر عنه^(٢) ، وأنزل ما عنده
صحيح مسلم بدينه^(٣) وبينه خمسة رجال ، وأعلى ما رأيت له حديث بينه وبين
وكيع فيه ثلاثة أنفس .

حدث عنه ابنه أبو رافع الفضل وأبو عبد الله الحميدي وولد القاضي
أبي بكر [بن] العربي وطائفة ، وآخر من^(٤) روى عنه مروياته بالإجازة
أبو الحسن^(٥) شريح بن محمد .

[نشأته ونبوغه]

نشأ في تنعم ورفاهية ورزق ذكاء مفرطاً وذهناً سيالاً وكتباً نفيسة
كثيرة . وكان والده من كبراء اهل قرطبة عمل الوزارة في الدولة العمارية
وكذلك وزير أبو محمد في شببته . وقد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر

(١) في الأصل : حمام . والتصحيح عن الصلة لابن بشكوال ص ١٥٦ ورتم الترجمة ٢٤٧
(٢) يعني عن النسائي . (٣) بين مسلم وبينه . (٤) في الأصل :
وآخرين . (٥) في الأصل أبو الحسن بن شريح والتصحيح عن تذكرة الحفاظ إذ جاء ذكره في
حديث يرويه الذهبي عن أبي القاسم احمد بن يزيد القاضي عن أبي الحسن شريح بن محمد الرعيي هذا عن
ابن حزم . (٣ : ٣٢٩)

وفي المنطق وأجزاء الفلسفة فأثرت به تأثيراً ليته سلم من ذلك ، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق ونقدمه على العلوم فتأملت له : فإنه رأس في علوم الإسلام ، متبجر في النقل ، عديم النظر على يبس فيه وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول . قيل إنه تفقه أولاً للشافعي . ثم أداه اجتهاده الى القول بنفي القياس كله : جليه وخفيه والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث ، والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال . وصنف في ذلك كتباً كثيرة وناظر عليه وبسط لسانه وقلمه ، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب بل فحجج^(١) العبارة وسب وجدع^(٢) فكان جزاؤه من جنس فعله : بحيث أنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها وأحرقت في وقت ، واعتنى بها آخرون من العلماء وفتشوها انتقاداً واستفادةً وأخذوا وموؤاخذة ، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهيئ ، فتارة يطربون ومررة يعجبون ومن تفرد بهزؤون . وفي الجملة فالكمال عزيز ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان ينهض بعلوم حجة ويجيد النقل ويحسن النظم والنثر وفيه دين وخير ، ومقاصده جميلة ومصنفاته مفيدة . وقد زهد في الرياسة ولزم منزله مكباً على العلم ، فلا نغلو فيه ولا نجفو عنه ، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار :

(١) فحجج : تكبر . ولعل (في) ساقطة قبل كلمة : العبارة . (٢) جدعة تجديماً : قال له : (جدعاً لك) والجدع الحيس وقطع الأنف أو الأذن أو اليد - التماموس

قال أبو حامد الغزالي: «وجدت في أسماء الله كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه»
 وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد: «كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حفظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار. أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليه أربعائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة^(٢)»

قال أبو عبد الله الحميدي: «كان ابن حزم حافظاً للحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفتناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء ومعرفة الحفظ وكرم النفس والتدين. وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير جمعته على حروف المعجم»

[تزكوة الوزارة وإقباله على العلم]

وقال أبو القاسم صاعد: «كان أبوه أبو عمر من وزراء المنصور محمد ابن أبي عامر مدير دولة المؤيد بالله بن المستنصر المرواني ثم وزير للمظفر، ووزر أبو محمد المستظهر عبد الرحمن بن هشام ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على العلوم الشرعية وعني بعلم المنطق وبرع فيه ثم أعرض عنه (قلت: ما أعرض

(١) في الأصل: حفظ، والتصحيح عن تذكرة الحفاظ - هذا ولم نجد الجملة بهذه العبارة في طبقات الأمم المطبوع لصاعد (٢) زاد صاعد: وهذا شيء ما علمناه من أحد كان في دولة الإسلام قبله إلا لآبي جعفر بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تأليفاً - طبقات الأمم من ١١٠ (طبعة السعادة)

عنه حتى زرع في باطنه أموراً وانحرافاً عن السنة ، قال : (وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله . »

[حمله خصومه عليه وانصاف الذهبي له]

وقد حط أبو بكر بن العربي على أبي محمد في كتاب (القواصم والعواصم) وعلى الظاهرية فقال : « هي أمة سخيقة تسورت على مرتبة ليست لها وثائق بكلام لم تفهمه ، تلقفوه من إخوانهم الخوارج حين حكم علي رضي الله عنه يوم صفين فقالت : (لا حكم إلا لله) . » وكان أول بدعة لقيت في رحلي القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخييف كان من بادية إسبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب الى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأمة : يضع ويرفع ويحكم ويشرع ، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم ، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته فجاء فيه بطوام . واتفق كونه بين ^(١) قوم لا بصر لهم إلا بالمسائل فإذا طالبهم بالدليل كاعوا ^(٢) فيتضحك مع أصحابه منهم ، وعضدته الرياسة بما كان عنده من أدب ، وبشبهه كان يوردها على الملوك ، فكانوا يحملونه ويحمونه بما كان يلقى إليهم من شبه البدع والشرك . وفي حين عودي ^(٣) من الرحلة ألفت حضرتي منهم طافحة ، ونار ضلالهم لافحة ، فقاسيتهم مع غير أقران وفي عدم أنصار ، إلى حساد يطوون عقبي ، تارة تذهب لهم نفسي ، وأخرى

(١) في الأصل من والتصحيح عن تذكرة الحفاظ للذهبي (٢) كاعوا : خانوا وجبنوا

(٣) في الأصل : عوده ولا يستقيم بها الذي ، والتصحيح عن تذكرة الحفاظ

ينكشر لهم ضرسي ، وأنا ما بين إعراض عنهم او تشغيب بهم . وقد جاءني رجل بجزء لابن حزم سماه (نكت الاسلام) فيه دواهي فجردت عليه نواهي ، وجاءني آخر برسالة (في الاعتقاد) فنقضتها بـ (رسالة العزة) والأمر أفحش من أن ينقض . يقولون : لا قول إلا ما قال الله ولا تابع إلا رسول الله ، فإن الله لم يأمر بالاعتداء بأحد ولا بالاهتداء بهدي بشر . فيجب أن يتحققوا أنهم ليس لهم دليل وإنما هي سخافة في تهويل ، فأوصيكم بوصيتي : ألا تستدلوا عليهم وان تطالبوهم بالدليل ، فإن المبتدع إذا استدلت عليه شغب عليك وإن طالبته بالدليل لم يجد إليه سبيلاً . فأما قولهم : (لا قول إلا ما قال الله) فحق ولكن أرني ما قال ، وأما قولهم : (لا حكم إلا الله) فغير مسلم على الإطلاق ، بل من حكم الله أن يجعل الحكم لغيره فيما قاله وأخبر به . مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وإذا حاصرت أهل حصن فلا تنزلهم على حكم الله لأنك لا تدري ما حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك) وصح انه قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء . . . الحديث . » اه

قلت : لم ينصف القاضي أبو بكر رحمه الله شيخ أبيه في العلم ، ولا تكلم فيه بالقسط ، وبالغ في الاستخفاف به ، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ولا يكاد ، فرحمهما الله وغفر لهما .

[سبب طلبه العلم ، وبلوغه فيه درجة الاجتهاد]

قال اليسع بن حزم الغافقي - وذكر أبو محمد - فقال : « أما محفوظه فبجر عجاج وماء ثجاج ، يخرج من بجره مرجان الحكم ، وينبت بشجاجه

ألفاف النعم في رياض الهم ، لقد حفظ علوم المسلمين وأربى^(١) على كل أهل دين ، وألف الملل والنحل ، وكان في صباه يلبس الحرير ولا يرضى من المكنة إلا السرير . أنشد المعتمد فأجاد وقصد بلنسية وبها المظفر احد الأطواد . وحدثني عمر بن واجب قال : بينما نحن عند أبي بلنسية وهو يدرس المذهب إذ بأبي محمد بن حزم يسمعنا ويتعجب ، ثم سأل الحاضرين مسألة من الفقه جووب^(٢) فيها فاعترض في ذلك ، فقال له بعض الحضار : (هذا العلم ليس من متحلاتك) فقام وقعد ، ودخل منزله فعكف ، وو كف منه وإبل فما كف ، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضوع فناظر أحسن مناظرة وقال فيها : « أنا أتبع الحق وأجتهد ولا أتقيد بمذهب . »

[كلام للذهبي في الاجتهاد]

قلت : نعم من بلغ رتبة الاجتهاد وشهد له بذلك عدد من الأئمة لم يسغ له أن يقلد ، كما أن الفقيه المبتدي والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوغ له الاجتهاد أبداً ؛ فكيف يجتهد ؟ وما الذي يقول ؟ وعلام يبني وكيف يطير ولما يريش . والقسم الثالث الفقيه المنتهي اليقظ الفهم المحدث الذي قد حفظ مختصراً في الفروع و كتاباً في قواعد الأصول وقرأ النحو وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته . فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد^(٣) وتأهل للنظر في دلائل الأئمة ، فمتى وضع له الحق في مسألة وثبت فيها النص وعمل بها أحد الأئمة الأعلام كأبي حنيفة

(١) في الأصل أركى وهو تصحيف والتصحيح عن تذكرة الحفاظ (٢) هي في الأصل بواو واحدة

(٣) في الأصل : والمقيد

مثلاً أو كمالك أو الثوري أو الأوزاعي أو الشافعي وأبي عبيد وأحمد وإسحق . . فليتبع فيها الحق ولا يسلك الرخص ، وليتورع ولا يسعه فيها بعد قيام الحجة عليه . فإِنْ خاف من تشعب عليه من الفقهاء فليتكتم بها ، ولا يتراءى بفعلها ، فربما أعجبتة نفسه وأحب الظهور فيعاقب ويدخل عليه الداخل من نفسه . فكم من رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرياسة الدينية ، فهذا داء خفي سارٍ في نفوس الفقهاء ، كما أنه داء سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والتراب المزخرفة ، وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمرء والمجاهدين : فتراهم يلتقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين محبة وكأين من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال . . ولبس العراقي ^(١) المذهبة والخوذ المزخرفة والعدد المحلاة . . على نفوس متكبرة وفرسان متجبرة . وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة وظلم الرعية وشرب المسكر ، فأنى ينصرون ؟ وكيف لا يخذلون ؟ اللهم فانصر دينك ، ووفق عبادك . فمن طلب العلم للعمل كره العلم وبكى على نفسه ، ومن طلب العلم للمدارس والافتاء والفخر والرياء تحامق واخثال ، وازدرى بالناس وأهلكه العجب ومقتته الأنفس قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها (أي دسها بالفجور والمعصية . قلبت فيه الألف سيناً) .

سعيد الأفتاني

يبيع

(١) العرقية : ما يلبس تحت الهامة والقلنسوة ، مولدة التاج ، وفي الأصل : العراق وهي تصحيف

مميزات بني أمية (١)

سيداتي ، أنساتي ، سادتي

فضل بني أمية على قريش

لوحاول باحث ان يتحدث اليكم في موضوع مميزات بني أمية حتى يصورهم صورة تامة في الجملة لاحتاج الى بضع محاضرات ، ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله . قال النسابون واصحاب السير والتراجم : إن أمية تصغير أمة ، والأمة المملوكة ، والنسب اليه أموى بضم الهمزة فأما من قال أموي بالفتح فقد أخطأ . وبني أمية من أشرف قبائل قريش يلتقي نسبهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام في جدم عبد مناف . ومناف اسم صنم في الجاهلية مثل العزى والآت ومناة ووُد وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وأميمة الأكبر هو من ولد عبد شمس بن عبد مناف وولده حرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان وعمرو وابو عمرو ، وهؤلاء يقال لهم العنابس أى الأسود . ومن ولده العاص وابو العاص والعيص وابو العيص ، وهؤلاء يدعونهم الأعياص ؛ وأعياص قريش كرامهم ، يقال ما أكرم عيصه وهم أبأؤه واعمامه وأخواله وأهل بيته .

وكان هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل أولاد عبد مناف بن قصي هم الذين يذهبون في التجارة الى البلاد المجاورة . يحمل هاشم الإبل الى رؤساء القبائل ؛ والإبلان العهد وشبه الاجازة بالخفارة ، وهو عبارة عن شيء من الريح ، ويجعل لهم مع ذلك متاعاً مع متاعه ، ويسوق اليهم إبلاً مع إبله ، ليكفيهم مؤونة الأسفار ، ويكفي قريشاً مؤونة الأعداء ، فكان المقيم راجماً والمسافر محفوظاً . والى هذا

(١) محاضرة القاها الاستاذ محمد كرد علي في مدرّج الجامعة السورية بدمشق، يوم ٣ ذي القعدة

١٣٥٨ و ١٤ كانون الأول ١٩٣٩

الإيلاف الاشارة في سورة قريش (لا إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) والمعنى انه تعالى من على قريش بما انعم عليهم من الايلاف الذي به كانوا يتتارون ويتجرون ولا يجوعون ، يرحلون رحلتين رحلة في الصيف وأخرى في الشتاء آمنين من اصحاب الفيل الذين جاءوا من الحبشة الى اليمن ليستولوا على البيت .

وكان هاشم يرحل الى الشام ويقصد الى غزاة ، وبه سميت غزاة هاشم وبها مات ، كما مات حرب بن أمية أيضاً في الشام ، وكان المطلب يرحل الى اليمن ، ونوفل الى فارس ، وعبد شمس الى أكسيوم من ارض الحبشة . فبنو أمية هم الذين هياؤا اسباب التجارة لقريش واثقوهم من الغصوب ، أي من اخذ مال غيرهم ظلماً وعدواناً . وادخلوا مكة في طور مدني بعد ان كان عيش أهلها معقوداً بظبات السيوف وأسنة الرماح ، وبهم عرفت قريش في ارض الروم والعجم والحبش ، وعرفوا هم العراق والشام واليمن والحبشة معرفة جيدة ، فبنو عبد مناف هم الذين كانوا اذاً يؤلفون الجوار ويجبرون قريشاً بهم ، وكانوا لذلك يسمون المحجرين ، والعرب تسميهم اقداح النضار لطيب أجسامهم وكرم فعالهم .

مكانة أبي سفيان بن حرب

وكان ابو سفيان (صحز بن حرب) - والد معاوية ويزيد وزياد وعتبة وام حبيبة وجويرية - تاجراً عظيماً يجهز التجار بماله واموال قريش الى الشام وغيرها من ديار العجم ، وكان يخرج احياناً بنفسه ، وكانت اليه راية الرؤساء التي تسمى العقاب . واذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس ، والعقاب العلم الضخم يعقد للولاة . وقاد ابو سفيان قريشاً كلها يوم أحد ولم يقدها قبل ذلك رجل واحد إلا يوم ذات نكيف ، قاده المطلب ، ويوم نكيف وقيل ذي نكيف وقعة كانت بين قريش وبني كنانة بناحية بلملم من نواحي مكة ، فهزمت قريش بني كنانة ، وكان صاحب امرها عبد المطلب او المطلب . وابو سفيان كان يوم أحد

وبوم الاحزاب رأس من حاربوا الرسول . ولما كان عائداً في تجارة قريش من الشام أمسك المسلمون عليه الطريق فأبلى بلاء حسناً حتى انقذ اموال التجار ، وكانت تقدر بخمسين الف دينار . وكان اذا ورد بلاد الروم اكرمته الأسماء والأعيان لمكانته في قومه . وكان قبل الاسلام يملك في البلقاء جنوبي الشام ضيعة يقال لها نقنيس . وكان في الجاهلية هو وعتبة وابو جهل أفضل الناس رأياً .

حارب ابو سفيان رسول الله يوم كان يصعب عليه ، اول الدعوة ، ان ينزل عن ارسنقرايطيه وامرته .

وقيل ان معاوية ويزيد اسما قبل ابهما ، وكنايته اسلامهما ، وكذلك ابنته ام حبيبة واسمها رملة زوجة الرسول اسلمت قبل ابها . وكانت تحت عبيد الله ابن جحش ، هاجرت معه الى ارض الحبشة فتنصر زوجها ، وثبتت هي على الاسلام ، فبعث الرسول عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ، فخطب عليه ام حبيبة فزوجها اياه ، واصدقها النجاشي من عنده عن رسول الله اربعمائة دينار . وزار ابو سفيان ابنته ام حبيبة لما قدم المدينة ليعلم الرسول ان يزيد في هدنة الحديبية ، ودخل على ابنته فأراد ان يجلس على فراش النبي فطوته دونه ، فقال : يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله وانت امرؤ نجس مشرك فقال : يا بنية لقد أصابك بعدي شر .

وكان قبل اسلامه هو واولاده من المؤلفة قلوبهم يعطيهم الرسول من الغنائم والأموال ما يتألف به قلوبهم . وأسلم قبيل فتح مكة فقال العباس : يا رسول الله انه (أي أبو سفيان) يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه فقال : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اطلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن . فلما دخل في الاسلام دين المساواة ، حارب مع رسول الله يوم حنين والطائف ، وحارب يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد ، كان يقاتل ويقول يا نصر الله اقترب ، يا نصر الله اقترب . وكان يقف على الكراديس يقص أي يقف أمام سرايا العسكر ويعظ ، والقاص الداعية .

تميز نساء بني أمية

وتطور ابو سفيان لما أسلم ، واخلص في انتحال الدين الجديد ، كما كان مخلصاً من قبل في دينه القديم ، وابدى براعة حربية في الاسلام كان يبدي مثلها في الجاهلية . قال ابو سفيان للنساء اللاتي مع المسلمين يوم اليرموك - واليرموك النهر الذي كانت عنده الوقعة الفاصلة بين العرب والروم ، وبها فتح الشام كله جنوبه وشماله - وكان كثير من المهاجرات حضرن يومئذ مع أزواجهن وابنائهن وجلسن خلف صفوف المقاتلين : لا يرجع اليكن احد من المسلمين الا رميته بهذه الحجارة وقتلن له : من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام واهله ، وعن النساء وهن امام العدو . ولما حمى الوطيس واستقبل النساء مُمرّعان من انهزم من المسلمين أخذن يضربن وجوههن بعمد البيوت او عمد الفساطيط ويرمينهم بالحجارة ويقلن : أين أين عن الاسلام والأمهات والأزواج .

كان لنساء بني أمية وغيرهن مثل جويرية ابنة ابي سفيان وكانت مع زوجها ، ومثل هند بنت عتبة أم معاوية بن ابي سفيان ومثل أم حكيم بنت الحرث بن هشام ، وهذه قتلت سبعة من الروم في مرج الصفر بعمود الفسطاط ، وكانت عروساً ، والخلوق على جسمها تنبعث رائحته - كان لهن من البلاء العظيم يوم اليرموك ما يذكر بالفخر على وجه الدهر : قاتلن بالسيوف حتى سابقن الرجال ، وكانت النساء في الجيوش العربية يعملن في طهي طعام المحاربين ، وجلب الماء اليهم ، وغسل ثيابهم ، وتضميد جراحهم ، وتمريض مرضاهم ، وغير ذلك مما تعمله اليوم أعظم نساء الغرب لرجالهن في الحرب .

ويحدثنا المؤرخون انه ما فتحت بلدة في الشام الا وجد على أسوارها وفي ارباضها كثير من رجال بني أمية صرعى ، لكثرة ما عانوا من الجهاد في فتحها . وتدرّب يزيد ومعاوية من أبناء ابي سفيان في السياسة والادارة ، وكان معاوية كاتب الوحي ، وكان عمر اذا نظر اليه قال : هذا كسرى العرب . وعقد ابو بكر في خلافته

ليزيد بن ابي سفيان ، وكان يقال له يزيد الخير مع أمراء الجيوش الى الشام وقال :
 ان اجتمعتم في كيد فيزيد على الناس ، وان تفرقتم فمن كانت الواقعة مما يلي
 عسكريه فهو على أصحابه ، وشيعه الصديق راجلاً وهو راكب وجعل بوضيه ،
 ولما مات يزيد في طاعون عمواس (سنة ١٨) ، وهو الطاعون الذي هلك به في
 الشام ألوف من الصحابة وغيرهم ، ضمّ عمر بن الخطاب لمعاوية ما كان من عمل أخيه
 يزيد ، وهو إمارة دمشق فصارت الشام لمعاوية . اما زياد ابنه الثالث فكان من
 أدهى العرب ، ومن أعظم رجال الادارة الذين انبغهم الاسلام ، عزله عمر بن الخطاب
 فقال زياد : أعز عزلتني يا أمير المؤمنين ام عن خيانة ؟ فقال : لا عن ذلك ولا عن
 هذا ، ولكني كرهت ان احمل على العامة فضل عقلك .

من بني أمية على العرب وتمدينهم

ولقد كان لأبي سفيان وأبيه حرب منة عظيمة على العرب في الجاهلية ، وذلك
 بنقلها الخط الى جزيرة العرب من الحيرة ، وما كان الخط معروفاً في الحجاز ، فأثبتنا
 بهذا ان يتنها النبيل مصدر حضارة أيضاً ، ولأحد رجال بني أمية منة أخرى في
 الاسلام تعد عظيمة جداً في بابها ، وهي ان امير المؤمنين عثمان بن عفان جمع
 القرآن ، فنسخه من الصحف وارسل المصاحف التي كتبت منه الى الكوفة والبصرة
 ودمشق ومكة والمدينة وابقى عنده مصحفاً سموه الإمام ، ولولا عمله الجيد لضاع
 بعض آيات الكتاب العزيز لاعتماد العرب على الحفظ أكثر من الكتابة ، وكان
 بعض الصحابة يحفظون ما لا يحفظه غيرهم ، فاذا انفق ان مات أحدهم يخشى أن
 يضيع ما كان يحفظه .

وكان امير المؤمنين عثمان بكرم حرمة بن المنذر الطائي ، وكان شاعراً نصرانياً
 يعلم بسير ملوك العجم . وأتى أمير المؤمنين معاوية بأمد بن أهد الخضرمي وببيد بن
 شربة الجرهمي من اليمن يقصان عليه اخبار ملوك العرب والعجم ، وامر بتدوين

ما كانا يوردان عليه ، فكان أول من بدأ بتدوين التاريخ في الاسلام ، واستصفي معاوية كعب الأخبار الكثرة علمه ، وكان يعطف كثيراً على الشاعر سعيد بن عريض بن عادياء أخى السمّول بن عادياء من يهود الحجاز . وحفيد معاوية خالد بن يزيد ، وكان بدعى عالم قريش ، هو الذي زهد في الخلافة كما زهد فيها أخوه معاوية الصغير من قبل وصرف وقته في ترجمة كتب الفلاسفة والنجوم والكيمياء والطب والحرب والصناعات من اللغات القبطية والسريانية واليونانية ، وهو أول من أنشأ خزنة كتب في الاسلام ، والغالب انها كانت في دمشق . وأمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز الأموي هو الذي دون الحديث وأمر بترجمة كتاب في الطب لينفع به الناس .

ولولم يكن بنو أمية على جانب عظيم من النبوغ ومعرفة ثاقبة بحكم الناس ما وسد اليهم الرسول الولايات والأعمال العظيمة ، وقد انقل الى جوار ربه وأكثر عماله منهم ، وما كان فيهم أحد من بني هاشم ، وما استطاع الخليفتان الأولان ابو بكر وعمر ان ينقضا ما أيرمه الرسول من ذلك . والوظائف الكبرى توسد في الدول لمن يوثق بهم ، ويعرفون روح الدولة أكثر من غيرهم ، والادارة يبرع فيها المترنون عليها ، وبنو أمية كانوا أمراء في الجاهلية وكانوا كذلك في الاسلام ، تناقلوا فيهم حكم الناس كإبراً عن كابر .

مميزات معاوية

تولى معاوية الشام أربعين سنة ، عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة . وجاء عمر بن الخطاب الى الشام مرة فلقاه معاوية في موكب عظيم ، فسأله عن سبب هذه الأبهة التي اصطنعها فقال : إننا في بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو فلا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني به أقمت عليه ، وان نهيتهني عنه انتهيت ، فلم يأمره به ولم ينهه . أي أن معاوية اقتنع خليفة مثل عمر بن الخطاب الذي كان لا يرى الا الخشونة لنفسه ولعماله ، بتقليد الروم في ظاهرم . وما حاد معاوية عن

الأصول التي وضعها عمر بن الخطاب في الإدارة ، بل أدخل فيها أموراً اقتضاها الزمان والمكان ، ففتح صدره لكل ما استحسنه مما كان عند الأمم المجاورة ، وكانت العرب لا تعرفه ، فأخرج الإدارة بذلك من سداجة البداوة الى مجبوحة الحضارة . ما كانت معاوية يصدر الا عن مشورة ولا يأتمن في ادارة الولايات والأعمال إلا الكفاة من أهل بيته غالباً ، ويستشير ارباب الرأي من انصار دولته ، وكان له منهم مجالس اشبه بمجالس النواب والشيوخ ، ومجالس في الولايات يدعونها مجالس الوفود . واستخدم النصارى في مصالح الدولة ، وكان عمر يتمتع من استخدامهم أو يسلموا ، فعهد الى سرجون بن منصور ثم الى ابنه منصور بن سرجون من نصارى الشام بادارة أمواله ، أي أن بني سرجون كانوا وزراء المال لمعاوية . وكان في جيشه الانباط والجراجمة والمعجم وغيرهم من العناصر غير العربية وغير المسلمة ، فقام بتأسيس دولته بما تقوم به الدول ولا ينافي أصول الخلافة .

ومما يعرب عن سعة عقله وأنه عملي في جميع حالاته لا يبالى بالقشور والظواهر متى أوحى اليه العقل رأياً سديداً ما ذكره المؤرخون من أن عبد الله بن قيس غنم من صقلية أصناماً من ذهب مكالة بالجواهر فحملها معاوية من دمشق وأنفذها الى البصرة ومنها الى الهند لتباع فيها لأنه رأى يبعها فائمة أكثر لثمنها ، ولم يبال انتقاد المتزمتين من المسلمين .

توفر معاوية على تحسين آلة الحكم وادخل عليها ما ينفعها ويقويها ، وتسامح ولم يضيق على نفسه ولا على أمته في ادخال التجدد وعرض على جبلة بن الأيهم سيد بني غسان — لما هرب الى الروم لأن عمر أراد ان يقتله بمن قتله — أن يعطيه القوطة كلها اقطاعاً على أن يعود من الروم ويرجع الى الاسلام ، يريد بذلك ان يتلافى ما وقع من عمر في ذلك ويقوي الاسلام به . وبجميل سياسته أخرج الخلافة من آل علي الى بني أمية وأخذها من الحسن بن علي بمال دفعه اليه ووعود وعده بها ، وكان بذلك عام الجماعة اي اجماع المسلمين على إمام واحد .

وابتكر معاوية أموراً رأى فيها فائدة عامة منها انه أول من وضع الحشم للملوك ، ورفع الحراب بين ايديهم ، ووضع المقصورة التي يصلي فيها الخليفة منفرداً عن الناس ، والشرطة على رأسه اذا سجد ، وهو أول من اتخذ حرس الليل ، وأول من غزا في البحر وأنشأ الأسطول في صناعة صور وطرابلس ، وكان كثيراً ما يطلب من الخليفة الثاني ان يأذن له بصنع الأسطول فلا يرضى بالتوسع في ذلك ، وما سمح بركوب البحر الا للتنوعة ببحرٍون برضاهم غير مكرهين ولما جاء الخليفة الثالث انطلق معاوية في بناء السفن كما أراد ، وكان معه في فتح رودس وقبرص ألف وسبعائة سفينة ، هذا عدا السفن التي أحرقت في طرابلس بأيدي أناس من صنائع الروم ، وكان روم القسطنطينية في خوف من أسطوله في البحر ، كما يحسبون ألف حساب لجيشه في البر .

بعض أعمال معاوية في اصلاح الدولة

ومن أهم ما قام به تنظيم الجيش ، وادخال الإصلاحات التي تزيد في قوته ، وتجعله ايداً تحت السلاح عند الطلب ، فضاعف لذلك عطاءه وارزاقه ، ووقت اوقاتاً لتناول الرواتب ، فهو أول من نظم الجيش بهذا النظام الغريب ، وجهره بكل ما يلزمه ، وجعل الجندي لا يستند في معاشه على غير رزقه من بيت المال . وكان لكل جند من اجناد الشام جيش خاص به من أهل الاقليم الذي يتألف فيه ، والجندي هو مانسيه بالفرنسية *Le gouvernement militaire* فمن جند دمشق ، الى جند الأردن ، الى جند فلسطين ، الى جند قبرسين . وأهم ما كانوا يهتمون له المرابطة على الحدود والتغور القريبة من ارض الروم . ولطالما ادش معاوية الروم بصدقه كما ادشهم بوفائه ودهائه . وقد ارتهن مرة رهائن منهم وضعهم في بعلبك ، فغدر به الروم بعد مدة ، فلم يستحل قتل من في يديه من رهنتهم واخلى سبيلهم وقال : وفاء بغدر خير من غدر بغدر .

ومعاوية أول من وضع البريد ، أحضر رجالاً من دهاقين الفرس فعرفهم ما يريد

فوضعوا له البريد واتخذوا له بغالاً بإِ كَاف كان عليها سفر البريد ، وكان لا يجيز عليه الا الخليفة او صاحب الخبز أي مدير الاستخبارات . وكان لصاحب الخبز في الاسلام شأن عظيم كاله عند الدول الحديثة . وهو الذي اخترع ديوان الخاتم وحزم الكتب ، ولم تكن تحزم ، وجعل على كل قبيلة من قبائل مصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم ، ويقال نزل بهم رجل من اهل كذا بعياله فيسميه وبياله ، فاذا فرغ من هذا القبيل اتى الديوان حتى يثبت ذلك . وبهذا كان الخليفة يحصي السكان ولا يفوته خبر المتنقلين في ربوع بلاده .

كان لمعاوية انواع من السياسات برز فيها حتى عدت من أعظم ساسة العرب . كان لا يوالي الا السيد المسود في قومه ، ويستميل القلوب بالعتاء او بالاقناع او بالإغضاء ، فاذا لم تنجح هذه الوسائل وتوجس شراً ممن اغضى عنه وترضاه فلم يفلح عمد الى القسوة ، وكان يقول لا أضع سبني حيث يكفيني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . وكان يقول : إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا . أي انه يطلق للناس حرياتهم فاذا لجأوا الى اظهار القوة اذاقهم بأسه الشديد . وكان يبذل الأموال العظيمة للعالمين والهاشميين فاذا لامه احد على هذا البذل اجابهم إن الحرب تستلزم نفقات اكثر من هذا العطاء . وكذلك كان ابنه وولي عهده يزيد : اعطى عبد الله بن جعفر اربعة آلاف الف فقيل له : أتعطي رجلاً واحداً هذا ؟ فقال : ويحكم إنما اعطيتها اهل المدينة اجمعين فما يده الا عاربة .

واستجند معاوية القصاص للدعاية السياسية بقعدون في المساجد والمعسكرات يدعون لدولته وينفرون من اعدائها ، وهذه الدعاية لم تكن زمان النبي ولا زمان صاحبيه ابي بكر وعمر ، وكان القاص اذا سلم الامام من صلاة الصبح جلس فذكر الله وحده

ومجده ، وصلى على نبيه ، ودعا للخليفة ولأهله ولأهل بيته وجنوده ، ودعا على أهل حربه . واستخدم أيضاً الشعراء للدعاية ، وزين لهم الدعوة الى التفاخر بالقبيلة والأيام المشهورة ، واخرج الشعر من الهجاء بعض الشيء ، وكان الشعراء في الدهر الغابر كأرباب الصحف في المدينة الحديثة يفعلون في عقول الناس بشعرهم ، خصوصاً اذا كان الشاعر فحلاً 'مفلقاً' . اما الخطابة فكان جميع أهله خطباء ، وقد كان قوادهم ورجالهم كذلك خطباء أبناء . ومُخطب زياد وعقبة والحجاج من ابلغ ما يؤثر عن خطباء العرب .

ابداع معاوية

كان معاوية يترج عماله في الادارة ويعلمهم إياها بالعمل ، ولا يعتمد الا على العظماء والدهاة امثال عمرو بن العاص والمغيرة . وكان من عادته اذا اراد ان يولي رجلاً من آله بني حرب ولاء الطائف ، فان رأى منه خيراً وما يعجبه ولاء مكة معها ، فان احسن الولاية وقام بما ولي قياماً حسناً جمع له معها المدينة ، فكان اذا ولي الطائف رجلاً قيل هو في ابي جاد ، فاذا ولاء مكة قيل هو في القرآن ، فاذا ولاء المدينة قيل هو قد حذق .

وله في سياسة العناصر ضروب من الابداع منها انه رأى النصارى كثرة غامرة في الشام فما احب اجلاءهم ، وما رأى من السياسة تركهم وشأنهم ، لنلا يستعين بهم الروم على الفاتحين ، فنقل الى الساحل قوماً من زط البصرة والسيابجة وانزل بعضهم انطاكية ، ونقل قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكية الى سواحل الأردن . وصور ، ونقل من أساورة البصرة والكوفة (الأساورة قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة) وفرس بعلبك وحمص وانطاكية جماعة . واسكن حصن سفيان الذي بناه على اميال من طرابلس ، جماعة كثيرة من اليهود ، واسكن الشام كله جمهرة من القبائل العربية مزجهم بأهلها الأصليين ، فأصبح الساحل كالدخل في هذه الديار غاصاً بالعجم والعرب والسود والبيض وبالمسلمين والنصارى واليهود .

رأى معاوية أن أرض الحجاز قاحلة ، يعيش أهلها في شظف من العيش ، على هذا كانوا منذ أقدم عصور التاريخ ، ولما جاء الإسلام وفتحت البلاد وكثرت الأموال فرض عمر بن الخطاب العطاء ، فأصبح الناس يعيشون من عطاءهم ، وكان بعضهم يعيشون في الجاهلية من تجارتهم . وفي الإسلام دخل المتازون في أعمال الدولة ، ولكن هذا لم يدم طويلاً ، على ما تنبأ به حكيم بن حزام لعمر ، فتركت قريش التجارة واكتفت بالعطاء ، ثم بطل العطاء وبطلت التجارة ، لما تحولت دار الملك من المدينة الى دمشق .

خشي معاوية ان يهلك الناس في الحجاز اذا اعتمدوا على الموسم موسم الحج ، أو على صدقات المسلمين ، فعمي في جملة ما عني به من أعماله باصلاح الزراعة في بلاد الحجاز ، فأحيا موات الأرضين ، واحفر الآبار للسقيا ، واقام سدوداً تخزن المياه والأمطار ، فعاشت الحجاز من أرضها قرناً لم تشهد مثله من قبل ولا من بعد . وسارت أمرته على قدمه في هذا الباب فما ابطل عمله بل تعهدته ونمته . وتسلسل الفكر مائل في بني أمية يتم الآخر أبداً ما بدأ به الأول ، لا ينقضه ولا يغيره . واعظم ما فاز به معاوية ان رعيته من اهل الشام كانت تحبه محبة عظيمة ، وبهم وري زناده ووصل الى اهدافه وكتب له النصر على اعدائه .

مميزات بني أمية

ويطول بنا نفس القول اذا اردنا ان نعرض لكل خليفة من خلفاء الأمويين ، وما قام به من الأعمال العظام في السياسة والادارة ، واذا وازنا بين الرجال لانرى من عيارهم في الدول الخالفة كثيراً ممن يدانهم ، واين مثل مروان ، وابنه عبد الملك وابنه عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك ، والوليد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ؟ ولعمر بن عبد العزيز في أمور الدولة وسياستها وتنظيم ادارتها ابداع لم يعهد مثله الا لجدته لأمه امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت له في باب التقوى والزهد اعمال تتضاهل معها سيرة الزهاد المشهورين .

قال ابن الأثير: ولقد سمعت عن عمر بن العزيز كلمة اعجبني جداً، وهي انه قيل له في الذي يُجرجه ويطلقه من الأموال التي لا تسمع نفس ببعضها فقال لهم: أنا فتحت الدكان بعد العصر، فأتروني اعمل الخير فكم اعيش؟ وكذلك كان.

ومما امتازت به دولة الأمويين انها كانت دولة عربية صرفة بدمها وأخلاقها وعاداتها ومراميتها ومظاهرها، وكان ابناؤها كلهم يحرصون على التزوج من العربيات من بنات الأشراف، ولم يكن في جميع خلفائهم من أمه أم ولد غير مروان بن محمد آخر خلفائهم في الشرق، كانت أمه كردية، على حين كان العباسيون كلهم ابناء إماء الا اولهم السفاح، ولذلك جعلوه اول خلفائهم وقدموه على المنصور وهو اكبر منه سنًا وعلماً وسابقة. افسد العباسيون دمهم العربي بالاقتران بالاماء، وافسدوا عصبيتهم بما كان من زهدهم في عنصرهم واعتمادهم على ابناء خراسان وعلى الموالي والعيبد فسقطت الأصول وقامت الفروع بدلها، وأصبح بنو العباس على طول الأيام خلاسين وهجاء لا بالعرب ولا بالعجم. اما بنو أمية فما عهد فيهم هذا، كان دمهم صافياً واخلاقهم متشاكلة، ويقوم نساؤهم ورجالهم عند الحد الذي رسمته لهم الفطرة، وقضت به احكام الشريعة.

ما سمع في دولة بني أمية ان يتدخل النساء في شؤون الدولة وقد رأينا الحرم في الدولة العباسية منذ عهد المنصور يتدخلن فيما لا يعنين من شؤون الرجال، ولذلك اوصى المنصور ابنه الا يجعل للنساء سبيلاً الى الدخول في مهات دولته. وكان من اثر تغيير الدم العباسي واتخاذ مهات اولادهم من الفارسيات والروميات والكرجيات وغيرهن ان كثرت المؤامرات في قصور الخلفاء، واصبح قتلهم من الأمور المعتاد وقوعها، وكانوا — اذا استثنينا منهم المنصور والرشيد والمأمون والمعتمد واثنين او ثلاثة من المتأخرين من خلفائهم — الى ذل ليس بعده ذل، واكثرهم أشبه بمشايخ طرق في زواياهم منهم بخلفاء يأمرهم في قصورهم فلا يعصون، ويشهرون الحرب ويعقدون الصلح، واحكامهم نافذة في القاصية والدانية.

ربما 'يعترض على هذا بأن الوليد بن يزيد من الأمويين قد قُتل أيضاً ، والغالب أن قتله كان بسبب تحليه عن اليانية لالفسقه ولا للهو كما اتهموه ، وهذه التهمة اذاعوها ليبرروا أمام الأمة مقتله ، اما سائر خلفائهم فكانوا في الغاية من السياسة والشجاعة والحزم والتقوى والعمل ليل نهار على مصالح دولتهم ومصالح الناس . وكان آخرهم مروان بن محمد على غاية العقل وحسن التدبير ، ولما نفذ القضاء سقطت الدولة بيده ، حتى ان الخليفة الذي جار عليه التاريخ - وتاريخ بني أمية كتبه اعداء دولتهم بعدهم ، كما شاءت الأهواء السياسية - ونفي به امير المؤمنين يزيد بن معاوية لم يكن باجماع ثقات المؤرخين بالدرجة التي صوره بها اعداء دولتهم ، ولا هو اندي قتل الحسين ولا امر بقتله ، ولما جاءه خبر مقتله اضطرب ولعن قاتله ، فالتخذ أعداؤه من هذه الفاجعة المؤلمة حجة على الخط من يزيد وآل يزيد .

عمران الأمويين وتأثيراتهم الدينية والمدنية

ومما امتازت به دولة بني أمية غرام رجالها بالعمران ، فقد اقام خلفاؤهم في المشرق أمثال الوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك من الجوامع والمستشفيات والحدائق ودور الضيافات والقصور والطرق والجسور والسدود وتمصير الأمصار وتحضير البوادي والقفار ما هو عجيبة تلك العصور ، وما زال الجامع الأموي بدمشق وقصر الحير الذي اكتشف في البادية وحي بنموذج منه الى متحف دمشق شاهدين على تلك العناية الفائقة وتلك المدنية الباهرة . قال احد دهاقين خراسان لعاملها من بني أمية (والدهقان رئيس الاقليم) انكم بنيتم الابوانات في المفاوز ، فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً الا ان يقولوا : سبحان الله ما أحسن ما بنى .

أما ما قامت به دولتهم في الغرب من الأعمال العظيمة على يد مؤسسها عبدالرحمن الداخل وآل بيته فأعاد به مجد آبائه بعد ان قضى العباسيون في الشرق على كل أموي وأموية فالكلام عليه يطول . ولا تغالي اذا قلنا ان ثلث ماتم للعرب من

حضارة قام في الأندلس بفضل بني أمية ، والثلاثان الآخران قاما في بغداد ودمشق
والعوامم الأخرى كعصر وينسابور وشيراز والري وأصفهان وغزنة .
وبما عرف به الأمويون من مرونة سياسية وادارة - كريمة رشيدة انتشر الاسلام
وانتشرت اللغة العربية في القاصية من دون مادعاية ولا تبشير مبشرين ، وامتد
ملكهم الواسع في بلاد تبلغ مساحتها نحو ثلاثة ارباع مساحة اوربا ، وقدرها بعضهم
بثلاثة آلاف وسبعائة فرسخ وذلك من سواحل الاطلنطي الى تخوم الصين ، ومن
جبال القوقاز وما وراءها الى خط الاستواء وما وراءه . وفي عهدهم دخلت في الاسلام
أمم كثيرة من السلالة السامية (العرب والسريريان والكلدان) ومن السلالة الحامية
(المصريون والنوبيون والبربر والسودان) ومن السلالة الآرية (الفرس واليونان
والاسبان والأهاند) والاهاند او الهنادك رجال الهند ، ومن السلالة التورانية (الترك
والتتار) وكانت تقام شعائر الاسلام وقرأ القرآن في قرطبة وفاس كما تقام
الصلوات في السند وسمرقند ، وتنتلج العناصر المختلفة في المومم بمكة ، وفيهم الاسود
والأحمر والأصفر والابيض تجمعهم جامعة الاسلام والطاعة لبني أمية . واصبحت
دمشق هذه في نظر المسلمين كرومية في نظر اهل النصرانية ، وما كانت قبل عهد
الأمويين تعد شيئاً بين العوامم والخواضر ، ودك العباسيون معالم عمراتها عندما
فتحوها مخافة ان ينسب للأمويين شيء من الحسنات تذكر الناس بخصومهم أمس ، وقضوا
على كل اثر لهم على نحو ما فعل التتار بالعباسيين في القرن السابع لما استولوا على بغداد
عاصمة ملكهم وقضوا على الخلافة العباسية

(ينبع)

أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن أحمد

أحاط بكتاب العين ونشأته كثير من الغموض ، وتضاربت أقوال الناس في مؤلفه تضارباً شديداً ، وكثر الطعن فيه حتى ليصعب على الباحث أن يتخذ لنفسه بشأنه رأياً خالصاً من كل شائبة ، وأين هذا من قيمة الكتاب وحسن الأثر الذي أحدثه في عالم المعاجم العربية إذ كان أولها وفيه ظهر الترتيب على حروف المعجم وعنه أخذ . وقد تعرض بعض علماء عصرنا للبحث في كتاب العين بحثاً عميقاً^(١) وعنوا ببعض نواحيه غير أنهم جميعاً لم يذكروا بالتفصيل تاريخ نشأته وكيفية تأليفه مع أن ذلك فصل جليل القدر من تاريخ علم اللغة العربية بل من تاريخ العلوم العربية عامة لما له من أثر في نشوء ترتيب الألفاظ على حروف المعجم ذلك الترتيب الذي اتخذته مؤلفو العرب نهجاً في التأليف اقروه واستفادوا منه وقدموه خالصاً لعلماء الغرب يبتغون منه أحسن الثمر .

وسأحاول في هذا البحث أن أسد هذه الثغرة ما استطعت ، وصبلي إلى ذلك أن أدرس أولاً أقوال العلماء في كتاب العين واحررها ثم اذكر كيف أسس بناؤه فاستطرد إلى الترتيب على حروف المعجم وأثر الخليل بن أحمد في ذلك واختتم البحث في صورة اتمام الكتاب بعد تأسيس بنائه .

(١) نذكر منهم على ترتيب تاريخ نشر أبحاثهم الاستاذ جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ١٢٢ - ١٢٤ والاستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٩ والاستاذ ويليام مارسيه في درس له عن المعاجم العربية ألقاه عام ١٩٣٦ (اخذ عنه مذكرات الاستاذان محمد المبارك وخلدون الكتافي وتضلاً بأطارقي هذه المذكرات) والاستاذ الاب انتناس ماري الكرملي في مجلة الثقافة السنة الاولى العدد ٣٧ ص ٤٢ - ٤٥ والعدد ٧٢ ص ٣٢ - ٣٣ الى غير ذلك من الابحاث التي سندكرها خلال دراستنا هذه .

١- اقوال العلماء في كتاب العين وتحريرها

لم يُعرف كتاب العين في حياة مَنْ نُسب إليه اي الخليل بن احمد^(١) نابغة العرب ومبدع علم العروض ومثقف الأنعام، ولم يرو الكتاب عنه تلميذ معروف من تلامذته بل ظهر بعد وفاته سنة ١٧٠ او ١٧٥ ورواه الليث بن المظفر بن نصر بن سيار^(٢) من فقهاء خراسان وظهر في كتاب العين ما يدعوا اكثر من مرة إلى استنكار نسبه إلى الخليل حتى لقد قيل « اتفق علماء اللغة على كثرة الأغالط في كتاب العين^(٣) » « واطبق الجمهور منهم على القدح فيه^(٤) » « فان فيه من التخليط والخلل والفساد مالا يجوز ان يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن نفسه^(٥) » والخليل كان امة في اللغة « يُربأ به عن نسبة الخلل إليه^(٦) » زد إلى ذلك « ان ما وقع في الكتاب من معاني النحو انما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين^(٧) » مع ان الخليل شيخ البصريين . وهناك ما أخذ أخرى على الكتاب سترها فيما يأتي ؛ على ان كل هذه الحجج لا تستقيم في تحليل ادعاء

(١) ذكر الاستاذ ابن شب في مملكة الاسلام الطبعة الافرنسية ٢ : ٩٤٠ والاستاذ بروكلمان في تاريخ الآداب العربية (G. A. L.) ١ : ١٠٠ وفي ذيله له ايضاً ١ : ١٥٩ المظان التي ترجم فيها للخليل بن احمد ونضيف إليها اخبار النحويين البصريين للسيرافي طبعة الاستاذ كرنسكو ص ٢٨ والكمال لابن الاثير في وفيات سنة ١٩٠ ، ٦ ، ١٨ وتاريخ ابن كثير ١٠ : ١٦١ في وفيات سنة ١٧٠ ونهاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٧٥ ومفتاح السعادة لطاشكبري ١ : ٩٥ وطبقات النحويين لابن قاضي شبه نسخة الظاهرية تاريخ ٢٤٨ ص ٢٧٩ وتبقيع المقال للهامقاني ١ : ٤٠٢ ومنتهى المقال لابي علي ٢٨ ورجال ميرزا محمد ١٢٢ وشرح العيون لابن نباته ص ١٤٤ - ١٤٧ طبعة ١٢٧٨

(٢) يترجم له الازهري في تهذيب اللغة ص ٢٧ من طبعة زرتسين Zettersten وياقوت في

رشاد الارب طبعة مارجيلوت ٦ : ٢٢٢ - ٢٢٧

(٣) النووي ، تهذيب الاسماء والثلاث ص ٢٤١

(٤) المزهر مطبعة الاسماعيلية ، ١٣٨٢ ، ١٤ : ٢٨ و ٥٨

(٥) عن ابن جنبي في المزهر ١٤ : ٤٠ والبلغة لمحمد صديق حسن خان ، طبعة ١٢٩٦ ص ١٥٨

(٦) عن الزبيدي في المزهر ١ : ٤١

(٧) عن الزبيدي في المزهر ١ : ٤٢ وكشف الظنون طبعة ١٢١١ ، ٢ : ٢٩٠

الليث بن المظفر نسبة الكتاب الى الخليل ، والكتاب إبداع يتمنى كل عالم ان ينسب اليه . وكذلك تضاربت آراء العلماء وانقسموا الى طوائف اربع في امر نسبه الى الخليل .

نسب الى الطائفة الأولى القول بان الخليل لاعلاقة له بكتاب العين فذكر ان ابا بكر بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١) قال : « لم يرو هذا الكتاب عن الخليل احد ولا روي في شيء من الأخبار انه عمل هذا البتة^(١) » والحق ان ابن دريد لم يقل هذا فقد ورد في كتاب الجهرة له ما يناقضه^(٢) وفي الخبر مقالة كبيرة وخطأ فقد روى ابن راهويه (- ٢٣٨) الفقيه المعاصر لليث ان الخليل شرع في عمله^(٣) كما سنرى ذلك ، وذكر لنا ابن فارس (- ٣٩٥) انه قرأ الكتاب مروياً بسند أوصله الى بندار بن لوه الأصفهاني ومعروف بن حسان عن الليث عن الخليل^(٤) » وذكر ابو محمد بن درستويه (٢٥٨ - ٣٤٧) انه سمع كتاب العين بهذا الاسناد : « قال ابو الحسن علي بن مهدي الكسروي ، حدثني محمد بن منصور المعروف بالزاج المحدث قال قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار كنت اسير الى الخليل^(٥) » الى آخر ما ذكر . ورواه ابن عبد البر الاندلسي^(٦) (- ٤٦٣) وابو بكر محمد بن خير بن خليفة^(٧) (٥٠٢ - ٥٧٥) بسند يتصل الى ابي الحسن علي بن مهدي عن ابي معاذ عبد الجبار بن يزيد عن الليث بن المظفر بن سيار الليثي عن ابي عبد الرحمن الخليل . ولعل الناس رأوا ان كتاب العين انتقل الى علماء كثيرين دون رواية فظنوا ان لا رواية له فنسبوا الى ابن دريد ما لم يقل

(١) في الفهرست طبعة فلوجل ص ٤٢ - ٤٣ (٢) قال في ٣/١ « وقد الف ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد ٠٠٠ كتاب العين تأتت من تصدى لثايمه » (٣) التهذيب للازهري ص ٣٧ وارشاد الاريب لياقوت طبعة مارجيلوث ٦ : ٢٢٢ (٤) المغايس في اللغة نسخة مصورة في المجمع العالمي ص ١ (٥) في الفهرست ٤٢ (٦) في الزهر : ٤٦ (٧) في فهرسة مارواه عن شيوخه في المكتبة الاندلسية ص ٣٤٩

وذكروا عن ثعلب (٢٠٠ - ٢٩١) انه قال ان « كتاب العين موجود ولا رواية له ^(١) » وقالوا سئل النضر بن شميل (- ٢٠٣) عنه فأنكره فقيل له : لعله ألفه بعدك ، فقال : اخرجت من البصرة حتى دفنت الخليل بن احمد ^(٢) » ولعلمهم نسوا ان النضر لو كان صاحب الكتاب لما كان نسبه الى الخليل بل تبجح به . وذكر الزبيدي في رفض الكتاب مايلي ^(٣) « لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن ابي حاتم انكره ابو حاتم واصحابه اشد إنكار ودفعه بأبلغ الدفع ، وكيف لا ينكره ابو حاتم على ان يكون بريثاً من الخلال سليماً من الزلل وقد عبر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به منهم النضر بن شميل ومؤرج ونصر بن علي وابو الحسن الأخفش وامثالهم ٠٠٠ ثم ظهر الكتاب بأخرة في زمان ابي حاتم وفي حال رياسته وذلك فيما قارب الخمسين والمائتين لأن ابا حاتم توفي سنة ٢٥٥ ^(٤) » وليس في هذا القول تحقيق فكيف لا يعرفه ابو فيض مؤرج بن عمرو السدوسي العجلي ^(٥) وقد استدرك عليه كما يقول ابن النديم ^(٦) واستدرك عليه النضر بن شميل ^(٧) ايضاً واذ قد عرفه مؤرج (توفي سنة ١٩٥) والنضر بن شميل (توفي سنة ٢٠٣ او ٢٠٤) فهو قد انتقل من خراسان قبل سنة ٢٥٠ في هذا الخبر أغلاط تاريخية تجعلنا نشك في بقيته اذ تقول « ولم يلتفت اليه احد من العلماء ، ولا استجازوا رواية حرف منه ولو صح الكتاب عن الخليل لبدر الاصمعي واليزيدي وابن الاعرابي واشباههم الى تزوين كتبهم وتحلية عملهم عن الخليل والنقل لعلمه وكذلك من بعدهم كأبي حاتم وابي عبيد ويعقوب وغيرهم من المصنفين فما علمنا احداً نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً » واذ

(١) النهروست ٦٠ (٣) ارشاد ٦ : ٢٢٧ وانظر عن النضر بروكان ١ : ١٠٢ وذيله ١ : ١٦١
(٢) الزهر ١ : ٤٢ (٤) المزهر ١ : ٤٢ وانظر عن ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني بروكان ١ : ١٠٧ وذيله ٢ : ٦٧ (٥) انظر بروكان ١ : ١٠٢ (٦) النهروست ٤٣ (٧) كشف الظنون ٢ : ٢٩١ ، نزهة الالباء للاباري ٤ طبعة ١٢٦٤ ، ص ١١١ ، وفيات الاعيان ٢ : ١١٣

قبلنا ان هؤلاء العلماء لم يستجيزوا الرواية من الكتاب فذلك لأنهم لم يثقوا براوي الكتاب والحق يقال اننا لم نثلق خبراً موثقاً عنهم بنفي اثر الخليل من الكتاب نفيًا باتاً حتى إن الزبيدي الذي بورد هذه الاعتراضات لا ينفي عن الخليل يده في الكتاب .

والطائفة الثانية تنسب الكتاب الى الخليل وعلى رأسها ابن فارس (— ٣٩٥) الذي يدعي ان « اعلا كتب اللغة كتاب ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد المسمى كتاب العين ^(١) » ومنها الانباري الذي يقول ان « الخليل اول من ضبط اللغة واملئ كتاب العين على الليث بن المظفر ^(٢) » ويقول بتأليف الخليل للكتاب ابن خلدون ^(٣) وابو بكر بن خليفة ^(٤) ومحمد صديق حسن خان ^(٥) وابن شنب ^(٦) ولعلمهم حين قالوا بذلك لم ينتهبوا الى المطاعن على الكتاب ، ودليلنا على ذلك ان ابن فارس حين يذكر اخطاء كتاب العين يخشى ان ينسبه بنفسه الى الخليل فيقول « واما الكتاب المنسوب الى الخليل فان فيه من الأخلال مالاخفاء به على علماء اللغة ^(٧) » وكذلك يبدو ان هذه الطائفة لم توثق قولها بدليل بل القته على عواهنه بلا تحرير .

والطائفة الثالثة تدعي ان الخليل شرع بالكتاب ومات قبل ان يتمه فأتمه الليث . واول من قال بذلك على ما نعلم اسحاق بن ابراهيم الحنظلي بن راهويه الفقيه (— ٢٣٨) وهو عالم خراسان تلك البلدة التي ألف فيها الكتاب فقد ثبت عنه انه قال « كان الليث بن المظفر رجلاً صالحاً ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين فأحب الليث ان ينفق الكتاب كله فسمى لسانه الخليل ^(٨) » وذكر عنه انه قال « كان الخليل يعمل منه باب العين وحده وأحب الليث ان ينفق سوق

(١) المقائيس في اللغة ص ١ (٢) تزمة الالباء ٥٥ (٣) المقدمة في باب اللغة .

(٤) فهرسة ما زواه ٣٦٩ (٥) البنية ٢٦ (٦) مطعة الاسلام الطبعة الافرنسية ٢: ٩٤٠

(٧) الصاحبي في فقه اللغة ، مط ٥ المؤيد ٣٢٨ ، ص ١٨ (٨) التهذيب ٢٧ ارشاد الاريب ٦: ٢٢٢

الخليل فنصف باقيه^(١)» وثانيهما السيرافي (٣٦٨ -) فقد قال في طبقات النخاعة في ترجمة الخليل «عمل اول كتاب العين المعروف المشهور^(٢)» وهذه العبارة كما يقول السيوطي «صريحة في ان الخليل لم يكمل كتاب العين^(٣)» وثالثهما الازهري (٢٨٢-٣٧٠) ويدعي «انه لم ير خلافاً بين اللغويين ان الثابت المحمل في اول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد وان ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه اياه عن فيه^(٤)» ويتبع هؤلاء عدد من العلماء^(٥)

وقد حيكت الأفاضل حول هذه الفكرة فروي عن الحسن بن علي المهلبى ان الخليل كافأ اللبث بالكتاب فخرته امرأة اللبث نكابة بزوجها ، وكان قد حفظ نصفه فرغب الى العلماء ان يجمعوا النصف الآخر ، وكذلك خرج الكتاب غير متساوي التأليف^(٦) . واقوال هذه الطائفة جميعاً مردودة عند من درس الكتاب فوجد ان المآخذ عليه هي في اول الكتاب وآخره وفي باب العين وغيره من الابواب كما سنرى ، ولو انها تزيد وتنقص تبعاً للابواب .

والرأي الذي ينجم من كل اعتراض وجيه قول الطائفة التي ترى ان الخليل رسم الكتاب ولم يحشه ، اي انه وضع ابواب الكتاب ورتبها ثم حصر الابنية المستعملة والمهملة دون ان يذكر معناها واشتقاقها ونذكر في اولها احمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠ - ٢٩١)^(٧) الذي يقول : «انما وقع الغلط في كتاب العين لان الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو كان هو حشاه لما بقي فيه شيء لان الخليل رجل لم ير مثله^(٨)» وبأخذ بهذا الرأي ابو الطيب اللغوي (توفي بعد ٣٨١) في

(١) ارشاد الارب ٦ : ٢٢٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩٠ (٢) اخبار النحويين البصريين نشره الاستاذ كرنكو بيروت ١٩٣٦ ، ص ٣٨ وعنه في بنية الوعاة ٢٤٣ (٣) المزهري ١ : ٣٨ (٤) التهذيب ٣٩ (٥) ياقوت في ارشاده ٢ : ١٨٢ ، شرح البيهقي ، ص ١٤٤ (٦) طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء لابن المعتز ، طبعة عباس اقبال ، ١٩٣٩ ، ص ٣٨ - ٣٩ مفصلاً وعنه ارشاد الارب ٦ : ٢٢٣ ، المزهري ١ : ٣٩ ، بنية الوعاة ٢٤٥ (٧) انظر عنه في ذيل بروكلمان ١ : ٢٨١ (٨) المزهري ١ : ٣٩ وكشف الظنون ٢ : ٢٩٠ وكل ذلك يتلاه من ابي الطيب اللغوي .

كتاب مراتب النخوبين ويقول بأن الخليل « هو الذي رتب ابوابه وتوفي من قبل ان يشوه^(١) » وبذلك يأخذ الزبيدي (٣١٦ - ٣٧٩) . ملخص كتاب العين والمستدرک عليه حين يقول « واكثر الظن فيه ان الخليل بوب اصله وثقف كلام العرب ثم هلك قبل كماله^(٢) » ورأي هذه الطائفة اقرب الآراء جميعاً الى الصحة وابعدها وقوعاً في الاعتراضات التي رأيناها في صدر بحثنا ، ولكنه مقتضب يقتضي الشرح وناقص لا يفي للخليل بكل حقه من الكتاب .

يوسف القيس

(يبيع)



(١) المصدران السابقان (٣) المزهري ١ : ٤١ وكشف الظنون ٢ : ٣٩١ . ويحفظ ابن جنى (٣٩٢) اكثر من ذلك فيقول ترجيحاً : « فان كان للخليل فيه عمل فاعلمه أولاً الى عمل هذا الكتاب ايماء ولم يله بنفسه » (زهة الالباء ٥٥) ويقرب من رأي ابن جنى غير انه اوسم وأضبط رأي صاحب مقالة « كتاب العين وطبعه » في لغة العرب السنة ٤ ، الجزء الثاني آب ١٩١ ، ص ٥٧ . اذ يقول : « أما رأينا الخناس فهو ان مدون نس العين هو الليث واما الذي يروي عنه اغلب ما جاء في النص فهو الخليل بن احمد كما انه هو الذي دفع الليث الى تدوينه بصورته المبردة »

مخطوطات ومطبوعات

الفرزدق

أنشأ الأستاذ خليل مردم بك رسالةً أوجز فيها الكلام على الفرزدق ، فأشار الى نسبه ، وأفاض في ذكر أخباره وفي الحوادث التي كان لها أثر في حياته ، ولم يغفل شيئاً من صفاته ومن أخلاقه ومن التناقض في هذه الأخلاق ، وتعرض لهواه السيامي ولعصبية العربية ، ووصف شعره الذي يمثل حياة العصر الأموي أكثر من كل شاعر إسلامي ، وتكلم على ما في هذا الشعر من آثار الإسلام والعصية العربية والقرآن ، وعلى ما تضمنه من شوارد اللغة وفصحها ، ومن أخبار العرب وأيامهم ولم يفته ذكر ما صبغ به من صباغ بدوي ، فقد كان شعر الفرزدق سجل حياته ومرآة عصره ، وتصدى الأستاذ للمفاضلة بين الفرزدق وجريز وذكر أقوال طائفة من الشعراء والأدباء فيها ، ثم اندفع في توضيح مواضع شتى من شعر الفرزدق مثل نغره وهجائه ومدحه ووصفه وغزله وراثته وأدبه وحكمته ، وأرسل الكلام على كل ناحية من هذه النواحي ، وكان في كل موطن من هذه المواطن يستشهد بطائفة من شعر الفرزدق حتى يكون كلامه قريباً من الأذهان .

وختم الأستاذ خليل مردم بك رسالته بعبارة دلت على تواضعه وانصافه فقد قال : هذه دراسة موجزة للفرزدق شاعر العرب في العصر الأموي ورأس الشعراء الإسلاميين لا أدعي أنها كاملة ولكن أرجو ان تكون صحيحة .

وحقيقة القول ان القارى يفرغ من هذه الرسالة ونصب عينيه صورة للفرزدق تتمله في كل النواحي التي أتى على ذكرها الأستاذ تمثيلاً صحيح الوجوه ويغلب على الرسالة تهذيب البيان وهو عنوان تهذيب نفس واضعها عنوان أدبه السامي في حياته وأحاديثه ومجالسه

سفيان جبري

اعلام النساء

في علمي العرب والاسلام

هذا كتاب جليل جمع فيه مؤلفه السيد عمر رضا كحالة آفاقاً من أسماء النساء العربيات وسير ذوات المناقب الفضلى والمواهب الفذة منذ أيام الجاهلية حتى مشارف عصرنا الجديد ، ولقد رتب هذه الأسماء والسير ترتيباً مجمياً بدأه بالألف وانهاه بالياء وقسم هذه الحروف على صفحات كتابه الضخم الذي جاء في ثلاثة أجزاء

ولعل التوفيق الذي ظفر به السيد كحالة في وضعه هذا المحجم الطريف قد واتاه من عمله اليومي فهو من موظفي دار الكتب الأهلية في مجامع الجمع العلمي العربي في دمشق ، كان دأبه طول إقامه الهادئة البحث والتنقيب في تضاعيف الكتب المخطوطة والمطبوعة عن مشهورات النساء اللاتي خلدن آثاراً بارزة في العلم والأدب او العمران والاحسان ، فاستطاع بما أوتيته من صبر على التنقيب ورغبة صادقة في نشر ماثر العربيات والمسلمات ان يؤلف هذا السفر النفيس الذي جاء مفخرة لأمتنا العربية ، فما أحسب أمة مهما بلغت حضارتها وثقافتها في قديم الدهر وحديثه استطاعت ان تُنجب امثال هاتيك النساء الفضليات .

وهذه لعمرى ظاهرة شموخ ورفعة نكأثر بها على الزمان ونفاخر في مساجلات ليلي الاخيلية ومطارحات فضل الشاعرة ورناء الخنساء وبطولة بنت الأزور وشتم بنت الصديق ام عبد الله بن الزبير وأدب يا حثة البادية وقصائد التيمورية وأمثال ذلك كثير لا يحصيه عد في كتاب الاستاذ كحالة - ما يحفز المرأة العربية المعاصرة وهيبها النهضة شماء شاملة تسير فيها على سنن الغواير من هؤلاء النساء البواهر فتعود اليها أمجادها .

فأنا أكبر صنع السيد عمر رضا كحالة الذي دل مؤلفه على حسن اختيار وبراعة تنقيب وأشكر المكتبة الهاشمية التي أنفقت على طبع الكتاب في هذا الزمن العصيب الذي اشتدت فيه أزمة الطباعة والورق .

وراد - طاب كيني

آراء وأنباء

تراجم الرجال

تاريخ القرن الثالث عشر — إلى رجال العلم وحملة الأقاليم

لا يخفى ان اول من صنف في تراجم الرجال من علماء وادباء وامراء ووجهاء هو قاضي القضاة ابن خلكان الذي بدأ تاريخه من الهجرة النبوية وانتهى فيه الى اثناء قرنه السابع ، ثم جاء بعده الإمام الحافظ ابن حجر فوضع مصنفًا في تراجم رجال القرن الثامن من ٧٠١ — ٨٠٠ ثم تلاه العلامة الحافظ السخاوي فصنف كتابًا في تراجم رجال القرن التاسع من ٨٠١ — ٩٠٠ ثم جاء العلامة نجم الدين الغزي فألف تاريخه في رجال القرن العاشر من ٩٠١ — ١٠٠٠ ثم تلاه الأديب الكبير السيد محمد امين المحبي فوضع مؤلفًا في تراجم رجال قرنه الحادي عشر من ١٠٠١ — ١١٠٠ ثم جاء بعده مفتي دمشق الاسبق السيد محمد خليل المرادي فوضع تاريخًا لرجال قرنه الثاني عشر من ١١٠١ — ١٢٠٠ وقد طبع اكثر هذه الكتب وانفقت بها .

ولقد كان هذا العاجز منذ أربعين سنة مولعًا بأكمل هذه السلسلة التاريخية داعيًا إلى وضع تاريخ لرجال القرن الثالث عشر من ١٢٠١ — ١٣٠٠ فجمعت في نحو سنتين نحو مائتي ترجمة ببضتها في مجموع أحفظه حتى الآن وفيه الكثير من اسر دمشق ومصر ونبلس وحمص وقليل من علماء العراق والحجاز واليمن وحلب وحماة وطرابلس ثم فترت المهمة فكنت في هذه المدة الطويلة ألحق بذلك المجموع ما يقع في يدي من التراجم كلما سئحت لي فرصة ، وربما بلغ الجميع حتى الآن ما يزيد على ثلاثمائة ترجمة لمشاهير القرن الثالث عشر ، واني اعتقد بان مجموعي لم يزل ناقصًا من تراجم بعض رجال ذلك القرن ، وهذا ما يدعوني الى ان اعلن على صفحات الجرائد والمجلات العلمية تراجم من وقعت وفاتهم في القرن المذكور من سنة ١٢٠١ — ١٣٠٠ بما يوافق نهج المحبي والمرادي المذكورين اتمامًا لهذه السلسلة التاريخية البديعة فان في ذلك تجليد ذكرى الأسلاف الصالحين والأجداد .

محمد جميل الشطي

مُعدى وِعدى

قرأت في الجزء الأول من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي كلمة الزميل الاستاذ المغربي المعنونة بـ (الرادبو وأثره في نشر اللغة) ولما بلغت الى تعبير (الديبلوماسيين) الجديد وتقسيمهم الناس الى محارب وحيادي او مسلم ولا محارب واقتراحه استعمال مُعدى مضمومة العين للمحارب وِعدى .كسورة العين للمحارب أعجبت بما اتفق له من وقوع نظره على هاتين الكلمتين اللتين تصلحان للقيام مقام كلتي (المحارب) و (اللامحارب) وقلت رب انفاق خير من تعمد ورب صدفة خير من يعاد . رأى هذه التفرقة بين هذين الحرفين في محيط المحيط للبستاني وفي أقرب الموارد وانه بعد مراجعة اللسان والتاج والصحاح والاساس والمصباح لم يعثر في هذه المعاجم على هذه التفرقة وبقي في نفسه شيء لعدم وقوفه على المصدر الذي اعتمده صاحبها محيط المحيط واقرب الموارد في هذه التفرقة فذكرت اني كنت قد وقفت على هذه التفرقة في عهد غير بعيد في المخصص في السفر الثالث عشر الصفحة ١٣٣ من المخصص: «ابن السكيت: قوم عدى وعُدى بالكسر والضم فاذا أدخلوا الهاء ضموا أوله فقالوا: عُداء . يحمي: العُدى بالضم الأعداء الذين تقاتلهم . وبالكسر الذين لا تقاتلهم . حكاه عنه ابن جنى»

التشاور والتضارس

وسيفي هذه الصفحة من هذا السفر ما يقوم مقام (المحارب) و (اللامحارب)

تشارس القوم تعادوا . وتضارس القوم تعادوا وتجاربوا

سليمان ظاهر

استدراك

وقعت في صدر الجزء الأول هفوات في أسماء اعضاء المجمع دعا اليها انقطاع المواصلات بين البلاد فدخل الاستاذان الشيخ خليل الخالدي والدكتور سعيد ابو جرة في الراحلين ومازالا والله الحمد في الحياة مَدَّ اللهُ يَدَيْهِمَا . وسقط اسم الاستاذ الشيخ محمد بهجت الاثري من بين اعضاء بغداد وهو مازال عضواً مؤازراً وما نسي القراءة ابادية البيض على الآداب .

مجلد العلم على العربي

الجزء العاشر تشرين الاول سنة ١٩٤١ شوال سنة ١٣٦٠

ابن حزم في (سير النبلاء)

٢

[مؤلفاته]

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان احد المجتهدين : « مارأيت في كتب الإسلام من العلم مثل المحلى لابن حزم وكتاب المغني للشيخ موفق الدين » .

قلت : لقد صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما السنن الكبير للبيهقي ورابعهم [كذا] التمهيد لابن عبد البر . فمن حصل هذه الدواوين و كان من أذكى المفتين ، وادمن المطالعة فيهم [كذا] ، فهو العالم حقاً .
ولابن حزم مصنفات جليلة اكبرها :

كتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال (خمس عشرة الف ورقة) -
وكتاب الايصال الحافظ لجل شرائع الاسلام (مجلدان) - وكتاب المحلى بالآثار في شرح المحلى بالاختصار (ثماني مجلدات) - وكتاب حجة الوداع (مئة وعشرون ورقة) - وكتاب قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي (مجلد) - وكتاب الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض

عنها (يكون عشرة آلاف ورقة لكن لم يتمه) - وكتاب الجامع في صحيح الحديث بلا أسانيد - وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية - وكتاب ما انفرد به مالك أو أبو حنيفة أو الشافعي - ومختصر الموضح لأبي الحسن المغلس^(١) الظاهري (مجلد) - وكتاب اختلاف الفقهاء الخمسة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداوود - وكتاب التصفح في الفقه (مجلد) - وكتاب التبيين في هدى^(٢) علم المصطفى أعيان المنافقين (ثلاثة كراريس) - وكتاب الإيماء في شرح الموطأ (الف ورقة) - وكتاب الإيماء في قواعد الفقه (الف ورقة أيضاً) - وكتاب الإجماع (مجلد) - وكتاب الفرائض مجلد - وكتاب الرسالة البلقا في الرد على محمد^(٣) عبد الحق بن محمد الصقلي (مجلد) - وكتاب الأحكام لأصول الأحكام (مجلدان) - وكتاب الفصل في الملل والنحل (مجلدان كبيران) - وكتاب الرد على من اعترض على (الفصل) له - وكتاب اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين (مجلد كبير) - وكتاب

(١) هو أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الداوودي الظاهري البغدادي الفقيه أحد علماء الظاهر وإليه انتهت رئاسة الداووديين في وقته. ولم ير مثله فيما بعد وكان فاضلاً عالماً نبيلاً صادقاً ثقة مقدماً عند جميع الناس. ومثله ببغداد على نهر مهدي يقصده العالم من جميع البلدان. توفي سنة ٣٢٤ وله كتاب الموضح (جوابات) الذي اختصره ابن حزم - الفهرست من ٣٠٦ (سنة ٥١٣٤هـ) وشذرات الذهب (٢) كذا في الأصل ولعلها زائدة أو محرفة عن (هل)

(٣) كذا ولم نهند إلى معرفته فيما بين أيدينا من المظان، وقد أدرنا الاسم على كل الوجوه التي تقدر أنه مصحح عنها: فنشنا عن محمد بن عبد الحق، وأبي محمد بن عبد الحق، وأبي محمد عبد الحق فلم نجد من يمكن أن يكون مقصوداً ولو بالهمال اسم الأب غير أبي محمد عبد الحق بن هرون الفقيه الصقلي أحد المشايخ الكبار، ورحل إلى المشرق وأخذ عنه كثيرون منهم سليمان بن يحيى بن عثمان بن أبي الدنيا أحد الدول بقرطبة، وخلف بن إبراهيم المقرئ المعروف بان الحصار الخطيب بالمسجد الجامع بقرطبة فقد رحل إلى صقلية وجالس فيها عبد الحق هذا - انظر (المكتبة الصقلية المطبوعة سنة ١٨٨٧ ليزنغ):

الرد على ابن زكريا الرازي (مئة ورقة) - وكتاب الترشيد في الرد على كتاب الفريد لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات (مجلد) - وكتاب الرد على من كفر المتأولين من المسلمين (مجلد) - وكتاب مختصر في علل الحديث (مجلد) - وكتاب التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامة (مجلد) - وكتاب الاستجلاب (مجلد) - وكتاب نسب البربر (مجلد) - وكتاب نطق العروس (مجلد) ٠٠٠ وغير ذلك .

وماله في جزء أو كراس :

مراقبة أحوال الإمام^(١) من ترك الصلاة عمداً - ورسالة المعارضة - "قصر الصلاة - ورسالة التأكيد - "ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس - وفضائل الأندلس - والعتاب على أبي مروان الخولاني - ورسالة في معنى الفقه والزهد - ومراتب العلماء وتواليهم - والتلخيص في أعمال العباد - والإظهار لما شنع به على الظاهرية وزجر الغاوي (جزءان) - والنبد الكافية - والنكت الموجزة في نفي الرأي والقياس والتعليل والتقليد (مجلد صغير) - والرسالة اللازمة لأولي الأمر - ومختصر الملل والنحل (مجلد) - والدرة فيما يلزم المسلم (جزءان) - ومسألة في الروح - والرد على إسماعيل اليهودي الذي ألف في تناقض آيات النصائح المنجية - والرسالة الصمادية في الوعد والوعيد - ومسألة الإيمان - ومراتب العلوم - وبيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل - وترتيب سوالات عثمان الدارمي لابن معين - وعدد

(١) لعل إسقاط الواو هنا من سهو الناسخ

مالك صاحب في مسند بقي - (١) تسمية شيوخ مالك - (١) السير والأخلاق
 (جزءان) - وبيان الفصاحة والبلاغة (٢) رسالة في ذلك لابن حفصون -
 ومسألة هل السواد لون أو لا - والحد والرسم - وتسمية الشعراء
 الوافدين على ابن أبي عامر - وشيء في العروض - ومؤلف في الظاء
 والضاد - والتعقب على الاقليلي في شرحه لدبوان المتنبى - وغزوات
 المنصور بن أبي عامر - وتأليف في الرد على أنجيل النصرارى . . .
 وأشياء سوى ذلك .

ولابن حزم رسالة في الطب النبوي ذكر فيها أسماء كتب له
 في الطب منها :

مقالة السعادة - ومقالة في شفاء الضد بال ضد - وشرح فصول
 بقراط - وكتاب بلغة الحكيم - وكتاب حد الطب - وكتاب
 اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة - وكتاب في الأدوية
 المفردة - ومقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب - ومقالة النحل .

[نبي . من ابتلائه بالناس]

وقد امتحن لتطويل لسانه في العلماء وشرده عن وطنه فنزل بقرية
 له وجرت (٣) له أمور ، وقام عليه جماعة من المالكية وجرت بينه وبين
 أبي الوليد الباجي مناظرات ومناقرات ، ونفروا منه ملوك الناحية فأقصته
 الدولة وأحرقت مجلدات من كتبه ، وتحول إلى بادية لبلة في قريته .

قال ابو الخطاب بن دحية : كان ابن حزم قد برص من أكل اللبان

(١) لل إسقاط الواو هنا من سهو الناسخ أيضاً (٢) لل هنا نقصاً (٣) في الأصل : وجردت

وأصابه زمانة وعاش ثنتين وسبعين سنة غير شهر . قلت : وكذلك كان الشافعي رحمه الله يستعمل اللبان لقوة الحفظ فولد له رمي الدم .
قال أبو العباس بن^(١) العريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين . »

[عود إلى سبب طلبه العلم]

وقال أبو بكر محمد بن^(٢) طرخان التركي : قال لي الإمام أبو محمد عبد الله ابن محمد يعني والد أبي بكر بن العربي : « أخبرني أبو محمد بن حزم : أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة فدخل المسجد فجلس ولم ير كعب ، فقال له رجل : قم فصلّ تحية المسجد - وكان قد بلغ ستاً وعشرين سنة - قال : فقامت فركعت فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالر كوع فقيل لي : اجلس ليس ذا وقت صلاة ، وكان بعد العصر . قال : فانصرفت وقد خزيت وقلت للأستاذ الذي رباني : دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون ، قال ، فقصدته وأعلمته بما جرى فدلني على موطأ مالك ، فبدأت به عليه ، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة . »

[سماع ابن العربي عليه]

قال أبو بكر : ثم قال لي ابن العربي : « صحبت ابن حزم سبعة أعوام وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو من ستة مجلدات وقرأنا عليه من كتاب الإيصال أربع مجلدات في سنة ست

(١) كلمة ابن سائفة من الأصل والتصحيح عن تذكرة الحفاظ للذهبي

(٢) في الأصل : محمد طرخان ، والتضويب عن إرشاد الأريب (٨٨:٥) طبع (أوروبا)

« وخمسين وأربعمائة ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ولي منه إجازة غير مرة »
 [علمه ولبواه بالناس]

قال أبو مروان بن حيان : « كان ابن حزم رحمه الله حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في أنواع المعاليم القديمة من المنطق والفلسفة ، وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجرأته في التسور على الفنون لاسيما المنطق ، فإنهم زعموا انه زل هنالك ، وضل في سلوك المسالك ، وخالف ارسطاطاليس واضع الفن مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض ، ومال أولاً إلى النظر على رأي الشافعي وناضل عن مذهبه حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عاد إلى قول^(١) أصحاب الظاهر فتجحه وجادل عنه وثبت عليه إلى أن مات . وكان يحمل علمه ويجادل عنه من خالفه ، على استرسال في طباعه وبذل بأسراره ، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء : « لَيَدِينَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ »^(٢) فلم يك يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج ، بل يصك به من عارضه صك الجندل ، وينشقه إنشاق الخردل ، فتتفر عنه القلوب ، وتوقع به الندوب حتى استهدف لفقهاء وقته فتمالوا^(٣) عليه وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو منه ؛ فطلق الملوك يقصونه عن قريبهم ويسيرونه عن

(١) في الأصل : حول ، والصواب ما أثبتناه مراعين السياق وما في المصادر

(٢) أثبتنا ياء النبية في الفعلين كما هي في الأصل لأنها قراءة أبي عمرو بن العلاء وابن كثير وشعبة ، وإن كانت قراءة تاليوم الآلية بناء الخطاب كما قرأها حمزة والكسائي ونافع والبقية ، انظر ص ١١٧

(على الهامش) وص ٢١٧ من شرح ابن القاصح على الشاطبية (طبع سنة ١٢٩٣ هـ)

(٣) في الأصل : فمالوا ولا معنى لها والتصحيح عن تذكرة الحفاظ

بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره : بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع ، يث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة : يحدّثهم ويفقههم ويدارسهم ؛ كمل من ^(١) مصنفاته وقرعير لم يعد أكثرها [عتبة] ^(٢) باديته زهد الفقهاء فيها حتى لأحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية ، وأكثر معايبه - زعموا - عند المنصف ^(٣) جهله بسياسة العلم التي هي أعوص [من اتقانه] ^(٤) وتخلّفه عن ذلك على قوة سبجه في غماره . وعلى ذلك فلم يكن بالسليم ^(٥) من اضطراب رأيه ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه ، إلى أن يحرك بالسؤال فينجر منه بحر علم لا تكدره الدلاء . وكان مما يزيد في شينه تشيعه لأمرأى بنى أمة ماضيهم وبقايتهم واعتقاده لصحة إمامتهم ، حتى لنسب إلى النصب ^(٦)

[عود إلى مؤلفاته]

قلت : ومن تواليفه كتاب تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل . وقد أخذ المنطق - أبعد الله من علم - عن محمد بن الحسن المدحجي وأمعن فيه فزلزله في أشياء .

[رأي الذهبي فيه]

ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح ومعرفته به وإن كنت لا أواقفه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة في

(١) في الأصل : من كل وهي تعريف وإن كان لها وجه متكف إلا أن كلمة ابن حبان هذه هي على ما أثبتته كما في المصادر وكما في تذكرة الحفاظ للمؤلف نفسه (٢) الزيادة عن تذكرة الحفاظ

(٣) في الأصل وفي تذكرة الحفاظ : المصنف والتصحيح عن إرشاد الأريب

(٤) محل هاتين الكلمتين بياض في الأصل الأم ، أكملنا النقص من إرشاد الأريب

(٥) في الأصل : بالتسليم والتصحيح عن إرشاد الأريب

الأصول والفروع . وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ؛ ولكن لا أكفره ولا أضلله وأرجوله العفو والمسامحة والمسلمين ، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه . ورأيت قد ذكر قول من يقول : أجل المصنفات الموطأ فقال :

« بل أولى الكذب بالتعظيم صحيحا البخاري ومسلم وصحيح ابن السكن ومنتقى ابن الجارود والمنتقى لقاسم بن أصبغ ومصنف أبي جعفر الطحاوي . (قلت : ما ذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى فإنه مارآهما ولا أدخلهما إلى الأندلس إلا بعد موته .) ثم قال : ومسند البزار ومسند ابن أبي شيبه ومسند احمد بن حنبل ومسند إسحق ومسند الطيالسي ومسند الحسن بن سفيان ومسند ابن سنجر^(١) ومسند عبد الله بن محمد المسندي ومسند يعقوب ابن شيبه ومسند علي بن المديني ومسند ابن أبي غرزة وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفاً .

ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره مثل مصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبه ومصنف بقي بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزي وكتاب ابن المنذر الأكبر والأصغر ، ثم مصنف حماد بن سلة وموطأ مالك بن أنس وموطأ ابن أبي ذيب وموطأ ابن وهب ومصنف وكيع ومصنف محمد بن يوسف الفريابي ومصنف سعيد بن منصور ومسائل أحمد بن حنبل ، وفقه أبي عبيد وفقه أبي ثور .»

قلت : ما أنصف ابن حزم ، بل رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين مع سنن أبي داوود والنسائي ، لكنه تأدب وقدم المسندات النبوية الصرف ؛ وإن للموطأ لموقعاً في النفوس ومهابة في القلوب لا يوازيها شيء .

(١) في الأصل : ابن شجر وهو تصحيف والتصحيح عن الرسالة المستطرفة للكتفاني

[مرويات الذهبي بالسند إلى ابن حزم]

كتب إلينا المعمر العالم أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون من مدينة تونس^(١) عام سبعمائة عن أبي القاسم أحمد بن يزيد القاضي عن شريح بن محمد الرعيبي : أنبأنا ان أبا محمد بن حزم كتب إليه قال :

أنبأنا يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود أن^(٢) قاسم بن أصبغ أخبرنا إبراهيم ابن عبد الله : أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصوم جنة » أخرجه مسلم عن أبي سعيد الأشج عن وكيع . وبه^(٣) قال ابن حزم : أخبرنا أحمد بن محمد الجسور ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي دليم^(٤) : أخبرنا محمد بن وضاح : أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة : أخبرنا يزيد بن هرون : أخبرنا حميد عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر^(٥) قال : « إنما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وأهلنا به معه ، فلما قدم قال : (من لم يكن معه هدي فليحلل) فأحل الناس إلا من كان معه هدي ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هدي ولم يحل . »

وبه قال ابن حزم : حدثني أحمد بن عمر العذري : أخبرنا عبد الله بن الحسين بن عقاب : أخبرنا عبيد الله بن محمد السقطي : أخبرنا أحمد بن جعفر ابن سلم : أخبرنا عمر بن محمد الجوهري : أخبرنا أحمد بن محمد الأثرم :

(١) في تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٢٩ أبو محمد بن هارون بن يونس ، وهو تصحيف .

(٢) في تذكرة الحفاظ : أنبأنا قاسم . . .

(٣) أي بالسند المتقدم وهو اصطلاح لعلماء الحديث . وسيربك مرتين آخرين

(٤) في الأصل : بن وليه ، والتصويب عن الصلة لابن بشكوال ج ١ ص ٢٤

(٥) في الأصل أبي عمر وهو خطأ لأن المزني - كما في تهذيب التهذيب - روى عن ابن عمر

أخبرنا أحمد بن حنبل : أخبرنا هشيم : أنبأنا حميد : أخبرنا بكر بن عبد الله : سمعت أنس بن مالك قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعاً . قال بكر : فحدثت بذلك ابن عمر فقال : « لبي بالحج وحده . » وقع لنا هذا في مسند أحمد ، فأنا وابن حزم فيه سواء .

[من شمره]

وبه قال ابن حزم فيما أحرق له المعتضد بن عباد من الكتب يقول :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
يسير معي حيث استقلت ركائبي
دعوني من إحراق رق^(١) و كاغد
والإفعودوا في المكاتب بدءاً
* كذلك النصراري يجرقون - إذاعلت

ولا بن حزم :

* أشهد الله والملائك أني
* حاش لله أن أقول سوى ما
* كيف يخفى على البصائر هذا
فقلت مجيباً له :

* لو سلمت من العموم الذي نه
* وترطبتم فكنتم بيلتسم^(١)
لم قطعاً تخصبصه وبقينا
لراينا لكم شفوفاً مبينا

(١) في الأصل : ووق ، والتصحيح عن إرشاد الأريب وغيره .

(*) الأبيات الصحوية بهذه العلامة تفرقت بها هذه الرسالة ولم أجدها في مصدر آخر مما كنت اطلمت عليه حين دراستي ابن حزم ، وهي مزية جديرة بالتبني عليها لأن بقية المصادر تمد أمهات في هذا الموضوع (٢) كذا في الأصل ، ولم نهند إلى الصواب فيه ولا وجدنا البيتين في مصدر من المصادر .

ولابن حزم :

مناي من الدنيا علوم أبثها
دعاء إلى القرآن والسنن التي
* وألزم أطراف الثغور مجاهداً
* لألقى حمي مقبلاً غير مدبر
* كفاحامع الكفار في حومة الوغى
* فيارب لا تعجل حمي بغيرها
ومن شعره رحمه الله :

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدر كنا
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة
إلى تبعات في المعاد وموقف
حين لما ولي وشغل لما أتى
حصاننا على هم وإثم وحسرة
كأن الذي كنا نسر بكونه
فجائعه تبقى ولداته تفتى
تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
نودّ لديه أننا لم نكن كنا
وهمّ بما نخشى فعيشك لا يهنا
وفات الذي كنا نلذ به عنا
إذا حقيقته النفس لفظ بلا معنى

وله على سبيل الدعابة وهو يماشي أبا عمر بن عبد البر وقد رأى شاباً مليحاً
فأعجب ابن حزم فقال أبو عمر : « لعل ما تحت الثياب ليس هناك » فقال :
وذي عدل فيمن سباني حسنه^(١) يطيل ملاحي في الهوى ويقول :
أمن حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم ، انت قتيل ؟

(١) في الأصل : المناير ولا معنى لها ولعل (تجمل) في أول البيت أصلها (تجمل) (٢) في الأصل :
فيما سباني به ، ولم زفصها لضعفها ولترجح تصحيحها لدينا فأثبتنا الرواية المجمع عليها في المصادر كافة

فقلت له أسرفت في اللوم فاتتد فعندي رد لو أشاء طويل
 ألم تر أني ظاهريّ وأنني على ما بدا حتى يقوم دليل
 وأنشد أبو الفهم بن أحمد السلي : أنشدنا ابن قدامة : أنشدنا ابن البطي :
 أنشدنا ابو عبد الله الحميدي : أنشدنا ابو محمد علي بن أحمد لنفسه :
 لا يثمتن حاسدي إن نكبة عرضت فالدهر ليس على حال بمترك
 ذو الفضل كالترطوراً تحت ميقعة وتارة في ذرى تاج على ملك
 وشعره فحل كما ترى ، وكان ينظم على البديهة^(١) ومن شعره :
 أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
 ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ماضع من ذكري النهب
 ولي نحواً كناف العراق صباية ولاغرو أن يستوحش الكلف الصب
 فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب
 هنالك يدرى أن للبعد قصة وأن كساد العلم آفته القرب
 وله :

* أنا ثم أنت عن كتب الحديث وما أتى عن المصطفى فيها من الدين
 * كسلم والبخاريّ اللذين هما شدا عرى الدين من نقل وتبيين
 * أولى بأجر وتعظيم ومحمدة من كل قول أتى من رأيي سخنون^(٢)
 * يا من هدى بهما اجعلني ككلمهما في نصر دينك محضاً غير مفتون

(١) في الأصل : البديهة ، ولم أرها في كتب اللغة . (٢) سخنون — على ما في قاموس الأعلام — هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسخنون ، قاض ، فقيه ، انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب . كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله . أصله شامي من حمص ، ومولده في القيروان وولي القضاء سنة ٥٢٣٤ هـ فاستقر إلى أن مات . كان رفيع القدر عفيفاً أي النفس مات سنة ٥٢٦ هـ وله ثمانون سنة .

[من كلامه]

قال ابن حزم في تراجم أبواب صحيح البخاري : « منها ما هو مقصور على آية إذ لا يصح في الباب غيرها ، ومنها ما يدنه بتبويبه على أن في الباب حديثاً يجب الوقوف عليه ، لكنه ليس من شرط ما ألف عليه كتابه ، ومنها ما يبوب عليه ويذكر نبذة من حديث قد سطره في موضع آخر ، ومنها أبواب تقع بلفظ حديث ليس من شرطه ويذكر في الباب ما هو في معناه »
وقال في أول الأحكام^(١) : « أما بعد فإن الله ركب في النفس الإنسانية قوى مختلفة ، فمنها عدل يزين لها الانصاف ويحبب إليها موافقة الحق ، قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ [وَالْإِحْسَانِ] » وقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ] وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبِينَ » ومنها غضب وشهوة يزينان لها الجور ويعميانه عن طريق الرشد [وقال] تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ [فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ] » وقال [تعالى] : « كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » فالفاضل يسر^(٢) لمعرفته [بمقدار ما منحه الله تعالى] والجاهل يسر^(٣) لما لا يدري حقيقة وجهه ولما^(٤) فيه وباله ، [في أخراه وهلاكه في معاده] ومنها فهم يلدح لها^(٥) الحق من قريب وبنير [لها في] ظلمات المشكلات فيرى به^(٥) الصواب ظاهراً جلياً ، ومنها جهل يطمس^(٦) عليها الطرق^(٧) ويساوي عندها [بين] السبل فتبني

(١) النقل الآتي كثير التعريف وقد أصحناه وأكملنا نقصه من مقدمة الأحكام ص ٤ - ٥ [مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥] وما بين معقوفتين هو ما نقص في نسختنا . (٢) في الأصل : يسير . . . (٣) في الأصل : وبما . . . (٤) في الأصل : له . . . (٥) في الأصل : بها (٦) في الأصل : بطش ولا معنى لها . . . (٧) في الأصل : الطريق .

النفس في^(١) حيرة تتردد وفي ريب تتلدد ويهجم بها على احد الطرق المجانبة للحق [المنكبة عن الصواب] تهوراً وإقداماً [او جبناً او إجماماً او إفاوسوء اختيار] ، قال تعالى : « هَلْ يَسْتَمَوِي الَّذِينَ يَمْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » [وقال تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] ومنها قوة التمييز التي سماها الأوائل المنطق ، فجعل لها خالقتها بهذه القوة سبيلاً إلى فهم خطابه [عز وجل] وإلى معرفة الأشياء على ما هي عليه ، وإلى إمكان التفهم [الذي به ترتقي درجة الفهم ويخلص من ظلمة الجهل] فيها تكون معرفة الحق من الباطل ، [قال تعالى : « فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ »] ومنها قوة العقل التي تعين النفس المميزّة على نصرّة العدل [وعلى إثارة ما دلت عليه صحة الفهم وعلى اعتقاد ذلك علماً وعلى إظهار باللسان وحر كات الجسم فعلاً] ؛ وبهذه القوة التي هي العقل تتأيد النفس الموفقة لطاعته على كراهية الخود عن الحق وعلى رفض ما فاد إليه الجهل والشهوة والغضب المولد للعصبية وحمية الجاهلية [فن^(٢) أتبع ما أناره له العقل الصحيح نجا وفاز ، ومن عاج عنه هلك [وربما أهلك] . قال تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » فأراد بذلك العقل . أما المضغعة المسماة قلباً^(٣) فهي لكل أحد ، [متذكر وغير متذكر ولكن لما لم ينتفع [غير العامل] بقلبه صار] كمن لا قلب له . «

وكلام ابن حزم كثير ولو أخذت في إيراد طرفه وما شذ به لطال الأمر .

(١) في الأصل : في النفس حيرة . (٢) في الأصل : فتى (٣) في الأصل : أما مضغعة القلب

[عود إلى مولده]

قال ابو القاسم بن بشكوال الحافظ في الصلة له : قال القاضي صاعد ابن أحمد : « كتب إلي ابن حزم بخطه يقول : ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي في ربيع منية المغيرة قبل طلوع الشمس آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بطالع العقرب ، وهو اليوم السابع من نوير . »

[وفاته]

قال صاعد : « ونقلت من خط ابنه أبي رافع : أن أباه توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرأ رحمه الله تعالى »

[عود إلى شعره]

ومن نظم أبي محمد بن حزم :

* لم أشك صدأً ولم أذعن بهجران
* أسماء لم أدر معناها ولا خطرت
* لكنا دائي الأذى^(١) الذي عصفت
* تفرق لم تنزل تسري طوارقه
* كأنما البين بي يأتني حيث رأى
* وكنت أحسب عندي للنوى جلدأً
* فقابلتني بألوان غدوت بها
ولا شعرت مدي دهري بسلوان
يوماً عليّ ولا جالت بيدي
عليّ أرواحه قدماً فأعياني
إلى مجامع أحبائي وخلاني
لي مذهباً فهو يتلوني ويغشاني
إذا عتأ^(٢) في فؤادي شجوها العاني
مقابلا من صباباتي بألوان

(١) في الأصل : داي الأذى التي

(٢) في الأصل : عني . وليست هذه الأبيات في مصدر آخر فقابلها به فأثبتنا ما رجحناه

[من مات في سنة وفاته]

ومن مات مع ابن حزم في السنة : الحافظ أبو الوليد الحسن بن محمد
الدربندي^(١) ، والفقير أبو القاسم سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج قاضي
الجماعة بقرطبة ، والحافظ عبد العزيز محمد بن محمد بن عاصم النخشي^(٢) ،
وشيخ العربية أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان ببغداد ، ومسند الوقت
أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن [أحمد بن^(٣)] حسنون النرسي ، والمحدث
أبو سعيد محمد بن علي بن محمد الحشاش النيسابوري ، والوزير عميد الملك
محمد بن منصور الكندري .

[عود إلى شمه]

ولابن حزم

قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت
فقلت هل عيبتهم لي غير أنني لا
وأنتي مولع بالنص لست إلى
لا أثنى لمقاييس^(٤) أقول بها
يا برد ذا^(٥) القول في قلبي وفي كبدي
دعهم يعضوا على صم الحصى كمداً
أقولهم وأقاويل الورى^(٤) محن
أقول بالرأي إذ في رأيهم فتن^(٤)
سواء أنحو ولا في نصره أهن
في الدين بل حسبي القرآن والسنن
وبأسروري به لو أنهم فطنوا
من مات من قوله عندي له كفن

« تمت الرسالة »

(١) في الأصل : ابن الوليد الحسن بن محمد الدرندري والتصويب عن تذكرة الحافظ ٣ : ٣٢٩

(٢) في الأصل اليخشي والتصويب عن شذرات الذهب (٣) الزيادة عن تذكرة الحافظ ٣ : ٣٢٩

(٣) انظر هذه القصيدة كاملة في كتابي (ابن حزم الأندلسي ورسالته في المناظرة بين الصحابة) ص

١٢٤ وفيها هناك بدل الوري : العدي ، وبدل فتن : أفن (ص ٦٧) ، وبدل لمقاييس أقول : نحو

آراء . يقال . (٥) في الأصل : ذي . والتصحيح عن المصدر السابق

معه سمع هذه الرسالة على الذهبي

نص السامعين للذين ختمت بهما هذه الرسالة

١ - قال الذهبي : سمع من لفظي هذه الترجمة المولى العلامة قاضي القضاة حسان الدين حسن بن رمضان القرمي ، وفتاه سيف الدين بهادر ، والشيخ عماد الدين ابو بكر ابن أحمد بن أبي الفتح بن السراج ، والشيخ أمين الدين محمد بن علي بن حسن الألفي^(١) المالكي : في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعائة . وكتب مؤلفها محمد بن عثمان بن الذهبي عفا الله عنه هـ «

٢ - مکتوب على هامش الأم ما لفظه :

سمع ترجمة ابن حزم رحمه الله على الشيخ شمس الدين الذهبي صاحب التاريخ : الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن عبد الله بن المحب والفقير الفاضل علاء الدين علي بن عبد المؤمن بن علي المغربي . وكل الأسماع بقراءته في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعائة بمشق ، ولها^(٢) ولنا جميع التاريخ . والله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد وآله . وكتب إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة * .

سعيد الافغاني

(١) في الأصل : أمير الدين . . . الألفي ، والتصويب عن شذرات الذهب ٦ : ٢٩٢ وذبول تذكرة الحفاظ ص ١٦٨ والمحدث المذكور . مات سنة ٧٨٦
(٢) زجج أن (ولها ولنا) مصحفة عن (وأجاز لنا) . والقصود بقوله (جميع التاريخ) : تاريخ الإسلام الكبير للذهبي ومنه أجزاء في المكتبة الأحمديّة بحباب
(*) عثرنا بعد طبع الرسالة على اسم كتابين للذهبي ما ترنا التنبيه عليها هاندياً للعصل الخاص بمؤلفاته : في المكتبة الصقلية (Alia Bibliotheca Arabo - Sicula) (ليبريغ ١٨٨٧ م) ص ٦٤٣ : أن للذهبي مختصر كتاب (إنباء الرواة على أنباء النجاة) تأليف أبي الحسن علي بن يوسف الشيباني .
وفي ص ٤ من مقدمة (كتاب المغني والشرح الكبير - مطبعة النوار سنة ١٣٤١ هـ) : أن الذهبي أفرد بالتأليف سيرة الشيخ موفق الدين صاحب (المغني) أحد الكتب الأربعة الجليلة التي لاغنى للمجتهد ولا للفتي عنها - على ما سرك من رأي الذهبي عند أول الكلام على . وولات ابن حزم . وأرجح أن هذه السيرة مما ضمنه أيضاً كتابه الجليل (سير النبلاء) .

مميزات بني أمية

٢

خصائص قواد الأمويين وعمالهم

وما كان خلفاء بني أمية فقط ممتازين بأمر تفردوا بها على من سواهم بل كان رجالهم وقوادهم وعمالهم لا يشبهون في هذا المعنى عمال بني العباس . فان عمال العباسيين كانوا يشتغلون لأنفسهم على الغالب ، وعمال الأمويين يشتغلون لدولتهم ، فقد رأينا الحجاج بن يوسف الثقفي مثلاً يعمل كل ما يجب ان يعمل لدولته ورأينا احمد بن طولون في الدور العباسي الثاني يعمل لنفسه اولاً ثم لدولته ، وكان عمله لنفسه عظيماً جداً لم يؤثر بعضه عن عامل من عمال بني أمية . وعلى ماظهر من تعصب الأمويين ، وكانوا لا يوسدون الولايات الا للعرب ، ولا يأمنون على سياستهم الا العرب ، كنت تراهم في المسائل الأخرى أعجوبة في تساهلهم . أخذ بعضهم عبيد الله بن زياد لاعتماده على الفرس في مسائل الأموال فقال مدافعاً عن نفسه : كنت اذا استعملت العربي كسر الخراج ، فان أغرمت عشيرته أو طالبته أو غرمت صدورهم ، وان تركته تركت مال الله وانا أعرف مكانه ، فوجدت الدهاقين ابصر بالجباية ، وأوفى بالأمانة ، واهون بالمطالبة منكم ، مع اني قد جعلتكم أمناً عليهم لئلا يظلموا احداً .

وما كان يخلو قائد من قواد الأمويين من مزايا غريبة تدشك في جملة ما تدش من سيرته ، فقد اشتهر الحجاج مثلاً على عظيم سياسته بأمر لا يخطر بالبال ان مثله يفكر فيها ، اشتهر باصلاح الموازين والخراج والزراعة ، ووضع الحركات والاعجام في المصاحف ، لئلا يلبس شيء من الآيات على من لا يعلم القرآن واتخذ دار الضرب لسك النقود فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من

التبر وخلصا الزيوف والسقفة والبهرجة ، ثم اذن للتجار وغيرهم في ان تضرب لهم الأوراق ، واستغلها من فضول ما كانت يؤخذ من الاجرة للصناع والطبايعن وختم ايدي الطبايعين . وهو أول من أجرى في البحر السفن المقيرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجأجى (واحدها 'جؤجؤ' وهو الصدر او عظامه شبهوا به مقدم السفينة) وكانت اول من عمل الحامل ولم يرض عن عمله هذا بعض الرجاز الأكرباء فقال :

أول عبدٍ عمل الحاملا أخراه ربي عاجلاً وأجلاً

وكان من زياد بن ابي سفيان مثل ما كان من الحجاج : بنى في البصرة دوراً واحياءً ومساجد وحفر ترعاً وانهاراً وكل ما بنى فيها او صنع فانه نسب الى غيره . قال عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زياداً جمع لهم كما تجتمع الدرّة ، وحاطم كما تحوط الأم البرة ، واصلح العراق بأهل العراق ، وترك اهل الشام في شامهم ، وجبي العراق مائة الف الف وثمانية عشر الف الف . وهذا عتبة بن أبي سفيان اخو معاوية واخطب رجل في بني أمية كان يطنى القن بيلاغته اكثر مما يطفنها بجيش دولته . وهذا موسى بن نصير فاتح الاندلس ما التوى له علم منذ خرج من مصر في جيش ضئيل حتى وصل الى الاندلس ففتحها ، واذا قرأت ترجمته بامعان تقولون معي ان الولادة ماولدت اعظم منه ولا أعقل .

ومن المتعذر في ساعة ضيقة كهذه ان نتناول الكلام على رجال القوم ونذكر بعض ما لهم من المزايا النادرة ، ونحن لذلك نكتفي بالاشارة الى واحد منهم ، وكل واحد من رجالهم يحتاج الى دراسة خاصة مشبعة ، ونعني به مسلمة بن عبد الملك . فقد كان على جانب عظيم من العقل والسياسة والعلم والادب . غزا الروم غير مرة واتخذ فيهم . وفتح الامهات من مدائنهم ، وتولى الاعمال الجميلة ومنها العراقان وارمينية ، فأبان في كل مكان عن كفاءة منقطعة النظير وعن حب للخير غريب في بابه ، واوصى بجزء من ماله عظيم لأهل الأدب قائلاً انهم اهل صناعة مجفوة . ولولا

انه ابن أمة لكان من المتحتم ان يجلس على عرش الخلافة الأموية كسائر اخوته الأجلاء الذين بيضوا وجه التاريخ الأموي والاسلامي باعمالهم الجليلة .

التمنيز بين الأمويين والعباسيين

حكّم الأمويون في الشرق الف شهر ، وحكّوا في الغرب نحو ثلاثة قرون ، وكانوا في الشرق والغرب يتحرون جداً في الأموال لا يأخذ الخليفة مالا يجل . وكان مما جرت به عادة خلفائهم اذا جاءتهم جيابيات الأمصار ان يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال وحيثاً اربعون رجلاً قساماً من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد ما فيها دينار ولا درهم الا أخذ بحقه وانه فضل أعطيات اهل البلد من المقاتلة والذرية ، بعد ان اخذ كل ذي حق حقه ، اي فضل أعطيات الاجناد وفرائض الناس . وكانوا لا ينقلون مالا من بلد الى بلد حتى تسد نُفْرُهُ وخصاصة اهله بما يغنيهم ، فما فضل منه نقلوه الى البلد الآخر الذي يليه .

اما جباية العباسيين فكان فيها الطاهر وغير الطاهر ، وانواع ضرائبهم كثيرة ، لذلك كان ينكسر الخراج ويكثر عيش العمال وعبيثهم بها . وما عهد عند الأمويين نزول خليفة عن اقليم او عن قطر لعامل من عماله ، يجيبه على هواه لحسابه الخاص ، ويعهد الى من يريد بتوليته عليه ، ويكتفي الخليفة بحفظه الله بالخطبة له والدعاء لدولته . ويوضع اسمه على السكة وكانت هذه الطريقة مبدأ تمزيق دولتهم وفض عرى كلبتهم وفي ايام بني العباس كثرت المصادر ، وكان يصادر العمال كما تصادر الرعية ، ويصادر كل من عرفت له ثروة بلا رحمة ، ومنهم من كانوا يعذبون انواع التعذيب ليسلبوهم نعمتهم ، ومنهم من هلكوا في العذاب ، ومثل هذا الجور قلما عهد في دولة بني أمية ، ذلك لأن عمالمهم طبقة مختارة يكونون من اصحاب الشرف وارباب البيوتات من العرب . وقل أن عهدت السرقة في شريف . وما ذكر التاريخ ان قائداً أمويّاً او وزيراً أمويّاً صودر على مال ، كما كانت يصادر قواد العباسيين وولائهم

وزراؤهم ؛ ولا سيما في الدور العباسي الثاني ، والسبب في ذلك انتظام طرق الجباية وقلة انواعها عند الأمويين . وكان هشام بن عبد الملك في تنظيم ميزانية الدولة المثل الأعلى وموازنته خير موازنة عرفت . ثم الى هذا كانت الأخلاق على العموم في العصر الأموي أرقى مما آلت اليه في العصر العباسي ، كان في أعمال الأمويين الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ، وكلهم غاية في فهم روح الدين ، والبعد عن الصغائر والفساسف . ودخل في عمال العباسيين أخلاط الزمر ، ومنهم من لا يعرف ابوه ولا أمه ، ووصلته المصادفات الى المراتب العالية ، ومنهم من اظهر الاسلام واطن خلافه ، كبعض الأتراك والفرس ظلوا في باطنهم على عبادة الكواكب او عبادة النيران .

سُرُّ تَفَوْقِ الْأُمُويِّينَ

الذكاء يورث وينتقل بالدم ، والعلم لا يورث لأنه خاص بدارسه ، وابن الذكي على الأغلب ذكي ، وابن البليد بليد على الأكثر . كذلك كان الناس في كل زمان يعملون للرجل المنسوب الى جد كان له شأن عظيم في الحياة مالا يجعلون مثله لرجل عادي كان لأحد اسلافه شيء من المكانة ، والدم الطاهر ينم عن صاحبه ولا يكذب رائده . وكان البشر منذ القديم يقول بالوراثة عرفها من طريق عملي لا من طريق علمي ، وكان للعرب في باب تحخير البنات الأصيلات غرام شديد منذ ابعد ازمنة تاريخهم وما زالوا على ذلك الى اليوم ، حتى كادت الأمة العربية تعد في هذا المعنى ارسنقراطية مع ان اعمالها كلها تدل على تأصل الديمقراطية في دمها . ولذلك رأينا بعض أولي التراجيح يحرصون على وضع نسب المترجم له من جهة أهل ابيه وأمه ، وبهذا ساغ لنا ان نستنتج بأن بني أمية لم يظهر ما ظهر منهم من الصفات الغر في الجاهلية والاسلام إلا بدم نقي انتقل من الأجداد الى الأحفاد ، وتسلسل العقل والذكاء في رجالهم ونسائهم ، وانقلت الشجاعة والنجدة في بنهم وبناتهم . وفي الحديث : الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا

الاسباب الداعية الى التنويه بالأُمويين

لا أريد أن اودعكم الآن قبل ان أفتحكم بأمر طالما لفظ به بعضهم وما اجتمع عليه ، ذلك ان بعض المخرفين عن بني أمية يتهمني بالتشيع لهم ، وأني أنوه في كل فرصة بحسناتهم ، واغض الطرف عما يتخيله المتخيلون سيئات ، واني أنحي على من ظلمهم وما رحومهم ؛ وما حيي الأُمويين ، علم الله ، الاحب من انهم النظر فيما قيل فيهم ولهم ، ووازت بين اعمالهم واعمال غيرهم ، وايقن بعد الدرس الطويل والتفكير العميق أنهم مغبونون في الحكم عليهم . سوّد خصومهم من العباسيين والعلويين صحيفتهم في الدهر الغابر لأجل السياسة حتى صار بغضهم الى اليوم مذهباً يدين به من يدين . وبلغني عن العراق في نهضته الحديثة انهم قلما يقرؤون في المدارس تاريخ بني أمية بغض بعض الطوائف لهم ، وهذا من اغرب ما يسجل في تجاهل المعروف ، وعدم الاقرار بالأمر الواقع .

ان حكمي على الأُمويين حكم التاريخ فقط ، ارغب في ان أنصف دولة احسنت ولم يبق في الأرض انسان ينسب اليها حتى اتقرب من قلبه بما أدون ، ولو كانت المسألة مسألة حظ نفس كان الأولى بي ان أصانع مبعضهم وهم ملايين اليوم . منتشرون في اقطار العالم ولهم حَوْل وطول . فالمسألة اذاً ليست مسألة حب وبغض بل مسألة حق وباطل وأقبح . بالتاريخ يكتب بعوامل مذهبية وشهوات نفسية واهواء شخصية .

رثاء شوقي للأُمويين

ورحم الله صديقي شوقي يذكر الأُمويين في قصيدته الخالدة في دمشق بقوله :

بنو أمية للأبناء ما فتحوا	وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم	فهل سألت سرير الغرب ما كانوا
عالمين كالشمس في اطراف دولتها	في كل ناحية ملك وسلطان
يا وحب قلبي مها اتاب ارسمهم	سرى به لهم او عادته اشجان
بالأس قمت على (الزهراء) اندبهم	واليوم دمعي على (الفيحاء) هنان

في الأرض منهم سماوات وألوية ونيرات وأنواء وعقبان
 معادن العز قد مال الرغام بهم لوهان في تربه الابريز ماهانوا
 لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت بيني العباس بغداد
 مررت بالمسجد الحزون أسأله هل في المصلى او المحراب مروان
 تغير المسجد الحزون واختلفت على المنابر احرار وعبدان
 فلا الأذان أذان في منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان



الجمع بين الآيات التي يقتضي ظاهرها التناقض وتفسير المشكلات

وقفت على مجموع خطي تضم دفتاه كتابين : الكتاب الأول نزهة القلوب لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٢٠
الكتاب الثاني وهو المسمى بـ

(الجمع بين الآيات التي يقتضي ظاهرها التناقض وتفسير المشكلات)
أما الكتاب الأول فلا أعرض للتعريف به لشهرته ولنشره بالطبع ، وأما الثاني وهو ما أحسب أنه غير مطبوع وغير متداول ولم أجد له ذكراً في كشف الظنون ولم يذكر في النسخة التي وقفت عليها اسم مؤلفها ولعل ما أجعل من ذلك مما قد علمه غيري (وفوق كل ذي علم علم) وها أنا ذا أعرض على قراء مجلة الجمع المفيدة الأعلام وصف نسخته المخطوطة والتعريف بالكتاب .

وصف نسخته الخطية

هي ٤٥ صفحة بقطع الربع ورقها عبادي صقيل وخطها من نوع النسخ طول الصفحة ٢٢ س بعرض ١٢ سطور الصفحة ١٩ وكلمات كل سطر من ١١ الى ١٣ تاريخ كتابتها صحنى أربعماء اليوم الثالث من ربيع الآخر سنة ٩٨٥ هـ والناسخ هو مقلد بن قسم الله

التعريف بالكتاب

موضوعه — يفهم من اسمه
مفتحه — أما بعد حمد الله كما هو أهله ، والصلاة على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه فهذا كتاب أودعته عشرة أنواع من تفسير مشكلات القرآن ومثابه يضطر إليها العلماء ، ويحتاج إليها أرباب الكراسي والعظام ، واختصرته بحسب الطاقة ،

ولخصته وأدجت فيه ما ذكر مقاتل بن سليمان وتكلمت بما دلني عليه البرهان ، وانضح لي بالأدلة العقلية وبان .

ترتيبه — مرتب على مقدمة وفصول عشرة ، أما المقدمة فهي تلخص بذكر حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة وحديث عن علي رضي الله عنه : لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يعرف للقرآن وجوهاً كثيرة

وأما الفصول فالفصل الأول في تفسير كلمات مشتركة تفسر على معنيين أو أكثر وأورد من ذلك ما استغرق خمس صفحات ، والفصل الثاني في تفسير ما ينفق من القرآن وهذا نموذج منه : اعلم ان كل موضع في القرآن وجلت قلوبهم . أو قلوبهم وجلت فمعناه الخوف . وكل ما فيه مردفين . وتترى . ومدارار . وأبائيل فمعناه التابع وأورد كل ما جاء من هذا الباب في سبع صفحات

والفصل الثالث في تفسير اشتباه التقديم في الكلام . ونموذج هذا الفصل : قوله تعالى : خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء . وقال في آية أخرى : في ستة أيام ثم استوى على العرش . هاتان الآيتان توقعان في نفس من لا يفهم — التناقض — وليس كذلك فان تفسيرهما مشتبه في وجوه تقديم الكلام . اما تفسير قوله تعالى : خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش استواء ربانياً لا جسمانياً بل منزهاً عن الاستقرار والجلوس مقدساً عما يخطر بأوهام النفوس استوى على العرش قبل خلق السموات وذلك قوله تعالى : وكان عرشه على الماء يعني قبل خلق الأرض (بيانه) ان يفصل بين قوله (ثم) وبين قوله (استوى) وتقديره استوى على العرش ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام بدليل الآية الأخرى وقد استغرق هذا الفصل خمس صفحات

والفصل الرابع في تفسير وجوه اختلاف المكي والمدني وهو في صفحة ونصف صفحة والفصل الخامس في تفسير وجوه اشتباه الحالات قوله تعالى : ربنا أمتنا اثنتين

واحييتنا اثنتين وقال في آية أخرى : لا يدوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وهذا يشعر بالتناقض عند من لا يعرف التفسير ولا تناقض فيه من قبل اشتباه تفسيرهما في وجوه الحالات . اما قوله سبحانه : ربنا أمتنا اثنتين الآية معناه كنا نطفاً ميتة لا روح فيها ولا حس لها فخلقنا من تلك النطفة وجعل فيها أرواحاً فهذه موتة وهذه حياة . وشاهد ذلك قوله تعالى للكفار : وكنتم أمواتاً فأحياكم معناه بقول : كيف تكفرون بمن خلقكم وجعل فيكم الأرواح بعد ان كنتم نطفاً ميتة لا حياة فيكم ، ولا ارواح لكم . ثم قال : (ثم يميتكم) يعني عند انتهاء آجالكم في الدنيا ثم يحييكم يوم القيامة للبعث الى الحساب فهاتان موتتان وحياتان . واما قوله سبحانه : لا يدوقون فيها الموت الا الموتة الأولى . يعني الموت الذي أماتهم في الدنيا بعد ما خلقهم من النطفة فليس بعد ان خلقهم من النطفة موت غير هذه الموتة الواحدة وهذا الفصل يدخل في صفحتين ونصف صفحة

والفصل السادس في تفسير اشتباه صلات الكلام في القرآن وهو في ثلاث صفحات

والفصل السابع في تفسير وجوه خواص المواطن وهو في نحو سبع صفحات

والفصل الثامن في تفسير اختلاف وجوه المواضع وهو في بعض صفحة

والفصل التاسع في تفسير اختلاف وجوه الحروف وهذا نموذج منه . قوله سبحانه

وتعالى : ومن يهدي الله فما له من مضل . وقال في آية أخرى : وأما ثمود فهديناهم

فاستحبوا العا على الهدى . اما الأولى فيعني من يهدي الله الى الايمان من الضلالة

فينور قلبه بالتصديق وشرحه بالمعرفة ، فلا يستطيع أحد ان يضله ويرده الى الكفر

كما قال تعالى : فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فهذا هدى الايمان

بالقلب . وأما قوله تعالى : وأما ثمود فهديناهم فهو هدى البيان لا هدى الايمان .

يعني أما ثمود فهديناهم ، أي بينا لهم سبيل الكفر والايمان على لسان نبيهم صالح

صلى الله عليه فاستحبوا العا على الهدى . أي آثروا الضلال الذي كانوا عليه على

الايمان الذي بينه لهم ودعاهم اليه وتفسيرها بين يتضح بقوله سبحانه : وما أرسلنا من

رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء . وكذا قوله

سبحانه وتعالى : انا هديناه السبيل اي بينا للانسان سبيل الخير وسبيل الشر . وهذا الفصل يستغرق سبع صفحات ونصف صفحة

وأما الفصل العاشر وبه تمة الكتاب ففي النسخة بياض نحو نصف صفحة وهو يحتوي على ما في القرآن المجيد من لغات القبائل العربية لغة عُثمان . ولغة حمير . ولغة طيء . ولغة أزد . ولغة نهد . ولغة هذيل . ولغة بني نصر بن معاوية . ولغة قيس . ولغة نقيف . وما ينفق ولغات الأعاجم لغة النبط . اللغة السريانية . واللغة العبرانية ولغة السوادات ؟ ولغة الزنج . ولغة الروم . وختم هذا الفصل بقوله : وانما أنزل الله كتابه العزيز على نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر هذه اللغات ليعلموا ان ذلك ليس من الرسول لأنه صلى الله عليه وسلم لم يسافر الى بلاد أرباب هذه اللغات فتعلمها منهم فلما ذكرها عرف أن الله سبحانه هو الذي عرفه اياها وأنزلها اليه على قلبه كما قال سبحانه : نزل به الروح الأمين على قلبك الآية وقال سبحانه : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك

ومن هذا النموذج الذي استخلصناه تعرف قيمة الكتاب الذي لا أظن انها كتبت عليه آية الحجاب وارجو ان لا يكون ومؤلفه مجهولين عند من يعني بموضوعه القيم من اعلام الأمة

النبطية — جبل عامل :

سليمان ظاهر

أولية تدوين المعاجم

وتاريخ كتاب العين المروي

عن الخليل بن أحمد

- ٢ -

٢ - كيف أسس بناء كتاب العين

إن استقصاء أثر الخليل في الكتاب يدعونا إلى دراسة مراحل تأليفه وكيفية وضعه ، وإذا فعلنا فإننا نرى أول عصر العباسيين حافلاً بتأليف الكتب الجامعة للعلوم : من الحديث يجمعه ابن جريج ، إلى القراءات بدونها أبو عمرو بن العلاء ، إلى الفقه بقيد مادته وأحكامه مالك والشافعي وأبو يوسف ومحمد ، إلى التاريخ ببسطه الواقدي وتلاميذه ، إلى الشعر يجمعه السكري وغيره ، إلى النحو بفصل قواعده الخليل بن أحمد . كل ذلك دون أن نرى لغويًا يحفل بجمع ألفاظ اللغة العربية جمعاء ، وإذا كان اللغويون شرعوا يؤلفون في نوادر اللغة في أبوابها المختلفة وفي معاني اللغة في باب منها خاص^(١) ، وإذا كان أبو عمرو بن العلاء ما زال ينلقت عن الأعراب لغاتهم^(٢) والخليل بن أحمد سماعته عنهم^(٣) في أسفاط عديدة من الصحف ومن الكتب ، فأين كل هذا من حصر ألفاظ اللغة . زد إلى ذلك أن جمع اللغة على هذه الطريقة لا يستفد مادتها أبدأ ، فهناك ألفاظ كثيرة لا تخطر ببال ، واللغة واسعة لا مقيد لها في الفكر والذاكرة وشعر الخليل بما حباه الله به من نظر وذكاء ومعرفة بالحاجة إلى تدوين اللغة أولاً وبوجوب البحث عن نهج واف بالحاجة ثانياً ، فأعمل فكره في ذلك وكد

(١) انظر الفصل المتع الذي كتبه الاستاذ أحمد أمين بك في ضحى الاسلام ٢ : ٢٦٤ - ٢٦٥

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٢٨٦ ، سرآة الجنان للياقني ، حيدروآباد ١٣٣٧ ، ١ : ١٤٠

(٣) جمع منها عشرين رطلاً كما يقول سيويه في تهذيب التهذيب ٣ : ١٦٤

قريحته وناهيك بقريحته ، فقد كان فريداً في ذلك ، لم يبلغ شأوه أحد فيما روى المؤرخون . وكان أسلوبه في الإبداع أن يرجع إلى اصول الأشياء الأولية وقوانينها العامة يستنتج منها تفاصيلها ، وكان يرى أن لكل علم ضابطاً ، إن شئت فقل حسابياً او لافقلاً أصولياً .

وبعد فهل يصعب على من كان هذا شأنه أن يرى أن ضابط اللغة والألفاظ هي الحروف تولفها بامتزاجها بعضها مع بعض ، او هل يعسر على من حصر بحور العرب وعروضها بضروب من المفاعيل عجيبة أن يجد — وهو يضع أبنية الأفعال والأسماء او مصادرها ويقسمها إلى ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية^(١) — أن الألفاظ الثنائية المكونة من حرفين سهلة الحصر ، فما اسهل من أخذ كل حرف من حروف العربية وجمعه مع غيره من الحروف بنقديه تارة وتأخيرته أخرى ، فالباء مثلاً تؤلف مع التاء بت تب ومع الثاء بث و ثب ومع غير ذلك من الحروف شبيها بهذا البناء ، فحصر تراكيبها سهل إذن ، وقل ذلك عن تراكيب غيرها من الحروف حتى تبلغ ٢٨ حرفاً ، وإذا بالخليل يجد التراكيب الثنائية ثم يرى بنظره الثاقب ان الحصول على تراكيب الثلاثي يكون بأخذ مختلف ضروب تركيب حرف مع حرفين آخرين ثم مع أحدهما وحرف آخر وثالث الى آخر الحروف مع إعادة ذلك لكل حرف من الحروف دون الالتفات الى تركيبه مع الحرف ، الذي اخذت تراكيبه آنفاً . وتراكيب الرباعي ثم الخماسي أكثر عدداً ، إلا أن أسلوب الحصر السابق يشملها .

يجد الخليل طريقه واضحاً فيسر به إلى تلميذه الليث بن المظفر . ويحدثنا بذلك ابن المظفر فيقول : « كنت اسير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً :

لو أن إنساناً قصد وألف ألف وباء وتاء وتاء على ما أمثله لاستوعب في ذلك

(١) وقال الخليل بن أحمد : كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فأما الثنائي فما كان على حرفين نحو : قد ، بل ، هل ، ومثلهما من الأدوات ، قال والثلاثي نحو قولك : ضرب ، خرج ، مبني على ثلاثة أخرى والرباعي نحو قولك : درج ، هملج ، قرطس ، مبني على أربعة أحرف . . . قال والخماسي نحو : سفرجل ، وشمرول وكنهبل وقبمثر وما اشبهها قال الليث قال الخليل : ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف فيها وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل او اسم فاعلم انها رائدة على البناء نحو : قرعلانه إننا هو قرعل . . . »

جميع كلام العرب ، وتبياً له اصل لا يخرج عنه شي منه بته . قال فقلت له وكيف يكون ذلك ، قال : يؤلفه على التثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، وانه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه . قال الليث فجعلت أستفهمه ويصف لي ، ولا أقف على ما يصف ، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياماً ، ثم اعتل وحججت ؛ فما زلت مشفقاً عليه ، وخشيت ان يموت في عتته فيبطل ما كان يشرحه لي «^(١) ولكن الخليل استمر بالتفكير باختراعه العظيم^(٢) ، واعمل فكره فيه ، فلم يمكنه ان يتبدى من اول اب ت ث لأن الالف حرف معتل لا يبقى في الكلمة على شكله بل يتغير ويغيرها ، وما أفسد الابتداء بما يصعب ضبطه ولا تستوي طريقه « فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثاني أولاً — وهو الباء — الإلحجة^(٣) ؛ لأن رفع الألف أخل بترتيب الألفباء ، فلم يعد من حاجة لأخذ الباء . ثم لما اغفل ترتيب الألفباء جعل يتدبر اسلوباً لترتيب الحروف تتم منه الفائدة في العمل الذي أنشأه ، فانتقل به الفكر إلى مخارج الحروف مما كان اوعاه في دروسه في النحو ، فوجد انه إن رتب الحروف حسب مخارجها في الفم قربت الحروف المتشابهة من حيث طريقة نطقها بعضها من بعض ، فأصبحت الحاء قرب الهاء قرب الخاء قرب الغين .

ولا بد أنه وجد لذلك فوائد جلية ، تتخيل منها — مستأنسين بنصوص وردت عفواً في كتاب العين — ان الحروف المتشابهة بالمخارج لا يمتزج بعضها مع بعض في تكوين الألفاظ إلا نادراً^(٤) ، وهي إن ضرب بعضها ببعض أخرجت تراكييب مهمة لم يستعملها العرب ، وما أحسن ان يجتمع المهمل بعضه قرب بعض في الكتاب فلا يتفرق ، وما أحسن ان يقال في كتاب العين : « العين والحاء لا يأتلغان في كلمة واحدة اصلية الحروف لقرب مخارجيهما^(٥) » ثم مهمل

(١) القهرست ٢٣ وارشاد الأريب ٦ : ٢٢٧ (٢) التهذيب للازهري ٣٩ ، لسان العرب ٩ : ٣٢٩ ، تاج الروس ٥ : ٢٦٨ (٣) المصادر السابقة (٤) ذكر ابن منظور في لسان العرب ١ : ٨ سر تقارب الحروف وما يكثر استعماله من الحروف وما يقل وهو بحث استنصاء واحسن فيه فانظره وفي سر صناعته الاعراب لابن جنى نسخة الظاهرية عام ١٥٠ آخر الكتاب « فضل في مذاهب العرب من مزج الحروف بعضها ببعض وما يجوز من ذلك وما يمتنع وما يحسن منه وما يقيح » (٥) في التهذيب الأزهري ص ٥٠

بعدهما مباشرة العين مع الهاء ثم العين مع الفاء^(١) . وليس ذلك فحسب بل ان الراء واللام والنون والفاء والباء والميم وهي التي سميت ذُلُقًا وشفوية « لما ذلقت وبذل بين اللسان وسهلت في النطق كثرت في أبنية الكلام ، فليس شيء من بناء الخمامي التام يعرى منها او من بعضها ، فإن ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذلق او الشفوية فاعلم انه مولد وليس من صحيح كلام العرب^(٢) » « أما الرباعي المنبسط فان الجمهور الأكث منه لا يعرى من بعض الحروف الذلق » « ومهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من حروف الذلق والشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفي الطلاقة او كليهما ومن السين والذال او احديهما^(٣) » ويبدو من ذلك واضحاً ان ضروب الحروف بعضها ببعض في الرباعي والخمامي مهمل إلا ما دخل فيه الحروف الذلق والشفوية وبذلك فهمل الرباعي والخماسي يأتي متقارباً في الكتاب بعد ترتيب الحروف على مخارجها . ولهذا الترتيب فائدة أخرى جليمة ، وهي أن الحروف المتشابهة قد تحل الواحدة منها مكان الأخرى في كلمة واحدة دون ان يتغير معناها ، وذلك ما يسمى بالإبدال . وهكذا يفهمنا الخليل أن كل صاد تسبق القاف إن شئت جعلتها سيناً لا تبالي متصلة كانت بالقاف او منفصلة بعد ان تكون كلمة واحدة^(٤) .

وجد الخليل هذه الفوائد التي تجعل ترتيب الكتاب علمياً منطقياً سهلاً قريباً من الحفظ لاتمدخل فيه الأشياء وتمتزج دون صلة أو تشابه ، فرغب في ترتيب الحروف على المخارج ، فأقبل على الحروف ، ووضع مخارجها ، وألفها تأليفاً يتفق مع غاية الكتاب ومنهجه وما يتوخاه منه « فنظر إلى الحروف كلها ، فوجد مخرج الكلام كله من الخلق ، فصير اولها بالابتداء به ادخلها في الخلق . وكان ذوقه اياها أنه كان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بالألف ثم أظهر الحرف اب ات اج الخ . . . فوجد العين أقصاها في الخلق

(١) في التهذيب للازهري ص ٥٠ (٢) عن الخليل في التهذيب ص ٢١
 (٣) التهذيب ص ٢٢ وعن غير ابن المظفر قال الخليل : « وأما المصمتة فإنها تسعة عشر حرفاً صحيحاً ٥٠٠ وإذ اعريت من حروف الذلاقة قلت في البناء فقلت واجداً في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة ولا كلاماً رباعياً كذلك غير المصمتة » التهذيب ص ٢٧
 (٤) من كتاب الدين ص ١٠٥ عن دروس الاستاذ مارسية ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٦

وأدخلها فجعل أول الكتاب العين ، ثم ما قرب مخرجه منها بعد العين الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخر الحروف^(١) . . . وهذا تأليفه : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي^(٢) «

ويجعل بعض اللغويين من هذا الترتيب المخالف لترتيب البصريين سبيلاً للطعن في الكتاب وفي نسبه إلى الخليل شيخ البصريين : فيقول المفضل بن سلمة الكوفي (توفي نحو ٢٥٠) : « ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحرف العين لأنها أقصى الحروف مخرجاً ، والذي ذكره سببوه ان المهمزة أقصى الحروف مخرجاً^(٣) » ؛ ونسي ابو طالب المفضل أن الخليل اسقط المهمزة لأنها حرف يعتبره التنوير . ثم يعترض الزبيدي على تقديم العين على الهاء ويرى ان ذلك ينقض نسبة الكتاب الى الخليل ، ولكن الليث ليس الوحيد الذي نقل هذا الترتيب عن الخليل لنشك في نسبه اياه للخليل بل نقله غيره عنه بخلافيره^(٤) زد إلى ذلك ان محمد بن احمد بن إبراهيم النحوي البصري (٢٩٩ -) يروي عن الخليل نصاً يعتذر فيه عن عدم الاجتداء بالهاء حيث يقول : « انه لم يبدأ بالهاء لأنها مهموسة خفيفة لا صوت لها . . . وليس العلم بتقديم شيء على شيء لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته . . . وأولها

(١) في التهذيب ٣٩ - ٤٠ ولسان العرب ٩ : ٣٤٩ تاج الروس ٥ : ٢٦٨

(٢) تهذيب ٤٠ وذكر الازهري في محل آخر ص ٤٤ - ٤٥ ولسان العرب ١ : ٧ احياز ومدارج الحروف قال الخليل بن احمد « أقصى الحروف كلها العين وارفع منها الهاء . ولولا بحة في الهاء لاشبهت العين لقرب مخرج الهاء من مخرج العين ثم الهاء . ولولا همة في الهاء وقال همة في الهاء لاشبهت الهاء لقرب مخرج الهاء من الهاء فهذه الثلاثة في حيز واحد ، ثم الهاء والسين في حيز واحد ثم القاف والكاف في حيز واحد ثم الجيم والشين والصاد الثلاثة في حيز واحد ثم الصاد والسين والزاي الثلاثة في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم الثلاثة في حيز واحد ثم الواو والياء والألف ثلاثة في الهواو ولم يكن لها حيز تنسب إلى غيره » وقد وضع ابو الفرج بن عبد الله بن دلان المعافري الجزيري ترتيب حروف الخليل في أبيات منظومة فانظرها في الزهر ١ : ٤٥ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ والبلغة ١٦٠ وانظر عن ترتيب الحروف واحيازها بالتفصيل في التهذيب ٤١ و ٤٥ و ٤٧

(٣) في الزهر ١ : ٤٥ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ وينظر المفضل فائلاً « ولو قال بدأت بالعين لأنها أكثر الكلام واشد اختلاطاً بالحروف لكان اولي » . وكلامه هذا صحيح الا انه ورد عن الخليل ما يشابهه برواية ابن كيسان في الزهر ١ : ٤٦ (٤) كما ذكر ذلك الازهري في التهذيب ص ٤٧

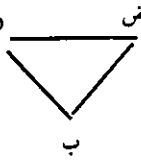
بالتقديم أكثرها نصراً^(١) « . ويرى الزبيدي ان ترتيب الخليل يختلف عن مذهب البصريين حتى « بتقديم غير ذلك من الحروف وتأخيرها^(٢) » . والحق أن هنالك اختلافاً ما في التقديم والتأخير بين ترتيب الخليل وترتيب سيبويه في كتابه الذي أخذ معظمه عن الخليل^(٣) ولكنني أرى لهذا الاختلاف دواعي عملية اقتضاها تأليف الكتاب والسهولة المتوخاة منه ، فقد وردت الضاد في ترتيب سيبويه مع الحروف الذوقية ، ولم يدخلها الخليل فيها لأنها قليلة الاستعمال ، وقد قلنا إن الخليل قصد بالذوقية ما يدخل من الحروف المستعملة في الكلمة ليحسنها . وهكذا جعل الضاد مع الصاد ، وفي نطق الحرفين تقارب ؛ وقد وافقه على ذلك الفيلسوف ابن سينا في كتابه « أسباب حدوث الحروف » فجعل الضاد قبل الصاد^(٤) واختلاف آخر بين سيبويه والخليل في الياء ، فقد أوردها سيبويه مع الجيم والشين ، وعدها الخليل في آخر الحروف مع المعتلات لغاية عملية خاصة وهي أفراد المعتلات . وهذا هو كل الاختلاف الذي يجدر الانتباه إليه خاصة وتعليله ، أما ان يذكر سيبويه الزاي قبل السين ثم الصاد ، ويذكر الخليل الصاد قبل السين قبل الزاي فليس بالاختلاف الكبير ، فهي أحرف متقاربة متشابهة ، لا فارق كبير يميزها ، على أن ابن سينا وافق الخليل وخالف سيبويه في ذلك . وقل مثل ذلك في عد سيبويه (ل ن ر) والخليل (ر ن ل) ، ويظهر لي أن هذين الاختلافين الذين لا كبير شأن لهما^(٥) حدثا بعد أن تغير مكان الضاد في ترتيب الخليل . وكذلك فإن كان اختلاف بين سيبويه والخليل فليس ذلك « خطأً واضطراباً » في كتاب العين كما يقول ابن جنى^(٦) ، وإنما هو نتيجة عملية من توخي السهولة والاحكام في التأليف .

(١) في المزهري ١ : ٢٦ (٢) المزهري ١ : ٢٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩٠

(٣) الكتاب ٢ : ٢٠٥ ويقول الاستاذ مارسيه إن ترتيب سيبويه في كتابه لم يأخذه عن الخليل ولم يذكر انه رواه عن الخليل وان ترتيب كتاب العين هو عمل الخليل (٤) طبعة القاهرة ، سنة ١٣٣٢ ص ٩ (٥) فان ابن جنى الذي يأخذ على كتاب الدين ترتيبه ويقر ترتيب سيبويه لم ينبج من مخالفته بتقديم أو تأخير كهذا (س صناعة الاعراب نسخة الظاهرية عام ١٥٠٠ ، و ٢١٩ : ٢١٩)

(٦) النص السابق .

بعد أن وضع الخليل ترتيب الحروف على محارجها بأسلوبه الذي ذكرناه انتقل منه إلى غايته الأصلية من كتابه ألا وهي حصر أبنية اللغة العربية وتمييز المستعمل من المهمل مما يتركب من ضرب الحروف بعضها ببعض^(١)، ولنتخيل كيف فعل مستأسرين بنص من مقدمة كتاب العين^(٢): عمد إلى حصر أبنية الثنائي أولاً مبتدئاً بالعين يؤلفه مع الحرف الذي يتبعه وهو الخاء قائلاً: ان الحرفين لا يأتلفان فتر كيبيهما مهمل؛ وكذلك العين مع الهاء والعين مع الخاء ثم مع الفاء^(٣). ثم يأخذ العين مع القاف، فيستخرج من ذلك (عق، قع) بتقديم العين تارة وتأخيرها أخرى. ثم يأخذ العين مع الكاف بتقدمها أولاً ثم بتأخيرها ثانياً، وهكذا حتى ينتهي إلى آخر الحروف ويعود إلى الحرف التالي وهو الخاء فيركبها مع ما يليها ويغفل ما يسبقها لأنه فعل ذلك آنفاً. ويفعل ذلك بكل حرف حتى ينتهي إلى الألف — وهو الحرف الذي يسبق آخر حرف — فيضربه بآخر حرف فقط ضربين، ومن ثم ينتقل إلى الأبنية الثلاثية فيضرب الحرفين الأولين (ع، ح) بالحرف الثالث ثم بالرابع والخامس إلى آخر الحروف، ثم يعمد إلى العين مع الخاء ويضربها بما يلي الخاء وهلمجراً. ولفهم طريقته إلى تأليف حرف مع حرفين^(٤) خذ مثلاً، ووقع على كل رأس من رؤوسه حرفاً، ولنفرض أن الحروف الثلاثة هي: (ض، ر، ب) اجمع الحرف الأول مع الثاني مع الثالث تحصل على (ضرب) ثم اجمعه مع الثالث والثاني تحصل على (ضرب) ثم اجمع الثاني مع الثالث والأول ض



تحصل على (ربض) ثم اجمع الثاني مع الأول والثالث تحصل على (رضب) ثم خذ الثالث واضربه بالثاني والأول تحصل على (برض) ثم بالأول فالثاني تحصل على (بضر): فتلك ستة أوجه. ولا شك أن هذه الطريقة

(١) ذكر احمد امين طريقة ذلك في ضحى الاسلام ٢: ٢٦٨ - ٢٦٩ ولخص تلك الطريقة ابن

خلدون في المقدمة في باب اللغة وتتل عنه محمد حسن صديق خان في مجد العلوم ٦١٢ - ٦١٥

(٢) في التهذيب ص ٢٥ (٣) في التهذيب للازهري ص ٥٠ وما يتبعها

(٤) تجد طريقة الشرح هذه في الجهرة لابن دريد ٣: ٥١٢ وقها عنه الزهر ١: ٣٦ اما الحروف

التي فرضناها فهي نفسها التي اخذها الخليل مثالا (تهذيب ٢٥)

تقتضي كما في الثنائي ان لا يضرب حرف من الحروف حين الوصول إليه بما يسبقه من الحروف . حتى إذا انتهى من الثلاثي أخذ الرباعي وابتدأ بالحروف الثلاثة الأول ، يضربها بالتتابع مع كل حرف من الحروف التي تليها . ولفهم طريقة تأليف ضروب الحروف الأربعة ارمم مربعاً ، ووقع على كل رأس من رؤوسه حرفاً فإذا ع ب كانت الحروف الأربعة (ع ب ق ر) اضرب العين بالأوجه الستة التي تتكون من (ب ق ر) تحصل على عبقر ، عبرق ، عقرب ، عقر ب ، ر ق عريق ، عرقب ، ثم اضرب الباء بالأوجه الستة التي تتكون من (ع ر ق) تحصل على بعقر ، بعرق ، بقرع ، بقعر ، برعق ، برقع . وافعل كذلك بالقاف ثم بالراء . يكون مجموع ما تحصل عليه أربعة وعشرين وجهاً ، أكثرها مهمل . قال الخليل^(١) « والكلمة الخماسية تنصرف على مائة وعشرين وجهاً : وذلك أن حروفها ضربت وهي خمسة احرف في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون وجهاً » وحصر الخماسي كالثلاثي والرباعي ، الا انه يؤخذ فيه أربعة احرف تضرب بما يتبعها من حروف العربية . ولما انتهى الخليل من هذا الحساب والضرب كتب عنه الليث في أول كتابه :

« هذا ما ألفه الخليل بن أحمد من حروف ا ب ت ث التي عليها مدار كلام العرب وألفاظها ، ولا يخرج شيء منها عنه أراد أن يعرف بذلك جميع ما تكلمت به العرب في أشعارها وأمثالها ، ولا يشذ عنه منها شيء^(٢) » فغاية الكتاب الأولى حصر الأبنية المستعملة والمهملة بطريقة حساية لا تحطى كما مر معنا . ولم يفهم تلك الغاية كثيرون ممن رجعوا إلى كتابه فظنوا انه أراد أن يذكر في كتابه كل الألفاظ التي استعملها العرب لا الأبنية ، فأخذ عليه أحمد البشتي ان كتابه اشتمل على ضعفي كتاب الخليل ، وهرباً الأزهري فيقول : « ولما قرأت هذا النص من كتاب البشتي استدلت به على عقله وقلة فطنته وضعف فهمه ، واستيقنت أنه لم يفهم من الخليل ما أراداه ولم يفتن للذي قصده^(٣) » واتخذ ابن فارس من معنى ما ذكر الخليل طريقة لنفي الكلام عنه فقال : « فأما الكتاب

(١) في الهذيب ٢٥ (٢) في التهذيب للأزهري ص ٢٩ (٣) في المصدر السابق .

المنسوب إلى الخليل وما في خاتمه من قوله : هذا آخر كلام العرب ، فقد كان الخليل أروع وأنتى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك ^(١) » وإذ قد فهمت ما أراد الخليل فليس ما يمس ثقاه وورعه من هذا الكلام . بل إنك تفهم انه يستطيع ان يحسب عدد الأبنية التي أخذ العرب منها ألفاظهم ، وذلك ما فعل بطريقة رياضية لا تخطيء فقد عرف أن للثنائي وجهين ، وللثلاثي ستة أوجه ، وللرباعي أربعة وعشرين وجهاً ، وللخامسي مائة وعشرين وجهاً ؛ وعرف عدد حروف العربية فكان حساب عدد الأبنية التي تخرج من كل منها ممكناً ، وجمع الحاصل أسهل ^(٢) . وهاك عدد أبنية العرب المستعملة والمهملة بعد الحساب وإسقاط المكرر :

الثنائي	٧٥٦
الثلاثي	١٩٦٥٦
الرباعي	٤٩١٤٠٠
الخامسي	١١٧٩٣٦٠٠
المجموع	١٢٣٠٥٤١٢

ويتفق حسابنا هذا في جميع تفاصيله مع ما ذكره حمزة الأصفهاني ^(٣) عن الخليل ، اللهم الا في الثلاثي ، فقد ذكر أن عدد ابنيته (١٩٦٥٠) . ولا شك ان هذا خطأ من الناسخين .

يوسف العيسى

(ينبع)

(١) الصاحبى ١٨ (٢) ورد هذا الحساب والتمداد مروياً عن حمزة الأصفهاني عن الخليل في المزهري ١ : ٣٧ وبنيّة الوعاة ٣٤٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ وحسب هذا الحساب ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي في مختصر كتاب العين فيما نقله عنه المزهري ١ : ٣٧ . وورد الحساب أيضاً في الجهره لابن دريد ٣ : ٥١٢ . ونقل ذلك المزهري ١ : ٣٦ - ٣٧ . وروى جرحي زيدان ذلك في تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ١٢٤ . ولكن هذه الحسابات تختلف الواحدة عن الاخرى اختلافاً بيناً : فاذا ذكر الزبيدي ان مجموع المهمل والمستعمل من الأبنية (٦٦٩٩٤٠٠) (وفي الأصل ٦٦٥٩٤٠٠ وهو غلط إن شئت فسمه مطبوعاً) فان حمزة يذكر (١٢٣١٥٤١٢) كما في النسخة المطبوعة من البنية أو (١٢٣٠٥٤١٢) كما يظهره حاصل جمع التفاصيل وما في المزهري واذا ذكر هذان المؤلفان ان ضروب الثلاثي (١٩٦٥٠) ذكر ابن دريد أن ضروبه (١٥٦٢٠) ولا شك في أن كلامهم أغفل من الحروف ما لم ينقله الآخر ومن المعتل او المكرر ما عده الآخر ، وبذلك ظهر الاختلاف فيما بينهم . ويجدر الإشارة أيضاً إلى ان خطأ الطابيعين او النسخ يزيد الاختلاف بينهم إلى هذا الحد .

(٥) في المزهري ١ : ٣٧ وتداده أقرب المصادر إلى الصحة وفي بنيّة الوعاة ٣٤٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١

عشائر الشام

- ١ -

من الموضوعات التي أولع بها أدباء العربية قديماً وأطالوا البحث عنها والكتابة وقصر
اخلافهم الحاضرون في ذلك موضوع عشائر الأعراب أو البدو^(١) وإذا كان بعض الفضلاء
في العراق وفي مصر وفي جنوبي الشام « فلسطين وشرقي الأردن » ممن سذكراً أساءهم
قاموا أخيراً بقسط محمود من ذلك فإن أمثالهم في شمالي الشام لم يحفلوا به حتى الآن .

على حين ان هؤلاء البدو هم ما بين ظهراننا أو على مقربة منا ، ولم فوق صلات الجنس
واللغة والدين والتاريخ التي تربطنا وإياهم مكانة في أمورنا الاقتصادية والقومية . فكل سموننا
وأكثر لحومنا التي نأكلها والأصواف التي نفسجها والمطايا التي نركبها منهم . وقسم
كبير من سكان الحواضر عندنا كدمشق وحمص وحماة وحلب ودير الزور يعتمد في
تجارته ومرتزقه من الماشية ومنتوجها على شركائه وعشرائه من هؤلاء البدو .

وقد كذب لي ان تجول في املاك دولة الشام ، وهي على سيف البادية وجل
فلاحها وكل الضاربين في براريها من البدو ، وان اغشى منازل هؤلاء فانظر واسأل
وادون واقارن ذلك بما اجده في الكتب العربية والافرنجية الباحثة عنهم حتى اجتمع لي
طائفة من اخبارهم . على انني اعترف بقلّة ما نهلت من هذا البحر ومادونت لصعوبة الاتصال بالبدو
وعسرة استقراء الحقائق منهم مما يتيسر لرواد الافرنج ومستشرقهم ولا سيما لعمال دوائر
الانتداب منهم اكثر منا . لأجل هذا فقد قصرت هذه العجالة على ذكر مقدمات وجيزة
عن تقسيم عشائر البدو في عهدنا الى طبقات وعن تاريخهم القديم والحديث ثم وصفت البادية

(١) الأعراب بالفتح اهل البادية من العرب والواحد اعرابي بالفتح ايضاً وهو الذي يكون صاحب
نخلة وارتياح للكلاً ، وقيل من نزل البادية وجاور البادين وضمن بظنهم فهم اعراب ومن نزل بلاد
الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء .
(عن المصباح المنير للمعري القيوي) ، وقد اصطاح الشاميون على تسمية الاعرابي بالبدوي وعلى
تسمية الريفي بالفلاح ويجمونه على فلاحين وفلايح كما يجمعون العربي على عربان .

وخصائصها ، ثم انتقلت الى البحث الأصلي وهو : تعداد العشائر وتعريف منابهم ومنازلهم وفرقهم ومبلغهم من العدد والقوة ، وتركت البحث عن عاداتهم وتقاليدهم واخبارهم الماضية والحاضرة الى فرصة اخرى .

ما ألف عن البدو

من الباحثين عن أنساب البدو واحوالهم بين أدباء العرب القدماء وجدت ابن عبدربه الاندلسي المتوفى في سنة ٣٢٨ في كتابه العقد الفريد ، وابي الفرج الاصفهاني المتوفى في سنة ٣٥٦ في كتابه الأغاني ، وابي عبيد البكري المتوفى في سنة ٤٨٧ في مقدمة كتابه مهم ما استعجم ، وابن خلدون المتوفى في سنة ٨٠٨ في الجلد السادس من تاريخه الكبير المسمى العبر ، والقلقشندي المتوفى في سنة ٨٢١ في الجلد الرابع من صبح الأعشى . في كتابه الثاني المسمى نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب المطبوع في بغداد وفي كتابه الثالث المسمى قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية يبحث في قبائل مصر في زمنه . وقيل ان في احد الأجزاء التي لم تطبع بعد من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى في سنة ٧٤٨ ذكراً لمنازل العرب كما كانت في مصر على عهده ، وقيل ايضاً ان لابن حزم الظاهري المتوفى في سنة ٤٥٦ كتاباً اسمه « جمهرة النساب في معرفة قبائل العرب » وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية ولم يتسن لي بعد الاطلاع على المخطوطات المذكورة ، وإن كانت تشمل العصور والأماكن البعيدة عن موضوعي وبخفي .

ومن الباحثين المتأخرين ابو الفوز السويدي البغدادي في رسالته « سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب » المطبوعة على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ لكن ابحاثها قديمة ومقتبسة عن نهاية الأرب للقلقشندي وترتيبها غير موف بالغرض ، والسيد شكري الالومسي في كتابه « بلوغ الأرب في احوال العرب » المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤ في ثلاث مجلدات خصها بشرح اخبار عرب الجاهلية وعاداتهم وآدابهم مما هو بعيد عن مطلوبنا واحسن الكتب العربية الحديثة كتاب « خمسة اعوام في شرقي الاردن » المطبوع في حريصا

(لبنان) سنة ١٣٤٥ للارشمندريت بولس سليمان بسط فيه آداب بدو شرق الاردن في عهدنا وقضائهم وديانتهم وعشائرهم ، وكتاب « القضاء بين البدو » المطبوع في القدس سنة ١٣٥٢ للسيد عارف العارف قائم مقام بئر السبع بسط فيه اخبار بدو بئر السبع في عهدنا ايضاً وطبائعهم وعاداتهم في القضاء والقتل والسرقة والمرأة والحيموان والرحيل والتجارة والطب والعقيدة ، وكتاب « تاريخ شرقي الأردن وقبائلها » للفتن كولونل ج. بيك الانكليزي وقد عربه السيد بهاء الدين طوقان وطبعه في القدس سنة ١٣٥٤ ، وكتاب « قلب جزيرة العرب » لفيؤاد حمزة طبع في مصر سنة ١٣٥٢ ، وكتاب « قبائل العرب في مصر » لأحمد لطفي السيد طبع في مصر سنة ١٣٥٤ ، وكتاب « عشائر العراق » للسيد عباس الغزاوي المطبوع في بغداد سنة ١٣٥٦

ووجدت من الافرنج الباحثين عن البدو الرحالة بر كهارت السويسري^(١) صاحب كتاب « رحلة في بلاد العرب » وقد وافى هذه البلاد في سنة ١٢٢٤ هـ وعُد في كتابه ما صادفه في تلك الحقبة من عشائر البدو في الشام والحجاز وأحصى نفوسها وذكر أطوارها وأساليب معيشتها ومناطق رعيها وكل ما يتعلق بها بتدقيق واف . وللمستشرق موزيل التشيكوسلوفاكي^(٢) كتب بالألمانية عن بادية العرب بحث فيها عن عشائر عنزة ولاسيما عن الرولة وتقاليدهم ، وكان أقام بينهم سفينة عديدة وكانوا يدعونه الشيخ موسى الرويلي وللسائحة الانكليزية اللادي آن . بلونت^(٣) كتاب في مجلدين عن « عشائر البادية الفراتية » طبع في لندن سنة ١٨٧٩ كما أن لها كتاباً آخر اسمه « رحلة إلى نجد » ترجم الى الافرنسية ، وللكابتن ربنو^(٤) الافرنسي رسالة صغيرة عن « بدو البلاد التابعة لحكومة دمشق » طبع في سنة ١٩٢١ ولكومندان مولد^(٥) كتاب اسمه « في بلاد الشام مع البدو » طبع في سنة ١٩٣١ ، وهذان الضابطان كانا من مدراء الإدارة الافرنسية الخاصة

(1) Jean - Louis Furkhardt, Voyages en Arabie. (2) Aloes Musil, Arabia deserta, 1٩27. (3) Lady Anne Blunt, Bédouin Tribes of the Euphrates, Murray, 1879. (4) Capitain Renaud, Les Bédouins de mouvence du gouvernement de Damas, 1921 (5) Victor Muller, En Syrie avec les Bédouins, 1931

بمراقبة العشائر . وثمة كتابان فرنسيان للأب جوسن الديمينيكي^(١) أحدهما عن عادات البدو في بلاد موآب وثانيهما عن عشيرة الفقرا إحدى العشائر الكبيرة في تلك الأنحاء ، والمسيو آلبر بوشمان^(٢) كتاب اسمه « امنعة المعيشة البدوية » فيه وصف ألبسة البدو وفرشهم وأوانيهم ومزاربهم . واحديث الكتب الاوربية وأكملها عن عشائر الشام هو ما نشره أخيراً المستشرق البارون فون اوبنهايم^(٣) المطبوع في ليزبغ سنة ١٩٣٩ ، ولعل هنالك كتباً أخرى لم أطلع عليها فاكتفيت بذكر ما علمت .

طبقات البدو

لنا أن تقسم بدو زماننا في شمالي الشام حسب عراقتهم بالبداوة واطوارها وبعدهم عن الحضارة ومنازلها الى ثلاث طبقات :

الطبقة الاولى : أعراب البادية او البدو الأفحاح ويوصفون في اصطلاح الافرنج بالبدو الاصليين او بالبدو الرحل ، وهم اهل الوبر ، أصحاب المضارب او الخيام او بيوت الشعر لسكنائهم والخيل لركوبهم والابل لمعاشهم . فالابل مراكبيهم التي يحملون عليها احمالهم وينقلون اثقالهم وبأكلون لحومها وبقناتون بألبانها ويكتسون وينسجون بيوتهم من أوبارها وبقاياضون عليها في المبايعات ويعطون منها في سائر الغرامات والديات والمراهات ومهر الزوجات ، فهي في الجملة مصدر غنائمهم ومبعث هنائمهم ، كما انهم سبب معاشها ووجودها ، لا يدرون أي خلقت لهم وقبلهم ام هم خلقوا لها وقبلها ، ولا يدفعون للدولة عنها سوى ضريبة تدعى « الودي » ، دأبهم الظعن بين قفار البادية وارياف الحاضرة فراراً من حمارة القيظ تارةً وصبارة البرد اخرى وارتياحاً لمواقع القطر وانجاءاً لمنابت الكلال والمراعي الصالحة للابل فيخيمون هنالك ما ساعدهم الحصب وامكنهم الرعي ثم يتوجهون لطلب الكلال وابتغاء المياه والدفء في اماكن اخرى فلا يزالون في حل وترحال يقطعون

(1) P. Jaussen, Coutumes des Arabes en pays de Moab. Coutumes des Fuquaras, 1920. (2) Alber Bouchman, Les meubles de la vie Bédouine. (3) Die Beduinen, Max Vonoppenheim . Leipzig. 1933

٥٠٠ و ٦٠٠ واحياناً ٧٠٠ — ٨٠٠ كيلومتر فيصلون في الشرق الى بوادي العراق
او في الجنوب الى فيافي نجد ثم يعودون الى مشارف الشام او الى ما يقاربها .
وهوام في البادية وفيافيها التاسعة وآفاقها الواسعة وحربتها المطلقة ووحشتها الرهيبة
وبساتنها وحيواناتها الغربية ولا يزالون يمدحون البوادي وشطف عيشها في منظوم كلامهم
ومنتوره . وهم يحترقون اهل الطبقة الثانية ويدعونهم « رعية » و « شاوية » او « شوايا »
لاقتنائهم — الشياه والمعز ، يعدون ذلك من اكبر العار اذ تمنعهم عن الابدال في البيداء
ومدافعة الاعداء — ويمتنعون اهل الحضرة والقرى ويدعونهم « الفلاليح » لانهم
سأكون بيوت الحجر ومعادون على الرفه وحماية الدولة ، ومتكلمون على الحرث والكرث
وهم دائماً يحملون السلاح وبتلفتون في الطرق ويتجافون عن المهجوع الاغراباً في
المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب ، ويتفردون في الصحراء وثقتهم بأنفسهم كثيرة حتى
صار البأس لهم خلقاً . ولذلك كان أكثر البدو توغلاً في القفر اشد من بأساً واجراًهم على
تحمل المشاق . وهؤلاء البدو الشعب الغيرة الحفاة لا يقشون القرى والمدن الا للضرورة في
سني المحل والظأ او لاتباع حاجتهم ويبيع الذكور من إبلهم ، ويبيع اصوافهم ، وهم
لجفوتهم وقسوتهم وجهلهم حق الغير في تعبه ونشبه كثيراً ما يلحق اهل الضياع
والمزارع حين مرورهم بها . مضرات من افسادهم السابلة ورعيهم الزرع مخضراً او انتهابه
قائماً وحصيداً ، ويتفام ضررهم حينما يرون من فوضى الأحكام ومسامحة ذوي السلطان
فرصة . وهؤلاء في بلادنا عشائر شمر في بوادي الجزيرة الفراتية ، وعشائر عنزة في بوادي
الشامية . وسيأتي ذكر فروع كل منها .

الطبقة الثانية : اعراب الحاضرة الذين يسعون في انحاء حلب وحماة وحمص ودمشق
« عربان الديرة » او « الرعية » وفي انحاء دير الزور والجزيرة « شوايا » . وهؤلاء ايضاً
اهل وبر وخيل ، لكنهم قسمان : قسم لا يرتزق الا بالضرع اي بارعاء الماشية من الغنم
والمعز فقط . وهذه الماشية اما ان تكون لهم وحدهم ، واما ان تكون لأهل مدن
حلب وحماة وحمص ودمشق ودير الزور وغيرها يشار كونهم في تربيتها والمتاجرة بصوفها
وسمنها التي ندر عليهم وعلى شركائهم في سني الخصب ثروة غير يسيرة . ويسمي الافرنج

هذا القسم من الأعراب بالغنّامة او النصف رحل او النصف حضر . وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر دون غيرها ليمكنوا من الظعن وراء الماشية . والقسم الثاني يضم الى الضرع امتلاك الضياع والارضين واستثمارها بالحرث والزرع ، فهم يقبلون من جهة على الزرع خوفاً من ان تقضي أعوام الصقيع على الماشية او ينقض عليها غزو بنهبها او مرض يهلكها ، ويظنون متعلقين بأهداب الضرع اما لصغر مساحة الأرض التي يملكونها او لكثرة ما ينتاب الزروع من الآفات كالجراد والمحل وغيث البادية وغير ذلك ، ولأنهم لم يتجردوا بعد عن أطوار البداوة وهوى الحل والترحال . وهم بعد ان ينتهوا من بذر الزروع الشتوية يرحلون في أواخر الخريف الى البادية انقباضاً لمرعى غنمهم ودفئهم ويعودون في أواخر الربيع الى منازلهم وضياعهم ليلحقوا اعمال الحصاد والرجاد والدراس للزروع الشتوية والبذر والري والنهد للزروع الصيفية . وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر او قباب اللبن في أنحاء حلب او السبايط المبنية من أعواد الطرفاء وأغصان عرق السوس في أنحاء سقي الفرات والخابور وغيرهما من انهار الجزيرة . وليس للتقسيم المذكور حد محدود ، فالعشيرة الواحدة قد تكون من القسم الاول او الثاني وحدهما او من القسمين كليهما .

وسبب تسمية اهل هذه الطبقة بعربان الديرة لأنهم مرتبطون بديار خاصة في أطراف الحاضرة ومستقرون ولاسيما اهل القسم الثاني فيها ، ولأنهم حينما يظعنون في الشتاء لا يوغلون في البادية أكثر من ٣٠٠ — ٤٠٠ كيلومتر مراعاةً لمقدرة الغنم ولقرب المناهل والآبار الصالحة لورودها . فأعراب حمص وحماة مثلاً لا يعتمدون الخبثات والقفرة « شرقي تدمر » وكثيراً ما يشتون حول جبل البلعاس وجبل العمور ، كما ان أعراب سقي الفرات يشتون حول جبل البشري ، واعراب أنحاء دمشق يشتون في ديرة التلول وحول جبل التنف ، واعراب الجزيرة الفراتية حول جبل عبد العزيز .

واهل هذه الطبقة يشبهون في الجملة الطبقة الاولى في طباع البداوة والجلفة والشعونة وانتهاك حمى الطبقة الثالثة وفلاحى الحاضرة عند سنوح الغفلة وضعف الدولة . ويختلفون بأنهم لا يعاملون في عرف البادية معاملة اهل الطبقة الاولى فلا يشهر عليهم الحرب ولا يحفظ لهم صحب اي لا يجار الملتجئ اليهم ، بل لما كانوا « رعية » و « شوايا » يؤكولون

ولا بأكلون . فكان الطبقة الاولى كالدول المستقلة تمام الاستقلال من الاوربيين
تعامل بجميع قواعد حقوق الدول ، والطبقة الثانية كالدول المستقلة من الشرقيين يحافظ
على عهودها وتحترم ذمتها بحسب قوتها ومنعتها ، والطبقة الثالثة كالدول التي لم يصادق على
استقلالها او كالامارات المحمية . ويختلفون ايضاً بان لهم استعداداً بارزاً للتخضر فقد صار بعضهم
اهل مدر اي اصحاب قرى وضياح يقطنون فيها ويستثمرون ارضها ، ولا آخرين منهم
علائق حمة مع تجار الماشية او التجار السوقة في المدن والحواضر يشار كونهم في تربية
الغنم او زراعة الحبوب ، وهم يؤدون للدولة عدا ضريبة الأغنام العشر عن الزروع
والخراج عن الأرضين .

والطبقة الثالثة ايضاً قسامت ؛ قسم يشبه اهل القسم الاول الذي ذكرناه في بحث
الطبقة الثانية بأن فيه اهل ضرع ووبر يربون الماشية ويقطنون بيوت الشعر ويرتزون
من مشاركة صغار السوقة في المدن او الزراع في القرى ومراكز الاقضية ويدعون
« شكارة » بتسديد الكاف على أنهم يختلفون عن اولئك بأنهم لا يؤلفون عشائر ذات
شأن بل احياناً صغيرة منفردة ضعيفة الحول والطول ، قليلة العدد والقوة ، وضبعة الارومة
والمكانة ، وأنهم لا يظعنون الى البادية بل ينتقلون حسب الفصول ووجود المرعى في
المضاب والادوية الخالية والبراري والحقول البائرة الممتدة قرب منازلهم او ضمن حدودها
او حدود مواطن شركائهم . ولا يخلو قضاء من اقصية بلاد الشام في ساحلها وداخلها من
هؤلاء الاعراب الرعاة . وقسم فيه الاعراب الفلاحون « الفلايخ » الذين تركوا
الحل والترحال وشن الغارات وايقنوا ان العيش الثابت خير من المتقل ، وأن من يلجأ
لحمى الدولة هنا بالأمن يتكلم في حمايته على نفسه وعصبيته فعمروا الحرب الدائرة ،
وهجروا بيوت الشعر الا قليلا وصاروا اهل مدر اي انهم قطنوا بيوت الحجر او القباب
وتوفروا على الحرث والزرع أكثر من تربية الماشية .

من هؤلاء في شمالي الشام القاطنون في قرى « املاك الدولة » في اقصية منبج والباب
وجبل الاحص ومطخ قنسرين وسهل العمق وسهل الروج وسهل الغاب وفي أنحاء ادلب

وسرمين و كورة العلاء وفي أقضية حماه وسلمية وحمص والنبك والقنيطرة والزوية وهوران
 وجبل الدروز وغوطة دمشق ومرجها ٠٠٠ من تعددت اسماؤهم واتضعت أنسابهم وأحسابهم .
 وأهل هذه الطبقة أيضاً وان كانوا يفتشون دائماً المدن والقرى ويشاركون أهلها ويعاشرونهم
 ويتصلون بمراقبتها ومراتعها لكنهم ما برحوا محتفظين بقسم غير يسير من خصال البادية
 كالخشونة والرعونة فهم يتمسكون بالقشافة المدقعة والجهالة المطبقة ويتوانون عن
 العمل الصالح في الزرع والحراث ولا سيما في الفرس .

(ينبع)

وصفي زكريا

مخطوطات ومطبوعات

الامير جمال الدين عبد الله التنوخي

تأليف نليذه الشيخ ابي علي مرعي البستاني وآداب الشيخ الفاضل الشيخ محمد ابي هلال
تأليف الشيخ ابي علي عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي الشافعي
أجاد ناشر هذه الرسالة الاستاذ عجاج نزويض مترجم « حاضر العالم الاسلامي »
وغيره من الكتب النافعة بنشرها على طريقة عصرية مقبولة وبإتباعه لها بلحة تاريخية
مطولة تشتغل على ترجمة « للأمر سعيد » و « الشيخ الفاضل » وصفوة تاريخ الأمراء
آل تنوخ في لبنان من اولهم الى انقطاع سلالتهم قبل منتصف القرن الحادي عشر ووصف
امارتهم وامارة آل معن حتى نهاية الامير فخر الدين المعني الثاني الكبير .

وفي الحق ! أن الشخصيتين اللتين يدور عليهما الكتاب وهما : الأمير جمال الدين
عبد الله التنوخي دفين قرية عبيه ، والأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير دفين الآسنانة
من أهم الشخصيات التي يفاخر بها العرب والمسلمون في الدين والسياسة . فالامير السيد
كله خير وتقوى كان لأتمه خير مثال يقتدي به المقتدون والامير فخر الدين كان نابغة
العرب في العصور الأخيرة بما رزقه من طبع سياسي واداري براق .

وقد أعجبني رأي الاستاذ نويهض في تعليل اخفاق الامير فخر الدين اذ قال :
(ص ٦١) : « ولو قُيُض لحكم اقطاعي ، مهما كان ضئيلاً ، مترامي الأطراف ، ان
يعيش ويبقى في العصور الأخيرة ، في وجه نظام الدولة الحديث ، في الشرق أو في الغرب ،
لكان حكم فخر الدين الثاني أولى الأحكام الاقطاعية بأن يعيش ، ولو كان مقدوراً
للبناء المشغور الذي رفعه سليل ربيعة بين الكرمل وانطاكية بهدائه وقوة بينه ، ان
تتلاقى حنايا قناطره فتتماسك جوانبه ويشد بعضه بعضاً فيقوي على الأعاصير وترتد عنه
الصددمات خاسرة ، ويرقى به صاحبه من دور الاقطاع الكبير الى الملكية الثابتة القرار ،
مع تكثيف الجيش وتقوية آلات الحرب وتنمية موارد الثروة العامة ، ونشر العلم الذي
كان ينتقل وتتمد من أوضاعه القديمة إلى أوضاعه الجديدة ، لأمكن فخر الدين ان

يشيد للعرب في سوربة الغريبة ملكاً عربياً متيناً الجوانب وفيه اليوم ملايين من السكان . ولكن اذا كان بنو ربيعة الاولون في الجزيرة لم يطبقوا ابوناً جد المعنيين وهو واحد منهم ، لبأسه وكثرة غارته وإيقاعه ، وما زالوا به حتى أكرهوه على الرحيل فرحل ، انطبق الدولة التركية العثمانية حفيد معن وهو يؤسس اماره قد تفضي الى ملك في بلاد سوربه ، فيقطع من سلطنتهم ويهدم منها لبيني له مملكة ؟ »

وقال المؤلف في تأثير الشعر في العرب وتغاليهم في روايته : « الشعر عنصر من عناصر الغذاء في حياة الامارات الاقطاعية عند كل الامم المنحضرة ، يماشى الفروسية ، وتنعكس عليه ايهتها ، ويكون وشياً لطرازها ، وشدو غنائها ، هذا على الجملة ، وأما كون نزعة الشعر في الاصل جزءاً من طبيعة العربي على الخصوص ، وهي من غرائزه النامية ، جاهلية واسلاماً ، بادية وحاضرة ، فلا يحتاج الى دليل . قل — اذا كانت الفروسية عند العرب ، وهي عندهم على غير انقطاع ، كان الشعر ، وكان منشده وسامعه وراويه ، وهذا في كل الاقاليم التي سكنها العرب قديماً وحديثاً ، وكما كنا ولا نبرح نظرب لذكر المنحني والعقيق واللوي والرياض التي قال ياقوت انه كان في الجزيرة لاقل من مئة وستة وثلاثين موضعاً يسمى بالروضة او الروضتين ، فكذلك نظرب لترنم الشعراء بذكر المستجد من الاسماء للاماكن التي نزلها العرب بعد الفتوح في سواحل الشام وثور البحر الابيض وجبال بيروت ومقاطعات الغرب وجبل بني معن ، وكما يشترك وصف مراتع الظباء في نجد والحجاز وأوديتهما المختلفة ، فكذلك يجتذبك ذكر صنين وجبل الشيخ ، ووصف تساقط الثلوج عليهما ، وكما كان الشعراء يقدون على الملوك والامراء في الجزيرة والحيرة وديار غسان قبل الإسلام فكذلك تراهم عند التنوخيين اللخمين في لبنان . وسنظل نقرأ الشعر العربي ابناً كان العرب ونزلوا ، وفي اي جبل او سهل حلوا . » وفي بعض هذه الرسائل القديمة كتبت الصاد بالسين على عادة القوم في كتبهم الروحية فرد عليها المؤلف رداً لطيفاً بقوله : « وردت كلمة « الصادق » و « التصديق » في سيرة الامير السيد بالسين بدل الصاد احياناً . وصوابها بالصاد ، ولم يرد في العربية فعل (صدق) بالسين . » والمأمول مع الزمن ان تزول السين من هذا الرسم وتبقى الصاد ليتوحد الاملاء كما تتوحد الآراء .

محمد كرد علي

تذكرة الشعراء

او

شعراء بغداد وكتابتها في أيام داود باشا والي بغداد

لعبد القادر الخطيبي الشهباني

في هذا الكتاب تراجم مختصرة لثلاثة وخمسين رجلاً (ليس فيهم شاعر يذكر) من أهل النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة في بغداد . عني بنشره ووضع فهارسه العلامة اللغوي الاب انناس ماري الكرمللي . والكتاب = على ما فيه من لغة رديئة وأسلوب عامي وخطة مضطربة = يصور لنا نموذجاً من ثقافة ذلك العصر . ولذلك تولى الاستاذ الكرمللي نشره كما هو وأضاف اليه فهارس ومعجماً للألفاظ العامية والأعجمية مع خاتمة دل بها على فائدة الكتاب .

مرآتي مسعود

هي مجموعة الكلمات والقوائد التي ألقيت في حفلة تأبين محمد مسعود بك احد أعلام النهضة الأدبية في مصر . كان عالماً مدققاً واديباً كبيراً وصحافياً مفتناً ومؤلفاً موفقاً معروفاً بحسن الخلق والاستقامة . وقد تولى الدين ابنوه شرح هذه النواحي ونوهوا بكارم اخلاقه وعظيم مآثره رحمه الله واحسن عزاء الامة .

آراء وأنباء

استدراك

أشير هنا - مستدركا سهواً في ص ٣٧٥ سطر ٧ من المجلد السادس عشر لهذه المجلة - الى ان كلمة (شعوذة) صحيحة فصيحة مثل (شعبذة) . وأن سنة ٢٩٢ (ص ٣٣٥ سطر ١٧) صوابها : ٢٩٢

الافغاني

وفاة علماء عاملين

فقدت الامة ثلاثة من أعلام العلماء العاملين : الشيخ محمد الحسيني صاحب التفسير والشيخ اسماعيل الحافظ مصحح الجامع الصحيح لمسلم ، وهما من علماء طرابلس الشام . اما الثالث فالشيخ عبد الوهاب النجار من علماء مصر وصاحب كتاب قصص الانبياء وغيره . رحمهم الله رحمة واسعة وعزى الفضائل والعلوم فيهم .

مجلة مجمع العلمي العربي

السنه ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنه ١٩٢١ م

تشرى دمشق مرتين اشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٤١ م
ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦١ هـ

دمشق

دمش

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفء مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠٠ = =



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

شيطان الظهيرة

هذا عنوان رمزي لـ حقيقة للشياطين فيه . وقد يما ادخلوا الشياطين في الطب واسكنوها صدور المغلوبين على أعصابهم ، ضيقاً غير عتشة ، فكأنوا يعتقدون ان المصابين بداء الفزع او الهستيريا «مشيطون» وبأولون شفاءهم بطرد الشيطان بغريب الوسائل والطرق .

جاء في المزمور التسعين للنبي داود : لانتش من هول الليل ، ولا من سم يطير في النهار ، ولا من أمرٌ يدبر تحت جناح الظلام ، ولا من شيطان الظهيرة . وقد فسر الشراح شيطان الظهيرة بالذي يغري الانسان بالفساد ويحمله على الفسق عقب الافراط من ملذات المائدة . واستعاره الروائي بول بورج للحب الذي يستولي على الانسان بعد الاربعين او الخمسين لانه حب عنيد أعمى لا يعرف سلطة الواجب ولا حداً للعاطفة .

في هذا الدور من العمر بعد أن يبلغ الانسان ذروة القوة ويشرف على منحدر الهرم ، يصيب الوظائف التناسلية تغيرات لا يهد بها ، ويستولي عليها انحطاط تدريجي كثيراً ما يرافقه يقظة الشهوة وهيجان الحواس .

وقد استهزأ مولير في روايته « مدرسة النساء » بالرجل الذي يعشق في هذا الدور الا ان الشاعر العربي تدارك ذلك فقال :

وماذا تبغني الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين

على أن التاريخ يقدم لنا شواهد كثيرة عن هذا الحب الذي يصح أن نسميه بالحب الرجعي . فقيصر الرومان بعد أن وصل ما وراء الغاية من المجد وتمتع ماشاء بالحب والانتصار وأعجاب الناس قصد الى مصر وهو في السادسة والخمسين من العمر ليخضع العصاة فاذا بكليوباترا الممكة الشابة تسلبه اللب وتخضعه ، ولولا إلحاح قواده رجاءً وتهديداً لما رضي بالرجوع الى بلاده . وأراد أن تشارك كليوباترا في عيد

تمجيده فأرسل في طلبها وأسكنها أنعم قصوره وأقام لها تمثالاً من الذهب في هيكل آلهة الحب .

وهنري الرابع في عامه السابع والخمسين علق بحب شارلوت موغرامسي وهي لم تشهد ستة عشر ربيعاً ، وأضاع فيها رشده حتى أفضى به الأمر الى التحني في زي سائس الخيل ليتمكن من رؤيتها بعد أن هجرت القصر الملكي هرباً منه .
ومثل من ذكرنا الشاعر روشار ، وشاتوبريان ، وواكتر ، والفرد دوثيني ، وفيكتور هيكو ، واوكست كنت ، وبوفون ، وغيرهم كثير .

وأغرب حب من هذا النوع هو الذي اشتهر به برليذر الموسيقي فقد احب فتاة في صباه ، ثم بعد أن بلغ السبعين ونقل فؤاده حيث شاء من الهوى عاد إلى الحبيب الاول واخذ يرسل الفتاة وقد صارت عجوزاً وجدة ، ويعرض عليها قلبه المتيمن فنصحته بالكف عن ملاحظتها بعد ان بلغت من العمر عتياً .
ومن قرأ رسائله ورأى ما فيها من بلاغة التعبير وقوة الافناع وصدق العاطفة تولاه الدهش من هذا القلب البشري وما يمكنه أن يحمل من غرائب الأسرار او يتقلب فيه من عجائب الأطوار .

هذا الحب في الكهولة يمتاز بأنه لا ينحصر في اللذة الجسدية بل يتناول شعوراً آخر هو نصف الحب بل أشرف ما فيه وانقى وأبقى وهو الصداقة . والى جانب الصداقة عواطف كثيرة مختلفة من خوف وغيره وحياء وفضول وشدة تأثر وغير ذلك يديرها خيال خصب يصور الحياة بألوان زاهية الايشراق ساحرة الآفاق .
ولا حاجة الى جمال فائق ليوحى هذا الحب فلا سلطان هنا للحظ الساحر ، والخذ الاسيل والقدر الرشيقي وحسب المرأة قليل من الجاذب لتأخذ سبيلاً الى القلب .
ثم نجد من اختلاف الميول والأذواق ما لا يقل عن اختلاف الوجوه ؛ فمنهم من يتعشق المرأة لبساطة ما فيها ومنهم رغبةً بالمفاداة ومنهم من يستهويه الجمود والبرودة ويلذ له ان يحب ليعت الحياة في هذا الجماد الى آخر ما هنالك . ولا يعني هذا تساهلاً من جانب الكهول في اختيار من يحبون فقد يكونون كالنهم المترف

لا يرضيه شيء من الطعام مها تنفن الطاهي في علاجه ، او بالعكس كالذي يأكل كل ما يصيب ويفترسه افتراساً وربما اختنق به ، والغالب ان الذين يمتنعون هم القلة وأكثر الكحول يحاولون الحصول على أفضل ما يمكن ، اعتداداً بالنفس ولسان حالهم يقول :

لا يركب المشيب يا ابنة عبداً الله فالشيب جلةٌ ووقار

إنما تحسن الرياض إذا ما ضحككت في خلالها الأنوار

والمعروف أن السواد الأعظم من هؤلاء ان لم نقل كلهم يضعون قوة الاشراف على حرركاتهم وتضعف الارادة فيهم الى درجة ينسون معها الواجب نحو ازواجهم وبنبيهم . ولا يردم عن غيهم نصح أو تأنيب ولا يشفيهم من دائهم كاهن ولا طبيب .
فهو كما قال الشاعر :

ولما أبى الا جاحاً لجهه ولم يسأل عن ليلي بمال ولا أهل

تسلى بأخرى غيرها فإذا التي تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

أما الحب الروحاني المجرد عن شوق الجسد ولذة المادة فلا أثر له فيهم . وإذا تظاهروا به فاستدرجاً للمرأة وتوصلاً الى الحب الآخر . وقد عرفت المرأة هذا فأصبحت لا تؤمن ولا تصدق . ولا غرو فان الذي يستميل الرجل للوهلة الأولى ويجرك فيه عاطفة الهوى هو الجاذب او جمال الصورة قبل ان يتبين ما وراء ذلك من حسن الخلال وعذوبة الأخلاق . لذلك ترى الشعر وهو المعبر عن العواطف سواء أكان الغزل فيه حقيقة ام خيالاً لا يذكر الحب الا مقروناً بالوصال .
قال المتنبي :

زودينا من حسن وجهك ماذا م فحسن الوجوه حال تحول

وصلينا نصلك في هذه الدنيا يا فاني المقام فيها قليل

وقال الحمداني :

معلتي بالوصل والموت دونه اذا مت عطشاناً فلا نزل القطر

وقال غيره :

صلي واغمني اجراً فما وردة الربى تدوم على حال ولا وردة الخلد
الى آخر ما هنالك مما لا يقع تحت حصر .
وقلما تجرد من الشعراء من اكتفى بالروح كقول الواحد :
اني أحبك حباً لا لفاحشة والحب ليس به في الله من باس
او قول الآخر :

أحبك باليلي على غير ريبة وما خير حب لا تعف صرائره
والذي يجعل الكهل أكثر استعداداً من غيره ومهلاً للذة الجسدية قوة تصورهِ
وسرعة تهورهِ وسهولة تأثر جهازهِ العصبي والخبرة الواسعة التي اكتسبها فيما مضى ،
فتراه يتفنن في الطرق التي تجلب له هذه اللذة وقد لا يبحم من أجلها عن ارتكاب
الموبقات ما لم يكن منه له زاجر .
واذا عدنا الى الماضي وجدنا سعي الانسان وراء ملذات الجسد لم يخل منها
زمان ولا مكان . فقد كان التهتك عادة في الطبقات العليا من الشعب ، والزواج
المحرم حلالاً . وقد شرع الحكيم سولون شرعة للبقاء وضعها تحت حماية الآلهة
وكانت بلاد الاغريق سدوماً ثانية ، ومدارس الفلاسفة مجتمعاً للفساد مما ضج له
المشترعون ورجال القانون فجعلوا الحرق بالنار عقاباً لكل من جار في الحب عن
قصد السبيل .

وشيطان الظهيرة يزور الرجال أكثر من النساء لان الانحطاط اسرع الى
جسم المرأة فلا يدع لها مجالاً لاستقباله . على انه لا ينكر ان اقتراب زمن اليأس
يوقظ حاسة الجنس في المرأة ويسبب لها أعراضاً مرضية وأحلاماً مزعجة كانوا
يعتقدون فيما مضى أنها من عمل السحرة او الأبالسة . وقد فسر «فرد» هذه الاعراض
حسب طريقته المعروفة فهو يعتقد أن الجاذب الجنسي هو المحور الذي تدور عليه
كل حركاتنا وأعمالنا وان الحياة البشرية جمعاء معلقة بهياج تناسلي او رغبة أطلق
عليها اسم **Cibido** وهذه الرغبة التناسلية موجودة في كل أدوار العمر من

الطفل الرضيع الى الشيخ المنحني تحت أثقال السنين . وان أكثر الأعراض العصبية والدماعية ان لم نقل كلها ناتجة عن تأثيرات جنسية كامنة في العقل الباطن ، مردودة او مكبوتة او ممنوعة من الظهور . وبناء على هذا الاعتقاد أوجد طريقته المشهورة اي المعالجة بالتحليل النفساني *Psychanalyse* وهي أن يستلقي المريض على ظهره ويأخذ بسرد حوادث ماضيه فيصفي الطبيب اليه وهو يحاول ان يقع منها على أثر قديم يمكن الرجوع اليه في تعليل الداء الحاضر . وهذه الطريقة قديمة معروفة فهي لا تختلف عن الاعتراف عند النصارى بل ربما كانت دونه في الجدوى لان فكرة الغريزة الجنسية والاعتقاد بها مقدما تؤثر في حكم الطبيب فتضله وتضل المريض معاً .

على أنه لاجابة لسر العقل الباطن لتعليل التبدلات التي تحدث في زمن اليأس فالسبب فيسولوجي أكثر مما هو ببيكولوجي لان الهرم يصيب الغدد الفسائية فيقل افرازها الضروري للتغذية العمومية وللوظائف العصبية . وقلة الافراز تحدث اختلالا يفضي إلى هذا الانقلاب الى ان يعود الجسم ويعناض عن هذه الغدد بغيرها من الغدد الصماء التي تعطي الجسم ما قصر عنه المبيض وتعيد اليه النظام .

ولحج حول الخمسين فائدته الصحية اذا قرن بالزواج فقد دلت الاحصاءات أن الجرائم في هذا الدور من العمر اقل عند المتزوجين منها عند العازبين والأرامل وكذلك الوفيات .

لا أقصد بذلك الى وجوب الزواج على كل من بلغ هذه السن فالذي يتفق شبابه في الملاهي وينهك عقله وبدنه ثم يختار فتاة في مقتبل العمر لترافقه فيما بقي من طريق الحياة مجرم في نظري وخير له أن يردد مع الشاعر :

سلام على الدنيا ولذة عيشها سلام غدو أو رواح الى الرمس

وإذا كان للحب في الكهولة هذه الفائدة الصحية المحصورة في دائرتها الضيقة فإن اضراره كثيرة لان الافراط في هذا الدور خطر عظيم وعندي أن الأكل بدون جوع او الشرب بلا ظمأ لأخف ضرراً من التهييج الذي لا داعي له . فالجسد

كالمصباح الكهربائي الذي تحمله في جيبيك لينير سبيلك في دجى الليل اذا لم تقتصد في استعماله انطفأ قبل حينه ولم يخدمك نوره الى آخر الطريق .
 وبعض الناس أكثر تعرضاً لهذا الخطر من سواهم كالمحاميين والأطباء والسياسيين وكل ذي نفوذ مالي أو اجتماعي بما تعودهم عليه سهولة الحصول على ما يريدون من التراخي في مدافعة شهواتهم فتراهم أمرع من غيرهم للخروج من دائرة الاعتدال في الحب . وقد قالت الحكماء : خير الأمور الوسط . الوسط في الثروة وفي الشهوة وفي الصحة وفي الذكاء وفي الغذاء وفي المزاج وفي المناخ فمن عرف الوقوف عند هذا الحد فقد اهتدى الى سر إطالة الحياة على الأرض والله أعلم .
 هذا ما عن لي ذكره عن شيطان الظهيرة . فهو في الغالب يحمل الى الجسم فوق عبء الأيام عبء الآلام . وقد يكون من الملائكة الساقطين فيذكر السماء حيناً بعد حين .

الدكتور

نفولا ففاض

أذيعت في راديو الشرق في ١٢ ايلول سنة ١٩٤١

أبو العلاء والبرذكية

ما سمعت في الأمم الغابرة ولا رأيت في الأجيال الحاضرة رجلاً من العلماء
الافذاذ مُني بمثل ما مني به أبو العلاء المعري فقد قضى من العمر ستاً وثمانين سنة
صاحبه فيها من المهد الى اللحد ضروب من البؤس والشقاء والمرض والفاقة . وصاحبه
فيها صنوف مختلفة من كيد الكائدين وحسد الحاسدين .

ولشدّ ما عرضوه بوشاياتهم الى موارد الملكة وحرفوا كفه عن مواضعه ليجعلوه
عرضة للأذى والبطش ، وحاولوا أن يطفئوا بأفواههم نور الله الذي أذكاه فيه ،
فأبى الله الا أن يتم نوره على الرغم من أنوفهم .

ثم فارق الحياة ولكن الشقوة لم تفارقه في عصر ولا مصر ولا ذنب له الا
ذنبٌ نُصحر^(١) ولا عيب فيه الا سوء حظه أو حظ هذه الأمة ولقد صدق في قوله
تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنب لي الا العلي والفواضل
وقوله :

لا بد للحناء من ذام ولا ذام لنفسي غير سيء يجتتها
ترك هذا المسكين للناس دنياهم وأعرض عما فيها من المتع والملاذ وسجن نفسه
في كسر بيته وقضى حياته الطويلة في الدراسة والتعليم ، حتى أتى من ضروب
العقوبة بما لم تستطعه الأوائل ولم تدرك شأوه فيه الاواخر .

ثم ماذا كان جزاؤه من هذه الامة التي لم تعدم في كل عصر فئة من رجالها
تخني كل فضيلة بيدها وتند كل عقوبة في مهدها ؟ كان جزاؤه أن قبض الله
له فريقاً من العلماء الذين يتخذون من الدين سلاحاً لمحاربة كل نابغ ، ومطاردة

(١) نُصحر بنت لثمان العادي خرج هو وابنه لقيم في اغارة فأصابا ابلاً وسبق لقيم فأتى منزله
فحرت اخته صحر جزوراً من غنيمته وصنعت منه طعاماً تحف به أمها اذا قدم فلما قدم لثمان قدمت
له الطعام وكان يحسد ابنه لقيماً فاطمها ولم يكن لها ذنب . وقد ضرب بها المثل لقبول لا ذنب له الا ذنب
صحر . وهذا الثل يضرب لمن عوقب على الاحسان

كل نابه فأخذوا يكفرونه بالشبهة ، ويرمونه بالالحاد والزندقة . بالظن والتوهم ؛ ويؤولون كلامه على ما يوافق أهواءهم وان كان صريحاً في غير ذلك .

ومن أغرب ما رأيت في هذا الباب : وصمه بالمزدكية . ولعل اول من رماه بها الذهبي فإنه قال فيه : هو صاحب التصانيف المشهورة ، والزندقة المأثورة ، له رسالة الغفران قد احتوت على مزدكة واستخفاف .

ذكر ذلك الذهبي ولم يفسر لنا المزدكة ولا بين موضعها في رسالة الغفران ثم جاء الدكتور طه حسين فتمسك بهذه الكلمة ووضحها وبنى عليها أحكاماً جائرة على أبي العلاء فقال في تجديد الذكري (ص ٣٠٠) من الطبيعي اذا اعرض أبو العلاء عن النسل ان يعرض عن الزواج لانه سبيله ولأن فيه شروراً أخرى ذكرها غير مرة في اللزوميات ٠٠٠ على انه قد نهى عن الزواج نصاً فقال :

فان انت لم تملك وشيك فراقها فحف ولا تكح عواناً ولا بكرأ

وذلك جاءه من سوء ظنه بالنساء واعتقاده أن العفة والاحصان فيهن نادرة ولعل هذا الرأي هو المزدكية التي أشار إليها الذهبي . . ونسب شيئاً منها الى رسالة الغفران لاشتمال هذه الرسالة على ألوان من إباحت القرامطة يروها رواية الساخط عليها . وفي اللزوميات ما يؤيد ميل أبي العلاء في بعض أطواره الى الاشتراكية في النساء . . . وسترى أن مذهب ابي العلاء في الاخلاق لا ينافي هذا الرأي . . ثم قال في مجت الاخلاق (ص ٣٠٣) ابو العلاء يرى رأي ابيقور [في اللذة] ثم قال : فليس من الغريب بعد ذلك ان يشير ابو العلاء بالاشتراكية في النساء . الى آخر كلامه .

هذا ما فسر به المزدكية التي الصقها بأبي العلاء ولقد رجعنا الى ابن النديم المتوفى نحو سنة ٣٧٨ فرأيناه يقول في الفهرست (ص ٤٧٩) ان مزدك القديم مجوسي في الأصل من الحرمة المعروفين باللقطة أمر اصحابه بتناول اللذات والعكوف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه ومع

هذه الحال يرون افعال الخير وترك القتل وادخال الآلام على النفوس ولهم مذهب في الضيافات ليس لأحد من الأمم اذا أضافوا الإنسان لم يمنعه من شيء يلتمسه كائناً ما كان . وعلى هذا المذهب مزدك الأخير الذي ظهر في أيام قباذ بن فيروز وقتله انوشروان وقتل أصحابه وخبره مشهور معروف . ونظرنا في كتاب الملل والنحل لمحمد ابن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فاذا هو يقول (ص ٨٦) على هامش الفصل ج ٢ . مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد انوشروان . وكان مزدك ينهى الناس عن مخالفة والمباغضة والقنال ولما كان أكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال أحل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكى انه كان أمر بقتل الانفس ليخلصها من الشر

ورأينا ابن حزم يقول في الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج ٢ ص ١١٦) وكان مزدك يقول بوجود تامي الناس في النساء والاموال .

ورأينا ابن الاثير يقول في الكامل ج ١ ص ١٨٢ في أيام قباذ بن فيروز ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والأملاك والنساء والعييد والإماء حتى لا يكون لأحد على أحد فضل في شيء البتة . فكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الاموال والعييد والإماء وغيرها من الضياع والعقار وحرم ذبح الحيوان وقال : يكفي في طعام الانسان ما تنبتة الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والخبز وذكر انه طلب امرأة قباذ ليقتضي وطره منها فأجابته الى ذلك فقام ابنها انوشروان وقبل رجلي مزدك وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه ، قتر كها . هذا ما قاله العلماء في مزدك واذا قايستنا ما عرفناه من احوال ابي العلاء الى ما عرفناه في مزدك نبين لنا ان ابا العلاء يخالفه في تناول اللذات والعكوف على الشهوات وأكل ما يتولد من الحيوان وادخال الآلام على النفوس وقتلها لتخليصها من الشر ، والاشترك في الاموال الا بقدر معين في الشرع ونحو ذلك ، ولم يوافقه الا في فعل الخير وترك القتل والنهي عن المباغضة . وهذا مما جاءت به الشريعة الاسلامية بل الشرائع السماوية كلها .

وقد ذكرنا أن الذهبي لم يفسر المزدكية وان الذكتور فسرهما بالاشتراك في النساء والإباحة ، وهذا تقول على أبي العلاء ، ومن استقصى كلامه في اللزوم وغيره يتضح له منزلة هذا القول من الحقيقة ويتبين له أن ابا العلاء أشد الناس غيرة على المرأة ، وأكثرهم تشدداً عليها وأوفرهم حرصاً على ابعادها عن مواطن الريبة وان افراطه في الغيرة عليها ، والحرص على عفافها حمله على الخروج عن آداب الشريعة الاسلامية والاسراف في الارتياح فيها ، فهو لا يريد أن تتعلم المرأة القراءة والكتابة علموهن الغزل والنسج والردن وخالوا كتابة وقراءة فصلاة الفتاة بالحمد والاخذ لاص نغني عن بونس وبراءة وانما نهى عن تعليمها ذلك غيرة عليها لأنها :

تهتك الستر بالجلوس أمام الدتر ان غنت القيان وراه وهو يعتقد أن المرأة في طبيعتها كالسهم القاتل والتعليم كالسهم لها لانه يبصرها بما لم تكن تراه ويدلها على ما لم تكن تعلم من أنواع الشر والفتن ولا تحمد حسانتك ان توافت بأبسد للسطور . قومات فحمل مغازل النسوان أولى بهن من البراع مقلبات سهام ان عرفن كتاب لسن رجعت بما يسوء مسمات واذا لم يكن بد من تعليمهن فليقتصر على تلاوة القرآن على عجوز تقية فان عيب اللحن اهون من عار الفتنة .

ليأخذت التلاوة عن عجوز من اللاتي فغرن^(١) مهتات يسبحن المليك بكل جنح ويركعن الفحى متأثمات فما عيب على الفتيات لحن إذا قلن المراد مترجمات وأما الرجال فلا يسوغ الاقتراب منهم الا اذا كان الرجل هرمًا ضعفت منته وخارت قوته ، وأمنت فتنته ، ولو كان أعمى فان الشهوة بصيرة ولا بدنين من رجل ضرير يلقتنن آيبًا محكمات سوي من كان مرتعشًا بداه ولتسه من المتشغبات

(١) كذا في الأصل ولعله ترون .

ويرى الصلاة في بيئها افضل من المسجد خشية عليها من الفتنة
 اذا مارامت الصلوات خود فكن البيت افضل مسجديها
 ولا يرى الحج فرضاً عليها حذراً من الاشرار عليها وسواء في ذلك الصغيرة
 والكبيرة فان لكل ساقطة لاقطة
 أقيمي لا أعد الحج فرضاً على عجز النساء ولا العذارى
 ففي بطحاء مكة شر قوم ولبسوا بالحماة ولا الغيارى
 وربما كانت تقيم الشعائر والغواة ينصبون لها الحبال
 ولكن جاءت الجمرات ترمي وأبصار الغواة الى بديها
 وليس محمد فيما اتته ولا الله القدير بمحمدية
 وليس الرجل في اعتقاد ابي العلاء باحسن حالاً من المرأة بل هما فرسارهان يتباريان في الشر
 والفتنة فهو يخاف على المرأة من الرجل بقدر ما يخاف على الرجل منها لأن الجيلة
 واحدة والطبع واحد؛ وربما اغوته ان لم بغوها وعلى هذه القاعدة لا يأتمن اخا
 الرجل على حرمه

اذا امنت على مال اخا ثقة فاحذر اخاك ولا تأمن على الحرم
 فالطبع في كل جيل طبع ملامة وليس في الناس محبوب على الكرم
 ولا يأمن الوليد عليهم مخافة ان يغويته او يغوين
 إذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
 فان خالفتني وعصيت نصحي فأنت وان رزقت حجي بليد
 الا ان النساء حبال غي بين يضيع الشرف التليد

وقد اشتد في النهي عن خروجها الى الحمام
 أعوذ بالله من ورهاء^(١) فائلة للزوج اني الى الحمام احتاج
 لأنها قد تتدعه بذلك

وهما في امور لو يطاوعها كسرى عليها لشين الملك والتاج
 وامر بضرها اذا خرجت الى العراف او النجم وبمواثبتها اذا ابدت زينة بديها
 وبفراقها اذا كشفت عن ساقها .

إذا ابتكرت الى العراف فاعرف	مكأن عصا تصك به قراها ^(١)
وساورها ^(٢) إذا ابدت سواراً	وبارئها ^(٣) متى كشفت براها ^(٤)
وحذرهما المنجم فهو ذئب	تشوقه الضوائن ^(٥) ان يراها
فان هي لم تبيح الى قبيح	تحلبها المنافع وامتراها
ونهاها عن مجالسة ابن الزوج والختم	
لا تجلس حرة موقفة	مع ابن زوج لها ولا ختم ^(٦)
فذاك خير لها واسلم للاذ	سان ان الفتى مع الفن
ودم على غيرة الصبا ابدأ	ولا تعد في الشراب ثم تني
كما نهى عن شهودها الأعراس	
نصحتك يام البنات فخاذري	وساوس ولاج الاساود خناس
ولا تلبسي الحجلين بتك والبري	لتشهد عرساً واشغليها بعرناس ^(٧)
وعن محاورة الجارة	
فتزه ناظريك عن الغواني	وأكرم جارتيك عن الحوار
وعن النظر اليها	
إذا قصر الجدار فلا تشرف	لتنظر ما تستر في الجدار
والى الغاديات الى الكنائس	
فلا تعرض في طريقك ناظراً	نساء النصارى غاديات الى الكنس
وعد الرجل الذي يجمع في بيته الندامى	والمغنين غير حازم اذ قد يترتب على عمله فتنة
لعمرك ما زوج الفتاة بحازم	اذا ما الندامى في محته غنوا
أنى بيته بالراح أو الشررب لاهياً	فامارنوا ^(٨) نحو الظهينة او زنوا ^(٩)

(١) ظهرها (٢) وانها او تناول رأسها (٣) فارقتها او سالها على الفراق
(٤) جم برة : الخطل (٥) جم ضائنة : الشاة من الغنم يريد بها المرأة
(٦) جاء الختم لمان منها : زوج البنت وكل من كان من قبل المرأة كالأب والابن
(٧) العرناس : وضع سائخ قطن المرأة والسيخة قطعة من القطن تسخ بمه الندف اي
تلف لتنزل (٨) رنا اليه : أدام النظر (٩) زنى تزنية بمعنى زنى .

وعد المرأة التي لا تقتصر على زوج شرعي شر النساء لانها مضیعة للأولاد
 شر النساء مشاعات غدون سدى
 كالارض يحملن اولاداً مشاعينا
 والامر لله كم أودى فتى ومضى
 عينا وخلف اولاداً مضاعينا

واعتمد النكاح بغير مهر [السفاح] من اضمحلال الدين

قد اصبح الدين مضحلاً
 ولا زكاة ولا صيام
 وغیرت آیه الدهور
 ولا صلاة ولا طهور
 واعتاض حل النكاح قوم
 بنسوة ما لها مهور
 ومن انقلاب الزمان طلب المرأة الزوج وبذل المهر منها
 قلب الزمان قرب خود بتبغی
 زوجاً وتبذل غالباً من مهره
 وجعل خير النساء من تصون نفسها من العار

وخير النساء الحاميات نفوسها
 من العار قبل الخليل تحمي ذمارها

هذا قل من كثر من كلام ابي العلاء يمثل لنا غيرته على المرأة وارتياحه فيها
 وحرصه على عفافها وطهارتها؛ فأين المزدكية أو الاباحية التي زعمها الذهبي والدكتور؟
 بل كيف نتأتى نسبة ذلك اليه وهو على مارأيته من تشدد وامراف في الحفظ
 على كرامتها؟

أما القرامطة فقد بين ان غرضهم خدع وتعميل وتوصل الى المملكة وتضليل
 ولعن بعض رؤسائهم وكفره في ص ١٤٥ من رسالة الغفران ولعن الجنابي في
 ص ١٤٧ وفضل الجاهلية عليهم في الازوميات حيث يقول :

ما للمذاهب قد أمست مغيرة
 قالوا البرية فوضى لاحساب لها
 لها انتساب الى القدّاح او هجر
 وانما هي مثل الثبت والشجر
 سجية الحادث الحراب او حجر
 معرضات لأهل الباطل الفجر
 صفرا من الحكم التعظيم للحجر
 وان احسن من تعظيمهم رجلا

وجعل تحكيمهم في الناس من العكس الذي مني به البشر
عكس الأنام بحكمة من ربه فتحكم الهجري فيه وسنبر
وبين غرضهم من مذهبهم بقوله من آيات

انما هذه المذاهب اسبا ب جذب الدنيا الى الرؤساء
غرض القوم متعة لا يرقو ن اذمع الشياء والنساء
كالذي قام بجمع الزنج بالبص رة والقرمطي بالاحساء
فانفرد ما استطعت فالقاتل الصا دق يضحى ثقلا على الجلساء

ولقد فشت في رسالة الغفران فلم ار فيها ألواناً من اباحة القرامطة وانما رأيت
فيها لوناً واحداً وهو انه كلما ذكر واحداً منهم لعنه ومن الغريب ان الدكتور يذكر
ان فيها ألواناً من اباحتهم يرويها المعري رواية الساخط عليها ثم يجعلها مما يستند اليه
في نسبة الاباحة الى أبي العلاء .

وتبعت كثيراً من أقوال المعري وآرائه ومذاهبه في الأخلاق فلم أر في شيء
منها ما يدل على ميله الى الاشتراكية في النساء او ما يشير اليه وانما كل ما وجدته
في اللزوم من جنس ما ذكرته ولولا خشية الإطالة لأوردت كل كلامه في ذلك
وليس من المعقول أن يتشدد أبو العلاء في حجاب المرأة ويسرف في الارتباب
منها ويحظر عليها ما اباحه الاسلام لها من شهود الحج والصلاة والتعلم ونحوها ويبالغ
في حجبها عن مخالطة الولد والختم والذهاب الى الحمام والعراف والخروج الى سطح الدار وما
شا كل ذلك ويفرط في الغيرة الى حد لم يبلغه غيره . كل ذلك غيرة عليها وحرصاً على
كرامتها وضماً بعفافها ثم يقال بعد ذلك انه يميل الى الاشتراكية فيها او يشير اليها
ان هذا الشيء عجاب .

فهل للاستاذ الدكتور ان يرشدنا الى اقواله في رسالة الغفران او ابيانه في
لزوم ما لا يلزم التي تثبت ميل المعري الى ذلك وتؤيد ما زعمه فيه فتكون له من الشاكرين
على اننا لا نعجب من تسرعه في الحكم وامرافه فيه على ابي العلاء واستنباطه
من كلامه ما لا يريد ولا تدل عليه فحواه فان له كثيراً من هذا النوع في ذكرى
ابي العلاء وتجدده .

من ذلك انه في ص ٣٠٠ تجديد . اورد للمعري أبياتاً يصف فيها النساء منها قوله
 ودفن والحوادث فاجعات لاحداهن احدى المكرمات
 وقد يفقدن أزواجاً كراماً فيا للنسوة المتأيمات
 ثم قال بعد ذلك . فانظر كيف بالغ في ذلك حتى استحسن من وأد البنات
 ما حرم الله ونهى عنه الدين . . الى آخر كلامه

ولقد فحشت في هذين البيتين وفي الأبيات التي قبلها فلم ار ذكراً للوآد وانما
 وجدت « ودفن » . والدفن غير الوآد تقول دفنت الشيء اذا اخفيته تحت اطباق التراب
 كما في المصباح ودفن الميت واره واما الوآد فهو دفن الانسان حياً تقول وأد ابنته
 اذا دفنها حية هذا هو المشهور المعروف في عرف اللغة والشرع .

وقول ابي العلاء ودفن . . لاحداهن احدى المكرمات مقتبس عن حديث
 مروى عن النبي [ص] دفن البنات من المكرمات اي من الخصال التي بكرم الله بها
 آباءهن لأن البنت ضعيفة كثيرة المؤونة وقد تجر العار وتجلب العدو الى الدار
 وليس مراد النبي [ص] بقوله هذا الدلالة على كراهة البنات بل اخرج ذلك
 مخرج التعزية للنفس والحديث عده السيوطي صحيحاً وتكلم فيه غيره وليس هذا
 موضع تحقيقه وانما غرضنا ان نبين ان المعري لم يستحسن ما حرم الله ولا أتى بما يخالف
 كلام رسول الله فلا نعلم كيف استباح الاستاذ الدكتور لنفسه ان يحمل كلام
 المعري على ما لا يريد ولا بدل عليه صريحه ثم يرميه بالكفر واستباحة ما حرم الله
 تعالى وقد بينا كثيراً من مثل هذا في كتابنا المسمى بالتعريف بأبي العلاء . وسننشر
 طائفة منه كلما سنحت لنا فرصة ان شاء الله تعالى .

سليم الجندي

افتتاح موسم المحاضرات

في المجمع العلمي العربي

لعام ١٩٤١ - ١٩٤٢

اعتاد المجمع العلمي العربي أن يتخذ أصيل يوم من أيام كل اسبوع محاضرة علمية يدعو إليها أهل الفضل والادب ويتبدى موسم هذه المحاضرات في شهر تشرين الثاني وينتهي في شهر حزيران من كل عام . وقد كانت موعد افتتاح محاضرات هذه السنة يوم الجمعة في ٧ تشرين الثاني . وتفضل نخامة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسيني بأن يوعى بعنايته السامية هذه الحركة العلمية . فترأس هذه الخفلة بشخصه الكريم يحف به دولة رئيس الوزراء المعظم السيد حسن بك الحكيم . ومعالي وزير المعارف السيد فيضي بك الأتاسي . ومعالي وزير العدلية السيد زكي بك الخطيب . واستقبل رئيس المجمع العلمي نخامة رئيس الجمهورية وهيئة الحكومة بالكلمة الآتية :

يا صاحب الفخامة

يسر المجمع العلمي العربي أن يستقبل دورة محاضراته تحت رعاية نخامتكم وقد نالت مسورية استقلالها المنشود ، وكله آمال ان يكون العهد الجديد خيراً كله للبلاد .

وإذا احتفى المجمع العلمي بفخامتكم فانما يحتفي برجل كان يسارع الى حضور محاضراته منذ أول تأسيسه ويشارك أعضائه في رغائبهم وبعطف عليهم وعلى عملهم فانتم إذاً من أعرف الرجال بالمجمع وبما يصلحه .

ولقد شهدتكم ، شهد الله ، وأنا اعلم معكم في وزاراتكم الاولى أربع سنين كيف كان وجهكم يطفح سروراً كلما قام في الدولة مصنع جديد ، وما أنس

لا أنس ما فهمت به مرآت لما قامت مدرسة تجهيز دمشق ودار حكومة حلب وجسر الفرات الذي ربط الشام بالجزيرة ، وما كان يبدو من عنايتكم عند البدأة بإنشاء تلك المدارس ودور الحكومة والطرق المعبدة وسائر المرافق .

فهل لكم اليوم ، وييدكم أقدار هذه الديار ، ان تقلدوا تلك الاعمال الحميدة قلادة جديدة يجلدها لكم التاريخ في صفحاته الأزلية ، واعني بذلك انفاذ مشروع قديم للمجمع كان يجير بفائدته بل بضرورته منذ أسس عام ١٩١٩ وأقل ما يعظم به النفع منه دفع خطر الحريق عن مجموعاته وكتبه وتمهيشه أما كن صالحة صحية للدارسين والباحثين في غرفه وأبناؤه ، وذلك باظهار المدرستين العادية والظاهرية بمظهر يليق بمدينة كدبنة دمشق . والظاهرية والعادية بقية زهاء ثلاثائة مدرسة دارسة كانت مفخرة من مفاخرنا .

إذا صدر أمركم العالي واستمكت العقارات المحيطة بمدخل المجمع منذ باب البريد فجرى توسيع هذا الزقاق الضيق ورفعت هذه البيوت الكثيرة التي أفسدت هواءها تين المدرستين وشعثت رواءهما وبهاهما ثم رم بناؤهما حسب التصميم القديم يكون ذلك مقدمة الى تفريغ ما حوالى الجامع الأموي وانقاذه من خطر الحريق فقد حرق سبع مرآت كانت النار تسري اليه من الأسواق المحيطة به على الأكثر .

إذا فعلتم يبدو أعظم جامع في الاسلام فتنة للناظرين من داخله وخارجه ، وتأمين الظاهرية من خطر النار كل ساعة لأنها في جوار قمين وفرن ، ان نجت من نار الأول فقد لا تنجو من نار الثاني . ويسلم قراء دار الكتب ومستخدموها من عنق الدخان الذي يضيق الانفاس كل يوم من هذا القمين .

بهذا العمل تسجلون لكم مأثرة جليلة تحرزون بهارضا العلامة الاستاذ والدكم فانه رحمه الله كان كثيراً ما يخشى على مجموعة الحديث التي ضمتها جدران الظاهرية لعلمه بأنها اعظم مجموعة في العالم ويرجو ان تهيب الأيام من يجيها بالطبع خدمة للاسلام والمسلمين .

هذه أمنية المجمع العظمى عرضتها على نظركم العالي وبحقيقها تسدون للعالم

والفن الاسلامي منته كبرى وفقكم الله لما فيه سعادة هذه الجمهورية ببنه وبمنه

وبدا فخامة الرئيس يجيب على هذا الترحاب والرجاء فقال مرتجلاً :

يا معالي الرئيس !

السنا هنا في عرش أمية ، الذي طأطأ العالم رأسه بين يديه ؟
السنا في ينبوع المقدس ، الذي تدفقت منه أنهار الحضارة والأخلاق الى
انحاء الدنيا العارقة في الظلمات ، فعمرت عقول الناس بالنور ، وقلوبهم بأنبل الشعور ؟
السنا في المجمع الخالد ، الذي لم يطلق عليه اسم « البانتيون » ، ولكنه ضم
هنا وهناك بقايا ملوك وزعماء ووزراء وعلماء ، كانوا آيات العبقريه وعناوين الزمان !
فاسمح لي يا معالي الرئيس وانا في موقف هذا وتطوف بي ذكريات تاريخنا
الحديد ، ان اقف خاشعاً وان ادعوك جميعاً الى الوقوف خاشعين ، وان اطلب
منكم خلال هذه الدقيقة الملهمه ان تفكروا في شيء واحد : في ماضينا العظيم ،
وفي رجالنا الخالدين الذين عظمونا في عيون العالم .

لقد فكرتم بالرجال الذين اعزوا البلاد بعد ذل ، وعلوها بعد جهل ، واستطعتم
ان تصوروا في هذه اللحظة ما كان لنا من مجد وعظمة ، فاذا دعاني معالي
الرئيس الى استبقاء هاتين المدرستين ، وتجريدهما من هذا الاطار الفقير الذي غمر
روءهما وبهائمهما ، لنحتفظ بقطعة من تراثنا الضخم ونجد فيها رائحة فانا اقول له :
سنعمل لهذا بالقدر المستطاع ، فكل ما يعني مجد البلاد وتاريخها يعيننا !

ولكنني ادعو اليوم الى عمل اكبر واعم وانفع ، ادعو ابناء البلاد الى ان
ينذروا مواهبهم وقواتهم متحدين متكاتفين في سبيل تأسيس دولة جديدة ، نشي
فيها كما كان آباؤنا ينشئون ، ونكتب في صفحات التاريخ مثلاً كانوا يكتبون ،
فنحن لا نريد ان نعيش من الذكرى ، ولكننا نريد ان نعيش الذكرى بنا ، فلا
يقال كان لهؤلاء آباء ! وانما يقال : هؤلاء هم الناس وكانت لهم آباء !

أيها السادة :

لقد شاء الله سبحانه وتعالى ان تنعم أمتنا في مرحلة من ادق المراحل التي يجتازها العالم بنعمة السيادة والاستقلال ، وكل واحد منا مسؤول عن هذه النعمة مدعو الى حمايتها ، وويل لمن يريد ان يضيعها .

أما الوسيلة الى توطيد دعائم السيادة والاحتفاظ بظواهر الاستقلال فهي الاخلاق الحميدة والثقافة الفاضلة ، وانه ليسرني كثيراً ان اعلن الآن افتتاح موسم المحاضرات في المجمع العلمي العربي متمنياً له التوفيق في عمله الثقافي والاخلاقي .

واذا كانت العادة ان تحتتم الخطب في الحفلات السياسية بكلمة عاشت سورية مستقلة ذات سيادة !

فأنا أضيف الى هذا الهتاف - وقد رأيتكم نتنادون الى حلقات العلم ومجامع الفضيلة - قائلاً :

عاشت سورية المثقفة المهذبة ! وعاش رجالها العلماء ! اهـ

وقد ظهرت خلال خطاب الرئيس الأول البهجة على وجوه الحاضرين من وعده الكريم بعمل ما في وسعه لتحقيق هذه الآمال ، وما فرغ من خطابه حتى تقدم معالي رئيس المجمع العلمي اليه شاكرًا همته وحسن وعده ثم عاد الى منصة الخطابة فألقى المحاضرة الآتية :

ارشاد العامة

لو كان من وكل اليهم هداية العامة يؤمنون حقًا بما يعظون لأثرت اقوالهم التأثير المطلوب ولقلَّ معظم ما نراه من شرور . الدين بقوم المعوج ويطهر النفوس ، ولكن اذا آض الى ابدى من لا يحسنون استعماله يصبح عبارة عن رسوم وشعائر لا تدخل الصميم .

نرى المصلين في الجوامع الى اليوم ليسوا بقليل عددهم ، ولكن هل عملوا كلهم

يا ترى بما يتلون وما يلى عليهم؟ هل هدتهم صلاتهم الى ان الله تعالى حرم عليهم الكذب والسرقة وأمرهم بالصدق والأمانة؟ ابحتوا في شؤون هؤلاء المستهترين ، هل ترون اكثرهم عمل بقليل مما امره به الدين ام هو مسلم جفراي في ، ومسلم تشهد باسلامه تذكرة النفوس فقط .

ارجو الا اتهم بالمبالغة او باستعمال الاسلوب الخطابي ولا اطلب ممن يتمحني بذلك الا ان ادعوه ليحكك بالسوقة والمرزقة والتجار والفلاحين فيشهد العجب من أخلاق بعضهم . نرى السارق يسرق بدون تكبير والكذاب يكذب ولا يخجل ، وهناك سلسلة من التزوير والتفجير ، ولو أردنا تصفية أبناء كل حرفة من لوثاتهم ما ثبت على محك النقد الا افراد تلائل في كل قرية وفي كل حي ومنزلة .

تديروا أخلاق اكثر اهل القرى وأخلاق اهل المدن تروا بعض الفلاحين والمدنيين سواء في الفساد وضعف الأخلاق ، لا تكاد تجد الأمين المؤمن الا نادراً ، وكان الأجداد على عكس ذلك تغلب الفضائل النفسية على السواد الأعظم منهم في الجملة . واكثر من تعتقدون اليوم فيهم الأمانة يسرقونكم متى آنسوا منكم ضعفاً او غفلة ، اما الكذب فلم يسلم منه الا من عصم ربك ، واما الغش فما أظن المانع لبعضهم من الاسترسال فيه الا علمهم بأن اشتهارهم به يؤدي الى قطع ارزاقهم .

أمثل لكم بمثال واحد أثبت به ما أقول ، وهو تحت نظرنا كل ساعة وكل يوم ، انظروا نظر النقاد في البياعات والحاجات هل تجدون أشياء كثيرة سلمت من الغش يغشون في الكيل والوزن وفي القياس والدرع ، واكثر مواد الغذاء مغشوشة فالغش يدخل الخبز واللحم والسمن والزيت والزبد والقشدة والجبن والدبس والعسل واللبن الرائب واللبن الحليب وماء الزهر وماء الورد . واذا أرادت الحكومة ان تسيطر على العامة والمرزقة قد يشترك من تنصبه لذلك مع الغشاشين فيزيد لص كبيير الى اولئك اللصوص الصغار ، وهذا المسيطر قد يكون ممن يحمل شهادة أطول من قامته ولكن نفسيته دنيئة . معظم ما يعمل في السوق وفي خلوة مغشوش :

الأدوية مغشوشة في الصيدليات والقهوة والمرطبات مغشوشة والحلويات مغشوشة والالوان المطبوخة مغشوشة . وارباب المدارك من المستهلكين يعلمون هذا ولا يستنكرونه لأنهم هم أيضاً مشاغيل بعشهم ومنهم لصوص في ثياب تجار أو زراع أو صناع .

كان أكثر العامة منذ نحو خمسين سنة يعتمدون عن النش في الوزن والكيل وعن غش المائعات والسائلات وما كان الفلاح يجوز لنفسه غش اللبن غالباً لأنه كان يعتقد ان الله تعالى يجازيه على فعلته بهلاك بقرته او عزته او نعتته ، وما كان يجب أن يُخسر الكيل والميزان لأن الله له بالرصاد يعاقبه في الدنيا قبل الآخرة فيفجعه بأولاده ، ويرزؤه بصحته او دابته ، ويسلط الاقوياء عليه يهنونه ويسرقون ما ادخر من مال ومؤنة ، او يسلط عليه آفة تأتي على الأخضر واليابس مما جمع . كان هذا الاعتقاد نافعا جداً في دفع الأذى يساعد المحتسب على القيام بانفاذ قانونه على الناس في يسر وسهولة ، والمحتسب بمشابة رئيس البلدية ومدير الشرطة والصحة اليوم . اما لعهدنا هذا فقد تفلسف بعض العامة بل الحدوا وتزندقوا فظاولوا مسلمين يصلون ويصومون ولكنهم يسرقون ويفحشون في سرقاتهم . وهذا مما ينذر بسوء المصير .

انا كلما زدت معرفة بهذه الطبقات يسوء ظني بالمستقبل واعزني نفسي بأن الأخلاق قد تتردى في عهد الحروب والغوائل ولا بد أن تحسن متى انجحت الغمرة وزالت الشدة ، ولطالما تميت لو قاسمني السارق برضاي ما يريد ان يسرقه مني في سر ، وكثيراً ما قلت لهؤلاء الفلاحين وغيرهم اذا طمعت أنفسكم في أخذ شيء من اشياي فقولوا لي وانا أنزل لكم عن بعضه برضاي فتأخذونه حلالاً طيباً ولا تطعموا في أخذ شيء بدون علي فانا لا أريد ان استرقع واستحقق . ولطالما قلت لبعض أرباب الصناعات خذوا اجرة حسنة علي ان تعاهدوني الا تسرقوا شيئاً في غيابي ، ولكن نفوس أهل هذه الطبقة زُين لها الرجح من أي طريق أتى . ولكم كنت اعطي العامل واكرمه وكما زدت في اكرامه لتضعفني وغلا في نهبي .

لا أوم من لا تدرك عقولهم الا المنفعة المعجلة وعقولهم في عيونهم كما يقال ، وقد تجردوا من الفضائل الكسبية والفطرية ، بقدر ما أوم من يجيئون في طبقة أرقى من طبقتهم وهم مناط الرجاء في الهيمنة عليهم .

رأيت هؤلاء الفشاشين باعة وتجاراً يجمعون اموالاً وبينون حوائت وبيوتاً ويقتنون مزارع وحدائق ثم يبدد كل ما جمعه بأدنى عارض فكنت احمد الله على ذهاب اموال جمعت بالسحت وبالغش وأجد ذلك عقوبة عادلة لهم . رأيت ثروات من احكروا أصنافاً من القوت في الحرب الماضية نتمزق شرمزق ، وكذلك سيكون مصير أموال من تجردت نفوسهم من كل شفقة واحتكروا في هذه الحرب تلك الأصناف ولكن الناس لا يعتبرون .

والآن ماذا يجب ان يعمل لإصلاح هذا الفساد المستشري او تخفيف وبلائه على الأقل ، هنالك ثلاثة عوامل تفيد في تقليم اظافر الفاسدين وتعيد الى المجتمع صفوه الذي كان له في الدهر السالف . العامل الأول تطبيق القانون على من يعشون بحقوق اخلق بدون مسامحة ولا هوادة فان قوانيننا الشرعية والوضعية كفيلة بالسعادة ، لو جرى تطبيقها على ما يجب ما احتجنا بعدها الى وازع آخر . الا ان المسألة نتوقف على انفاذ تلك القوانين ، والقوانين تعني غناءها بالتطبيق لا بجمال مادتها وانسجام عبارتها . وفي بعض الآثار : يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن (أي ان من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان اكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى) ولا بد من تضيق خناق المسيطرين على القوانين في ارشاد العامة الى الجادة وان يطرد المتساهل من عمله ولو كان يعد من الرؤساء فالسمكة نثن من رأسها كما يقول الأترك في امثالهم ، والتفتيش يجب ان يتناول الكبار قبل الصغار ، فبأيديهم تسير مصالح الناس سيراً حسناً او لتلوى وتزيغ . والعامل الثاني الخطباء والوعاظ فهؤلاء من واجبهم ابدأ ان يبينوا للفاسدين مغبة عملهم على انفسهم وعلى الجماعة ، يقولون ما يقولون لم عن عقيدة لا كلاماً لا يتعدى أطراف الشفاه ، يختلطون بالناس وينوعون الأساليب لمن يهيم المجتمع ارجاعهم

الى الطريق السوي ، ويخاطبونهم باللغة التي يفهمونها ، ويدلونهم من طريق العقل والنقل الى كل ما فيه صلاح نفوسهم والبعد بها عن الكذب والخديعة .

والعامل الثالث وهو الالهام قيام الامة على اختلاف طبقاتها بهداية الضالين وتذكيرهم بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم ومقاطعتهم اذا سرقوا وكذبوا وان بينوا لهم السبب الذي من اجله قاطعوه ، وعلى الصالحين ان يعتقدوا انهم بعملهم هذا يقومون بواجب مقدس ، واذا هم رحوا حيث لا تحل الرحمة تضيع حقوقهم وحقوق غيرهم ، وعليهم ان يعتقدوا ان واجب كل انسان ان يعتقد اعتقاداً جازماً انه هو القانون وهو الحكومة ، وانه متى تهاون فيها يرى ويسمع من منكر ولم يتقدم لاصلاحه يعد خائناً لأمته وخائناً لنفسه ، فان الفرد في معظم الأمم الراقية في الغرب يعاون الحكومة في مهمتها ويعتقد انه اذا لم يهيمن بنفسه على من يخرق قوانين بلاده يعد شريك الجاني والمجرم .

وهذا العامل الثالث من أشد العوامل الناجعة في هداية الزائغين من العامة ، خصوصاً اذا أوهم الخواص العوام انهم ليسوا أرقى منهم كثيراً ، وان بينها درجة اذا صعدوها مائلوهم في المجتمع وكانوا موضع الرعاية والحرمة . ولا يؤلم العامة اكثر من احتقارهم . ومن هنا جاء حسد الفقراء للأغنياء ، واعراض الجهلاء عن العلماء ، وغيره الضعفاء من الأقوياء .

اذا اجتمعت هذه العوامل الثلاثة وعملت باخلاص وجد ينصلح الجزء الاعظم من الأمة وباصلاحه ندخل في طور جديد ونحمد غيب القوانين المرعية ، واذا بقيت كما هي اليوم عادت كعلم جابر اقرأ تفرح جرب تحزن . ومن كان صلاحه بيده وهو يهمله لا يبالي فأنذره بمصير من يعلمون ولا يعملون . ٥١٠ هـ

ولما انتهى من المحاضرة خرج واعضاء التجمع العلمي العربي مودعين فخامته ودولة رئيس الوزراء وصاحبي المعالي وزير المعارف والعدلية متمنين ان تحقق همة فخامة الرئيس وسعي هيئة الحكومة ذلك الوعد الكريم وفقهم الله .

شرح مختصر القدوري

المسمى خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل

اقتنيت منذ سنوات كتاباً مخطوطاً في الفقه مخروم الأول ولعل النقص فيه لا يتجاوز الكراسة الأولى التي تحتوي على كتاب الطهارة وباب التيمم وقسم من باب المسح على الخفين الذي تبدىء نسختنا هذه بالقسم الباقي منه ثم تليه الأبواب الأخرى .

ويستشهد الشارح بأقوال الإمامين أبي حنيفة والشافعي إلا أنه يقول أولاً قال الشافعي ثم يردفه أحياناً بقول أبي حنيفة أو أئمة الحنفية الآخرين .
وابحاث الكتاب مختصرة بقدر الامكان بيد ان الایجاز فيها لا يخل بالمعنى ولا يؤثر في الموضوع .

وليس في آخر الكتاب ما ينم على اسمه او اسم مؤلفه غير انني وجدت في نسخة مخطوطة في خزانة كتبي من مختصر القدوري تعليقات بحروفٍ دقيقةٍ منقولةٍ عن «خلاصته» وهذه التعليقات فيها بعض ما في النسخة التي نبعتها الآن فدرج لي ان هناك شرحاً بذلك الاسم وبالرجوع الى كشف الظنون عن الكتب والفنون ملأاً كاتب جلبي ألفتته بقول :^(١)

وشرحه (اي مختصر القدوري) حسام الدين علي بن احمد مكي الرازي وسماه «خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل» وتوفي سنة ٩١٨ هـ ثمان وتسعين وخمسمائة وهو شرح مفيد مختصر نافع وعليه ثلاث تعليقات لابن صبيح أحمد بن عثمان التركماني الأولى في حل مشكلاته والثانية فيما اهمله من مسائل الهداية والثالثة في احاديثه والكلام عليها وتوفي سنة ٧٤٤ وسماه الطرق والمسائل الى معرفة احاديث خلاصة الدلائل . وقد جاء في آخر هذا الشرح ما يلي :

«فهذا آخر ما انتهينا اليه وقد وفينا بما ضمنا والله المستعان واليه الرغبة في

العفو والغفران والتجاوز والامتنان انه الكريم المنان والحمد لله رب العالمين»

ثم جاء الناسخ وعقب على ذلك بقوله :

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك يوم الاربعاء ثامن عشر شهر صفر من شهر سنة ست وستين وسبعائة . نسخته بيده لنفسه العبد الفقير الى الله تعالى الكثير العصيان الراجي من ربه العفو والغفران علي بن طاهي (كذا) بن عبد الله الحنفي مذهباً للمسلمي ملبساً^(١) غفر الله له ولوالده ولمن دعا له بخاتمة خير وجميع المسلمين . آمين يا رب العالمين) .

وعلى صفحات عديدة من هذا الكتاب اشارات سماع وتطبيق مثل بلغ . وبلغ وصح . وبلغ في الأصل وبلغ وصح من الأصل . ولكن الكتاب لم يذيل كأمثاله بالسماع التطيقي المعتاد توقعه من قبل الشيخ المستمع حيث يذكر اسم الكتاب ومؤلفه واسم مسمع الكتاب أي قارئه على المقروء عليه الذي يميزه بعد ذلك باقرائه ورواياته ومنقولاته ويذكر في الغالب اسماء الحضور من العلماء ولذلك فقد اختفى علينا اسم المسمع والمستمع وتاريخ السماع .

وفي الصفحات الأخيرة وصف لحادثة اعتصاب واضراب وقعت بحجة سنشرها على حدة ويظهر من عبارة منسوبة الى عبد الباسط بن خليل بن شاهين من علماء القرن التاسع^(٢) انه كان يملك هذا الكتاب فان الورقة المحتوية على تلك العبارة هي آخر ورقة من الكتاب وقد كتبت بحبر أحمر وهذا نص العبارة المذكورة :

(١) اغلب الظن ان المسلمي هي طريقة صوفية كان يتسبب اليها الناسخ حيث يقول الساهي ملبساً من لبس الخرق الصوفية التي يلبسها المرشد للمريد .

(٢) ترجم شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ١١٩٦هـ ١١٩٦ م لعبد الباسط المذكور فقال ما ملخصه : عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيبخي الأصل اللطفي [له ما اللطفي الأصل فجاءت مقولون بالتقديم والتأخير] ثم القاهري الحنفي تزل الشيوخية ولد في رجب سنة ٨٤٤ بعلطية وأنشأها وجمها ودمشش وقرأ على علماءها وعلى جماعة من فضلاء الروم كالملا . الرومي قاضي السكر في دمشق والبرهان البغدادي في طرابلس وقدم القاهرة ولازم العلماء فيها فأجازوه ودخل المغرب ودرس فيها درس الطب بل اتقه بخصوصه مع جماعة ويرع في كثير من الفنون وألف وتظم ونثر وأقبل على التاريخ وتورد الي له ولغيره من الدروس « الضوء الأجمع لأهل القرن التاسع

« يقول الفقير الى رحمة القدير عبد الباسط بن الوزير عفا الله عنه هذا آخر ما قصدت بشرح الكتاب وقد وفيت بما ضمننت والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

« وكانت ابتداء جمعي لهذا الشرح الوافي في أوائل ذي القعدة الحرام عام اربع وستين وثمانمائة بدمشق المحروسة فلما وصلت الى باب الجنبايات عرض لي سفر الى القاهرة المحروسة فابتدأت بتعريف الجنبايات الى أن كمل بها في يوم الخميس ثالث شهر الله الحرم الحرام من مفتتح شهور سنة ست وستين وثمانمائة والله سبحانه أسأل أن يقبله مني بمنه وكرمه وأن ينفع به جميع المسلمين

« وكتبه بيده الفانية صاحبه الفقير الى الله تعالى ابو المكارم عبد الباسط بن خليل بن شاهين بن عبد الله الشهير بابن الوزير الحنفي مذهباً والمطبي موطناً والدمشقي وطناً والقاهري سكنناً بمسجد العامود بالسبع قاعات . »

وقد شرح كثير من العلماء مختصر القدوري هذا وهو من تأليف أبي الحسن أحمد بن محمد القدوري البغدادي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ وهو المختصر الذي يطلق عليه لفظ الكتاب في المذهب الحنفي بيد أنه لم يطبع من شروحه غير كتاب « الجوهرة النيرة » للامام أبي بكر بن علي المعروف بالحدادي العبادي المتوفى سنة ٨٠٠ هـ وكتاب « الباب في شرح الكتاب » للعلامة عبد الغني الغنيمي المبداني الدمشقي الذي أتم تأليفه سنة ١٢٦٨ هـ وقد طبع الثاني على هامش الأول في الاستانة سنة ١٢٧٥ و طبع في مصر سنة ١٣٢٢ ثم أعيد طبعه بالاستانة سنة ١٣٢٣

وقد ساق صاحب كشف الظنون « جزء ٢ صفحة ٤٠٣ - ٤٠٥ من طبعة الاستانة » أسماء عشرات من الشراح وللتعريف بالكتاب وأساليب المؤلف نقل منه الى القاري الكريم باب الأذان :

« الأذان سنة للصوات الخمس والجمعة دون ما سواها أي دون غيرها من الصوات فإنه لا أذان لها لأن التوارث بهذا جرى . والأذان هو المشهور المتعارف (١)

(١) في نسخة مخطوطة عندي من المختصر « وصفة الاذان معروفة »

فما بين الناس في سائر الأعصار والأمصار ولا ترجع فيه ^(١) لأن مدار الأذان على عبد الله بن زيد بن عبدربه ^(٢) ولم ينقل عنه الترجع ^(٣) وما روي الشافعي في الترجع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي محذورة ^(٤) لما لقن الأذان ارجع ومد بها صوتك محمول على التعلم والتلقين فظن أبو محذورة أنه من نفس الأذان .

وزيد في أذان الفجر بعد الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين لقوله عليه السلام لأبي محذورة إذا أذنت للصبح فقل: « الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم » ولأنه وقت نوم وغفلة فيختص بزيادة اعلام

والاقامة مثل الأذان إلا أنه يزيد فيها بعد الفلاح قد قامت الصلاة مرتين « لما روي في حديث الأذان عن عبد الله بن زيد أنه قال ثم صبر هنيهة ثم قال مثل ذلك إلا أنه زاد فيه قد قامت الصلاة مرتين ^(٥) » وقد دفع هذا قول مالك أنه يقول قد قامت الصلاة مرة واحدة وهو حجة على الشافعي في أن الإقامة فرادى ولا حجة له فيما روي أنه عليه السلام أمر بلالاً أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة لأن المشهور أمر بلال ولا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ولئن صح فعناه شفع الأذان بالصوت فيؤذن بصوتين ويقم بصوت ويترسل في الأذان ويجدر الإقامة ^(٦) لقوله عليه السلام لبلال إذا أذنت فترسل وإذا أتت فاحدر ويسنقبل بها القبلة لأنه

(١) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ولا ترجع فيه

(٢) في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٧٢ عبد الله بن زيد بن

ثعلبة بن زيد بن الحرث بن الخزرج الأنصاري . كذا نسبه أبو عمر فزاد في نسبه ثعلبة والمعروف اسقاطه

(٣) وفي مخطوطة المختصر والمطبوع الترجع

(٤) في الإصابة ج ٧ ص ١٧٢ أبو محذورة المؤذن اسمه أوس ويقال سمرة بن . ويرى

سلمان ويقال سلمة ويقال معير بن مجيريز والائت أنه أوس وقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم الأذان

وقصته بذلك في صحيح مسلم وغيره

(٥) البارة التي بين عضادتين في الهامش

(٦) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ويجدر في الإقامة

دعاء وثناء على الله تعالى وكان الاستقبال بهما أولى . فاذا بلغ الى الصلاة والفلاح حول وجهه يمينا وشمالا لأنه دعاء الى الصلاة واعلام وتحويل الوجه أبلغ في ذلك ويؤذن للفائنة ويقيم لأن القضاء يحكي الفائت وعن الشافعي انه يقيم لا غير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا فأذن (بالاقامة ليلة التعريس الا ان القصة واحدة وقد روى أنه أمر^(١)) فصلينا ركعتين ثم أقام فكان الزيادة أولى

فان فاتته صلوات أذن للأولى وأقام وكان مخيراً في الثانية ان شاء أذن وأقام وان شاء اقتصر على الاقامة لأنها صلوات فائنة فيسن لها الأذان كالأولى وان اقتصر على الاقامة جاز لما روي عن ابن مسعود ان النبي عليه السلام فاتته يوم الخندق أربع صلوات حتى ذهب ماشاء الله من الليل فأمر بلالا فأذن وأقام وصلى الظهر ثم أمره فأقام فصلى العصر ثم أمره فأقام وصلى المغرب ثم أمره فأقام وصلى العشاء

وينبغي أن يؤذن ويقيم على طهر^(٢) لأنه ذكر ينقدم الصلاة فكان من سنته الطهارة كالخطبة .

وان أذن على غير وضوء جاز لأن المقصود هو الإعلام وقد حصل . ويكره ان يقيم على غير وضوء لأنه يؤدي الى الفصل بين الاقامة والدخول في الصلاة وانه مكروه .

ولا يؤذن وهو جنب لأنه ذكر الله تعالى وثناء عليه فأشبهه القراءة ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها^(٣) لأنه دعاء الى الصلاة والدعاء الى الصلاة ولا صلاة محال

(١) البارة التي بن عضادتين في الهامش

(٢) في مخطوطة المختصر على طهر وفي المطبوع على وضوء

(٣) في مخطوطة المختصر ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها « الا عند أبي يوسف فيجوز قبل الصبح »

الا أن البارة الأخيرة التي وضناها بين عضادتين لم ترد في المطبوع كأنها من أصل المختصر بل انها افحمت في الشرح بقول الشارح أبي بكر الحدادي وأما في الفجر فمند أبي يوسف يجوز في النصف الأخير من الليل وعندهما لا يجوز

وقال أبو يوسف والشافعي يجوز أذان الفجر في النصف الأخير من الليل لأن بلائاً كان يؤذن بليل إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه على الغرض وبين أنه لغير الصلاة فقال انه يؤذن ليوقظ نائمكم ويتسحر صائمكم . ٥١٠ .

ويظهر ان هذا الكتاب اتصل بعد ذلك برجل يدعى « محمد ابي الفتح » فقد جاء في ظهر آخر ورقة منه ما نصه :

لكاتبه عفا الله عنه

ياربِّ للجار حقٌ وفي الثرى صرت جاركُ

فلا تخيب رجائي واجعله أمراً مباركُ

وتحت ذلك : ولي أيضاً مضمناً

أتى الحبُّ يوماً زارني قلت مرحباً ببدري تبتدأ لي للتواصل طائعُ

ومضمناً ناديت والحب ضاحكُ « أبرقُ بدا من جانب الغور لامعُ »

ومعلوم أن الشطر المضمن هو صدر بيت لابن الفارض هو :

أبرق بدا من جانب الغور لامعُ ام ارتفعت عن وجه ليلى اليراقعُ

وقد أضاف إليه سبطه علي من الأبيات ما جعلها جميعاً قصيدة عصماء ألحقت

بديوان ابن الفارض

ولعل أحد هواة الكتب الذين يملكون نسخة غير مبتورة من هذا الشرح

يطلع على ما نقلناه من « باب الأذان » فيعلم عن ذلك لتشكل النقص الذي في

نسختنا هذه فإنها صحيحة بما فيها من السماع التطبيقي والمقابلة على أصول أصح .

وبعد فإن الكتاب بالقطع الكبير وعدد صفحاته نحو ٤٠٠ وطول كل ورقة

٢٨ وعرضها ١٨ من السنتيمترات وفي كل ورقة ٢١ سطراً وكل سطر مؤلف من

١٣ كلمة بحرف كبير مقروء وفي كاغدي صكوكي تخين .

عبد الله مخلص

اولية تدوين المعاجم

وتاريخ كتاب العين المروي

عن الخليل بن احمد

(٣)

٣ - التآليف على حروف المعجم وأثر الخليل بن احمد في ذلك :

بعد أن فرغ الخليل من حصره ابنية العرب بطريقة علمية شاملة ضابطة ، وبعد ان ادرج تلك الأبنية على لتابع حروف الهجاء ، لم يفته ان نهجه هذا قد أثبت لكل تركيب من تراكيب العربية مكاناً خاصاً ، يرد فيه تبعاً للحروف التي يتألف منها ، وانه اصبح في الوسع معرفة ذلك المكان ، فقال عنه الليث في كتابه : « فاذا سألت عن كلمة وأردت ان تعرف موضعها من الكتاب ، فانظر الى حروف الكلمة ، فمها وجدت منها واحداً في الكتاب المتقدم ، فهو في ذلك الكتاب » (١) .

هب انك تريد ان تجد موضع «سمع» ، فانظر أي حرف من حروف هذه الكلمة يتقدم الآخرين في ترتيب الحروف على مخارجها ، وانك لو اجد حرف « العين » ، يتلوه من الآخرين « السين » ثم « الميم » . وبما ان «سمع» ثلاثي التراكيب ، ارجع الى ابواب الثلاثي في الكتاب ، وانظر فصل العين منها ، ثم ابحت عن باب العين مع السين ، فاذا وقعت عليه ، فارجع الى ضرب العين والسين مع الميم . ودليلك الذي لا يخطئ في ذلك ان الفصول والابواب والفصول رتبتم جميعها على مخارج الحروف التي درجت فيها .

وكذلك وفق الخليل الى ايجاد كتاب محصرت فيه كل الأبنية ، وعرف فيه موضع كل منها ، غير أنه لم يتنبأ للخليل الوصول الى تحديد مواضع الكلمات الاعراضاً ، اي ان أسلوبه في حصر الألفاظ ادى بقصد او دون قصد ، رغبة او توفيقاً الى تحديد مواضع الكلمات .

وإدعى علماؤنا بأسبعية العرب في تأليف كتب اللغة على حروف المعجم ، وُبنى بعض دعواهم على غفلة منهم بالآثار اللغوية اليونانية ، ونجم بعضه الآخر من أن العرب لم يأخذوه عن الآخرين ، وساروا به شوطاً بعيداً ، لم يدعوا فيه احدائياً جديداً لمحدث ، واستفادوا منه في كل ضرب من ضروب علومهم ، فكانوا دون جدال اربابه من دون الأمم .

على أن من الحق ان يقال ان اليونان سبقتم اليه ، فقد ألف علماؤها قبل ظهور الرسالة المحمدية عدداً من المعاجم ، مرتبة على حروف الهجاء ، نذكر منها معجم بامفيليوس Pamphilus اللغوي الاسكندراني ، الذي الف منه خمسا وتسعين مجلدة ، واكمله سوبيريون Sopirion^(١) ، ومعجم هيلادبوس Helladius كاهن جوهر في الاسكندرية حوالي سنة ٣٩٠ ميلادية^(٢) ، ومعجم هيزيشيرس Hesychius الاسكندراني^(٣)

وقد يجول في الذهن ان الخليل أخذ ترتيبه من هذه المعاجم وأمثالها ، وانه لا فضل له في ذلك الاسبعية في النقل ، وهذا رأي يبدو وجيهاً قويمًا ، غير أن عللاً عديدة تنقضه وتزيله .

أولها انه ما كان للخليل أن يعرف معاجم يونان لجهله اليونانية ، ولأن حركة الترجمة في عصره لم تكن شيئاً مذكوراً ، وهي لم تكن ثمرها الا في عهد الرشيد والرشيد بويغ بالخلافة سنة ١٧٠ ، اي السنة التي يقرب أن يكون الخليل قد توفي فيها . وهب ان ما ترجم في عصر الرشيد والمأمون ومن بعدهما كان معروفاً في عصره ومنها الكتب المؤلفة على الحروف ، ككتاب الحروف لارسطو ،

(١) 191. 7-8. 11^o edition, Encyclopaedia Britannica (٣) النص السابق وانظر عن

هيلادبوس في Paulys.—Real-Encyclopaedie begonnen von G. Wissowa VIII, 1. 103 Stuttgart, 1931

(٣) Enc. Brit. ، النص السابق ، وانظر ترجمة هيزيشيرس في Paulys VIII, 2. 1522. وامل معجم

Herodian صاحب بزون يدخل في هذه المعاجم على ماهالك من الشك في ان يكون رتب على الحروف بعد عصر مؤلفه 190, 7-8, Enc. Brit.

المعروف بالالهيات ، الذي نقل منه حنين بن اسحق وابنه اسحق وابوز كربايجي بن عدي وأسطاث^(١) . وهب ان حكاء عصره ألفوا كتب الأدوية على حروف المعجم ، كما فعل ابو يعقوب اسحق بن حنين (- ٢٩٨) في كتاب الأدوية المفردة على الحروف^(٢) ، وكما يقال عن ابيه حنين (١٩٤ - ٢٦٤)^(٣) ، وكتاب قوى الادوية المفردة على الحروف لعيسى بن صهاربخت من اهل جنديسابور^(٤) ، هب ان ذلك كان فليس اسلوب هذه الكتب يوحى بتأليف معجم للألفاظ اللغوية ، بجوهرها كاملة : فان هذه الكتب لا تظم الا عدداً قليلاً من المفردات التي لم ترتب الا باعتبار الحرف الأول منها ؛ وبجث الأدوية المفردة على ترتيب حروف الجمل (ابجد هوز) في كتاب القانون لابن سينا اكبر دليل على ما نقول^(٥)

وليس يثبت أخذ الخليل عن اليونان ترتيبهم الا البرهان على اطلاعه على معاجم اللغوية ، وذلك امر لا دليل عليه ، والدليل على عكسه موجود ، اذ ان من المقرر أن علماء اللغة العربية والادب العربي لم يعنوا بمعرفة آثار الأدب واللغة اليونانية ، ثم تأمل قولهم في اسلوب كتاب العين ، تردد بتيناً بعدم معرفتهم معاجم اليونان : قال ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، وهو شيخ من شيوخ العربية : « أبداع مؤلف كتاب العين بدائع ، لم يسبق اليها ، فن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف »^(٦) . وقال الزبيدي وهو من اللغويين المشهورين : « ثم ذهب الخليل في حصر جميع الكلام مذهبه من الاحاطة ، التي لم يتعاطها غيره ، ولا تعرضها أحد سواه ، فتقف جميع الكلام وزم جميعه ، وبين قيام الابنية من حروف المعجم وتعاقب الحروف لها بنظر لم يتقدم فيه وابداع لم يسبق اليه »^(٧) . ولم يقتصر هذا القول على اللغويين ، بل قال به المؤرخون المطلعون على تواريخ القدماء

(١) الفهرست ، ٢٥١ ، ابن القنطي ٤١ - ٤٢ (٢) الفهرست ٢٨٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩

(٣) ابن ابي اصيمة ١ : ١٩٩ وقد يكون ما ذكر عنه في ذلك ترجمة لا تأليفاً ، ويؤيد ذلك ان ابن التميمي ذكر له ترجمة كتاب اسمه كتاب الأدوية المفردة لجالينوس ولم يذكر له تأليفاً في ذلك (الفهرست ٢٩٠ ، (٤) الفهرست ٢٩٨ ، (٥) طبعة روما سنة ١٥٩٣ ، من صفحة ١٢٢

(٦) الزهر ١ : ٢٩ ، كشف الظنون ٣ : ٢٩٠ عن الزهر (٧) الزهر ١ : ٤١

كحمزة بن الحسن الأصبهاني ، فقد قال : ^(١) « صنع صاحب كتاب العين ما لم يصنعه احد منذ خلق الله الدنيا ٠٠٠ من تأسيه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة امة من الأمم قاطبة » . اتراهم كانوا يقولون ذلك لو اطلعوا على معجم من معاجم اللغة اليونانية المخرجة على الحروف ؟ الا إن الصلة كانت معدومة بين علماء العربية وبين كتب اللغة اليونانية . واما قول ابن جلجل بأن حنين بن اسحق اتصل بالخليل وأخذ عنه العربية ^(٢) ، فدعوى باطلة ، لأن مولد حنين كان سنة ١٩٤ ^(٣) ، اي بعد وفاة الخليل بكثير ، وبطلانها ينقض كل ما قد يخطر بالبال من ايجاء حنين للخليل بطريقة اليونان . اما إن القول الفصل ان الخليل لم يعرف شيئاً عن أسلوب اليونان .

ألا ترى انه لو كان عرف شيئاً من ذلك لاتبع أسلوبهم ، وحذا حذوهم ، لاسيما وأسلوبهم أسهل من أسلوبه ، واقرب الى افهام الخاصة والعامة ، فترتيبهم هو الترتيب المعروف اليوم في معاجم اهل الغرب وفي معاجمنا المحدثه ، فقد درجت فيه الألفاظ باعتبار حرفها الأول ثم الثاني ثم ما يليها ^(٤) ، وكل ذلك واضح سهل . فإيم بدع الخليل هذا الترتيب ، ويعمد الى أخذ مختلف مضاريب الحروف بعضها مع بعض كما رأيت ؟

ونعود إلى ما قلناه آنفاً من أن الخليل توصل الى إبداع الترتيب على حروف المعجم عرضاً ، آل به الى ذلك غاية في حصر ألفاظ العربية ، فلا علاقة للمعجم اليونان في ذلك . بل نستطيع أن نقول أكثر من ذلك ، فندعي ان لغويي العرب

(١) وفيات الايمان ١ : ١٧٣ ومرآة الجنان ٢ : ٣٦٣ (٢) في ابن ابي أصيبعة ١ : ١٧٢ ، ١٨٥ وابن العبري ٢٥٠ ، وصاعد الأناسي في طبقات الأمم ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٣٦ (٣) مايرهوف ، مقدمة كتاب المشرفات في الدين ، - وسوتر Suter في ملحة الاسلام ، الطبعة الافرنسية ٢ : ٣٥٧ وان ابن ابي أصيبعة ١ : ١٩٠ (٤) معجم المعاجم اليونانية العديمة اقتضت على اعتبار الحرف الأول والثاني وحيناً الثالث اساساً للترتيب (VII.676,Paulys) ، وهذا تأييد لدعوانا ، اذ كيف يحفل أن يأخذ المفرد بأبعد مما وصل اليه من يقل عنه ، فترى الخليل يعتبر حروف الكلمة اجمع لا الحروف الثلاثة الاولى .

أدر كوا أسلوب اليونان المخالف لأسلوب الخليل ، دون ان يطلعوا على معاجمهم ، فقد مروا بمراحل أدت بهم بنتيجة تطور متتابع الى ما يشابه أسلوب اليونان . فأسلوب كتاب العين وتطور هذا الأسلوب رويداً رويداً خلال العصور أدبا بهم الى حيث وصلوا ، دون ان يفتقروا الى معرفة طريقة اليونان ، وهاك ايضاح ذلك :

رأينا كيف أن الخليل لم يجد أوفق لغايته التي دفعته الى تأليف كتاب العين — الا وهي حصر أبنية العرب — من ترتيب الحروف على مخارجها ، وانه عند ما فعل ذلك وجد من الخير ان يجمع في محل واحد مختلف الألفاظ التي تتكون من ضرب الحروف بعضها ببعض ، وان يفصل الثنائي عن الثلاثي عن الرباعي عن الخماسي . وسوف نرى كيف ان اللغويين بعد ان شعروا — والغاية من ترتيب الخليل قد حصلت — بالحاجة الى تأليف المعاجم على طراز يقرب سبيل الوصول الى الكلمات ومعرفة معناها ، لم يوفقوا دفعة واحدة الى ذلك ، كما لو كانوا عرفوا نهج اليونان ، بل عبروا زمناً طويلاً بدخلون التعديل تلو التعديل على أسلوب الخليل . حتى اذا قربوا من الوصول الى أسلوب اليونان تعدوه الى أسلوب آخر ، أصبح نهجهم الذي اختصوا به .

وهذا ابو اسحق ابراهيم بن الحري (١٩٧ — ٢٨٥) لم يجد معجماً ينسج على منواله غير كتاب العين ، او ما نخانحوه^(١) ، وقد دل كتابه في غريب الحديث على انه قلد الخليل دون ان يفهم غايته ، فلم يتبع من أسلوبه الا حرصه على درج مختلف مضارب الحروف بعضها ببعض ، كذكر (رم مع مر) و (شعر مع عشر مع شرع) ، مع خلو الفائدة من هذا الترتيب في معجم للحديث . أما درج الحروف تبعاً لترتيب ما ، وأما

(١) لم نر نسخة خزانة الاسكوريال ٥٧٢ من كتاب الجيم لابي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (— ٢٠٥ او ٢٠٦) الذي «أسسه على الحروف المعجمة وبدأ بحرف الجيم» وقبل انه صن به في حياته ، وتفرق بدوافه (تهذيب اللغة للازهري ٢٢ — ٢٥ وانظر الزهر ١ : ٢٦ والبلغة ١٥٧) وذهبت كتب اللغاة التي هذب فيها كتاب الدين او عورض كالبارع للفضل بن ابي سلمة (توفي نحو ٢٥٠) (ان خلدكان ٢ : ٢٥٠) ، والغالب ان هذه الكتب حذت حذو الخليل كما يدل على ذلك أسلوب السكتب التي تلتها فهي لا تظهر تجدداً بالنسبة الى أسلوبه .

فصل الثنائي عن الثلاثي وغيرهما فلا^(١) ، ولعل عذره في ذلك ان موضوع كتابه جديد ، وانه لم يستطع أن يجد طريقاً لجمعه ضابطاً منظماً في أبواب الكتاب الصغيرة التي لا تدخل في حصر . وسار على نهج الخليل احمد بن محمد البشني الخازنجي من القرن الرابع . ومع انه حاول ان ينتقد عليه ، وان ينقض كتابه ، لم يجد بداً من ترتيب كتابه على مخارج الحروف وفصل الأبنية الى ثنائي وثلاثي وغير ذلك وذكر ضروب الحروف ومقاليب الكلمات^(٢) . وحذا حذو الخليل أيضاً الأزهرى في تهذيبه^(٣) والزبيدي (٣٧٩ -) في مختصره^(٤) وابو الحسن علي بن اسماعيل بن سينه (٤٥٨ -) في محكمه^(٥) ، وينتقد ابن منظور اسلوب كتاب التهذيب والمحكم ويقول « ان كلاً منها مطلب عسر المنال . . . وكأنت واضعه شرع للناس مورداً عذياً وحلاًم عنه »^(٦) وقد خفي عليه انها اتبعنا طريق الخليل ، واقترنا به دون ادخال تعديل عليه ، يقتضيه تغير الغاية والحاجة . ويشعر ابو بكر بن دريد بالحاجة الى ادخال التعديل ولكنه وقع في ابلغ مما وقع فيه ، فهو بعد ان عدل عن ترتيب الحروف على مخارجهم ، واعتز بذلك قائلاً « وأجرينا كتاب الجهرة على تأليف الحروف المعجمة ، اذ كانت بالقلوب أعلق ، وفي الاسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة »^(٧) بعد ان فعل ذلك لم يستطع أن

- (١) المجلد الخامسة من غريب الحديث للحري (مخطوطة الظاهرية ، لفة ٢٤) وبجل ترتيب هذا الكتاب انه يأخذ غريب أحاديث كل صحابي على حدة فيعدد هذه الأحاديث ويترج في كل عدد . ضاربه عدد من الحروف فاذا ذكر غريب حديث عبد الله بن عباس قال مثلاً : الحديث الخامس ، باب فرع ٠٠٠ باب عرف ٠٠٠ باب عفر ٠٠٠ باب رعب (٢) يعدد الأزهرى في التهذيب بعض عيوبه ومنه استدلتنا على ترتيب كتابه ففي ص ٣٠ يذكر في باب العين والقاف والزاي (قوزع) وفي ص ٦٦ في باب العين والضاد مع الباء ابهين وفي ص ٣٧ في باب العين والقاف والذال قوم
- (٣) طبعة سترستين وانظر البلغة ص ١١٤ وفهرس دار الكتب المصرية ١٠:٢ وبروكلن ١٢٩:١
- (٤) فهرس دار الكتب المصرية ٣٦:٢ والمقدمة لابن خلدون باب اللغة ويجاد اللوم ٦١٥
- (٥) المقدمة في باب اللغة ويجاد اللوم ٦١٥ والبلغة ١٦٧ واكتفاء الفروع لفا نديك ، مصر ١٨٩٦
- ص ٣٢٠ (٦) لسان العرب ٣:١ (٧) الجهرة ٣:١ وفي المزهرة عنه ٢٧:١

يدع نهج الخليل في أخذ مختلف ضرب الحروف بعضها ببعض وعكسها وقلبها وفصل ثنائيا عن ثلاثيا . وأخذ أليفها ومعتلها ، وكأنه لم يدان ما فعله الخليل في ذلك يوافق ترتيب حروف الخلق لا ترتيب حروف الالفباء ، وان الخليل لو كان أخذ بترتيب الالفباء لاخط لنفسه طريقاً آخر . وتبع ابن دريد صاحب بن عباد (- ٣٨٥) دون ادخال تعديل على أسلوبه ^(١) ، وأدرك ابو العباس احمد بن محمد بن ولاد (- ٣٣٢) ما فاتها ، وعرف أنه لا يمكن « طالب الحرف في كتاب العين ان يعرف موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرابعي والخامسي وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات ، والخاص ما تحتل من الزوائد ومواضع الزوائد ، بعد تصريفها بلا زيادة ، ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب : فاذا عرف هذه الأشياء عرف موضع ما يطلب من كتاب العين » ^(٢) .

وفهم ان على من كان غرضه غير ما قصد الخليل ، ان يتخذ طريقاً آخر ، وهذا ما فعل مقدماً الألف على سائر الحروف ، وذا كراً في باب الألف كل الكلمات المقصورة والممدودة ، التي تبدأ بها ، وفي كل حرف من الحروف الكلمات التي أولها ذلك الحرف . وقد سبق في ذلك جميع اصحاب المعاجم اللغوية ، لكنه لم يفكر بأن يجعل الترتيب يعم الحرف الثاني والثالث وما بعدهما ، فورد كتابه مضطرباً في ذلك ، ومن اراد ان يعثر على كلمة فيه ، وجب عليه ان يتصفح كل الكلمات التي أولها يماثل أول حرف من هذه الكلمة ، وشأنه في ذلك شأن المبتدئ الذي لا بد أن يأتي عمله ناقصاً ، على انه كان أوسع فكراً من ابي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية (- ٣٦٧) الذي شعر بالحاجة الى درج الكلمات التي تتبدى بحرف مماثل في مكان واحد ، ففعل كما فعل ابن ولاد ، قاصراً ترتيبه على الحرف الأول ، ولكنه حافظ على ترتيب الحروف

(١) صاحب بن عباد لخليل مردم بك ، دمشق ١٩٣٢ ، ص ١١٥ - ١١٨ وفهرس دار الكتب المصرية ٣٥:٢ (٢) المقصور والممدود له ، مصر ١٩٠٨ ، ص ٣ وعنه في الزهر ١:٢٦٦

الخلقي^(١) . وهذب أبو محمد بن عزيز السجستاني (٣٣٣ -) طريقة ابن ولاد ، فلم يقتصر على جمع الألفاظ المتأثلة بحرفها الأول ، بل رتبها على حركاتها الخفيفة في حرفها الأول من فتح وضم وكسر^(٢)

وترتيباً ابن دريد وابن ولاد مهذا السبيل لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٢٩ - ٣٩٥) ، فأخذ بترتيب الالفباء ، وجمع الكلمات التي أول حرف منها متماثل ، وزاد الى ذلك اعتبار الحرف الثاني والثالث في الترتيب ، غير ان اثر الخليل يظهر في عمله ، فهو يتابعه في تقسيمه للابنية الى ثنائية وثلاثية وأكثر من ذلك ، فيذكر الكلمات الثنائية على حدة ، ويتبعها في الحرف نفسه بالابنية الثلاثية ، ثم « بما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف » . وقد اتبع هذا الترتيب في مجمل اللغة^(٣) وعرف انه أتى بشي جديد ، فقال « هذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب ابوابه »^(٤) وحافظ على الترتيب نفسه في كتابه مقاييس اللغة^(٥)

وقبل ان يظهر معجم لغوي ، يوافق تماماً ترتيب اليونان ، يظهر كتاب الصحاح للجوهري بترتيب جديد مبتكر ، لا يشابه ترتيب اليونان ولا ترتيب ابن فارس ، وبه

(١) في الأفعال الثلاثية والرابعة له ، طبعة غويدي ، لندن ١٨٩٤ (٢) تفسير غريب القرآن له ، نسخة الظاهرية ، لفة ٣٠ والنسخة المطبوعة ، يحد في باب الهمزة المفتوحة مثلاً : انذرهم ، الهم ، انداداً الخ (٣) مطبعة السعادة ١٩١٣ الجزء الاول (٤) الجزء الاخير من مجمل اللغة ، مخطوطة الظاهرية ، لفة ١٢٣ ، آخر ورقة . ولكن يجب القول ان ترتيبه في ابنية الثلاثي ليس كاملاً فأول الأبواب لا يتبدى بالاناء الذي يجب ان يتبدى به . وخذ مثلاً على ذلك باب العين والذال وما بينهما يتبدى بهذر وينتهي بذب والذي بعده يتبدى بهرز وينتهي بجرج ولم ترتب شيئاً لما يفعل ولله أخذ دولابين متحركين مسنين على عدد حروف العربية على كل سن حرف من حروف الالفباء فكان يدير احد الدولابين حين يأخذ صور الثاني ويدير الدولاب الثاني حين ينتقل الى الثالث ويسجل الابنية المستعملة التي تخرج معه في هذا الدوران بترتيبها الذي لا يخطئ ، والذي يسهل له سبيل تركبها والرحوع الى معاجم اللة دون ان يحتل ترتيبه . واذا فرضنا وجود صلة ما بين الدولاب الاول والثاني تجعل الثاني يتحرك مع الاول حين الانتقال من حرف الى حرف أركنا كيف أن الدولاب الثاني يستمر على حرف وجب ان لا يستمر عليه فيخطئ ، بذلك ابتداء الألفاظ الثلاثية (٥) النسخة المصورة في المجمع العالمي العربي

تنفك الحلقة التي كانت تربط مختلف اجزاء تطور ترتيب المعاجم . و ترتيب الجوهري هو اعتبار الحرف الأخير من المصدر أساساً للترتيب على حروف المعجم ، ومتى اجتمعت الكلمات ذات الحرف الأخير المتماثل ، رتبنا باعتبار حروفها الاول ثم الثاني (١) ويرى الاستاذ مارسه لترتيب الجوهري سببين : اولها ان الجوهري اراد ان يكون معجمه عوناً للرجوع ، الذين انتشروا في عصره انتشاراً كبيراً ، وثانيها ان اشتقاق الابنية يغير حروفها الأول اكثر مما يغير حروفها الأخير (٢) . وسار الترتيب على ما خطه الجوهري النابعة ، فألف تمام بن غالب بن التيان (- ٤٣٦) موعبه باعتبار الحرف الأخير أساساً للترتيب (٣) . وأخذ بهذا الترتيب محمد بن ابي الحسن صاحب المستنصر ، الذي لخص كتاب المحكم (٤) ، وتبعهم في ذلك جل اصحاب المعاجم (٥)

وقد يقال ان اصحاب الحديث ينقضون قولنا في التطور على ما درجناه عليه ، ففهم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري (١٩٤ - ٢٥٦) رتب اسماء المحدثين في تاريخه الكبير على حروف المعجم (٦) ، والجواب على ذلك ان اصحاب الحديث ابعده الناس معرفة بطرائق يونان ، واتصلاً بكتبها ، وكل امرهم ان عبقرياً منهم ادرك ان اللغة غير تعداد الأسماء ، فرتب الأسماء على حروفها الأول ، لكنه لم يتعد في ترتيبه الحرف الأول (٧) ، وقلده في ذلك ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابي (٢٢٤ - ٣١٠) في كتاب الكنى والأسماء (٨) ، وتبعه من غير اصحاب الحديث دون أي تعديل ابو القاسم الحسن

- (١) تاج اللغة وصحاح العربية ، بولاق ١٢٨٢ ، وانظر مقدمة نصر المهوريني ٧:١ من الكتاب والمقدمة لابن خلدون باب اللغة واجماد العلوم ٦١٥ (٢) من درسه في ١٣ مارس ١٩٣٦ التقاط الاستاذ محمد المبارك والاستاذ خلدون الكستاني (٣) لغة العرب ٥: ١٧٠ عام ١٩١٤ على ان ابن التيان يضيف شيئاً آخر وهو جمع الكلمات ذات الوزن المماثل الواحدة تلو الاخرى (٤) المقدمة لابن خلدون في باب اللغة واجماد العلوم ٦١٥ (٥) ومن اللغويين من يرون ان الحرف الاخير اكثر عرضة للتغير من الحرف الاول فيرتبون معاجمهم على الحرف الاول ثم على الاخير ثم على ما بينهما كما تثير الدين محمد بن يوسف بن علي الاندلسي الجباني (٦٥٤ - ٧٢٥) في كتابه تحفة الاربيب بما في القرآن من الغريب ، ج ٤ ، ١٩٢٤ (٦) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ، ص ١١٠ (٧) الجزء الاول من تاريخ البخاري الكبير ظاهرة مجموع ٦٦ (١٥) . (٨) طبعة حيدر اباد ١٣٢٢ ، راجع أقسامه المختلفة بالتتابع في ١٢:١ و ٦٣:١ و ٩٥:١

ابن بشر الآمدي (— ٣٧٠) في المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء ، وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٢٩٧ — ٣٨٤) في معجم الشعراء ^(١) . ولكنهم كلهم لم يدركوا شأؤ اليونانيين في اعتبارهم الحرف الثاني والثالث ، وما فعل ذلك إلا محدثو العصر الخامس ، أكلاً للنهج من سبقهم ، وتمحوراً في تسهيل المراجعة ^(٢)

ومجمل القول : ان العرب اخذوا بترتيب الكتب على الحروف ، دون ان ينقلوه عن اليونان ؛ وأوصلوه بمراحل طويلة الى نهج يخالف نهجهم ، دون ان يستفيدوا مما فعلوه قبلهم ؛ ولئن كانوا جميعاً يجهلون أسلوب اليونان ، فكم أخرى بالخليل ان لا يكون مطلعاً عليه ، مع بعد زمانه عن اثر اليونان ، واختلاف أسلوبه عن أسلوبهم ، وغابته عن غابتهم .

يتبع

يوسف العشي



(١) نشرهذين الكتباين الاستاذ كركو (٢) انظر ما يقول في ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١: ٣١٣ والطوسي في فهرست ص ٢

مخطوطات ومطبوعات

أقاصيص تيمور

أخرج الاستاذ محمود تيمور بك في السنوات الأخيرة مجموعات من الأقاصيص ، امتازت بالدقة في الوصف ، والسهولة في التعبير ، والجمال في القص . منها « قلب غانية » ، و « فرعون الصغير » و « نداء المجهول » و « مكتوب على الجبين » .
وان نستطيع ان نسهب في الكلام على هذه الأقاصيص ، وتبيان ما فيها من جمال وفن وبراعة ورشاقة ، لأن ذلك يتطلب الصفحات الطوال ، على أننا سنوجز في مردها ، ونبين الأشاوي التي امتازت بها .

اما « قلب غانية » فمجموعة أقاصيص ، صدرها المؤلف بمقدمة عن « حافظ القصصي » وهي المحاضرة التي ألقاها المؤلف بدار الاوبرا الملكية ، في الاحتفال بذكرى حافظ ابراهيم (٧ مايس ١٩٣٧) ، وفي هذه المجموعة : مراب ، حورية البحر ، حنين ، السجينة ، الشخاذ ، الفطائر العشر ، قبلة ، أم .

اما « فرعون الصغير » فمجموعة ثانية ، صدرها الاستاذ المؤلف بمحدثه الذي تحدث به في قاعة المحاضرات في الجامعة الاميركية (٥ مارس ٩٣٨) عن « المصادر التي ألهمتنى الكتابة » . ذكر فيه الاستاذ كيف اصبح قاصاً ، وحبذا الطريقة يتبعها الكتاب والأدباء فيبينوا للناس ما خفي من حياتهم الأدبية ، وما ورثوه من آباءهم ، وأثر البيئة فيهم ، والحوادث الخاصة التي كان لها أثر في إنتاجهم . وهذا ما أبان عنه الاستاذ تيمور فأجاد فيه وبرع . وأقاصيص هذه المجموعة هي : غريم ، حزن أب ، غانية الحانة ، انقلاب ، أركان الضوء ، عنزرايل القريبة ، أفديك بالروح ، رجل رهيب ، زمان الهنا ، غرام قديم ، ٠٠٠ .

اما المجموعة الثالثة ، فهي « مكتوب على الجبين » وهي آخر ما جمعه الاستاذ . وفيها يظهر نضجه وكيله . قدم لها بكلمة ألقاها في جمعية الشبان المسيحيين عن « فن كتابة القصة » ثم نشرت هذه الكلمة في مجلة « الرسالة » المصرية . وقد كشف فيها

السبيل التي ينبغي للقاصّ الناشئ اتباعها . ومن أفاصيصها : « كان في غابر الزمان وفيها يبلغ تيمور الدرود ، وأغلل ، مكتوب على الجبين ، العيون الخضراء ، مبيوش ، بسمة اللبنانية ، تاج من ورق ، في خميّة الحب ، مأساة نفس ، قلب كبير ، ابتسامه ، ذات مساء ، صحبة الورد . . . »^(١)

* * *

أما الأشاري التي يراها القاريّ واضحة في أفاصيص تيمور فهي
 ١ : البساطة . وهي من أبرز عناصر فنّه ، فلا تكلف ولا تعقيد ، ولا لفّ أو دوران ، وإنك لتحسب أسلوبه الناعم كأنه الحمل يشغو وراء راعيه ، أو الجدول الهازج ينساب بين الأزاهير . ولذلك تجد لأفاصيصه رفيعاً وطلاوة ، وترى عليها الرشاقة والجمال . والفرنسيون يقولون « البساطة هي الجمال » . وهو لا يعتمد في أفاصيصه إلى المشوّقات المبتذلة ، أو المفاجآت التي تعقد القصة ، لأنّه يعتقد ان هذه من وسائل القاصّ الضعيف ، وان قوة القصة تظهر في بساطتها وصدقها وصوغها في قالب فني رفيع . (انظر المصادر التي المهمتي الكتابة) .

وقد جمع الاستاذ في أفاصيصه البساطة التي عرف بها القصص الرديمي ، والوضوح والاتزن اللذين عرف بهما قصص « موباسان »

٢ : 'بمعنى الاستاذ تيمور بالتحليل النفسي عنايةً ظاهرة ، ويستمد مادة أفاصيصه من النفس الانسانية على اختلاف أشكالها ومحالّها . لأن الأدب الحق كما يقول هو أن يُوتلي الإنسان وجهه شطر النفس الانسانية . فمنها يستمد الأديب كل خالد جميل ، ويصبح الأدب الذي يصورها في أهوائها وميولها وأذواقها وطبائعها ورعونتها وحقها وسذاجتها ، ادباً باقياً لا يفنى .

ولذلك تجده يبرع في وصف هذه النفس وتحليل عواطفها ، ويمنح إلى الواقعية جنوحاً كبيراً ، فتحسب في أحابن كثيرة أنك تعرف أولئك الأبطال الذين تقرأ

(١) اما « ندا . المجهول » فنسرد لها كلمة خاصه بها .

عنهم وأنتك قد شهدتهم مرات ومرات . وقد يخيل اليك انهم امامك تشهد حر كاتهم وتسمع احاديثهم ، لأن الحياة تندفق منهم ، ولقد وصف الشباب واهواءهم والكهول وطباعهم ، والشيوخ وشذوذهم ، والنساء وميولهن ، والمعلمين والتلاميذ ، والفنان الهيمان بالجمال ، والمصري المحافظ ، والمصري المتفرنج ، ووصف أرياف مصر ، وجبال الغرب ، والفقراء والفلاحين والأغنياء والحضر بين . . .

٣ : لا تجد في اقايصص تيمور غلاظات بعض القصاص في النصح والوعظ والارشاد ، ولكنه يعتمد للتلميح ، او يدع الحوادث تنطق ، او يصور فيبرع في التصوير ، فاذا هو قد ملك على القارى امره ، واذا بالقارى يعلم مما اوحى اليه ان هذا حسن وذلك قبيح ، وقد ذكر الاستاذ انه لا يرى القصة منبراً للوعظ ، بل هي معرض للتصوير والتحليل (انظر فن كتابة القصة) والقاص يوحى برموزه وظلاله وارشاداته الى القارى بالغرض الذي يرمي اليه .

٤ : اسلوب تيمور في اقايصصه ناعم حلوناصع ، له رفيف وعليه سناء ، وهو يعني بلغته ويتخير الفاظها (وخاصة في مجموعته الأخيرة) اما الفاظه فعلى قدر معانيه ، لاحشو ولا اطناب . على أنك قد تجد في ثنايا كتاباته هنات لغويات او كلمات عاميات لاضرورة لمن ، وقد كان يستطيع ان يستبدل بهن غيرهن . وقد نلس ضعفاً في اللغة في بعض اجزاء القصة لا يستدعيه سياقها ، وقوة في اجزاء أخر لا بتطلبه المقام .

٥ : يتبع الأستاذ أثر « موباسان » في اقايصصه ، وقد تجد له اقايصص على النمط الروسي . ولعل تتبعه لموباسان نتيجة لشغفه به ، فهو يرى « ان فنه كامل توفرت به جميع العناصر اللازمة لبناء قصة قوية من حيث عرض الموضوع ومعالجته وتحليل اشخاصه وتسلسل حوادثه ، مع الوضوح والاتزان . . . » (انظر المصادر التي الهمتني الكتابة)

* * *

هذا قول موجز في اقايصص تيمور . والحق انه ابداع لونا رفافاً في ادبنا الحديث وهو القصة ، فبرع به واجاد ، وسبق وجلى .

أفلا يدفننا ، بعد ذلك ، ذبوع اقايصيه^(١) ، وفُرادة احاديثه ، ورفيف أسلوبه ،
 وحلاوة تصويره ، وجمال قصه ، أن نلقبه بحق : [ابر الفصحة في الشرق]
 صلاح الدين المنجد



(١) نقلت أقايصيس الاستاذ تيمور الى الفرنسية بعنوان

Les Amours de Sami

Les écrivains Contemporains 26, Rue des Tournelles. Paris IV°

ونقلت الى الألمانية بعناية المستشرق السويسري الدكتور ويدمار

Mahmūd Taimūr

Von Dr. G. Widmer

Arthur Collignon, Buchhandlung für Kunst und Wissenschaft, G. m. b. H.
 Berlin N W 7.

آراء وأنباء

حول «الاجابة» ايضاً

تصفحت كتاب «الاجابة» الذي رجا ناشره الاستاذ الأفغاني^(١) من المطلعين عليه ، بيان ما فيه ليصححه ، وإني ذاكر ما عثرت عليه

(١) ص ١٥ س ٥٠ . المختصر في الحديث ؛ هو في مصطلح الحديث ، كما سي في شرح البيهقيونية « قال الزركشي في مختصره : يدخل القلب والشذوذ والاضطراب في قسم الصحيح والحسن . »

(٢) ص ١٧ س ١٦ : قال ابو الفضل ابن حجر : « الف (ابن) غير موجودة في الأصل ، انظر الشكل الأول ، واثبات الألف هنا مردود عند العلماء ، بلا فرق في العلمين بين ان يكونا اسمين او كنيتين او لقبين او مختلفين^(٣) »

(٣) ص ١٨ س ٤ : « وغيرها » وغيرهما ، كما في الأصل انظر الشكل الأول

(٤) ص ١٨ س ٨ : « أما » هي « نا » وأصلها خبرنا « « « «

(٥) ص ١٨ س ١٩ : « قيل له » لا وجود للفظ « له » في الأصل انظر الشكل

الأول من الحاشية التي أولها « نقلت الخ »

(٦) ص ٧١ س ١٥ : انها حبيبة رسول الله : انها « حبة رسول الله » طبقاً

لصحيفة الأصل التي صورها في كتابه « ١٦ » وهي بهذا اللفظ في مسند احمد (ج ٦ ص

١٣٠ فكأن ينبغي الإشارة إليها ، وإن جاءت في المستدرك بلفظ « حبيبة »

(٧) قوله : « وعروة وابن الزبير مقصود لا سهو فيه » فيه إيهام ان عروة غير اخي

عبد الله بن الزبير ، وحافظا المشرق والمغرب ابن حجر وابن عبد البر يقولان سي في رواية

هذين الأخوين عن خالتها عائشة هكذا : « عبد الله وعروة ابنا الزبير » وابنا اختها

عبد الله وعروة ابنا الزبير (ص ٣٦٠ و ص ٣٦١ ج ٤) من الاستيعاب والاصابة ،

فتابعتهما في هذا خير من ذلك التركيب العجيب

(١) مجلة المجمع العلمي العربي الفرنسي (١٦ م) ص ٣٣٥ (٢) انظر المطالع المصرية ص ١١٧

- (٨) ص ٧٣ س ١ : أبو حجاج المزني : هو أبو الحجاج (بالألف واللام) طبقاً لصحيفة الأصل أيضاً
- (٩) قوله : «أعلى الدلاء من أسفلها غير صحيح» هو تصحيح لقوله : «من أسفلها» فقط وهو صحيح ، وقوله « انظر شرح شرح المواهب للزرقاني » هو استدراك على نفسه وتصحيح لغظه .
- (١٠) قوله : ومراعاة النطق في لفظ (داوود) اولى ، وكل جازز ومثله طاووس ص ٩١ من الاجابه - ليس بسديد لدى أولي العلم والرسم ، ففي المطالع النصرية مانصه « المختار عند اهل العلم ان يكتب داود و طاوس ورؤس وفؤس بواو واحدة استخفافاً لكثرة الاستعمال » اه ص ١٣٠ قلت وهو الذي يراه الناظر في المعاجم وكتب التراجم (١١) وهم العلامة الاستاذ كركوفقال في دفعه وهم الافغاني في الامام البزار : المتوفى سنة ٢٤٢ (انظر انساب السمعاني) : ففي كتاب الأنساب لأبي سعيد او سعد السمعاني : مات بالرملة سنة ٢٩٢ (ص ٧٨ الوجه الأول من طبعة الزنكوغراف) وفي لسان الميزان في ترجمة البزار : توفي بالرملة سنة ٢٩٢ ، وقال ابن قانع اخبرني ابنه انه توفي بالرملة سنة ٩١ « ص ٢٣٧ و ص ٢٣٨ ج ١ » وفي حوادث سنة ٢٩٢ من كتاب الشذرات : وفيها الحافظ ابو بكر البزار ، احمد بن عمر بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير في ربيع الأول بالرملة (اي توفي فيها)
- (١٢) ص ١٩٣ س ٣ : من العمود الثاني « حفصة بن عمر » ؛ الصواب حفصة بنت عمر
- (١٣) ص ٢١٠ س ٥ : من العمود الأول ، « الاربعة (الأئمة في الحديث) ص ١٦٥ » لوجود لهذه العبارة في الصفحة المشار اليها
- (١٤) ص ٢١٨ س ١٥ : من العمود الأول ؛ « شرح جامع الجوامع » ؛ هو شرح جمع الجوامع للسبكي
- (١٥) ص ٢٢٠ س ٢٠ : من العمود الأول ؛ « الصباح المنير » هو الصباح المنير
- (١٦) أما ما سكت عنه من ملاحظات أستاذنا الجليل البيطار فهو اعتراف منه بصحته ، وهو مما لا يمكن أن يصحح اعتباطاً أو عفو الخاطر كما ذكر .

بحث عن اثرين

عثرنا في دار الكتب الظاهرية على رسالة خطية كتب عليها [ديوان ابي
العلاء المعري] وفيها قصائد على عدد حروف الهجاء كل قصيدة منها عشرة
أبيات وقد التزم في كل منها ان يكون أول حرف من البيت وآخره سواء فمن
اطلع على مثل هذه الرسالة أو علم بموضعها فليتفضل بإبلاغ المجمع العلمي العربي
في دمشق وهذا مثال من أول القصائد

أمالك ياداء المحب دواء بلى عند بعض الناس منك شفاء
بكت رحمة للصب عين عدوه فما لحيب القلب لا يرحم الصبا
ويبحث المجمع عن قصيدة تائية منسوبة الى عامر بن عامر البصري عارض بها
تائية ابن الفارض ويقول انه نظمها في سيواس وتبلغ نحو خمسمائة بيت مرتبة على
اثنى عشر نوراً كل نور يتضمن بحثاً من مطالب الصوفية الكبرى ومطلعها
تجلى لي المحبوب من كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصوره
فالمجمع يهه ان يعرف من هو عامر بن عامر البصري فمن عثر على شيء
من هذه القصيدة او معرفة ناظمها فليتفضل بإعلام المجمع ذلك

مجلة عالم العربي

الجزء الثاني عشر كانون الاول سنة ١٩٤١ ذو القعدة سنة ١٣٦٠ ١٩٤

العناصر الاجنبية في الاسلام^(١)

أدخل الاسلام في حظيرته أذكى من أجيال الناس ، وأهل الملل والأديان القديمة ، تمثلوا تعاليمه وخدموه أجل خدمة . وكان للموالي أثر عظيم في نقل الشريعة وبثها ، حتى جاء زمان وعدد الموالي القائلين على بث العلم أكثر من عدد العلماء الذين كانوا من أصول عربية لا تشوبها شائبة العجمة . ونحن في هذا الحديث نكتفي بالاماع الى ثلاثة عطاء جاء الأولان في القرن الثالث وهما ابراهيم الحربي وابو عبيد القاسم بن سلام وجاء الثالث في القرن السابع وهو ياقوت . كانت أم ابراهيم الحربي تغلبية « وأخواله نصارى أكثرهم » قالوا لم تخرج بغداد أعلم منه . قال صاحب تاريخ بغداد كان إماماً صنفاً ، عالماً بكل شيء ، بارعاً في كل علم ، عارفاً الفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مبرزاً لعلمه ، قيماً بالأدب ، جماعة للغة ، وصنف كتباً كثيرة ، وكان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه . جاءه رجل من اصحاب الخليفة المعتضد بعشرة آلاف درهم ، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك فرده ، فانصرف الرسول ، ثم عاد فقال : ان أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك ، فقال عافاك الله ، هذا مال لم تشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته ، قل لأمر المؤمنين : إن تركتنا والاتحو لنا من جوارك !

حدث القاسم بن الحنبل قال : اعتل ابراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت :

(١) من حديث الامام محمد كرد علي ألقى في ندباع بيروت (راديو الشرق)

فدخلت اليه يوماً فقال لي : يا ابا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابني ، ثم قال لها : قومي اخرجي الى عمك ، فخرجت فألقت علي وجهها خمارها ، فقال ابراهيم : هذا عمك كليه . فقالت لي : يا عم نحن في أمر عظيم ، لاني الدنيا ولا في الآخرة ، الشهر والدهر مالنا طعام إلا كسر يابسة وملح ، وربما عدمنا الملح ، وبالأمس قدوجه اليه المعتضد مع بدر الف دينار فلم يأخذها ، ووجه اليه فلان وفلان فلم يأخذ منها شيئاً ، وهو عليل . فالتفت الحربي اليها وتبسم فقال لها : يا بنية إنما خفت الفقر ؟ قالت : نعم ، فقال لها : انظري الى تلك الزاوية فنظرت فاذا كتب . فقال : هناك اثنا عشر الف جزء لغة وغريب كتبها بخطي ، اذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبعيه بدرهم ، فمن كان عنده اثنا عشر الف درهم ليس هو فقير !

* * *

كان والد القاسم بن سلام مملوكاً رومياً لرجل من هراة من عمل خراسان فنشأ ابنه نشأة اسلامية عربية . وكان أباه شعر بذكاء ابنه فقال يوماً برطانه العجمية لمعلم الكتاب الذي يتعلم فيه ابنه مع ابن مولاه : « علمي القاسم فانها كيسة » . ونبغ قاسم وعُرف في خراسان فضله ، فعهد اليه بعض الخاصة تأديب بنيتهم ، على عادة العلية من الناس في تلك الأيام ، يدفعون الى العلماء اولادهم ليشقوهم ويهذبوهم . ونزل طاهر بن الحسين شيخ قواد المأمون بمرور حين مضى الى خراسان ، فطلب رجلاً يحدثه ليلة ، فقيل له ما ههنا إلا رجل مؤدب ، فأدخل عليه ابو عبيد القاسم بن سلام ؛ فوجده اعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه فقال له : من الظلم تركك أنت بهذا البلد . فدفع اليه الف دينار وقال له : انا متوجه الى خراسان الى حرب ، وليس أحب استصحابك شفقة عليك ، فأنتقى هذا الى ان أعود اليك . ولما عاد حمله معه الى مصر من رأى ودخل بغداد .

وظل أبو عبيد علي ولآله لآل طاهر بن الحسين ، وأعلى ابنه عبد الله بن طاهر منزله ، وهو من اعظم قواد الخليفة المأمون ايضاً . وكان ابو عبيد اذا الف كتاباً أهده الى عبد الله بن طاهر ، فيحمل اليه مالاً خطيراً استمساناً لذلك ، ولما انجز

كتابه «الغريب المصنف» وكان صرف في تأليفه ثلاثين سنة عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال: «إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق الألو يحوج الى طلب المعاش» فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر أي الف دينار . وعمل كتابه «غريب الحديث» للمأمون وما ندرى بما كافأه عليه ، إن كان احد عماله يجري عليه في كل شهر الف دينار .

أدب ابو عبيد في بغداد غلاماً في شارع بشر وبشير ، واتصل بعد بئاب بن نصر ابن مالك الخزاعي يؤدب ولده ، وأدب ايضاً ابناء هرثمة ، ولعله هرثمة بن اعين اعظم قواد المأمون وثقاته ، ولما ولي ثابت بن نصر الثغور ودامت ولايته ثماني عشرة سنة ، كان ابو عبيد يتولى قضاء طرسوس طول تلك المدة ، وحسن أثره فيها كما حسن أثر صديقه واليها .

وذكروا ان ابا عبيد لما كان في أسباب عبد الله بن طاهر بعث ابو دلف القاسم بن عيسى العجلي احد أئمة البلاغة يستهديه أبا عبيد شهرين ، فأنفذه اليه ، فأقام شهرين في الكرج ، وهي مدينة بين همذان واصفهان ، مصرها ابو دلف وجعلها وطنه ، وقلده الرشيد اعمال الجبل فلم يزل عليها الى ان توفي سنة ٢٢٥ واليها قصده الشعراء وذكروه في اشعارهم - ولما اراد الانصراف وصله ابو دلف بثلاثين الف درهم فلم يقبلها . وقال: انا في جنبه رجل لم يحوجني الى صلة غيره . فلما عاد الى ابن طاهر وصله بثلاثين الف دينار فقال: أيها الأمير قد قبلتها ، وقد اغنيتني بمعروفك وبرك ، فرأيت ان اشترى بها سلاحاً وخيلاً وأوجه بها الى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير ، ففعل .

وهكذا عاش ابو عبيد بين اشراف القادة والسادة ، يعرف لهم مقامهم ويعرفون له قدره ، يتهادونه ويبرونه ، ويرغبون في الأخذ عنه ، ويعهدون اليه في تخرج ابناءهم . اما هو فلم تبطره الدنيا ، ولم تحلب لبه المظاهر ، واشتهر بورعه وعفته وكرم نفسه ونجوده ، حتى قيل فيه لو كان ابو عبيد في بني اسرائيل لكان عجيباً . قالوا إنه كان يقسم الليل اثلاثاً ، فيصلي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف ثلثه . وكان فاضلاً في دينه وعلومه ربانياً قائماً مفتناً « في اصناف علوم الاسلام ، صحيح النقل لم يطعن عليه في شيء من

امره ودينه »

شهد اعلام الناس بعلمه ، ومنهم اسحق بن راهويه قال : يحب الله الحق ، ابو عبيد اعلم مني ومن احمد بن حنبل ، ومن محمد بن ادريس الشافعي . وقال بعضهم : انه لم يكن عنده ذاك البيان ، إلا انه كان اذا وضع وضع . وقال ابراهيم بن الحارثي : رأيت ثلاثة تعجز النساء ان تلد مثلهم . رأيت ابا عبيد ما أمثله إلا يجبلُ نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحرث فما أشبهه إلا برجل يُعجن من قرنه الى قدمه عقلاً ، ورأيت احمد بن حنبل فرأيت كأن الله قد جمع له علوم الأولين من كل صنف ، يقول ما يشاء ويمسك ما يشاء .

وسئل يحيى بن معين صاحب الجرح والتعديل - وهو الذي قال فيه احمد بن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث عن الكتابة عن ابي عبيد والسماع عنه ، فتبسم وقال : مثلي يُسأل عن ابي عبيد ؟ ابو عبيد يسأل عن الناس . لقد كنت عند الأصمعي يوماً اذ اقبل ابو عبيد . فنفذ اليه بصره حتى اقترب منه ، فقال : أترون هذا المقبل ؟ قالوا : نعم . قال : لن تضيع الدنيا - اولن يضيع الناس ما حيي هذا المقبل . وقال عبد الله بن طاهر . كان الناس اربعة : ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه ، وابو عبيد القاسم بن سلام في زمانه . وذكره الجاحظ في المعلمين وقال : كان مؤدباً لم يكتب الناس اصح من كتبه ، ولا اكثر فائدة .

غلب على ابي عبيد جمع المتفرق في الكتب وتفسيره ، وذكر الأسانيد ، وصنف المسند على حدته ، واحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين على حدته ، واجاد تصنيفه فرغب فيه اهل الحديث والفقه واللغة ، لاجتماع ما يحتاجون اليه فيه . قالوا ان الناس رووا عن ابي عبيد بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والفقه وغريب الحديث والغريب المصنف والأمثال ، وعانى الشعر ، وكتابه كتابته ارق المؤلفين في القرن الثاني والثالث . والغريب المصنف زعموا انه اجلُ كتبه ، وقالوا ان كتبه « الأموال » وهو المطبوع الذي نجا من التلف من جميع كتبه ، هو احسن ما صنف

في الفقه واجوده . وكتاب الاموال صورة ناطقة بعلمه الواسع ، وتحقيقه وتدقيقه ، يرجح من الاقوال ما هو اولى بالترجيح ، ويبين عن رأيه في أحكام الأموال وصنوفها ، أخذاً بالأقوال الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع ، ومشيراً الى عمل الصحابة والتابعين من بعده ، والى ما استخرجه الحكم والملوك من هذه الأموال بعد ذلك ، وفي كل أولئك بتجلى للقارى نور العقل ، وبعده النظر ووفرة العلم .

* * *

أما الرومي الثاني ياقوت فقد نفع التاريخ والجغرافية والادب بما نقل وحرر وبوب وصنف ، وكان مولد ياقوت عبد الله شهاب الدين في بلاد الروم سنة ٥٧٤ وأخذه المسلمون اسيراً وهو طفل واشتراه في بغداد تاجر يعرف بعسكر الحموي فنسب اليه ف قيل له ياقوت الحموي كما قيل له الرومي وجعله سيده في الكتاب يتعلم ما يستفيد هو منه في ضبط متاجره وقرأ شيئاً من النحو واللغة وشغله مولاه بالأسفار وفي سنة ٥٩٦ اعتقه فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد . ودعا مولاه القديم فأعطاه شيئاً وسفره الى كيش وعمان ولما عاد من سفرته كان سيده قد مات فأعطى أولاده وزوجته ما أراضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتباً ، وسهل عليه ان يطوف الشام والعراق والجزيرة وخراسان واستوطن مرو ودخل خوارزم وجاء البلاد ما بين جيحون والنيل . وشهد غارات التتر في خراسان ايام كونه فيها ووصف أعمالهم في بلاد الاسلام وفقد ثروته غير مرة فعده من المفلوكين . قيل انه كان طالع شيئاً من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منها طرف قوي ، ونوجه الى دمشق في سنة ٦١٣ وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي وجرى بينهما كلام أدى الى ذكره علياً بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم ، وخرج من دمشق منهزماً الى حلب وأقام فيها مدة عند وزيرها القفطي فأهداه كتابه معجم البلدان وفي حلب مات سنة ٦٢٦ .

وبدرك المرء بعد هذه الالمامة البسيرة بسيرة ياقوت كيف ساعدته الاقدار

فدرس الكتب واستفاد من نسخها وزاده تنقله في البلاد توسعاً في المعارف فاطلع على ما لم يطلع عليه غير قلائل من المؤلفين فكان ذلك مما ضاعف الامتاع بكتبه فكتب لها البقاء لحاجة الناس إليها ، ولأن صاحبها كتبها عن درس ومشاهدة وخبرة ، ويمتاز على غيره بأنه عرف جزءاً عظيماً من بلاد الإسلام معرفة أكيدة وأدرك الرجال ولقي شيوخ عصره .

كانت ياقوت رقيق العاطفة مهرف الحس دؤوباً على العدل يحمل نفساً زكية دراية . كان صريحاً في قوله لا بدالس ولا يصانع بقول ما يعلم وان اغضب وارضى ، فيه صدق العلماء بالحق وصدق الصادقين من الرواة . قال عن نفسه اني كنت قدمت نيسابور في سنة ٦١٣ وهي الشاذياخ فاستطبتها وصادفت بها من الدهر غفلة خرج بها عن عادته واشترت بها جارية تركية لا ارى الله تعالى خلق احسن منها خلقاً وخلقاً ، وصادفت من نفسي محلاً كريماً ، ثم أبطرتني النعمة فاحتججت بضيق اليد فبعتها فامتنع علي القرار ، وجانبت المأكول والمشروب حتى أشرفت على البوار ، فأشار عليّ بعض النصحاء باسترجاعها فعمدت لذلك واجتهدت بكل ما امكن فلم يكن الى ذلك سبيل لأن الذي اشتراها كان ممولاً ، وصادفت من قلبه أضعاف ما صادفت مني ، وكان لها ميل اليّ يضاعف ميلي اليها فخطبت مولاهما في ردها عليّ بما أوجبت به عليّ نفسها عقوبة فقال في ذلك قصيدة يصف الحال تقرؤها في مادة شاذياخ من معجم البلدان

ثلاثة كتب طبعت لياقوت اشتهر بها وخلد ذكره (معجم البلدان)
و (المشترك وضعاً والمختلف صقماً) و « ارشاد الارب الى معرفة الاديب » . او طبقات
الادباء ، وكلها مما أحياء المستعربون من الغربيين لهذا الرومي المستعرب العظيم .

رتب المؤلف معجم البلدان على حروف المعجم وذكر فيه اسماء البلدان والجيال والادوية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والاصنام والاولئان معتمداً في تأليفه على من كتب قبله في تقويم البلدان من العرب وعلى اللغويين ودواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الادب والنقط من افواه الرواة وتفاريق

الكتب وما شاهد في أسفاره وحققه بنفسه من أسماء البلدان ما عظمت به فائدته .
 كان ياقوت محتاطاً فيما ينقله عن غيره قال مثلاً في إحدى المدن : ولها قصة
 بعيدة من الصحة لمفارقتها العادة وانا برئ من عهدتها انا اكتب ما وجدته في
 الكتب المشهورة التي دونها العقلاء . وقال فيما نقل عن الصين « وهذا شيء من
 أخبار الصين الاقصى ذكرته كما وجدته لا أضمن صحته ، فان كان صحيحاً فقد ظفرت
 بالغرض ، وان كان كذباً فتعرف ما نقوله الناس فان هذه البلاد شاسعة مارأينا
 من مضى اليها فأوغل فيها وانما يقصد التجار اطرافها » وكأنه بما ينقل من الاوهام
 والخرافات يحاول ان لا يخلي كتابه من كل أطروفة ولو كانت سخيفة ، ليستفيد منه
 الجاهل ويتفكه به العالم ، ويزيد به المتعلم الاديب درساً ، وقد توسع خاصة في
 الكلام على المدن التي أنشأتها العرب .

حرص في معجم البلدان على الامام باخبار فتوح البلاد وعمرانها واموالها
 ومرافقها وعادياتها واخلق اهلها ومن خرج منها من المشاهير وما وقع فيها من الوقائع
 التاريخية وما قيل فيها من الاشعار البديعة ، فأمتع فرائه بكل مفيد حسب ما وصل
 اليه علمه ، ووقع عليه في كتاب او استقرأه بنفسه ونقله عن الثقات . وهذا جماع
 ما في معجمه مما أدركه في عصره او اقتبس من الاصول المتقنة في خزائن مرو
 قال : « كانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر ، وبغير رهن ،
 تكون قيمتها مائتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبيها كل
 بلد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) وغيره
 مما جمعه فهو من تلك الخزائن ، وما كان له ان يفارق مرولولا ورود النثر الى
 تلك البلاد .

ومن معجم البلدان فقط يتألف ديوان لطيف من المقاطيع والتقصائد التي
 استشهد بها وكتاب في عجائب البلدان والخليقة واخلق الناس وعاداتهم ودرجة
 الرفاهية والثروة في عصره او قبل عصره . وبقيض في كلامه على الحواضر يذكر
 من خرج منها من الاعيان ولا سيما رجال الحديث وقد تظفر فيه بتراجم مطولة لرجال

أغفل أكثر مصنفي الطبقات ذكرهم . وهو كتاب خاص ببلاد الاسلام والشرق كتب بكثير من الاحتياط والتحفظ اذا وقع التنظير بين ما نقله وما نقله المؤلفون في عصره وبعد عصره . فقد قال في الروم مثلاً « وفي اخبار بلاد الروم اسماء عجزت عن تحقيقها وضبطها ، فليعذر الناظر في كتابي هذا ، ومن كان عنده اهلية ومعرفة وقتل شيئاً منها علماً ، فقد أذنت له في اصلاحه مأجوراً » وهذا ديدن العلماء في القديم والحديث يدعون العارفين الى تصحيح هفواتهم او الى تقديم للوصول الى الحقائق .

أما كتاب « المشترك وضعاً والمفترق صقماً » فقد انتزعه بنفسه من معجم البلدان واقتصر فيه على ما اتفق من اسماء البقاع لفظاً وخطاً ووافق شكلاً ونقطاً وافترق مكاناً وعملاً ، توفيراً لوقت المطالع الذي يجب السرعة في تلفف الفوائد ، وبعدها به عما ذكره في معجمه الكبير من الاشتقاق والشواهد والنكت والفوائد والاخبار والاشعار . ودعا ياقوت على من يختصر بعده كتابه معجم البلدان وما نجا مع هذا من أناس حاولوا اختصاره ، ومنهم صفي الدين عبد المؤمن اختصره وسماه « مرصد الاطلاع » .

بقي ان نطلق القول في كتاب ياقوت الثالث وهو « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » وفيه جمع ما وقع اليه من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين واصحاب الرسائل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة وكل من صنف في الادب تصنيفاً ، مثبتاً وفياتهم ومواليدهم وتصانيفهم واخبارهم وأنسابهم وأشعارهم . قال فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأورد لك من أخباره وحقائق أموره ما لا اترك لك بعده تشوقاً الى شيء من خبره وانه جمع للبصريين والكوفيين والبغداديين والحراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وذلك على حروف المعجم أيضاً . وقال في الاعتذار عن نفسه ولن يقول له ان الاشتغال بأمر الدين أهم ، ان هذه اخبار قوم عنهم أخذ القرآن والحديث وبصناعتهم تنال الامارة ويستقيم

أمر السلطان والوزارة وبعلمهم يتم الاسلام ، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام ،
وان كتابه هذا هو علم الملوك والوزراء والكبراء يجعلونه ربيعاً لقلوبهم ونزهة
لنفوسهم .

قال وربما قال بعضهم انه (معجم الادباء) تصنيف رومي مملوك وما عسي ان يأتي
به ؟ ان القوم لا ينظرون ما قيل انما يسألون عمن قال . ولو عاش ياقوت ورأى اليوم
بعد ان أتى على كتابه سبعة قرون كيف اشتهر كتاباه معجم البلدان ومعجم الادباء
لا يستغني عنها باحث ولا أديب وأثبتت الايام انهما من الكتب التي حوت كل
طريف مفيد تزيد على القرون حسناً لا غتبط وأدرك أن ما كان يقدر ان الناس
يقولونه في كتبه قالوه في امثاله في كل عصر ثم ذهب لفظ القوالين والطاعنين
وثبت علم العالمين والمتأديبين الباحثين .

محمد كرد علي

نظرات لغوية

١ - تصدير

وقفتُ على ماجدات به يراعة الاستاذ احمد رضا وهو مقالة عنوانها (أسماء منتخبة لمسميات حديثة) (مجلة المجمع العلمي العربي ١٦ : ١٧) فأحببت ان أقول كلمتي في هذا الموضوع .

٢ - القنّع والقنّاع

ذكر حضرته هذين اللفظين ، وخصهما بما يقابله عند المعاصرين : « الطبق التخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام ، واكثر ما يكون من عسب النخل ، او من قصب او من خيزران » . وقد ذكر حديثاً نبوياً هو هذا : « وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتى بقنّاع جرد (كذا) الجرد (كذا) صغار القنّاء . . . » والذي اعرفه في عبارة الحديث : أتى بقنّاع جرد^(١) . الجرد [بواو في كلا اللفظين] : صغار القنّاء . واما الجرد هنا فليس له هذا المعنى .

والذي اعلمه أيضاً ان القنّاع والقنّع من الكلام العرب من قديم الزمان ، بل منذ عهد الجاهلية ، وهما من اليونانية Kaneon, Eou بهذا المعنى عينه . وقد اشتقوها من قنّا Kanna ومعناها الأسل ، والخيزران ، والقصب ، والعسب (جمع عسب) لأنهم كانوا يتخذون تلك القنّع من هذه المواد المذكورة . اما في العربية فليس ما يوجه هذا الوضع . زد على ذلك ان لا مقابل للقنّاع بهذا المعنى في الآرامية ولا في العبرية ولا في سائر اللغات السامية ، بخلاف القنّاع بمعنى ما تنقّع به المرأة فانها تُرى بهذا المعنى في الآرامية والعبرية . وكان اليونانيون الأقدمون يضعون في القنّع الاثمار والخبز والشعير التي يقدمونها في هياكلهم الوثنية (كل ذلك عن معجمنا المطول المسمى المساعد) وقد استحسننا ما ذهب اليه المجمع بأن يُخصص

(١) هذا الذي وجدناه في لسان العرب والنهاية وتاج الروس ولم نجد (الجرد) بالدال في الآخر

القتع بالكسر لهذا الضرب من الطبق وُيُبقِي القناع لما تُغْطِي به المرأة رأسها
(١٦: ١٧ حاشية)

٣ - السفن

السفن بالتحرّيك اطلقه حضرته علي مايسميه عوام سورية : ورق البردخ ،
وورق الزجاج . واما اهل العراق فيسمونه : كاغد السبازج وهو كقول الافرنج
Papier à l'Émeri . واما السفن^(١) فقد اشتهرت عند الاقدمين بمعنى « جلد سمكة
خشنة الجلد . ولا أرى في صديري حاجة الى وضع هذه اللفظة لما يعرفه العرب والعراقيون
بكاغد السبازج وذكر هذه الكلمة الاخيرة القاموس وتاج العروس والاقويانوس وغيرها
من كتب اللغة .

٤ - الحسك

لا أوافق الاستاذ احمد رضا على تخصيص الحسك بالسلك الشائك ، فيقع حينئذ
في التاريخ ، وكتب اللغة ، خبط وخالط . فالحسك الذي وصفه الاستاذ يقابل الفرنسية
Chausse-trape واما السلك الشائك فيقابلها فيها Fil-barbelé والواحد غير الآخر .

٥ - الجناح^(٢)

لما وصف الاستاذ اللغوي الجناح ، وصفه وصفاً صحيحاً ، ولما أراد تخصيصه بما
اصطلح عليه المصريون : أدباؤهم ، ولغويوهم ، وعلماؤهم ، بالشقة وبالفرنسية
Appartement لم يوفق ، فان الجناح يقابله عند الافرنج Aile d'un édifice واما

(١) راجع كتاب الذخيرة في علم الطب المنسوب ظلاً وهوأ الى ثابت بن قرة المطبوع في المطبعة
الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٢٨ وقد جاءت في ص ١١ بصورة السفن (كذا) والتصحيح منا .
(٢) فرق الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده بين الروشن والجناح في شرح نهج البلاغة المطبوع
في بيروت عند شرحه لهذه العبارة : «ويل لسكككم العامرة ، والدور المزخرفة ، التي لها أجنحة
كأجنحة النور» إذ قال : أجنحة الدور رواشنا . وقيل : أن الجناح والروشن يشتركان في إخراج
الحشب من حائط الدار إلى الطريق ، حيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله وإلا فهو (الساباط) ،
ويختلفان في أن الجناح توضع به أعمدة في الطريق بخلاف الروشن « اه كلام الشيخ .

قول الاستاذ ان الجناح « ورد في عامة بلاد العرب » ٠٠ (المجلد ١٦ : ٢٠) ، فغير موافق لما يجري في العراق .

٦ - الحيفة والطريدة

ما ذكره الاستاذ نقلاً عن اللسان في مادة (طرد) : ان الطريدة : السفن وهي قسبة تجوّف ثم يُفغر منها مواضع « هو من خطأ الطبع . والصواب ما في التاج ، أي : « ثم يُنقر » اي يُحفر . وانا لا أرى فائدة في إبدال الخراطة بالطريدة ، فالخراطة مولدة وقديمة . وأصلها يؤيد معناها ويُوجههُ توجيهاً حسناً . والبراءة : حسنة في مكان البرّاية واشتقاقها صحيح . وأما ما يسميه المصريون (المطوة) واصطلاح عليه المجمع اللغوي المصري بالبرّاية فالبرّاية حسنة ، لكن احسن منها المدية ، بتثليث الميم ، على ما في كتب اللغة والمدية في أصل وضعها للشفرة وما (المطوة) إلا مدية في بيت تطوى فيه .

٧ - الدسكرة

هيئات ان توافق الدسكرة للطرز اي الفلاً . فالدسكرة بقابلها عند المصريين العزبة . وقد صرح بهذه التسمية غير واحدٍ منهم . وأما الطرز فمن الكلام الذي لا ينال لمناعته وفصاحته ، واذا كان يشقل على لسان بعضهم فهو لا يشقل على من يستعمل أثقل منها : كخلع ، وخلق ، وطرز ، والطرز ، الى ما لا يحصى عدده والدسكرة بالفرنسية Ferme وهي العزبة عند المصريين والطرز من الفارسية تزر بناءً مشتاة مفتوحة في الأول ، يليها زاي مفتوحة ، فراء ، وهي الكلمة التي تذكرها جميع معاجم الفرس كبرهان قاطع ، وبيهار عجم ، وفرهنگ شعوري ، وقرس ، ومنتهى الارب ، في لغات العرب وهو معجم كبير من العربية الى الفارسية وقد وقع في أربعة مجلدات ضخمة .

واما قول الاستاذ اللغوي (ص ٢٢) : « صاحب المخصص يقول : الطرز البيت الصيفي بلغة بعضهم » فهو عندنا مصحف عن الطرز ، بتقديم الزاي ، لوجود هذه

الكلمة (اي تزر) في جميع المعاجم الفارسية بمعنى البيت الصيفي ، بخلاف الطرز (بتقديم الراء على الزاي) ، فلا وجود لها البتة في كتاب قديم ، وقد ذكر الطرز الزمخشري ، وهو من هو في اللغة - في مقدمة كتاب الادب ص ٢٤ س ١٨ اذ يقول : « طَزَر : خانه دراز » اي بيت طويل .

فقول الاستاذ : « والعجب كيف صار الجمع المصري الى اختيار الطرز بثقلها ، وما صحبها من التهجان (كذا) كاد يكون عامًا فيما رأيت ، ولم يختار الطرز وهو يؤدي نفس المعنى المراد ، وموافق للأصل الفارمي » - فنجن نسأل حضرته في أي كتاب لغة فارسية وجد الطرز بالكسر بمعنى البيت الصيفي . نعم . قد ذكره بعض العرب لكنه مصحف الطرز (او تَزَر) الفارسية ليس إلا . وأما الطرز براء فزاي فيعني في الفارسية الحسن والزينة والجمال .

فالنسبة ان ما ذكره مجمع فؤاد الأول للغة العربية هو عين الصواب وما سواه فخطأ لا يحتمل التفتيد ، ولا الجواب .

٨ - طيلة

ما قاله الأستاذ المغربي على سوء استعمال (الطيلة) في غير مكانها هو حاق الصواب .

٩ - القصف بمعنى اطلاق القنابر على المدن

استحسن الاستاذ المغربي القصف لمعنى اطلاق القنابر على ديار الاعداء . ونحن لا نوافقه ، ولا يوافقه كل لغوي صميم ؛ عارف أمرار لغته . فالقصف في اللغة لم يرد بالمعنى الذي يشيرون اليه ؛ والتخريج الذي جاء به حضرة أستاذنا ؛ لا يرضى به اللغويون البصراء في لسان الضاد . والأحسن في هذا المعنى ان يستعمل (الصق) لأنهم قالوا : « صَعَقْتُمُ السَّمَاءَ كَمَنْعِ صَاعِقَةٍ » ، وهو مصدر على فاعلة كالرأفة ، والثاغية ، والصاهلة للابل والشاء والخليل : اصابتهم بها . وفي حديث خزيمه ، وذكر السحاب : فاذا زجر رَعَدَتْ ، واذا رَعَدَتْ صَعَقَتْ أي أصابت بصاعقة » اه (التاج) .

فاذا أطلق الأعداء من طياراتهم تلك القنابر ، فكأن السماء نفسها ترسلها فتصق الناس وديارهم . فهذه الكلمة هي التي تستعمل في هذا المعنى دون غيرها .
وقولهم : القنابل فكلام غير صحيح . فالقنابل في اللغة جمع قنبل وقنبلة كجعفر وزلزلة ، وتعني كل منهما : الطائفة من الناس . ومن الخليل ما بين الخمسين فصاعداً .
وقيل : ما بين الثلاثين الى الاربعين . فأين هذا من القنبلة التي استعملها المولدون لهذه الكرة المحوفة المحشوة باروداً ومفرقات مختلفة . قال المرادي (المتوفى سنة ١٢٠٦ للهجرة) في سلك الدرر في ١ : ٥٥ : « ثم بعد أيام ، حاصر القلعة الدمشقية ، ونصب لها الأتواب (أي المدافع) من المرج الأخضر وضرها بالقنابر » . قال الناشر في الحاشية : « قنابر ، أصله خميرة ، بضم الخاء المعجمة ، وسكون الميم ، وفتح الباء الموحدة والراء . كلمة فارسية . فقمير محرف والمؤلف سمعه في الشام محرفاً على محرف بالنون ، وجمعه حتى أدخل عليه حرف التعريف . وقال القنابر ، وألحقها على الأتواب تعريباً . . . » ٥١ .

وفي ٢ : ١٨٤ منه : « واستعد لذلك استعداداً عظيماً في البحر والبر ، وأنزل بالمراكب (كذا) والجبخانه والمدافع والقنابر » . . . ورمى عليها بالمدافع والمكاحل والقنابر » ٥١ . وفي سنة ١٢١٣ للهجرة (أي ١٧٩٨ للميلاد) كتب السيد خليل البكري ، تقيب أشرف الديار المصرية رسالة طويلة : ذكر فيها الأهوان (أي مدافع الهاون) والقنابر (راجع كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد ٣ : ٣٥٧) فمن هذا نتحقق ان رواية الأقدمين من السلف ، ممن عرفوا القنبلة أو سمعوا بها لأول مرة ، كانت بالرأي (أي القنبلة) ، لا باللام أي القنبلة .

وجاء في مقالة الاستاذ ص ٢٦ : « جلجة الرعد » ونظنها جلجلة الرعد ، وتلك من خطأ الطبع .

وقال في تلك الصفحة : الدبلوماسيون . ولو قال : الدبلوماسيون بجذف الياء الأولى لكان أقرب الى الصورة العربية . ثم لو استغنى عن الكلمة التي نطق بها

بقوله السياسيون ، لكان أحسن ؛ ففي مثل هذا المقام لا يُطلب من الكاتب الدقة في النقل ، بل ما يقارب المعنى .

١٠ - المحارب والحيادي والمسلم

فهنا المحارب والمسلم لكن لم نفهم الحيادي (ص ٢٦ و ٢٧) وماذا لم يقل الحياد . افيقول بجانب من جانبه أم يقول : مجاني وجنابي ؟ فالذين قالوا حيادي في الحياد ، هم قوم من زعانف الكتاب وجهلتهم . والعراقيون لا يقولون إلا محابدين ومحابدين .

١١ - المحارب واللامحارب او العُدَى (بالضم) والعُدَى (بالكسر)

يعرض علينا الاستاذ المغربي ان نستعمل العدى والعدي في مكان المحاربين واللامحاربين ونحن لا نوافقه لأسباب ، أولها : أن الفرق بين الكلمتين ضبط الكلمتين وأغلب الجرائد والصحف والمطبوعات تهملُ التقييد . - الثاني : ان المعنيين اللذين أشار اليهما ، منقولان عن لغويين حديثين معاصرين كثيري الاغلاط والأوهام ، وقد قلنا مراراً انه لا يحتاج بكلام أحد اللغويين المعاصرين او المحدثين ، إلا اذا أسند كلامه الى نقل الاقدمين ، او انفق كلامهم مع كلام الصرفيين والنحاة ، واللغويين القدامى . - الثالث : ان هذا التفريق بهذا الشكل دقيق ، والناس في حاجة الى جلاء اللفظ والمعنى من غير الالتجاء الى كتب اللغة والمعاني والبيان . - الرابع : ان قولنا محارب وغير محارب لا غبار عليه . وكذلك القول محارب ولا محارب . فالتعبير (بغير) من كلام الأقدمين ، والتعبير (بلا) من كلام فضحاء المولدين وقد رضي به المجمع .

فاستعمال (غير) في غير محارب لا يشبههُ تعبير أجلى منه ، ألا ترى أنه ورد في فاتحة الكتاب : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم » (غير) المغضوب عليهم ، وكان يستطيع أن يقول مثلاً الذين رضيت عنهم . لكن في قوله : « غير المغضوب عليهم » حلاوة وقوة وأمر غير موجودة في ماورد من مرادفاتهما .

وفي سورة النساء : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً » . فاستعمال « غير » في مثل هذين الحرفين اكثر من أن يحصى في آيات عديدة .

وأما ادخال لا (على) كلمة ثانية فقد ورد في كلام الأقدمين منا . قال عامر بن الظرب العدواني من خطباء الجاهلية : « اني أرى أموراً شتى وحتى » . قيل له : وما حتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حياً ، ويعود (اللاشيء) شيئاً » ١٥ . وقال الفلاسفة والمناطق : اللأذرية ، واللادوام ، واللابقاء ، واللانهاية ، واللاضرورية ، واللادامة ، الى نظائرها وهي كثيرة في مصطلحاتهم . وكان يكتنهم ان يستغنوا عنها ، ويضعوا كلمة واحدة تدل على مبتغياتهم ، لكنهم لم يفعلوا ، لأنهم وجدوا في هذه الاوضاع معاني لا تؤديها الالفاظ الأخر المرادفة لها .

ثم لانفهم لماذا قال الاستاذ En état de guerre ليقابل بها Non belligéran
وكان يحسن به ان يقول في الاول Belligérant

١٢ -- حرب الدولة الفلانية لامع الدولة الفلانية

ونرى كثيرين من ارباب الصحف والمجلات ، بل من فريق من المؤلفين يقولون « الالمان يحاربون الآن مع » الروس » وهذا خلاف ما يريدون . والصواب ان يقال : الالمان يحاربون الروس ، لكنهم يحاربونهم « مع » الايطاليين . وقد انتقل هذا الخطأ الى فصحاء الكتاب حتى قال استاذنا رئيس المجمع : « بذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد وأطراف الشام وحروبها مع طيئ » (ص ٤٦) والصواب وحروبها لطيئ .

١٣ - الكهريا لا الكهرياء والكهربي لا الكهريائي

ولا أزال أرى في مجلة المجمع تكرر الغلط الكهرياء بالمد والكهريائي ، بهمز قبل الياء . وقد قرّر جمع فؤاد الأول للغة العربية ان صحيح الاستعمال هو : الكهريا بالقصر والكهربي في النسبة وراجع تاج العروس في كهرب .

١٤ - البدء بالتاریخ

وقال الاستاذ السيد محمد سعيد العرفي : « ارجو ان تلفتوا نظر الحكومة لاستعمال الاعداد حسب القواعد العربية بالبدء من اليمين والعدول عن الترا كيب التركية ٠٠٠٠ » (ص ٩٦) . ولكن العرب أجازت الاستمالين قال احمد فارس الشدياق في غنية الطالب ، ومنية الراغب ص ١٠٧ من الطبعة الاولى : « أما المعطوف في العدد ، فجاز ان يكون القليل أو الكثير . تقول : عندي مائة وخمسون نعجة ، او خمسون ومائة نعجة . وفي الحديث : « فذلك خمسون ومائة في اللسان ، والف وخمسة في الميزان » فجمع بينهما . أما في التاريخ ، فالاشهر تقديم القليل على الكثير نحو : سنة ست وثمانين ومائتين والف . وليس بواجب » انتهى .

١٥ - فرنسي لا فرساوي

قرأت مقالة لأحد أعضاء المجمع العلمي العربي ، يذكر فيها اللغة الفرنسية (ص ١٧٥) والنص الفرنسي (ص ١٧٨) والأداتين الفرنسيتين واستعمالتهما الفرنسية (ص ١٧٩) والأداة الفرنسية وبالفرنسوية (ص ١٨٠) وفي الفرنسية والانشاء الفرنسي (ص ١٨١) فتعجبت من هذا الاستعمال المغلوط فيه ، والكاتب من أعضاء المجمع أقلم بقرأ في كتاب سيويه ٣ : ٧٨ من طبعة القاهرة : « هذا باب الاضافة الى كل اسم كان آخره الفاء وكان على خمسة احرف . نقول في 'جباري' : 'جباري' ، وفي 'جمادي' : 'جمادي' ، وفي 'قرقي' : 'قرقي' . وكذلك كل اسم كان آخره الفاء ، وكان على خمسة احرف » إذن يقال في النسبة الى فرنسا : فرنسي والى مصطفى : مصطفى ، والى مرتضى : مرتضى . واما النسبة الى مثل النمسا ، فيقال فيها نمسي ونمسوي ونمساوي ، كما يقال في النسبة الى حبلي : حباوي وحبلادي وحبلي (كتاب سيويه ٢ : ٧٧) وأفصحهن حبلي ونمسي .

واما اذا كتبت فرنسة بهاء في الآخر ، وهو احسن من كتابتها بالألف ، جرياً على ما سار عليه العرب في كتابة اسماء المدن الاندلسية ، إذ لم يكتبوا

اسم مدينة واحدة منها بألف في الآخر ، بل كتبوها كلها بالهاء : كفرناطة ،
 وبلنسية ، وطليلة ، ومرقسطة ، وطرطوشة ، ومرشانة ، وباجة ، ولشبوننة ، وقطلونية ،
 الى مالا يحصى عدده — فالنسبة اليها والى أمثالها بالياء . فيقال : فرنسي كما يقال : غرناطي ،
 وبلنسي ، وطليطلي ، ومرقسطي ، وطرطوشي ومرشاني ، وباجي ، ولشبوني ، وقطلوني
 الى نظائرهما ولا يقال خلاف ذلك . بخلاف كتاب هذا العصر فانهم يفسدون
 الألفاظ . قلنا : وبهذا القدر كفاية لما ورد في الاجزاء الستة الاولى ، من غير
 الامعان في البحث عما ورد فيها من أوهام الطبع وغير الطبع . والله الوافي .

الأب أنسافس ماري الكرملي

أولية تدوين المعاجم

وتاريخ كتاب العين المروي

عن الخليل بن أحمد

(الخاتمة)

٤ - صورة اتمام الكتاب بعد تأسيس بنائه :-

رأينا مع دليل من التاريخ واضح ان الخليل هو الذي رتب ابواب كتاب العين ووضع نهجه وصور بنائه ، ولم نر احداً من اهل العلم بنفي عمله هذا بدليل الا ان يكون تنقاً من ترتيب الحروف على مخارجها ، ذهب على بعضهم حاجة الخليل الى جعلها مخالفة لما روى عنه بعض تلامذته ، وذلك قياماً عند ضرورة التأليف الواضح والنهج المستقيم . وتنتهي معرفتنا باليقين للكتاب الى هذا الحد الذي رسمناه ، ويتسرب الشك في نفسنا بعد ذلك حيث لا نرى نصوصاً تاريخية قوية تذكر بالدليل الثابت أثراً للخليل في الكتاب ابعداً مما ذكرنا .

ولكن للرب الذي ينبعث حداً ، فلئن فقدنا أقوال التاريخ الثابتة فلن نعدم دليل العقل والمنطق ، ولن يعوزنا الا عرضه على ما نعرف لنستدل على صحته . ولنقرر قبل أي شيء آخر مبادئ لا نخطئها : أولها ان علم الخليل في اللغة والصرف من الثقة بحيث لا يتسرب اليه الاضطراب ، فما يعرض من خلل لغوي أو صرفي في الكتاب فالخليل براء منه الا ماندر . ومبدؤنا الثاني ان الليث ، على ما عرف عنه من نقي وورع ، صادق فيما ينسب الى صاحبه الا اذا أخل بالمبدأ الأول ، حتى اذا لم يخجل به أصبح كلامه حجة . فاذا قررنا هذين النظيرين قسنا عليهما ؛ فنظرنا في الخطأ الذي ورد في كتاب العين ، مما ذكره العلماء ، وحاولنا ان

نعتبر صدق الليث به ، فما هي دعواه ، وهل نستطيع ان نوفق بينها وبين الاضطراب الواقع في الكتاب ؟

ينسب الليث الكتاب الى أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد ، ويريد بذلك انه مبدعه وواضع نهجه وشيئاً آخر نراه فيما يلي ، ولا يقصد بذلك ان الخليل الف الكتاب برمته . ودليلنا على ذلك ان الليث نفسه بقول : كان الخليل « بملي علي ما يحفظ ، وما شك فيه » يقول لي : سل عنه ، فاذا صح فأثبته الى ان عملت الكتاب»^(١) . وقوله هذا يثبت ان الخليل لم يضع الكتاب كاملاً ، وان الذي أتمه ووضعه على صيغته النهائية هو الليث نفسه ، كما يوضح ذلك قوله : « الى ان عملت الكتاب » . وما أتمه الا معتمداً على أقوال العلماء الذين استفاد من علمهم ، ولم ينكر استفادته ففسب اليهم أقوالهم وآراءهم ، وذكر اسمهم في الكتاب ، وجلبهم من الأعراب الذين حلوا خراسان كزائدة^(٢) وابي ليل وعمرام والضرير^(٣) ، ومنهم العراقيون كسيبويه^(٤) والاصمعي وابن الاعرابي وابي عبيد^(٥) . ولا يدخل في هذا الشأن اسماء وروايات متأخرة في الزمن عن هؤلاء ، ولعلها كانت تعليقات على الكتاب ثم أضافها الوراقون الى أصله ، فقد ظهر على ما يقول ثعلب « اختلاف في نسخه واضطراب في رواياته ، ووقع فيه الحكايات عن المتأخرين والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين »^(٦) . وكل ذلك مما لا تقع تبعته على الخليل او الليث ، وليس لنا كما فعل الزبيدي^(٧) ، ان نتخذ من ذلك حجة على ان الكتاب ليس

(١) في كتاب العين رواية ابن درستويه (الفهرست ٤٣ ، إرشاد الأريب ٦ : ٢٢٧)

(٢) في مادة عدق من كتاب العين ص ٦٧ وفي مادة عجر ، عن دروس الأستاذ مارسيه نقل

الأستاذ الكناي . (٣) عن دروس الأستاذ ارسيه نقل الأستاذ المبارك .

(٤) في مادة جرع من كتاب العين ص ٦٢ . ويرى الأستاذ مارسيه أن الكتاب عرض عليهم

فكانوا يبدون رأيهم في مواده . (٥) الزهر ١ : ٤٢ .

(٦) في الزهر ١ : ٤٢ نقلاً عن الزبيدي في استدراكه يقول ابن فارس في المقائيس (نسخة

المجمع ص ٤٥٠) جد أن ذكر بيت شمر سخيف من كتاب العين : « وأرى كتاب الخليل إنما نظامن

عند أهل العلم لمثل هذه الحكايات » . (٧) النص السابق من الزهر

للخليل، وكل ما علينا ان لا نتق بهذه الروايات ثقتنا بها كما لو كانت من اصل الكتاب .
 على أن الأمر لا يقتصر على ذلك بل الكتاب يتضمن أخطاءً يجبل مقام الخليل
 عن نسبتها اليه ، وتلك هي كما بعددها الزبيدي ويحتج بها على ان الكتاب ليس
 للخليل : « ادخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين
 خاصة ، وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله الى آخره ٠٠٠ . ولو ان الكتاب للخليل
 لما أعجزه ، ولا أشكل عليه تثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل والثلاثي المعتل
 بعلمتين ، ولما جعل ذلك كله في باب سماه اللفيف ، فأدخل بعضه في بعض ، وخلط
 فيه خلطاً ، لا ينفصل منه شيء عما هو بخلافه ، ولوضع الثلاثي المعتل على أقسامه
 الثلاثة ليستبين : مثل الياء من معتل الواو والهمزة ، ولما خلط الرباعي والخماسي من
 أولها الى آخرهما . » ^(١) انها لأخطاء فادحة كما ترى ومعظمها يرجع الى أصل
 بناء الكتاب لأنها ابواب مفردة منه ، وقد رأينا ان لاشك في ان الخليل هو
 الذي وضع نهج الكتاب وابوابه ، فكيف نعللها ؟ لا تعليل لها الا فرضها ملحقة
 بالكتاب بعد وفاة الخليل مع البرهان على أن موضعها لحظ في وضع الكتاب
 الأصلي وغرب عن بال الليث فألحقها خطأ . والحق ان هذا الفرض صحيح
 والبرهان ممكن . ألم تر ان الخليل لا يعتد بالمضاعف من الابنية فلا يدخل فيما
 أحصاه من كلام العرب الالفاظ التي يتكرر حرف من حروفها ^(٢) ، وكذلك فالثنائي
 الخفيف من الصحيح يدخل عنده في أبنية الثنائي وكذلك المعتل منه والثلاثي المعتل
 بعلمتين . الا ان الخليل ادرك ذلك حين تعداده الابنية ورسما ، ولكن الليث ظن
 انه لم يلحظها فجمعها في باب خاص اسماء اللفيف ، كما ان الليث اخطأ « من جهة
 التصريف ، فذكر حرفاً مزيداً في مادة أصلية او مادة ثلاثية في مادة رباعية » ،
 وهذا مما عبره به الزبيدي وعدده في جملة أخطاء الكتاب فنتبعه السيوطي ^(٣) ولم
 يجد غيره مما يعبر به الكتاب . وماذا يعني وجود هذه الاخطاء الا ان الخليل وضع

(١) الزهر ١: ٤٣٠ وكشف الظنون مختصراً ٢: ٢٩٠ (٢) الزهر ١: ٣٧ وبنية الوعاة ٢٤٣

وانظر في هذه المقالة ٤٤٦ ص من مجلة المجمع العلمي العدد ١٠ المجلد ١٦ (٣) الزهر ١: ٢٣٠

أبنية العرب وميز المهمل من الاستعمل منها دون ان يأتي على ذكر مشتقاتها ، ولو فعل ذلك لما تسرب الخطل الى الكتاب .

وبعد فهل يدعي الليث خلاف ذلك ؟ انه ان فعل فقد ثقتنا . ولكنه لم يفعل بل هو يؤيد قولنا حين يستفسر من الخليل عن علة عده بناءً مامهلاً وحين يسأله عن معنى المشتقات فيقول في الحالة الأولى وقوله في كتاب العين : « من أين فأت عكش مهمل »^(١) . ويقول في الثانية في الكتاب نفسه : « قلت للخليل اذ لقيته : ماذا تقول في الخلع ، قال الخلع ضرب من البسيط وأورده »^(٢) . ان كل ذلك إلا يدل دلالة بينة على ان الخليل لم يأخذ على نفسه تحشية ابواب الكتاب بل ترك ذلك الليث ، على ان يستشيريه ويهتدي بهديه .

وهذه النتيجة التي يفضي اليها البحث تجد مصداقاً لها في الألفاظ التي وجدت مصحفة في كتاب العين ، فذكرها الزبيدي ونقلها عنه السيوطي^(٣) . وليس بينها ما يشك في انه مصحف في أصل بنائه الالفظين : اللخج والترم ، قال الزبيدي ان لا وجود لها . ولكن الفيروزبادي خالفه في ذلك فذكر اللخج وقال هو « أسوأ الغمص »^(٤) وذكر الترم وقال « هي وجع الخوران »^(٥) وكذلك فلا يمكن تأييد قول الزبيدي فيها دون جدال . والذي يبقى أن التصحيف يقع في الكلمات المشتقة او عرضاً في وضع معنى مشتق لبناء من الابنية مصحف . وهذا تأييد لما قلنا ، من أن الخليل لم يضع بنفسه اشتقاق الكلمات ولا معانيها ، بل عهد بذلك الى الليث . وهكذا يبدو واضحاً ان الليث لم ينسب الى الخليل غير ما قال فكان صادقاً في دعواه ، وحق لنا أن نتق به . اما ان يكون اخطأ فيما عهد به اليه الخليل ، فذلك يرجع الى انه لم يكن في معرفة اللغة بمكان وثيق . ثم إن الاخطاء التي وقع فيها بسيطة ، لا كبير شأن لها . اسمع ما يقوله السيوطي بعد ان تتبع الأغلط من كتاب

(١) كتاب العين ص ١٥٣ عن دروس الأستاذ مارسية في مذكرات الأستاذ المبارك .

(٢) كتاب العين مادة خلع عن دروس الأستاذ مارسية . (٣) الزهر ٢ : ١٩٣ - ١٩٦ .

وانظر ما يقوله ثعلب في تصحيف كتاب العين (ارشاد ، طبعة فريد الرفاعي ١٧ : ٤٤٤)

(٤) القاموس ، وانظر تاج العروس ٢ : ٩٤ (٥) القاموس وانظر تاج العروس ٨ : ٢١١

العين التي نوه بها الزبيدي في استدراكه عليه قال : « وقد طالعت استدراك الزبيدي الى آخره فرأيت وجه التخطئة فيما خطى فيه ، غلبه من جهة التصريف والاشتقاق . وبعضه ادعي فيه النصيف ، واما انه يخطأ في لفظة من حيث اللغة ، بأن يقال هذه اللفظة كذب ، او لا تعرف ، فمعاذ الله ، لم يقع ذلك . »^(١)

وهنا يجول في الذهن سؤال كبير الشأن ، عظيم النتيجة ، وهو : كيف صح لليث ان لا يخطى في سرد معاني الكلمات مع انه اخطأ فيها هو دون ذلك بكثير : اخطأ في التصريف وصحف في الألفاظ ؟ والجواب عن ذلك لا يخرج عن شيء واحد ، وهو انه ليس الذي وضع معاني الالفاظ وتحررها ، ولو فعل ذلك لامتلا الكتاب خطأ ، فهو كما يدعي ذلك في نسبه الكتاب الى الخليل اخذها منه . ولكن كيف يأخذ عن الخليل معاني الكلمات (مما يشعر بأن الكتاب قدم) ثم يغير في أبواب الكتاب ويخطى في توزيع الكلمات في ابواب الكتاب وكيف يأخذ عن الخليل معاني الكلمات ثم يصحفها ؟ لا جواب عن ذلك الا انه خلا ما املي عليه الخليل او سأله عنه ، اخذ منه ما كان أجمعه ودونه في صحفه من معاني الالفاظ . ويشهد سيبويه بكثرة تدوين الخليل للغة حين سأله ابو بكر بن السري قائلاً : « هل رأيت مع الخليل كتاباً يبلي عليك منها ، فقال : لم اجد معه كتباً الا عشرين رطلاً فيها بخط دقيق ما سمعه من لغات العرب ، وما سمعت من النحو فاملاء من قلبه . »^(٢) اما إن هذه الارطال العشرين ذات الخط الدقيق كافية لأن بدون منها كتاب اكبر من كتاب العين ، فهل يشعر الخليل بدنو أجله او يبعد يده عن كتاب العين فيبخل بها على الليث ولا يوصي بها اليه ، والكتاب كتابه والوضع وضعه ؟ الا ان المنطق بقضي بقبول هذه الفكرة ، لا سيما وهي تفسر كيف وقع التصحيف ، والنصحيف لا يكون إلا بالنقل من خط غير معجم لابي شي آخر وهي تفسر كيف وقع الخطأ في اشتقاق الكلمات حين عمد الليث إلى توزيع

ما كتب في صحائف الخليل على أبواب الكتاب ، وكيف أنه خيل إليه أن
بناء الكتاب تنقسه الأبنية المضاعفة والممتلة بعلتين فأضافها في آخر الكتاب بباب
أسماء الليف .

الخلاصة . - وهالك الآن زبدة ما نظهره نتيجة البحث عن تاريخ كتاب العين :
أقام الخليل زماناً يفكر بخصر أبنية اللغة العربية ، وأدى به حسن خاطره وصفاء
قريحته إلى الرجوع إلى عناصر الكلمة العربية ألا وهي الحروف ، فاتخذها سبيلاً
إلى حصر ألفاظ اللغة العربية بضرب بعضها ببعض مرة للحصول على الثنائي
وضرب ماخرج معه من الثنائي بالأحرف نفسها لاستخراج الثلاثي وأبنية الثلاثي
بجروف العربية للبلوغ إلى الرباعي وأبنيه الرباعي بها للوصول إلى الخماسي ،
وذلك بعد ترتيب الحروف على مخارجها في النطق حصراً للمهمل من الألفاظ
بأمكنة متقاربة ، وأغلب المهمل إنما يتركب من حروف متقاربة المخرج أو مما
لم يدخل فيه حرف من الحروف المحسنة للنطق أي حروف الدلاقة . واضطره
أسلوبه في الحصر المتقارب للمهمل أن يغير شيئاً من ترتيبه الأول لمخارج
الحروف مما كان لفته لسببويه . وبعد أن انتهى من عمله هذا وضبط أبنية اللغة
ضبطاً لا يدخلها فيه خلل وجد أن أسلوبه في الحصر مكده من ترتيب الأبنية
على حروفها فأشار إلى ذلك في مقدمة كتابه فكان مبدع الترتيب على الحروف دون
أن يعرف طريقة اليونان في ذلك وكان يطلع أحد تلامذته أو أصدقائه
- الليث بن المظفر - على مراحل عمله فيجد منه اهتماماً شديداً ، ولعله شعر
بعدم استطاعته إتمام الكتاب بنفسه فناوله إياه ، وصار يئلي عليه شرح بعض
فصوله ومنها مقدمة الكتاب على الأغلب ، ويطلب إليه أن يسأل عما تعسر عليه
معرفة . ثم شعر بدنو أجله أو باضطراره إلى ترك الكتاب ، فأوصى أو قدم
لتلميذه صحائفه في اللغة كان سمعها من الاعراب ونقلها عنهم ، وبعضها من
ملاحظاته اللغوية خلال حياته . وكان قد اجتمع في هذه الصحف التي تزن
عشرين رطلاً مفردات ومشتقات عديدة كان على الليث أن يوزعها في طيات

الكتاب حيث يقتضي مصدر اشتقاقها ، غير أن الليث لم يكن أماماً في اللغة ، لا بل لم يكن قديراً . وكان إلى ذلك قد قرأ التصريف والنحو على القاسم بن معن المسمودي ^(١) (— ١٧٥ او ١٨٨ والأول أصح) والقاسم هذا عالم من علماء الكوفة ، ولم يكن علم الكوفة بالتصريف والنحو عالي القدر عند غير الكوفيين ، فامتد أثره إلى كتاب العين وانضم إليه بعض الضعف في معرفة الليث . فظهر في الكتاب خطأ من حيث توزيع الاشتقاق على الأبنية وظهر تصحيف في ألفاظه التي لم يستطع الليث أن يضبط أعجمها من صحائف أستاذه . وزاد الأمر خطورة أن الليث عمل بنصيحة أستاذه فأل كثيراً من الأعراب واللغويين عن اشتقاقات لم تنكشف له معانيها وأصولها ، ونسب أقوالهم وأجوبتهم إليهم ، فكان هذا مما أخذ على الكتاب وقد ذكر أن مؤلفه الخليل . على أن كل ذلك لم يستنفد المشتقات أجمع ، وبقي منها عدد لم يذكر ، ولم يرو الكتاب عن الليث إلا بعض أصحابه ، ووقع بين أيدي الوراقين فأضافوا إليه ما خيل إليهم أنه يزينه في أعين الناس . ورأى علماء العراق هذا الكتاب وشعروا بضعفه هذا فاستنكروه وأبوا أن يقرؤا له بجلالة قدره إلا قليلاً منهم . ولما نبذه بعض العلماء كثر المتهمجون عليه . واعتز بعضهم بزيادة ألفاظ مشتقة عليه بما يقرب من ضعف الكتاب ، وتجراً بعضهم فاعترض على المادة التي وضعها الخليل بنفسه ، وهي تمييز المهمل من المستعمل ^(٢) فكان من أمرهم شطط فانتصر فريق من العلماء للكتاب وخطأ بعضهم بعضاً ، وأثبت ذلك أن في الكتاب أشياء حكم وضعها فلا تنقض . وفيما كان العلماء يتجادلون فيه ، كانت مادته ونهج تأليفه ينتشران في المعاجم التي تبعته والتي نسجت على منواله دون فارق كبير : من مختصر له أو مغير لترتيب حروفه أو موسع لبعض فصوله . أما الكتاب نفسه فقد ظل منبوذاً محسوراً يساعد على انتشار اللغة العربية دون أن يظهر ، وإذا بالمعاجم تنمو ، وإذا باللغة العربية تضبط ضبطاً ما كان ليتها لها لولا الخليل بن أحمد

(١) إرشاد الأريب ، طبعة فريد الرفاعي ١٧ : ٦ (٢) انظر ذلك في النهرت ص ٢٣

فيما وضع وأبدع ، ولولا الليث بن المظفر فيما أقدم عليه بشجاعة وإخلاص ،
فاللغة العربية مدينة لها ماشاء الله أن تعيش ، وستجيا طويلاً .

هذه قصة كتاب العين في ماضيه ، وهي قصة فيها سوء حظ عظيم ، ولكن
أليس من الغرابة أن يتابع سوء الحظ كتابنا حتى عصرنا هذا ، فلا يقيض
الله له في شخص الأب انناس ماري الكرملي ناشراً علماً مدققاً يشرع في
إخراجه بالطباعة ، حتى يرسل الحرب العامة سنة ١٩١٤ فتوقف طبعه عند جزء
صغير منه ، على أن هذا الجزء نفسه يحمل مكر الدهر بأصله ، فلا ينتشر إلا
بمقدار هزيل ، حتى لا تكاد ترى منه اليوم نسخة في دمشق .

ولا ندري أيكون مستقبله أبهى من ماضيه وحاضره فيعزم العلامة الكرملي على
طبعه كاملاً ، توأزره في نفقائه وزارة المعارف العراقية ، التي لها أن تفاخر بأن
واضعه ممن نشؤوا في العراق ورفعوا اسم البصرة عالياً ، أم يأتي الإهمال على
النسخة أو النسخين المخطوطين الوحيدتين منه ، فتفقد اللغة العربية أول معجم
وأشرفه ، فيه ذكاء الخليل وعلمه وتبعاته مما روى عنه تلميذ تقي لا يعرف الكذب .
وما أجل علم الخليل في اللغة ، وما أحسن ما ينقل عنه فيها .

(انتهى البحث)

يوسف العيس

جواهر الخلفاء العباسيين

كان لرفيف الحضارة أيام العباسيين اثر كبير في رقي العواطف والأذواق ، والاندفاع نحو الترف والبذخ ، ولعل الجواهر والخواتيم والتيجان والوشح المرصعة والقلائس المجوهرة والقضبان العاجية الثمينة والأعمدة المذهبة ، كانت اكبر مظهر من مظاهر ترف الخلفاء وبذخهم ، ثم تعدوا ذلك الى ما هو ابعد واروع ، فزينوا الحيطان والسقوف والأبواب والرواشن بالدر وحلواها بمثل حلبيهم^(١) وكانت الجواهر منذ الزمن البعيد ، قنية للأكاسرة ، يلتقطونها من كل مكان ، ويرسلون في اثرها الرسل ويجودون بالمال ، وكانت هذه الجواهر مجتمعة من لدن اردشير بن بابك يرثها عنه القائمون بعده كابر عن كابر ، حتى إذا ماجاء الاسلام ، وقوض عرش كسرى ، ألقت فارس الى الدولة العربية جواهرها وأفلاذها ، على أن هذه الكنوز لم تجد عند الخلفاء الراشدين هوى ، ولم يكن لهم ميل الى هذه الأعراض الدنيوية ، فصدفوا عنها ، وصرفوها الى سائر المسلمين . ولم يكن لبني أمية شغف بالغ بأشباه هذه الأمور ، فقد كانت دولتهم عربية لم يترعن فيها غير نفر او نفرين ، فالتسعت الجواهر المذكورة في ايامهم وامتلات بها خزائنها^(٢) وتناقلها الناس حتى قالوا إنه كان يعمل منها أوان ، ولهذا قال الشافعي في كتاب حرمة « لا يجوز استعمال أواني الياقوت والبلور لأن قيمتها تفوق قيمة الذهب »^(٣) وواضح انه لو لم يكن هناك أوان من هذا الضرب لما قال الشافعي قوله . فلما فاجأتهم الدولة العباسية ، وجدوا خيراً كثيراً وجوهراً وافراً ، ولم ينتفعوا الا بالقليل منه فقد حدث بعض أهل مروان « لم يكن لنا في هربنا شيء أنفع من الجواهر الخفيف الثمن الذي لا يجاوز قيمته الخمسة دنانير . »^(٤) .

(١) الجواهر للبيروني (طبع حيدرآباد ، الدكن - كرنكو) ٣٢ (٢) الجواهر ص ٥٧

(٣) الجواهر ص ٥٤ (٤) الجواهر ص ٦٦

وقد شغف بنو العباس بالجواهر شغفاً كبيراً ؛ فقد ذكر ابن خلدون ابن السفاح والمنصور اتخذوا الأسرة الذهبية المرصعة بالجواهر ، والحصر المنسوجة بالذهب المكللة بالدر والياقوت^(١)

وذكروا انه كان لهشام بن عبد الملك درة اسمها « الدرّة اليتيمة » أتت بها يوماً وعنده امرأته عبدة بنت عبيد الله بن يزيد بن معاوية ، وكانت مفرطة السن ، لم تكن تستغني في الحركة عن معونة نفر . فقال لها هشام : إن قتت بنفسك من غير استعانة بأحد فلك هذه الدرّة . فزاوت القيام بشدّة ومشقة ، وما تم نهوضها حتى خرّت على وجهها وسال الدم من أنفها ، ففسلها هشام وأعطاها الدرّة . وكانت ثلاثة مثاقيل ، حائزة جميع محاسن الصفات ، مدحرجة نقيّة رائقة رطبة من كثرة الماء . فلما انتقضت دولة بني أمية ، وانتدب عبد الله بن علي لبيع ودائع مروان بن محمد ، ضمّز إليه بأن عند عبدة الدرّة اليتيمة وقرطان لها بقيتا لديها . فأحضرها وطالها بذلك ، فأجابته بأني إن دفعت اليك ما تريده فهل تريد مني شيئاً غيره ؟ قال لا . فسأمت ذلك إليه . وكانت قد حملته مع نفسها . فقال لها : اختاري لك موضعاً أحسن لك فيه ، فسمت موضعاً بالشام ، فسيرها إليه . ثم خاف أن يطلع السفاح على ذلك ويستخبرها فأتبعها عبداً ، حتى عدل بها عن الطريق وذبحها^(٢)

وكان مما أخذ منها بدنة مجوهرة كانت عندها . ذكر الثابتي في كتابه « الديارات » ان المهدي لما زوج ابنة الرشيد بأب جعفر ابنة اخيه ، استعد لها مالم يستعد لامرأة قبلها : من الآلة وصناديق الجواهر والحلى والتيجان والأكليل وقباب الفضة والذهب والطيب ، واعطاها بدنة عبيدة ابنة عبد الله بن يزيد امرأة هشام . قال : ولم يُرَ في الاسلام مثلاً ومثل الحب الذي كان فيها . وكان في ظهرها وصدورها خيطان من ياقوت أحمر ، وباقئها من الدرّ الكبار الذي ليس مثله^(٣) ويقال ان المقومين لم يقفوا على قيمة هذا الدرّ لنفاسته^(٤)

(١) التذوق الاسلامي ج ٥ : ١٠٦ (٢) الجامع ١٥٢ (٣) الثابتي (مخطوطة المجمع العلمي

التي فرغنا من تحقيقها) (٤) تحفة الروس ٣٦

وذكر ابراهيم بن المهدي أن اباہ اشترى فصاً من ياقوت احمر على أقصى النهاية في النفاسة بثلاثمائة الف دينار ، وكانت اكياسا - لما نضد بعضها على بعض - كالجبل . وقد وهبه للهادي ^(١) وقيل بل الذي اشتراه هو المنصور بأربعين ألف دينار ^(٢) ثم صار الى الرشيد فقرنه الى الخاتم « الاسماعيل » الذي كان للمنصور . وكان من زمر د على وزن متقالبين يسمى « البحر » تشبيهاً له بخضرته ، وكان شراؤه بأربعين الف دينار ^(٣)

وذكر البيروني في موضع ثاب أن الجبل كان احمر معصراً بهرماناً صافياً يتزن ثلاثة مثاقيل غير دانق ، وقيمته مائة الف الف دينار . ^(٤) وفي القولين تناقض وكان الرشيد شديد الولوع بالجواهر حريصاً على اقتنائها ، بعث بالصبح الجوهري ، جد الكندي ، الى صاحب مرنديب لاتباع جواهر في ناحيته ^(٥) وذكروا ان الرشيد كان ينثر الجواهر بغير حساب . وكان في جملة حظياته واحدة لم ترزق جارية من الجمال مارزقته هي . وكان الرشيد إذا أتخفهن بشيء ردت هذه حصتها ، وهو يعتناظ من ذلك . فانفق يوماً أنه نثر عليهن جواهر لها قيم عظام فاللقطنها ، ولم تمت تلك اليها بدأ . ثم أحضر جواهر غيرها وخيرهن ، فاخترن ، وقال لتلك : لم لا تختارين أسوة بصواحبك ؟ قالت : إن كان لي ما أختاره فسا فعل ، وجاءت وأخذت بيده وقالت له : هذا اختياري من جميع جواهر العالم . فأعجب الرشيد بها وسماها خالصة وفاقت سائرهن في الخطوة منه وفي الصلات والثواب والمواهب ^(٦)

وذكر البيهقي انه اشترى للرشيد جواهر بمائتي الف دينار فوهبه لدنانير البرمكية ^(٧) ولم تكن زبيدة زوجه بأقل منه عناية بالجواهر ، فقد كان لها سبعة من بواقيت رمانية كالبنادق ^(٨) وكان شراؤها خمسين الف دينار . وجرى بين الرشيد

(١) الجواهر ٦١ (٢) المحاسن والساوي للبيهقي ٥٠٣ (٣) الجواهر ١٥٢
 (٤) الجواهر ٦٢ (٥) الجواهر ٦٣ (٦) الجواهر ٥٨ (٧) المحاسن والساوي ٥٢٢
 (٨) الجواهر ٥٨

وبينها يوماً ذكر نزاهة عمارة بن حمزة وعلو همته . فقالت : إن الأقدام الثابتة
تزل عن مواطنها عند روائح المال ، فادع به وهب له سبحانه هذه فان ردتها
عرفنا نزاهته . ففعل ، وخلص به الرشيد في امر مهم ، ثم اتبعه السجدة ، فوضعها
عمارة بين يديه بعد ان شكر برّه . ولما قام تركها مكانها . فقالت زبيدة : قد
أسيها ، فأتبعه خادماً بها . فقال للخادم : هي لك ان صدقت . فرجع قائلاً :
إن عمارة قد وهبها لي ، فأعطته زبيدة الف دينار وارتفعتها منه (١)

وقد بلغ من اعجاب زبيدة بالدر ان أمرت ان يتخذ ثياباً لوصائفها من الدر
المتقوب بالتصليب . (٢) ثم ازداد هذا حتى انها اتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر تلبسها
في قصرها (٣) .

وقيل إنها اشترت لعبد الله ابن الخلع قضيماً من زمر د قدر ذراع بأربعة وثمانين الف
دينار ليلعب به يوم إعداره (طوره) وكان على رأسه طائر من ياقوت احمر (٤)
أما المأمون فأخياره متناقضة ، تدل على شغفه بالجواهر تارة ، وتظهر نفوره
منها أحياناً . فقد ذكروا انه لما قدم بغداد منصرفاً من خراسان اهدى اليه الفضل بن
الربيع فصّ ياقوت لم ير مثله . فأخذ المأمون يقلبه ويجوّله من يده الى يد ، ويقول
لجلسائه « ما رأيت أحسن من هذا الفص » . ثم حدثهم أن أبا مسلم سرتح زياد بن
صالح الى الصين ، فوجه اليه بفصّ وقع له من جهته الي ابي العباس السفاح ،
فوجه لعبد الله بن علي ، وصار منه الى المهدي ثم الى الرشيد ، فبينما هو يرمي قوس
جلاهدق اذ بدر الفصّ من خاتمه وكرّ في ذلك الموضوع حواليه ، فلم يُعثر له على
اثر ، واغتم جداً . فاشترى له صاحب المصلّى فصّاً عديم المثل بعشرين الف دينار ،
وبعث به اليه ليسليه عنه فلما نظر اليه قال واين هذا من فصي ؟

ثم قال المأمون : « لأضعن من قدر هذه الحجارة التي لا معنى لها » ثم ردت
الفصّ على الفضل (٥)

(١) الجاهر ١٥٦ (٢) الجاهر ٥٨ (٣) السويدي ٣٦٦ (٤) الجاهر ١٦٥

(٥) الجاهر ٦٥

وذكر ابن خلدون وابن شاكر أن المأمون أعطى زوجه بوران ليلة زفافها الف حصة من الياقوت ، وبسط لها فرشاً كان الحصير منه منسوجاً بالذهب مكللاً بالدرّ والياقوت ، فكان بياض الدرّ يشرق على صفرة الذهب ، وثر الحسن بن سهل على المأمون في تلك الليلة الف جوهرة .^(١)

وقيل ان زبيدة لما دخلت على المأمون عند دخوله بغداد ، هنأته بالخلافة ، فأعجب بكلامها وحشى فاما دراً^(٢)

وذكروا ان المأمون كان يحب الواثق ويجهده في تخريبه وعادله في السفر مرة فأخذ الجمال في الحداء ، وأشفق المأمون ان يستيقظ الواثق من نومه ، ولم يمكنه النداء بالجمال ، فقطع سلك سحمة من الدر واخذ يرميه بدرّة بعد أخرى الى أن أصابه ، فالنتف اليه وأوما اليه بالسكوت . ثم دُل احد الثقات بالغداة على الموضوع فاللقطها من الطريق^(٣)

ولم يكن الأمين بأقل شغفاً بالجواهر من أمه وابيه ، حتى بلغ به ذلك ان كان يشرب بأقداح من بلور كلت جوانبها بالجواهر الثمين^(٤)
اما المعتصم فقد ورث ما كان عند أبيه واخيه ، وقالوا انه لما قتل الإفسين اخذ من داره اصناماً محلاة بالذهب والجواهر^(٥)

وكانت هذه الجواهر تقع أحابن كثيرة في أيدي الخاشية والوصائف ، وربما عادت الى خليفة آخر مرة أخرى . فذكروا ان المتوكل جلس يوماً لهدايا النيروز ، فقدم اليه كل علق ثمين ، فدخل عليه طبيبه جبريل بن ينجيشوع ، وكان يأنس به ، فقال : ما ترى في هذا اليوم ؟ قال جبريل : مثل خرباشات الشحاذين ! إذ ليس لها قدر . . . أقبل على مامعي . ثم أخرج من كفه درج آبنوس مضرب بالذهب ، وفتح عن حرير اخضر ، فانكشف عن ملعقة كبيرة من الجوهرة لمع منها

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ج ٦ سنة ٢٠٦ (دار الكتب الظاهرية)

(٢) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٢٦ (٣) الجواهر ١٥٦ (٤) المحاسن والمساوي ٣٦٢

(٥) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٢٦

شهاب . فوضعها بين يديه . فرأى المتوكل مالا عهد له بمثله . فقال : من أين لك هذا ؟ قال من الناس الكرام . ثم حدث انه صار الى ابيه من ام جعفر زبيدة في ثلاث شكايات عاجلها فيها ، بثلاثمائة الف دينار ^(١)

ودخل بختيشوع على المتوكل يوم مهرجان . فقال اين هديتك ؟ فقال هديتي لم يملكها خليفة قبلك ، واخرج ملعقة زبرجد توزن ثمانية مثاقيل ، وحكى عن ابيه جبريل انه قصد دنانير جارية يحيى بن خالد فوجدها تأكل رماناً بهذه الملعقة ، فقالت له خذ هذه الملعقة ، فأخذها ، وفرح المتوكل ، واحضر عتاباً الجوهري لتقويمها فقال « ما أعرف لهذه قيمة ! » ^(٢)

وقد كان الواثق يملك الدر الكثير . وحكى محمد بن بشير النديم انه دخل على الواثق فاذا هو في دار مفروشة الأرض والحيطان بالوشى المنسوج بالذهب على سرير مرصع بالجواهر ، والى جانبه جاريته فريدة ، وذكر ان الواثق اغضب فريدة يوماً فاسترضاهما بحقٍ فيه عقد جواهر ما رؤى مثله لخليفة ^(٣)

ولا ندري ما كان يفعل المعتز بالجواهر لو طالت خلافته ، على ان امه قبيصة — زوج المتوكل — كانت تجمع الجواهر وتدخرها . ولكنها لم تنتفع بها في دين ولا دنيا . ولم تفت به ابناً حين طلب منه الاتراك خمسين الف دينار على ان يقتلوا صالح بن وصيف ويريجوه منه . فلاذ بأمه فشحت عليه وقالت : لا مال عندي . فلما قُتل المعتز وجد لها صالح ثلاثة اسفاط فيها زمرد وجواهر وياقوت أحمر ، ما ظن ان يقع مثله ويكون في أيدي العالم . وقوم هذا كله بألفي الف دينار . وقومت الأسفاط بألف الف دينار ^(٤)

ولما اشارت قبيصة هذه ، على ابنتها المعتز بقتل أخيه المؤيد بعثت قبيصة الى امه في شهر رمضان بسبعة دراهم قيمتها اربعة آلاف دينار وقالت لها سبحي

(١) الجواهر ٥٢ (٢) الجواهر ١٦٥ (٣) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٣٢

(٤) الجواهر ٦٨

بها يا أخي . فسحقتها في الهاون ولقتها في كاعغد وردتها الى حاملتها وقالت لها :
اقرئي عني اخي السلام وقولي لها : التسبيح لا يذهب بجزازات الدماء ^(١)
وكان بعض الخلفاء يبتاعون المتاع والأثاث بالجواهر بدلاً من الدنانير . فذكر ابن
شاذان ان المستعين اشترى من المعتز كثيراً من المتاع والأثاث بما قيمته عشرة
آلاف الف دينار وعشر حبات جوهر ^(٢)

وما انتقلت الخلافة الى المقتدر حتى كانت خزانة الدولة مترعة بالجواهر . ومن
جملتها حجر الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلاثمائة الف دينار ، والدرة اليتيمة التي
قومت بمائة وعشرين الف دينار وغير ذلك . ^(٣) على ان المقتدر اضاع ما وصل اليه
على النساء وبذرها فيهن . ولما احتشم وزيره العباس ورام اسكاته بالاشترار في
في النهب وتلوينه بالخيانة انفذ اليه من الجواهر ما يعظم مقداره تكريمة له ، فردها
العباس قائلاً « انما زينة الاسلام وعدة الخلافة وليس تفريقها بصواب » ^(٤)
وكان لخالة المقتدر هذا فص يلقب بورقة الآس ، لانه كان على مقداره
وزنه مثقال الا شعيرتان ، وشراؤه ستين الف درهم ^(٥)

* * *

تلك لمح موجزات عن الجواهر التي وصلت الى خلفاء بني العباس ، وإذا اضفنا
الى هذا تلك الجواهر التي كانوا يزينون بها قصورهم ، كبرج المتوكل ، وقصر
التريا ، وقصور المقتدر وقصور سامرا ، رأينا الترف والبذخ الذين رقع فيها الخلفاء ،
فكاننا سبباً في وهن ملكهم واندثار حضارتهم .

صلاح الدين المنجد

دمشق

(١) الجاهل ١٥٨ (٢) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٢٨ (٣) الفخري ١٩١

(٤) الجاهل ٥٧ (٥) الجاهل ٥٧ .

مخطوطات ومطبوعات

تاريخ البيمارستانات في الاسلام

تأليف الدكتور احمد عيسى بك

مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي بدمشق

للدكتور أحمد عيسى بك بد بيضاء في خدمة اللغة العربية بما وضعه فيها وبما نقله اليها من المؤلفات العلمية الطبية التي بعث فيها كثيراً من الألفاظ والتعابير القديمة المندثرة وبما أودعه فيها من المصطلحات العلمية الحديثة . ومن خيرة ما طلع به علينا أخيراً تاريخ البيمارستانات في الاسلام الذي أسدى به الى العالم الاسلامي خدمة جلي لما حواه من مفاخر تنطق بسمو ما كانت عليه الحضارة الاسلامية من الرقي في مضمار التمدن والأخلاق الانسانية العليا وذلك لأن خير المظاهر الدالة على تقدم الأمم المدني والاجتماعي ما عندها من المصانع الخيرية واهمها المستشفيات العامة والملاجئ ودور الاسعاف .

وقد ألم الكتاب في قسمه الأول بصورة اجمالية بنشأة البيمارستانات ونظامها وأطبائها وأرزاقتها ثم درس في قسمه الثاني بيمارستانات البلاد الاسلامية على التفصيل : في جنديسابور والعراق ومصر وسورية وفلسطين والحجاز وايران وتركيا والمغرب والاندلس ويروي عددها على التسعين مارستاناً مع ذكر أسماء من اشتهر من الاطباء الذين خدموا فيها وترجمة من عثر على ترجمته منهم بصورة مقتضبة . وفي الكتاب وصف مسهب للبيمارستان الكبير المنصوري او مارستان قلاوون في القاهرة وللبيمارستان النوري بدمشق وهو محلى بكثير من الصور والرسوم والكتابات الاثرية .

وقبل أن نختتم هذه الكلمة بالثناء العاطر على المؤلف نرى من الفائدة ان نشير الى عدم ذكر دار الجذام في دمشق التي قد تكون اقدم دار للمجذومين أهلة بالمرضى منذ تأسيسها حتى اليوم . ولعلها هي الدار التي أعدها الوليد بن عبد الملك في دمشق للمجذومين

وأمر بجسهم فيها لتلايخجوا على الناس وأجرى عليهم الأرزاق ونوه بذكرها الزميل تحت عنوان بيارستان الوليد « وانه لم يصل الينا علم او إشارة عن المكان الذي أنشئ فيه » .

وهي كائنة خلف سور المدينة خارج بابها الشرقي وعلى بعد خمسمائة متر تقريباً منه . على يمين الطريق الممتدة منه الى الشمال . ويعرف موقعها بالاعاطلة . وهي مؤلفة من حظيرة فيها عدة غرف مبنية من اللبن المطلي بالطين الأحمر يقيم فيها المجذومون من قرون بعيدة ؛ وبجانب هذا البناء الحقير الحديث العهد آثار لبناء عظيم قديم مازالت أبقاضه من الاعمدة والأحجار الضخمة باقية وهي ملقاة على الارض وحائطه الغربي قائماً وفيه الباب وهو مردوم بالتراب حتى فنطرتة التي يستدل من شكها على أنها من اعمال القرن السادس ويحيط بهذا البناء بستان كبير هو ووقف عليه . وقد تكون الحظيرة الآفة الذكر حوشاً لهذا البستان ثم انتقل اليها المرضى عندما تهدم هذا البناء التاريخي .

والماتواتر ان الوليد أقام مارستانه المذكور في التاريخ للمجذومين في هذا المكان وان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي جدد ذلك البناء ووقف عليه البستان المجاور له مع غيره من الاراضي الزراعية ومنها قرية جلين المشهورة في حوران وتسمى هذه الاوقاف بوقف الجذامى وكان يتولى إدارتها في السابق وانفاق ريعها على المجذومين أسر دمشق معروفة الى ان وضعت مديرية الاوقاف العامة في دمشق يدها عليها بعد الحرب العامة واخذت تنفق من ريعها على المجذومين المقيمين في هذه الحظيرة وذلك حتى سنة ١٩٣٥ حيث وجدت مصلحة الصحة العامة في سورية بالاتفاق مع مديرية الصحة في المفوضية الفرنسية العليا ان بقاء هذه المؤسسة التاريخية في الموضع الذي هي فيه وعلى ما هي عليه لا يتلائم مع مقتضيات الفن الصحي الحديث فنقلت الى محل يقال له القصر قرب دومة على بعد ١٦ كيلو مترا من دمشق حيث أنشئ لها بناء كبير مؤلف من ستة اقسام متفرقة اثنان منها للذكور واثنان للاناث وقسم للاعمال الطبية وقسم للادارة وهو مجهز باحدث الادوات الصحية وفيه عدد من المجذومين يقرب

من المائة وقد عهد بإدارته الى راهبات المحبة للعازاريات وبرئاسته لكاتب هذه الكلمة
بالإضافة الى رئاسة مستشفى ابن سينا للأمراض النفسية القائم على مقربة منه . وقد
اطلق عليه اسم «مستشفى الوليد بن عبد الملك»

أما آثار دار الجذام القديمة فما زالت مهملة تعبت بها حوادث الطبيعة يجيق بتاريخها
وبهندستها الفموض تظنر الساعة التي تمتد اليها فيها يد مصلحة الآثار السورية لتكشف
عن حقيقتها اللثام .

هذا ولا بد لنا في الختام من شكر جمعية التمدن الاسلامي بدمشق على عنايتها بطبع
هذا الكتاب القيم .

أسعد الظلم



كتاب بلوغ المرام

ورأيت

(لكل من القاضي حين العرشي والاب انتاس

الكرامي طبع بصر سنة ١٩٣٩ صفحته ٢٠٦٢)

نُشر هذا الكتاب المسمى (بلوغ المرام في من تولى اليمن من ملك وإمام) على
الطريقة (الشكيبية) أعني ان ناشره زميلنا الفاضل الأب انتاس اضاف الى الكتاب
من نتائج علمه ومجهودات بحثه ملاحق جعلته في (٤٤٢) صفحة فقط بعد ان كان
اصله في ٨٢ صفحة : مؤلف الكتاب القاضي حسين بن احمد العرشي يمني معاصر :
نظم قصيدة في ملخص تاريخ اليمن منذ الفتح الاسلامي الى زمنه الحاضر سماها
(مسك الختام) ثم عمد الى القصيدة فشرحها شرحاً قليلاً في لفظه كثيراً في معناه .
وسماه (بلوغ المرام في شرح مسك الختام) . ومن دأب الاب أنتاس ان يحرص على

استيعاب اخبار اليمن والاطلاع على ما وضع فيها من المصنفات : فكان يجد في بعضها قصوراً وفي بعضها تقصيراً . حتى ظفر بكتاب القاضي العرشي فأعجبه واشتراه مؤملاً انه بخط المؤلف ثم تبين له انه بخلاف ذلك . في قصة اشار اليها في مقدمة الكتاب ثم فصلها في ص ٢٤٠ . وقد قال الاب في المقدمة انه لم يجد أثراً لترجمة المؤلف ولم يهده احد اليه : لافي صنعاء ولا في بغداد ولا في القاهرة . وكل ما استنتجته بشأنه في مطاوي تأليفه انه زبدي المذهب وانه كان حياً سنة ١٣١٨ هـ

ومن محاسن المصادفات ان يكون في زيارتي حين تصفحي للكتاب (جميل بك نوري) نزبل دمشق وهو ابن اخت محمود نديم باشا المشهور الذي تولى اليمن في آخر العهد العثماني . فأطلعت على الكتاب وسألته عن القاضي حسين العرشي مؤلف (بلوغ المرام) وقرأت له ما ذكره ناشره الاب الكرمللي في الملحق الأول (ص ٩٢ و ص ٩٣) من خبر البعثة الانكليزية التي جاءت الحديدة في طريقها الى صنعاء (سنة ١٩١٨ م) فصدتها قبيلة (القحري) . فقال : ان ما قاله الاب في هذه الحادثة صحيح لكنه يحتاج الى تعديل في بعض اخباره : لأنني كنت مع خالي (محمود نديم) يوم قدوم البعثة وقد شاركته في تلافي الحادثة وفي بدني وثائق باللغتين الانكليزية والعربية تتعلق بتلك الحادثة .

ثم أطلعتني جميل بك على الوثائق المذكورة . فقلت له : ان قراء مجتئنا لا يعينهم تحقيق أمر هذه الحادثة من الوجهة السياسية وانما يهمهم امر القاضي حسين العرشي مؤلف (بلوغ المرام) الذي قال ناشره المحترم انه لم يجد له أثراً . ولم يرو له أحد عنه خيراً . فقال : إني اعرفه معرفة شخصية كما أعرف القاضي عبد الله العرشي الذي عينه الامام معتمداً في (عدن) للمفاوضة مع البعثة والاعتذار اليها . حسبما ذكره الأب الكرمللي في ص ٩٣ ثم قال : والقاضي عبد الله هذا هو ابن اخي القاضي حسين مؤلف بلوغ المرام . وكلاهما من (العرش) وهي قرية صغيرة في بلاد (خولان) إحدى مخاليف اليمن . وهذان القاضيان معروفان بالانتساب الى امام اليمن ومن المقربين لديه وكلاهما من قضاة اليمن . و(القاضي) في اصطلاح البانين لقب تجميل وتعظيم يدل

على فضل صاحبه وعلمه . كما تقول في بلادنا (الفقيه فلان) وليس القاضي عندهم
بمعنى الموظف الموكل اليه فصل الخصومات كما هو الشأن عندنا وإنما ، هذا يسمى
في اصطلاحهم الحاكم الشرعي «

ولكن الاب انستاس فسر (القاضي) في ص ٤٣١ بكل من يعرف القراءة
والكتابة . وهذا التفسير بوشك ان يكون تفسيراً لكلمة (الافندي) التركية في
اول نشأة استعمالها في بلادنا . على ان تفسيره هذا لا يلائم قوله في ص ٢٤٩ (بمناسبة
سعة اطلاع القاضي العرشي على اخبار اليمن واحداثها) مانصه (وهذا لأن العرشي
كان قاضياً والقضاة يضطرون الى مراجعة كتب كثيرة بخلاف أهل العلم فانهم قد
يتفردون ببعض الكتب دون غيرها) فان هذا القول على غموض المراد منه يشعر
بأن القاضي العرشي كان ذا وظيفة أو عمل غير القراءة والكتابة وانه يقوم به دون
سائر علماء بلاده . فأى التفسيرين لكلمة القاضي نعتمد ؟

نرجع الى الكتاب المنشور : رأى الأب الناشر ان كتاب (بلوغ المرام) على
وفائه بالحاجة السياسية من تاريخ اليمن لا تزال فيه امور يعوزها البيان . فأتبعه
بملاحق من عنده :

(الملحق الأول) بلغ المؤلف العرشي في سرد حوادث اليمن الى سنة (١٩٠٠ م)
فتتبع الاب بقية حوادثها الى سنة ١٩٣٤ م التقطها من الجرائد ومن معلوماته الخاصة
(الثاني) في بلدان اليمن وقبائله (الثالث) مطامع الغربيين في اليمن (الرابع) الاتفاقيات
والمعاهدات بين اليمن والدول

فالقارئ يقول ها قد انتهى الكتاب . نعم ولكن انتقان الاب الكرملي لم ينته :
فبعد الفصول التالية وضمنها قصة شرائه مخطوطة (بلوغ المرام) ثم وصف المخطوطة
وتقدّمها من جهة الرسم والنحو واللغة والأسلوب . وعزّا كل ذلك الى الناسخ
لا الى المؤلف الذي اثنى عليه . ووازن بين تاريخه وتاريخ غيره ، فرجحه . وذكر شيئاً من
محاسنه . ثم قال : انه هو عاد فعلقت يده بنسخة من الكتاب أجد وأثقن من التي

اشتراها . وعقد فصلاً للمراجع التي استند اليها في ملاحقه : وهي ستة عشر مرجعاً أو كتاباً . وتكلم عن كل واحد من هذه الكتب بالتفصيل . وقد عنون هذا الفصل بقوله (المتبجات التي ارتدناها) ولم يعجبنا هذا العنوان : فان فيه تكلفاً . واين قوله هذا من قولهم (المراجع التي اعتمدنا عليها : استندنا اليها) . فان الفصحاء في مثل هذا المقام يقولون اشبه علينا امر كذا فرجعنا الى كتاب كذا . وقد أصبحت كلمة (المرجع والمراجع) اصطلاحاً للؤلئين مثل قولهم (الباب) و (الفصل) و (المقدمة) ونحو ذلك . أما كلنا (انتجعنا) و (ارتدنا) فن الكلمات الأدبية التي تستعمل في مقام الخطابة والشعر ونحوهما . وعند الافرنج كلمة (البيليوغرافيات) بمعنى (المراجع) عندنا . فهل نراهم يعدلون عنها الى غيرها حتي يجوز لنا نحن ان نصنع صنيعهم ؟!

وصلنا في الكتاب الى ص ٢٧٦ وبقي منه ١٦٧ صفحة فبماذا ملئت ؟ ملئت فصلاً تضمن تصحيح هفوات سبقت في الكتاب وملاحقه الاربعة مع اضافات وفوائد واستدراكات .

قال الناشر : اعتمدنا في بعضها على ولدنا (العلامة روكس بن زائد العزيري) استاذ العربية في احدى مدارس شرق الاردن . وقد اثني الاب على هذا الشاب الذي آزره في عدة مواطن من الكتاب .

ثم جاء دور النهارس وأولها فهرس لتحليل المباحث التاريخية وفهرس للكتب والجرائد الوارد اسمها في الكتاب وملاحقه وفهرس للنباتات وآخر للمعادن وآخر للأخلاق والعادات وآخر للجبال والآكام وآخر للبجار والأنهار والأودية وآخر للأديان والمذاهب وآخر لأسماء الأمم والشعوب وآخر للقرى والاماكن وآخر لللقبين بالباشا من ترك وعرب . وآخر للدول والبعثات والثورات والشركات والمجامع الخ . وآخر لأسماء الرجال والنساء والبيوت والعشائر . وآخر لأسماء أمم اليمن خاصة وآخر للألفاظ المستعملة في اليمن . وآخر لألفاظ يمانية لم ترد في الكتاب المنشور وانما زادها الناشر للافادة . والفهرس التاسع عشر هو فهرس للفهارس السابقة كلها

أرأيت أيها القارىء كيف ان هذا الكتاب بملاحقه وفهارسه أصبح أشبه بدائرة معارف للمملكة اليمانية وقد وسع كل ماله علاقة بها ؟

أرأيت أننا تعلمنا معشر الشرقيين من ناشري الكتب الغربيين طريقة إلحاق الفهارس والاستدراكات فأربينا عليهم ، ونقدناهم أشواطاً .

أرأيت كيف ان زميلنا العلامة رأى في كتاب (بلوغ المرام) جوانب مظلمة فألقى عليها من حسن بيانه نوراً بهرَ عيون القراء . وقد يكون من شدة الظهور الخفاء .

وقد أعجبنا من صنيع الناشر الفاضل احصائه طائفةً من الألفاظ المستطيرة في جنبات اللهجة اليمانية وتخصيصه فهرسين جمع فيها شواردها وقيدها أو ابدها :

(الدرمة) هي القطعة (الزامل) النشيد الوطني (الطفش) البرنيطة (العرك) صيادو السمك (الفرار) الزئبق (النطار) حارس الزرع (النقل) الحجارة (البرعشية) السيوف (الجيد) الجبل (الرزيم) مصرع القليل (الزرط) الخفاش (سع) مثل :

يقال فلان وفلان سع في نظري اي هما متماثلان (الشقران) الفراريج (شل) المكان احتله (الضاح) السراج (العنبرورد) الكمثرى (القشمي) الفجل (قنبر) يقنبر (جلس يجلس) الكتان (البق الدباب الخبيث الرائحة (المردم) الزاوية (الهدس) شجر الآس (الوينان) يريدون اليونان . قال : والسفن المستعملة في سواحل بحر اليمن يسمى أصغرها : الهوري فالقطيرة فالزعيمة فالسنبك فالساعية فالبغلة فالسفينية . الى غير ذلك من الألفاظ التي كان للأب المحترم فضل عظيم في التقاطها وتنسيق دررها . وباليته عمد الى البحث في أصول هذه الألفاظ وبيان ما اذا كانت حميرية او حجازية أو أعجمية . ولو فعل لجرى من عادته على عرق . ولاستن في ميدان لا يزال له فيه السبق .

ويتخلل قوائم هذه الألفاظ اليمانية التي جمعها الناشر الفاظ أخرى شائعة في جوانب لهجتنا السورية واللبنانية كما انها نفسها منبثة في اللهجة اليمانية . وما كان لذكرها معنى ولا فائدة في هذه القوائم : اذ أن المفيد للقارىء أن يعرف ما في لهجة

غيره مما ليس في لهجته . أما ما اشتركت اللمجتان (اليمنية والشامية) فيه فليس بالأمر العجيب ، ما دمنا عرباً في عنصرنا ، عرباً في لغتنا . وما الفائدة في أن يقال لنا ان اليمانيين يقولون في لغتهم اليومية : للآجر - آجر . وللأركيلة أركيلة . وللألاجة الالجه وللألماس ألماس ولأمير الجيش امير الجيش . وللحنطة حنطة وللبرنيطة قبة وان تيجتر في مشيته تيجتر . وحط على المكان نزل فيه ، واخذه بجذافيره . ورجال وجمعه رجاجيل (وهؤلاء اللبنانيون يقولون في أغانيهم الشعبية : لا تفتكر يا علي حولك رجاجيل بابا) والزورق والطاوية والفلوكة وقش الزبد اذا كسطه والقهوة والكفتا واللبن والمحطة والمسرح والمقهى والنارجيلة والبريش والنشا وإحنا (بمعنى نحن) واصحاب اي اصدقاء والباور والبيور والتن والتنبك والتنور والجبنة . والحزام والحلبة والخافقية (نوع من آنية الطعام) والخبز والخزاي والخيار والشباك والطاوة (اي النافذة) والصحن للطعام . والصيني (للآنية المحلوبة من الصين) والطواشي للخصي . والعوامة للحلوى المستديرة المدملكة . والغليون الذي يمس به الدخان والقناء والماهية لراتب الموظف . والمحجوس وجمعه محاييس . والمكتب للمدرسة ووتعت صاعقة في مكان كذا) كل هذا مما ننطق به في شامنا كما ينطق به اليمانيون في بينهم ومن البعيد ان يكون الأب المحترم شامياً ابناً ثم لا يعلم ان هذه الكلمات من بنات وطنه . فهل نسيها يا ترى ! ?

ومما لاحظناه على الاستاذين مؤلف الكتاب وناشره أنها لم يشير الى ان قصيدة (مسك الختام) التي نظمها المؤلف وشرحها - قد حذا فيها حذو قصيدة من اشهر قصائد الأدب العربي وقال النويري هي من أمهات القصائد : فان القصيدتين من فرد بحر وقافية وموضوع . وليس هذا فقط بل ان سرد حوادث التاريخ في القصيدتين متشاكل . وجرس الكلمات وإيرادها متوائماً . حتى ان من سمع قصيدة العرشي خيل اليه أنه يسمع القصيدة الأخرى وان كان بين القصيدتين فرق كبير من جهة بلاغة القول وتقاء الدياتجة وجودة السبك . واعني بها قصيدة الوزير ابن

عبدون التي رثى بها أولياء نعمته الملك من بني الأفتس : فقد سرد ابن عبدون الكوارث التي حلت بالملك الماضين كارثة كارثة واتخذ من فجائعهم أسوة للفجيمة ببني الأفتس :

مطلع قصيدة العرشي اليعني :

في صورة الدهر ما أغنى عن العبر لذي فؤادٍ وذو فهم وذو نظر
خداعة وهي في التحقيق شيمتها مكارة وهو عيب غير مستبر
وفرشت ذهباً للمالكين بها لكن حشمتها حداد الشوك والإير

وقال ابن عبدون :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور
فلا يغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينها سوى السهر
تسرُّ بالشيء لكن كي تغرَّ به كالأيم تار الى الجاني من الزهر
وقال العرشي :

وما أمدت بني العباس نجاتها الا بجيش زوالٍ غير منتمر
وألبست ثوب هولٍ من خياطتها بني زيادٍ على منصوبة الجدر
ولا ابن مهدي لما قام معتجراً زادته الا مزيد النقص في العمر
وما حمت جعفرأ في داره وله معاقل ملئت بالحزم والحذر
وفوقت لبني الضحاك أسهوها ولم تدع لبني المنتاب من أثر
وقال ابن عبدون :

هوت بدار وفأت غرب قاتله وكان عضباً على الأملاك ذا أثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ولم تدع لبني يونان من أثر
وما أعادت على الضليل صحته ولا كنت أسداً عن ربها حجر
وخضبت شيب عثمان دماً وخطت إلى الزبير ولم تستحي من عمر
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا رعت عيادته بالبيت والحجر

وهذه المقارنة بين القصيدتين ان كانت فانت المؤلف الشارح فما كان ينبغي ان تفوت المحقق الناشر لما في ذلك من الفائدة للناشئين المتأدبين ولا يقدر هذا في قيمة الكتاب المنشور . ولا في جهود ناشره الذي بلغ من الشهرة في خدمة لغتنا الشريفة والحرص على نشرها وتحقيق أفاضها مبلغاً لا يحتاج معه الى ثناء . وانما يحتاج الى دعاء ، بأن يطيل الله عمره ، وُيدني من يد المحتنين ثمرة

المغربي



الجاحظ وفن القصص في كتابه البخلاء

رسالة للاستاذ محمد المبارك في ٧٦ صفحة

طبع في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ
١٩٤٠ م

استطاع الاستاذ المبارك في رسالته هذا ان يكشف عن فن الجاحظ في كتابه عن البخلاء بنهج لم يسبق اليه معتمداً على نصوص من الكتاب شرحها وعللها ، فوجد ان قصصه مأخوذة من الواقع وانه بصور الأشياء بدقائقها والانسان بمجر كتمه ولهجته وهيأته وأنه ينفذ الى أعماق نفسه فيعرض شعورها غير أنه لا يستحسن ولا يستقبح ما يعرض اللهم الا ساخرأ او من وراء ستار ، كل ذلك بأسلوب يلبس لكل حال لبوسها ، دقيق في التعبير ، يثير صوراً واضحة تظهر القصة وكأن القارئ قد حضرها بنفسه ، ورأى المؤلف ان كل ذلك يدخل في مضمار مايسميه الا فرنج بالـ «Réalisme» اي المذهب الواقعي فأقر بأن فن الجاحظ في قصصه واقعي قبل ان يخلق أدباء الغرب مذهب الواقعية . وامله بالغ في ذلك فالمذهب الواقعي نجم في أحوال خاصة وتبعاً لتطور خاص لم يشهده عصر الجاحظ فكانت له صفته الخاصة وبالغ في ايجاد نظير لتطور

الآداب الغربية حين جعل الجاحظ يعني تصوير طبقة المتمولين التي ظهرت ببغداد في عصر الجاحظ (ص ١٦ و ١٣) ، فأبو عثمان يصور البخلاء أين سكنوا: في بغداد او البصرة او مرو ، والى أي طبقة انتسبوا أكانوا كباراً جشعين او متمولين نهمين او كانوا طفوليين او معولين او محتالين . وعلى كل فالاستاذ المبارك يحدد على رسالته التي تشعر بقدرة وتنبع وجهه تنبيءً بمسقبل حسن في التأليف .

وتلك بضع ملاحظات عرضت لنا :

ص ١٢ : فاتمه ان يذكر ثبت أهم ما كتب عن الجاحظ

من ص ٤٨ الى ٦٨ : اهمل أن يعنون كل القصص فصار القارىء يتوهم ان عنواناً

وضع لقصة واحدة يسري على عدد منها متتابع

من ص ٤٨ الى ٧٣ : نسي ان يذكر اما كن القصص المنتخبة في كتاب البخلاء

من الطبعة التي اعتمد عليها .

وكان حرياً به أن يفرد في اول رسالته وصفاعاماً لكتاب البخلاء ليعرف القارىء

ما يقرأ عنه ، وان يقارنه بما ورد في كتب الأدب في باب البخل والبخلاء وان ينسب

فن الجاحظ القصصي الى فنه في مجمل تأليفه ، ولعلنا نطلب شططاً من مؤلف

يقدم عجالةً ويعرض جديداً .

يوسف العيسى

آراء وأنباء

تعزير اللغة العربية في لبنان

تأليف جمعية دائمة مهمتها السهر على لغة القرآن

نشرت الصحف المحلية في لبنان وسوريا الخبر الآتي

في أواخر الاسبوع الفائت جرى اجتماع مرخص به من قبل الحكومة اللبنانية في منزل المحامي الاستاذ الياس نعوم بركات للمداولة وانبحت بشأن تعزير اللغة العربية في البلاد . وقد حضره رهط كبير من كبار علماء البلاد وأدبائها ومحاميا ، وافتتح الجلسة الاستاذ بركات صاحب الدعوة بكلمة بين فيها الغاية من الاجتماع ثم انخب سماحة الشيخ مصطفى الغلاييني رئيساً للجلسة والاستاذ روبر ايلا امين سر لها وبعد مناقشات طويلة سجل لسماحة الشيخ رئيس الجلسة اقتراح مفاده ان تكون اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في جميع المحاكم الوطنية وسائر دوائر الحكومة والبلديات كذلك اقترح ان يبحث المجتمعون بشأن تعزير اللغة العربية في جميع نواحي حياتنا الاجتماعية

وسجل لتقيب المحامين الاستاذ فؤاد خوري اقتراح آخر بأن يكون للغة العربية المقام الأول في جميع المعاهد العلمية على اختلاف أنواعها وان يكون تدريسها اجبارياً في كل صف من صفوف الدراسة ، رسمية كانت أو خصوصية ، ثم اقترح ان ينبثق من هذا الاجتماع جمعية رسمية تستحصل على إجازة من الحكومة للاهتمام بهذا الموضوع واتخاذ جميع الوسائل الممكنة لتعزير اللغة العربية .

وأخيراً اقترح صاحب الدعوة ان لا تعطى البكالوريا باللغات الاجنبية قبل ان

ينالها الطالب باللغة العربية .

وبعد موافقة الجميع على هذه المقترحات وتوقيعهم اياها انتخبت لجنة مؤقتة تكون

مهمتها العمل على تحضير مجتمع اوسع من المجتمع المعقود بدعى اليه فريق من اهل

العلم والأدب والغيرة على تعزيز اللغة العربية ورفع مستواها في هذه البلاد لانتخاب جمعية دائمة تقوم بتنفيذ المقررات الآتفة الذكر وغيرها مما يعمد اليه فيما بعد ، وقوام اللجنة المذكورة سماحة قاضي الشرع الشيخ مصطفى الغلاييني رئيس الجلسة وامين السر فيها الاستاذ روبر ايلا تقيب محوري الصحافة اللبنانية ، وتقيب المحامين الاستاذ فؤاد الخوري ، والتقيب السابق للمحامين الاستاذ جوزيف خوري ، ووزير المعارف وتقيب الصحافيين سابقاً الاستاذ خليل كسيب ، والشاعر الكبير الاستاذ بشارة الخوري ، والاديب المعروف الاستاذ جرجس المقدسي ، وصاحب الدعوة المحامي الاستاذ الياس نعيم بركات .

وقد قررت اللجنة المذكورة عقد اجتماعها يوم الاثنين الساعة الرابعة بعد الظهر في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ في دار سماحة الشيخ مصطفى الغلاييني .
(المجمع العلمي) سره هذا الخبر جد السرور وهو يهني القائمين به ويعتبط بعملهم ومساعدتهم الجليل في خدمة اللغة العربية

—••••—

اهداء كتب

اهدلنا وزارة معارف العراق الجليلة طائفة من الكتب المدرسية المقررة لمدارسها وعددها ٤٤ كتاباً مطبوعة طبعاً منقناً ومزينة برسوم جميلة وجميعها تأليف كبار أساتذة التعليم في العراق وترجمتهم وهي :

امم الكتاب	امم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
١ القراءة الخلدونية	ابو خلدون	١	بغداد
٢ تمارين الحساب للبتدئين	الدكتور داود القصير	٢	"
٣ القراءة العربية	محمد بهجة الاثري	١	دمشق
٤ دروس الاشياء	جعفر خياط وتحسين ابراهيم	٣	بغداد
٥ الصحة للاحداث	الدكتور محمد حسن سلمان	٣	"

اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
٦ الجغرافية الاولية الحديثة	عزیز سامی و ابراهیم شوكة	٣	بغداد
٧ الحساب	جماعة من مدرسي الرياضيات	٢	≈
٨ المطالعة العربية	اکرم زعیمترو عزالدین آل یاسین	٢	بیروت و بغداد
٩ الحساب الثانوي	محمد علي مصطفى	٢	بغداد
١٠ مبادي العلوم الطبيعية	تحسين ابراهيم و جليل جواد وجعفر خياط	١	≈
١١ الهندسة المستوية	علي و جلال امين زريق	٢	≈
١٢ الجبر	حكمت عبد الحميد و شريف يوسف	١	≈
١٣ الجغرافية المتوسطة الحديثة	ابراهيم شوكة و عزیز سامی	٢	≈
١٤ الكيمياء الأولية	تحسين ابراهيم	١	بیروت
١٥ تاريخ الامة العربية	درويش المقدادي	١	بغداد
١٦ الفيزياء العملية	بشير اللوس و حسن الجواد	١	≈
١٧ علم الحيوان	عبد العزيز مهدي و بشير اللوس	١	≈
١٨ مبادي المثلثات المستوية	محيي الدين يوسف	١	≈
١٩ دروس الرياضيات العامة	عبدالله غوبديا و محمد علي مصطفى	٢	≈
٢٠ علم النبات	عبد العزيز مهدي و جعفر خياط	١	≈
٢١ الهندسة المحسمة	علي مظلوم و جلال ابن رزق	١	≈
٢٢ التربية و التعليم في تركيا الحديثة	الدكتور محمد فاضل الجمالي	١	≈
٢٣ اتجاهات التربية و التعليم في المانيا و انكلترا و فرنسا	≈ ≈	١	≈
٢٤ بيت الأمة أي التعليم الربيعي في المكسيك	ترجمة نجلا طنوس عقراوي	١	≈

مكان طبعه	عدد الأجزاء	اسم المؤلف	اسم الكتاب
بغداد	١	الدكتور سامي شوكة	٢٥ هذه اهدافنا
≈	١	الدكتور متي عقراوي	٢٦ مشروع التعليم الاجباري في العراق
≈	٣	وزارة المعارف	٢٧ نهج الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية
≈	١	تحسين ابراهيم وجبرائيل فتح الله كساب	٢٨ الكيمياء العامة في الفلزات واللافلزات
≈	١	ابراهيم اسماعيل وفرح الله ويردي	٢٩ الكيمياء العامة
≈	١	الدكتور مجيد خدوري	٣٠ التاريخ العام



الفهرس العام

(لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء)
(حرف الألف)

الصفحة

- ٣٩ ابناء علي بن نصير الدين الطومسي
١٩١ ابن تيمية (تأليف مستشرق فيه)
٤٣٣ و ٣٨٢ ابن حزم
١٤٥ ابن العديم (تأليفه)
٩٩ ابن عنين (ترجمته)
٨٠ ابن الفوطي (محاضرة عنه)
٥٢٨ أثران (بحث عنهما)
٧٣ احمد بن طولون (سيرته)
٢٣٧ الآداب الاسلامية (كتاب)
١٨٩ الادباء العشر (كتاب)
١٧ اسماء منتخبة لمسميات حديثة
٤ أعضاء المجمع العلمي العربي (قائمة بأسمائهم)
٤٣٠ اعلام النساء (كتاب)
٣٨١ الأغنياء والفقراء (كتاب)
٥٢٢ أفايص تيمور
٣٦٣ الامتاع والموانسة (كتاب)
١٢٨ انباء الغمر بابناء العمر (مخطوط)
١٣٩ انساب الاشراف للبلاذري (كتاب)
٣٧٥ الانسان ذلك الجهول (كتاب)

- ٥٧٤ إهداء كتب من وزارة معارف العراق
 ٢٧٨ اهل البيت والصحابة (كتاب في الموافقة بينهم)
 ٢٩ و٣٣٥ و٣٦ الاجابة لايراد ما استدر كته عائشة على الصحابة (كتاب)
 ٣٥٧ الأوائل (مخطوط)

(حرف الباء)

- ٩٦ البدء بالتاريخ (تنبيه)
 ٧٧ البديع (كتاب لابن المعتز)
 ٥٢٨ بحث عن أثريين
 ١١٥ البلهارزية (مرض)
 ٤٥٠ و٤٠٨ بنو أمية (مميزاتهم . محاضرة)
 ٥٦٤ بلوغ المرام وملاحقه (كتاب عن اليمن)
 ٥٦٢ البيمارستانات (تاريخها في الاسلام)

(حرف التاء)

- ٥٦٢ تاريخ البيمارستانات
 ٣٢٦ تاريخ علماء مصر (مخطوط)
 ٣٨٣ تاريخ الفلسفة في الاسلام (كتاب)
 ٣٠٦ تاريخ الاسلام (حلقة مفقودة منه)
 ٤٧٩ تذكرة الشعراء او شعراء بغداد
 ٤٣١ تراجم رجال القرن الثالث عشر
 ١١٠ التراب والمدافن الخاصة في الاسلام
 ٥٧٣ تعزيز اللغة العربية في لبنان
 ٢٨٧ التكلمة للجواليقي (مؤلفات في موضوعها)

- ٤٧٧ التنوخي : الامير جمال الدين (كتاب)
٥٢٢ تيمور (أقاصيصه)
- (حرف الجيم)
- ٥٧١ الجاحظ وفن القصص (كتاب)
٣٨ جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة (مخطوط)
٥٥٥ جواهر الخلفاء العباسيين
- (حرف الحاء)
- ٢٣٩ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع (كتاب منشور فيهما)
١٣٨ حمص (كتاب في تاريخها)
١٨٤ حلب (مخطوط في تاريخها) مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي
- (حرف الحاء)
- ١٢٤ خريطة العالم اللادريسي
٧ خزائن الكتب العربية في الخافقين
- (حرف الدال)
- ١٤٢ دار الكتب الوطنية في حلب
١٨٤ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب (مخطوطة)
٢٨٥ دزراييلي (حياته)
٣٥٢ الديار الشامية (وثيقة الهدنة)
٨١ دير الشرفة (مخطوطاته)
٢٣٣ ديوان الشبيبي
٤٦ ديوان طفيل بن عوف الغنوي وديوان الطرماس بن حكيم الطائي

(حرف الذال)

الصفحة

- ٢٣٥ و ٢٤٠ الذخيرة لابن بسام [كتاب]
١٤٤ ذكرى المولد النبوي .

(حرف الراء)

- ٢٣ الراديو وأثره في نشر اللغة .
٢٦٩ رحلة الوزير في افتتاحك الاسير [كتاب]
٣٥ الريال المزيف [قصيدة]

(حرف السين)

- ٤٩ سخييف عاداتنا [محاضرة]
٧٣ سيرة أحمد بن طولون [كتاب]

مركز (حرف الشين)

- ٣٥٩ الشعراء لابي نعيم [مخطوط]
١٨٨ الشمقمقية [شرحها]
٤٨٣ شيطان الظهيرة [محاضرة] .

(حرف الصاد)

- ٢٧٨ الصحابة [كتاب في الموافقة بينهم]
٢٤١ صفحات مطوية [حوادث تاريخية]

(حرف الطاء)

- ٨١ الطرفة في مخطوطات دير الشرفة [كتاب]

(حرف العين)

- ٦٦ عائشة الباعونية [ترجمة حياتها]
١٤١ عبقر [ديوان شعر]

- ١٥٢ عدي بن الرقاع [قصيدتان له]
 ٤٣٢ عدى وعدى [التفرقة بينهما]
 ٣٨٤ العسجدي الشاعر [تحقيق اسمه]
 ٤٦٩ عشائر الشام
 ٣٣٢ العقد الفريد [كتاب]
 ٥٢٩ العناصر الاجنبية في الاسلام [محاضرة]
 ٣ العودة (الى افتتاح الجمع) .

(حرف الغين)



٣١٩ غريب الحديث

١٥٥ و ٢٢٠ و ٢٥٣ غوطة دمشق [محاضرة]

(حرف الفايين) كاتپوير علوم رسدري

- ٤٣٩ الفرزدق [كتاب]
 ٧٩ الفنون الصناعية [سلسلة كتب مدرسية]
 (حرف القاف)

٥٠٦ القدوري : شرح مختصره

٢٨٣ القرآن (تأليف مستشرق في تبويب آياته)

٤٥٦ القرآن (مخطوط في تفسير مشكل آياته)

٣٨٤ قسطاكي الحصري (تأيينه)

٢٤٨ القسم في القرآن

٣٣٧ قصر الخير

(حرف الكاف)

٥٧٤ كتب [هدية من وزارة معارف العراق]